د. يعقوب يوسف الغنيم

الأزمنة والأمكنة

المجلد الثاني



حديث الفنان أيوب حسين[1]

طالما رددت أملي في أن يقوم عدد من أبناء الكويت الذين مرت بهم تجارب عديدة بكتابة يومياتهم فهي ولا شك - تمثل بما فيها من معلومات وأخبار جزءًا من تاريخ الكويت. وقد ضربت مثالًا لذلك حين تحدثت عن الأستاذ أحمد البشر الرومي وعن أوراقه الخاصة التي حفظت لنا الكثير من الذكريات.

ولقد كان سروري عظيمًا حين عرفت أن الأخ الكريم الأستاذ الفنان أيوب حسين الأيوب كان يقوم منذ مدة طويلة بكتابة ذكرياته ويحتفظ بها كاملة حتى يومنا هذا. وهذا يدعونا إلى توجيه الرجاء إليه بنشر ما يملك من يوميات حتى نستفيد مما فيها ونضيف إلى المعلومات الواردة من مصادر أخرى إضافة لها شأنها باعتبار الأستاذ أيوب مربيًا ودارسًا وقارئًا له إلى جانب فن الرسم الذي أبدع فيه أيما إبداع، أما ميزة الكتابة والتأليف فقد منحنا حتى الآن عددًا من المؤلفات التي تتحدث عن البيئة الكويتية القديمة، والتراث الكويتي الحقيقي دون أن يضيف إلى اسمه عبارة: خبير بالتراث الكويتي كما يفعل من هم أقل منه في المعرفة بهذا التراث وهذا تواضع يحسب له واحترام للنفس جُبل عليه هذا الرجل الكريم..

الأستاذ أيوب حسين من مواليد سنة ١٩٣٢م، تخرج من صف المعلمين بالمدرسة المباركية في سنة ١٩٤٩م، وعمل في مجال التدريس منذ تلك السنة

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١/٣.

حتى سنة ١٩٧٩، ثم صار وكيلًا لإحدى المدارس ثم ناظرًا، أذكر أنني زرته مرارًا في مدرسة ابن زيدون في حولي، وكنت أعجب كثيرًا بنشاطه وحرصه على مهنته، وعلى الأطفال الذين ائتمن عليهم، وهذا الفنان له أكثر من ستمائة لوحة تمثل البيئة الكويتية أحسن تمثيل. وشارك في عدد كبير من المعارض وأقام عددًا من المعارض الخاصة به كان إقبال الناس عليها منقطع النظير.

ولو أردنا أن نذكر كافة ما قام به لطال القول كثيرًا ولكننا نحيل إلى الكتاب «التحفة» الذي أصدره لهذا الفنان مركز البحوث والدراسات الكويتية في سنة ٢٠٠٥م، ففيه مقدمة وافية عن حياته، كما أن فيه صورًا ملونة لأربعمائة لوحة من لوحاته يجدر بكل منا أن يطلع عليها ويتأملها، فهي بالإضافة إلى قيمتها الفنية العالية، ذات قيمة تاريخية كبيرة لأنها تمثل الكثير من عادات أهل الكويت وتصور الأماكن المعروفة قديمًا التي زال بعضها من الوجود بفعل بلدية الكويت. وإذا نظرت نظرة سريعة إلى فهرس هذا الكتاب وجدت سبعة وثلاثين منحًى من مناحي الحياة الكويتية المختلفة تصور لك كل ما تود أن تراه من ماضي الكويت، وما تقرأ عنه أو تسمع به من أماكن وطرق ومحلات تجارية وألعاب وغير ذلك.

أعود مرة أخرى إلى ما بدأت به لكي أبيِّن ميزة من ميزات هذا الفنان الكثيرة. فهو إلى جانب كل ما قدمنا ذو اهتمام بتدوين اليوميات كما قلت في البداية. وقد جمع خلال السنوات الماضية الكثير من المعلومات التي اهتم بتدوينها يومًا فيومًا. وكانت هذه إحدى مفاجآته التي ما إن أخبرني بها حتى فرحت بها وتمنيت عليه أن يمدني بمثال لها. ولم يبخل الأستاذ أيوب حسين كعادته فقدم لي عددًا من الأوراق سوف أعرضها فيما يلي:

تتألف الأوراق التي أمدني بها الأستاذ أيوب من صنفين، أولهما: يضم يوميات من سنتي ١٩٥١م و١٩٥٢م، مفصلة بحسب تواريخها. والنصف الثاني يتحدث عن رحلة قام بها لفيف من المعلمين إلى مصر في سنة ١٩٥٣م.

وهذه هي حصيلة ما جاء حول السنتين الواردتين في الصنف الأول مع الحرص على النص الوارد من الأستاذ:

١ - سنة ١٩٥١م:

- الأحد ١٩٥١/٢/٢٥م:

- عطلة رسمية لجميع الدوائر الحكومية بمناسبة عيد جلوس أميرنا المعظم الشيخ عبدالله السالم الصباح.

- وفي مساء اليوم نفسه أجريت مباراة لكرة القدم بين فريق المعارف والإنجليز بالأحمدي، حضرها جمهور غفير وعلى رأسهم الشيخ عبدالله الجابر، وانتهت بالنزاع.

- الاثنين ١٩٥١/٢/٢٦:

- مساء هذا اليوم أُعدَّت حفلة بمدرسة المثنى بمناسبة عيد جلوس أميرنا المعظم الشيخ عبدالله السالم الصباح.

- الثلاثاء ١٩٥١/٣/٨:

- اعتبارًا من هذا اليوم يتغير الدوام المدرسي حيث يكون كالتالي:

الدوام الصباحي من الساعة السابعة.

الدوام المسائي من الساعة الرابعة.

- الخميس ١٩٥١/٣/١٥م:

- ابتداء العطلة الربيعية للطلاب والمدرسين، حتى الجمعة ١٩٥١/٣/٣٠م.

• الاثنين ١٩/٣/١٩٥١م:

– تلبدت السماء بالغيوم فنزل المطر الغزير الذي ملأ السدود. وطغى على الأراضي والوديان.

• الاثنين ٤/٦/١/١٩٥١م:

– ابتداء امتحانات الروضات (كانت الروضة – آنذاك – تعادل اليوم الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية).

• السبت ٧/٧/١٩٥١:

– غادر مجموعة من المدرسين الكويتيين مطار الكويت في (النزهة) للاشتراك في دورة تربوية في الجامعة الأمريكية بلبنان مدتها شهران، وقد عادوا منها صباح يوم الأحد ٩/٩/١٩٥١م. (انظر إلى الصورتين المرفقتين). (انظر ملحق الصور).

• الاربعاء ٥/٩/١/١٩٥١م:

– دعوة من قبل رئيس الجامعة الأمريكية بلبنان للأستاذ حبيب الكوراني للأعضاء الكويتيين لحضور حفل الشاي المقام على شرفهم للتعارف وتوزيع شهادات إتمام الدورة.

• الخميس ٢٧/١٢/١٩٥١م:

– قدوم الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت المعظم من البحرين إلى وطنه الكويت، وقد أجريت له الاحتفالات وعُطلت الدوائر الحكومية.

٢ – سنة ١٩٥٢:

• **الخميس: ٢٤/١/١٩٥٢م:**

– بداية امتحان الفصل الأول من السنة الدراسية ٥١/٥٢.

• الثلاثاء ٢٩/١/١٩٥٢م:

– انتهاء الامتحان.

• الثلاثاء ١٩/٢/١٩٥٢م:

– يوم عطلة بمناسبة خروج الشيخ عبدالله الجابر من المستشفى الأميري سالمًا.

– الاثنين ٢٥/٢/١٩٥٢م.

– عيد جلوس سمو الأمير المعظم حاكم الكويت الشيخ عبدالله السالم الصباح.

– وفي اليوم نفسه كُسفت الشمس كسوفًا جزئيًا في الكويت.

• الجمعة ٢٩/٢/١٩٥٢:

– اجتمعت الهيئة المنتسبة في نادي المعلمين، وأجري انتخاب الهيئة الإدارية ففاز بالعضوية كل من: خالد المسلم، وفهد الدويري، ومحمد العدساني، وخالد الغربللي، وعبدالمحسن الزبن، وعبدالعزيز المساعيد، وإبراهيم المقهوي و(هُم من الخارجين عن نطاق المعارف).

وحمد الرجيب، وعبدالعزيز الدوسري، وصالح عبدالملك، وبدر السيد رجب، وأحمد العدواني، ومحمد زكريا وعيسى الحمد و(هم من العاملين في سلك المعارف).

وفي التاريخ نفسه تم زواج الشيخ مبارك العبدالله الأحمد.

• الأحد ٢/٣/١٩٥٢:

تم زواج الأستاذ محمد علي حسن.

- السبت ١٩٥٢/٣/٨:

ابتهجت مدينة الكويت بقدوم سمو أميرنا الجليل الشيخ عبدالله السالم الصباح من العراق.

- الخميس ١٩٥٢/٥/١م:

قام أعضاء نادي المعلمين بتلبية دعوة وجهها إليهم (سمو) الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الرئيس الفخري للنادي إلى بستانه للاستمتاع وتناول طعام العشاء.

وفي عصر اليوم الثاني لبّى أعضاء النادي دعوته في قصره العامر بحولي لحضور حفلة شاي هناك.

- الثلاثاء ١٩٥٢/٦/١٠:

– مدت القوة الكهربائية إلى منزل أيوب حسين الأيوب.

- الأربعاء ١٩٥٢/٦/١١:

قدم الأستاذ عبدالعزيز حسين من الخارج لكي يتولى منصب مدير دائرة معارف الكويت.

- الأحد ١٩٥٢/٦/١٥:

– درجة الحرارة في هذا اليوم ٩٣ مئوية و١٠٠ فهرنهيتية.

- الجمعة ١٩٥٢/١٢/١٢م:

– زواج الشيخ عبدالله المبارك، عطلة السبت والأحد.

هذا الذي قدمناه هو ما ورد من الأستاذ أيوب حسين من يوميات سنتي ١٩٥١ و١٩٥٢م.

ومن الملاحظ أنه لم يشمل جميع الشهور والأيام في هاتين السنتين، فكان في ما تم عرضه نقص كثير، وهو معذور في ذلك لسببين أحدهما ألا يكون قد وجد في الأيام المتروكة مما يستحق منه التسجيل، والآخر أنه اختار جزءًا من مذكراته فقدمها، وبذلك فإننا نحترم اختياره.

ونلاحظ في أخبار السنتين المشار إليهما أن الأستاذ يهتم جدًّا بأخبار ما له علاقة بالتعليم ومراكزه ونادي المعلمين وهذا غير مستغرب فهو في حقل التربية يعمل، وبين زملاء المهنة يعيش.

ولكن من أراد أن يطلع على باقي المعلومات بسنتي ١٩٥١ و١٩٥٢ فإنه سوف يراها فيما سبق أن قدمناه من مقالات. وقد كان من الأحداث المهمة في سنة ١٩٥١م إجراء الانتخابات لمجالس دوائر الصحة والمعارف والبلدية والأوقاف. وكذلك جرى تعيين الشيخ فهد السالم الصباح رئيسًا لدائرتي بلدية الكويت والصحة العامة، أما سنة ١٩٥٢م فقد كانت سنة كثيرة الأحداث ولكن من أهمها فقدان الكويت للمرحوم سلطان إبراهيم الكليب والمرحوم الشيخ عيد المطيري.

☆☆☆☆

نعود الآن إلى الصنف الثاني من أوراق الأستاذ أيوب حسين، وهو الذي ذكرنا سلفًا أنه يتعلق برحلته إلى القاهرة، وقد حرص الأستاذ على أن يزودنا بثلاث صور لهذه الرحلة التي تمت في ربيع سنة ١٩٥٣م، وقام بها مجموعة من الأساتذة اختارتهم دائرة معارف الكويت، ورتبت لهم هذه الرحلة، وقد كان العدد كبيرًا وضم مدرسين من عدد من المدارس منهم على سبيل المثال الأستاذ أيوب والأستاذ عقاب الخطيب والأستاذ عبدالعزيز المسلم وآخرون، كما أن الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة والشيخ عبدالوهاب العبدالرحمن الفارس كانا من ضمن الوفد وهما مدرسان في المعهد الديني، لي كل السعادة أن أذكر أنهما كانا من أساتذتي في تلك الفترة التي تمت فيها الرحلة.

كانت الصورة الأولى بالقرب من سد أسوان، وقد ضمت كلًّا من:

من اليمين: ١ - أحد الأساتذة المصريين المرافقين للوفد، ٢ - عبدالعزيز العدساني، ٣ - أيوب حسين، ٤ - بدر السيد رجب الرفاعي، ٥ - ياسين الغربللي، ٦ - أحد الضباط المصريين، ٧ - سالم درويش.

وشملت الصورة الثانية بعض أعضاء الوفد وهم يسيرون بين بعض الآثار الفرعونية بالأقصر، وقد ظهر معبدالكرنك الشهير.. وهم من اليمين:

١ - بدر السيد رجب الرفاعي، ٢ - الأستاذ أحمد السقاف، ٣ - أيوب حسين، ٤ - محمد السروي وهو مصري يعمل في بيت الكويت بالقاهرة، ٥ - مزيد الصانع، ٦ - سالم درويش.

وضمت الصورة الثالثة عددًا أكبر من الصورتين السابقتين يظن الأستاذ أيوب أنها التقطت أمام المتحف المصري وممن يتذكر أسماءهم من البارزين في الصورة كلا من: الشيخ عبدالعزيز حمادة وولده الدكتور عبدالمحسن، والشيخ عبدالوهاب الفارس، وعقاب الخطيب، ونجم الخضر، وأيوب حسين، ومحمد النوري وسليمان أبوغوش، (غير كويتي ولكنه مع الوفد) وعبدالعزيز المسلم وصالح محمد، وغازي العماني، ومحمد النشمي، وعبدالحميد فرس (مع الاحتفاظ بالألقاب)، ثم قال الأستاذ أيوب: أنه لم يتعرف على أسماء الباقين.

هذه المعلومات - على قلّتها - مفيدة جدًا، وهي مع المعلومات التي وردت من مصادر أخرى فإننا يمكن أن نحصل على معلومات متكاملة عن السنوات الثلاث التي أوردنا للأستاذ أيوب حسين معلوماته عنها، وقد أحسن صنعًا حين اهتم بتدوين هذه المعلومات لأن عدم التدوين هو الذي أضاع علينا الكثير من أخبار الكويت وتاريخها. وأنا مع شكري الجزيل مجددًا لصاحب المذكرات الفنان أيوب حسين لأرجو منه معاودة قراءة كل ما كتب لعله يتذكر أشياء قد فاته تسجيلها كما

أرجوه أن يطبع كل ما دونه كاملًا لتعميم الفائدة. كما أرجو من الإخوة الذين لديهم الاهتمام بكتابه اليوميات أن يبرزوا ما عندهم حتى يُضمَّ إلى ما توافر حتى الآن من معلومات عن تاريخ هذا الوطن العزيز.

☆☆☆☆

أعضاء الدورة التربوية من المدرسين الكويتيين الموفدين إلى الجامعة الأمريكية في بيروت في الفترة من ١٩٥١/٧/٧ إلى ١٩٥١/٩/٩ وقد التقطت الصورة الثانية أثناء توزيع شهادات إتمام الدورة عليهم في منزل رئيس الجامعة الأمريكية بتاريخ ١٩٥١/٩/٥م.

أ - الجالسون: على الأرض من اليمين هم: ١ -الأستاذ بدر ضاحي العجيل، ٢ - الأستاذ: عبدالحميد عطية الأثري. ٣- الأستاذ محمد إبراهيم الياسين. ٤ - الأستاذ خالد المسعود الفهيد. ٥ - الأستاذ يعقوب عبدالعزيز الرشيد. ٦ - الأستاذ أيوب حسين الأيوب.

ب - الجالسون على الكراسي من اليمين هم: ١ - الأستاذ عبدالمحسن مسلم الزامل «لا يرى إلا جزء منه». ٢ - الأستاذ: عبدالصمد التركي. ٣ - الأستاذ: عبدالله أحمد حسين. ٤ - صالح النصر الله. ٥ - الأستاذ محمد النوري. ٦ - الأستاذ: رئيس الجامعة الأمريكية. ٧ - مدير الجامعة الامريكية «حبيب الكوراني». ٨ - الأستاذ صالح محمد. ٩ - الأستاذ يوسف عبيد. ١٠ - الأستاذ سعد الغديري.

جـ - الواقفون من اليمين وهم: ١ - أحد المدرسين في الجامعة، ٢ - الأستاذ عبدالله القضيبي. ٣ - الأستاذ إبراهيم عبدالملك الصالح. ٤ - سليمان أحمد الحداد. ٥ - الأستاذ عبدالعزيـز محمود بوشهري. ٦ - عبدالوهاب الزواوي. ٧ - الأستاذ محمد السداح. ٨ - الأستاذ سليمان العثمان. ٩ - الأستاذ إسماعيل الشرهان. ١٠ - الأستـاذ غازي العماني. ١١ - الأسـتـاذ فارس عبدالرحمن.

١٢- الأستاذ أحمد الشرهان. ١٣ - أحد مدرسي الجامعة. ١٤ - الأستاذ مبارك صالح العنيزي. ١٥ - الأستاذ محمد أحمد حسين.

د. الثلاثة الواقفون من الخلف: ١ - الأستاذ علي حسن العلي. ٢ - الأستاذ عبدالمجيد محمد. ٣ - احد مدرسي الجامعة. وقد تخلّف عن الصورة الأستاذ عبداللطيف الخميس.

الصورة من البوم أيوب حسين الأيوب.

(انظر الصور السابقة وشرحها في الملحق الخاص بالصور).

****

ملحاق خير

الدكتور عبدالله مبارك الرفاعي من أبناء الكويت البررة الذين خدموا وطنهم في عدد من المجالات.

تخرج في كلية الطب في سنة ١٩٦٢م، وحصل على دبلوم التخصص في أمراض صحة المناطق الحارة من جامعة ليفربول في بريطانيا في سنة ١٩٦٧م، وهو زميل الكلية الملكية للأطباء والجراحين في اسكوتلندا.

كان في البداية طبيبًا في المستشفى الأميري وذلك منذ سنة ١٩٦٣ حتى سنة ١٩٧١م مارًّا بكافة المستويات التي يمر بها الطبيب بعد تخرجه وكان خلال هذه الفترة يقدم برنامجًا صحيًّا تثقيفيًّا في تلفزيون الكويت الذي كان جهازًا وليدًا عندما شارك الدكتور عبدالله الرفاعي في برامجه ويومذاك عرفته عن قرب لأنني كنت مدير التلفزيون في تلك الفترة.

إن الأعمال التي قام بها الدكتور الرفاعي كثيرة جدًا بحيث يصعب ذكرها في هذه العجالة، ولكن الخطوط العريضة لها تبدأ منذ صار وكيلًا مساعدًا في وزارة الصحة مسؤولاً عن الخدمات الطبية العلاجية، وكان ذلك اعتبارًا من شهر نوفمبر لسنة ١٩٧٣ حتى شهر سبتمبر لسنة ١٩٧٥م. وانتقل بعد ذلك مباشرة للعمل نائبًا لعميد كلية الطب بجامعة الكويت وكانت هذه الكلية حين انتقل إليها في طور التأسيس، وفي شهر أكتوبر لسنة ١٩٧٩م، وانتقل من منصبة هذا للعمل أمينًا عامًا لمعهد الكويت للاختصاصات الطبية، وفي شهر مايو لسنة ١٩٩٣ صار رئيسًا لجامعة الخليج العربي بمملكة البحرين.

هناك أعمال كثيرة قام بها هذا الرجل منها المشاركة فيما لا يقل عن ستة عشر مجلسًا منها مجالس محلية ومنها مجالس إقليمية وأخرى عالمية، شارك فيها فقدم الكثير من الأفكار وكانت مشاركته فعالة ومفيدة لكل تلك اللجان، وقد ترك فيها أثرًا بيِّنًا بحيث لا تزال محاضرها تشهد بها، ولا يزال قرناؤه فيها يذكرونه. إن الجهود التي قام بها في مجال الطب، والتخطيط للخدمات الطبية والتعليم الطبي وتدريب الأطباء والمشاركة على أعلى مستوى في تخرج الأفراد الصالحين للقيام بالمهام الإنسانية بكافة فروع الطب، جهود لاينساها أحد، وقد ترك برحيلة فراغًا كبيرًا، وأسًى شديدًا لدى كل محبيه وعارفي فضله وقدراته العجيبة.

أما المهمات التي قام بها الدكتور ولها علاقة باختصاصه وطبيعة عمله فهي الأخرى كثيرة منها المشاركة في مؤتمرات وزراء الصحة والتربية لدول الخليج العربي، والمؤسسة العالمية للصحة، والمؤتمر الإقليمي لهذه المنظمة، ومؤتمر تبادل الخبرات التكنولوجية، وكان عضوًا في مجلس كلية الطب في جامعة الإمارات العربية المتحدة، ومستشارًا لهذه الجامعة لشؤون التخطيط وتطوير الحرم الجامعي. ومستشارًا للهيئة العامة لجنوب الخليج العربي بالكويت. وكثيرًا غير ذلك مما يدل على همته العالية، وقدرته على التوفيق بين كل هذه الأعمال، وعزمه على بذل كل ما يستطيع في سبيل الخدمة العامة في مجال تخصصه.

ولد في اليوم الرابع من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣٧م، وتوفي رحمه الله في اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ٢٠٠٥م، وله ثلاثة أولاد سوف يسيرون - إن شاء الله - على طريقه المستقيم فكلهم أطباء وكلهم متفوقون والحمد لله.

****

الكويت بخير[1]

تتردد على أفواه الناس في الكويت نغمات من الحزن، وتسيطر عليهم نظرة تشاؤمية واضحة، ومن يستمع إلى ما يدور من أحاديث في بعض الدواوين، أو الأماكن الأخرى التي يلتقي فيها الناس يفاجأ بذلك التشاؤم، والناس في ذلك لا يلامون فما يقرؤونه في الصحف يوميًّا، وما يثار من مناقشات في مجلس الأمة يثير هذه النزعة ويزيد من وقعها، بالإضافة إلى الآثار النفسية التي خلَّفها الغزو العراقي الغاشم في نفوس بعض المواطنين، وهي ظواهر لا تخفى على أحد.

ولاشك في أن الكويت تحتوي على أشياء جميلة، وفيها أناس يعملون باستمرار من أجلها، وهناك، مبادرات متعددة جديرة بأن تثير روح التفاؤل بدلاً من التشاؤم، ثم إن أغلب ما يثار من أمور أشياء مبالغ فيها، أو غير حقيقية، وعلى أبسط قواعد حسن الظن: فيها تحويل للحقائق عن مسارها.

والكويت الجميلة، ذات الإنجازات المتعددة على مستوى الحكومة أو على مستوى الأفراد حري بها أن ترفع عن كواهل أبنائها هذا الهم الذي يسيطر عليهم، وأن تطلعهم على حقائق الأمور بصورة غير مباشرة تشرح صدورهم بالحق، وتدفعهم إلى التفاؤل بمستقبل كريم.

الكويت بخير في الأمس وفي اليوم، وسوف تكون - إن شاء الله - بخير دائم.

من حسن حظنا أن اثنين من أبناء الكويت كتبا في وقت متقدم تاريخ هذا الوطن، صدر كتاب الأول منهما وهو الشيخ عبدالعزيز الرشيد في سنة ١٩٢٦م،

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٠.

وصدر كتاب الثاني وهو الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في سنة ١٩٤٦م، وقد تناولا في كتابيهما الكثير من المعلومات عن النشاط الإنساني في البلاد، وعن حركة المواطنين في شتى مجالات الحياة، تحدثا عن عاداتهم وعن تعاونهم وعن قيامهم بحماية وطنهم، وعن وفائهم له.

ففيما يتعلق بالكتاب الأول نجد الرشيد يتحدث بداية عن مساجد الكويت، وتظهر من عرضه لها أسماء بُنَاتها من أبناء البلاد الذين تعاونوا وقاموا بإنشائها فرادى أو على شكل مجموعات أو الذين قاموا بترميم بعضها أو إعادة إنشائه.

وقد ذكر من تلك المساجد مسجد الملا صالح الذي تم بناؤه في سنة ١٩١٩م ووضع حجر أساسه الشيخ سالم المبارك الصباح، ولم يكتف المؤسس بذلك بل أوقف عدة أوقاف على هذا المسجد.

وذكر مسجد العدساني الذي أسسه أحد قضاة الكويت من هذه الأسرة الكريمة، ومسجد اليعقوب المشهور بمسجد الخالد لأن الحاج حمد الخالد قام بإعادة بنائه في سنة ١٩٢٣م وعني به عناية كبرى حتى صار في غاية البهاء والجمال كما يقول الرشيد.

لم تكن في الكويت في ذلك الزمان دائرة أوقاف فجعل الأهالي على عاتقهم بناء المساجد وإيقاف الأوقاف التي يقوم إيرادها بخدمتها.

وتضمن حديث الرشيد شيئًا عن عادات الكويتيين في العيد فذكر تبادلهم للتهاني وزياراتهم لبعضهم البعض، والموائد التي يعدونها لهذه المناسبة فيجتمع حولها الناس، كما أطنب في وصف العرضات التي تقام في الأعياد فتحيط بها الجماهير تستمتع بما تشاهده وما تسمعه خلال العرض، وقد وصف الرشيد أيام العيد وما يقدم فيها على عهد الشيخ مبارك الصباح، فقال: «اعتاد

الكويتيون لاسيما في أيام مبارك تعطيل أشغالهم أسبوع العيد كله واشتغالهم بالألعاب الحربية».

وكانت الديوانية الكويتية ولا تزال نموذجًا حيًّا من النماذج الدالة على التآلف والتآزر، وقد وصف الرشيد شكل الديوانية، وما فيها من أدوات خاصة بالقهوة وغيرها، وذكر شيئًا من الأشعار التي قالها بعض شعراء الكويت في امتداح القهوة.

تحدث بعد ذلك عن الحركة الفكرية والعلمية في الكويت وأرجعها إلى عشرين سنة سبقت كتابته لكتابه الذي نرجع إليه الآن.

ولكن ما ظهر فيما بعد دل على أن الحركة المشار إليها كانت قائمة لدينا قبل ذلك العهد بزمن طويل الأمر الذي سوف نبينه فيما بعد.

وكتب الرشيد عن الحركة الثقافية التي نشأت بظهور عدد من الشبان المتنورين كان فيهم الكتاب والخطباء والشعراء، أسسوا النادي الأدبي والمكتبة العامة وشجعوا على إنشاء أول مدرسة نظامية وهي المدرسة المباركية، ولم تخل الكويت من المدارس قبل هذه المدرسة ولكنها كانت كتاتيب منتشرة في كافة نواحي البلاد أدت الغرض المطلوب إلى أن تطور أمر التعليم بغرس أول بذرة مدرسية وهي المدرسة التي نوهنا عنها.

وأقام الشباب الكويتي نواة الحياة الاجتماعية المنظمة بإنشاء مؤسسات مدنية ذات فائدة كبرى منها الجمعية الخيرية الذي بادر بالدعوة إلى إنشائها المرحوم فرحان الفهد الخالد، وكان من أهداف هذه الجمعية إرسال الطلاب للدراسة في الخارج، وإعداد مستوصف لعلاج المحتاجين من المرضى، واستقبال عدد من رجال العلم والفضل للقيام بالتوعية الاجتماعية، وإلقاء المحاضرات المفيدة وكان منهم الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي، وغيره من رجال الفكر.

وفي الفترة التي كانت فيها الأنشطة الثقافية تنهض عندنا منذ سنة ١٩١٢م كان هناك عدد من العلماء ذكر منهم الرشيد كلا من الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وعدد من الشعراء منهم صقر الشبيب وخالد الفرج وحجي بن جاسم ومساعد السيد عبدالله وأحمد بن خالد المشاري وسليمان العدساني وأحمد البشر.

وهكذا نرى حركة الحياة في الكويت خلال الفترة التي كتب عنها عبدالعزيز الرشيد، فإن الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد والمنطقة بأسرها، وقلة الموارد، وضعف التعليم بعامة، لم تكن حاجزًا يمنع قيام ثلة من أبناء الوطن بتحدي الأوضاع والتقدم في مختلف المجالات.

أما الشيخ يوسف بن عيسى فإنه ذكر في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت» الذي صدر في سنة ١٩٤٦م عدة أمور تدل على نزعة الكويتيين إلى الاستقلال ومن ذلك محاربتهم لبني كعب في معركة الرقة الشهيرة في عهد الشيخ عبدالله ابن صباح المتوفى في سنة ١٨١٤م، وانتصارهم على أعدائهم بفضل حسن إدارة المعركة التي كانت في عرض البحر، ومن ذلك - أيضًا - بناء الأسوار التي قام ببنائها الناس تلبية لنداء الوطن وتلبية لحث الحاكم لهم على ذلك.

وأفرد الشيخ يوسف بن عيسى فصلاً كاملاً عن القضاء في البلاد فذكر أن هذا المرفق من أقدم مرافق العمل في الكويت وأن الكويتيين كانوا يتولونه ما عدا فترات محدودة اضطر ولي الأمر فيها إلى إحضار قاض من الخارج واستمرت حالهم هذه إلى أن تم تنظيم القضاء في السنوات الأخيرة وصار له وضع مختلف عن الوضع السابق.

ثم تطرق الشيخ يوسف إلى علماء الدين في الكويت فذكر ١٣ رجلاً منهم، أولهم السيد أحمد عبدالجليل الطبطبائي المتوفى في سنة ١٨٧٨م، وآخرهم الشيخ

يوسف بن حمود المتوفى في سنة ١٩٤٦م، وقد استفاد أبناء الكويت كثيرًا من هؤلاء العلماء الذين تصدى أكثرهم لتدريس بعض طلاب العلم فكان هؤلاء يتلقون من أساتذتهم دروس التفسير والحديث والفقه والنحو وما شابه ذلك.

أما الشعراء فقد كان لهم نصيب من كتاب «صفحات من تاريخ الكويت» فذكر منهم عبدالله الفرج ومحمد الفوزان وحمود الناصر البدر وآخرين ويلاحظ أن من قدمهم الشيخ يوسف بن عيسى هنا هم من شعراء الشعر النبطي، وهذا دليل على أن الشيخ يضع هذا النوع من الشعر في مكانة خاصة.

وفي فصل تميز به تحدث عن مناقب الكويتيين، فذكر أن من ذلك حرصهم على التآلف ونشر المودة فيما بينهم فكأنهم بيت واحد، وعلى عكس ما هو موجود الآن ذكر أنك لا تجد التحاسد والتدابر والمشاغبات بينهم، وإذا جرى خلاف بين بعض السفهاء يتوسط خيارهم لإزالة هذا الخلاف، ومن ذلك - أيضًا - مساعدات بعضهم لبعض وهي متواصلة للمنكوبين والمعوزين، وإكرام الضيف، وعدم التكبر وعدم احتقار الناس، وهم يعملون أعمالهم الخيرية سرًّا دون إشهار ولا تفاخر.

ثم تحدث الشيخ يوسف بن عيسى عن التجارة في الكويت وتناول تجارة اللؤلؤ وتجارة الخيل، وذكر من التجار أحمد بن رزق الذي كان له عمل تجاري بارز في سنة ١٧٢٥م، ومن تجار الخيل جاء على ذكر عدد من الرجال أبرزهم يوسف البدر المتوفى في سنة ١٨٧٩م، ولم ينس ابن عيسى أن يتحدث عن الفن الغنائي في الكويت وأطلق عليه اسم «اللهو» فذكر منه الحربي والبحري ولهو الأعراس ولهو السّمار وغير ذلك.

لقد خاض في كثير من جوانب الحياة في الكويت، وقد لاحظنا كم هي متشعبة، وكم هي شديدة الحركة، وهذا التنوع والنشاط هما اللذان دفعا بالبلاد وأهلها إلى مزيد من التقدم فيما لحق من سنين.

ولقد مرت بنا أمور كثيرة مما تميزت بها الكويت، وما تميز به أهلها من حركة قوية نحو التقدم والازدهار، وتبين لنا في عدد من المقالات السابقة كم في الكويت من أمور تدعو إلى الدهشة، فقد أدهش الرجال العاملون في هذا الوطن زوارهم الأجانب منذ القدم، وقد رأينا اندهاش لويس بيللي ممثل بريطانيا في الخليج لما رآه في الكويت عندما زارها في سنة ١٨٦٣م، فقال عنها ضمن تقرير مفصل «فهنا مدينة نظيفة، تعج بالنشاط، لديها سوق كبير مفتوح»، وقال: «وقد جذبت تلك المدينة التجار العرب والفرس من جميع الأنحاء، وذلك بسبب عدالة الحكم وحرية التجارة».

وكذلك قال ستكويلر في سنة ١٨٣١م، وازداد الرحالة الأمريكي أ. لوثر في سنة ١٨٦٨م عجبًا لما رأى، وراقه المظهر العام الذي تتميز به البلاد.

ولا ننسى انطباعات اللورد كيرزون الحاكم البريطاني الذي زار الكويت في سنة ١٩٠٣م، وتعلق ألن فاليارس صاحب كتاب «أبناء السندباد» بالكويت وأهلها، وثناءه على بحارتها وذكره لمشاهداته وما تركت زيارته في نفسه من آثار، وغيرهم آخرون لا يتسع المجال لذكرهم.

فهذا الوطن نابه الذكر منذ سنة ١٨٢٠م وهي من السنوات الأولى التي استطعنا أن نصل إلى ذكر أحد زوارها أولاً وهو الميجر كولبروك فنطلع على ما كتب في تقريره عن تلك الزيارة.

والكويت قديمًا وطن موصوف بالانفتاح على التجارة يملك الكثير من السفن، شديد النظافة، قوي الاتصال بالعالم الخارجي يطلع على أخباره ولا تغيب عنه حركة الأعمال في الخارج بكافة نواحيها.

هذا وقد توالت شهادات الرحالين القدماء الذين مروا بالكويت وكتبوا عنها، وعن أهلها، وكان إعجابهم شديدًا بنظافتها وحسن تعامل أهلها مع الأجانب، وقدرة بحارتها على خوض الصعاب، وتمكن تجارها من عملهم إضافة إلى مينائها الممتاز، كما تحدثوا أنها كانت - منذ القدم - ذات صلة برية ببغداد وحلب وأن قوافل كبيرة وافرة البضائع كانت تتردد بينها وبين هاتين المدينتين، وذكر جيمس باكنجهام في سنة ١٨١٦م أنها ذات ميناء بحري عظيم، وأشاد بروكس في سنة ١٨٥٦م بمكانة الكويت التجارية التي تتميز بموقعها الفريد، وفي سنة ١٨٤٠م كتب القبطان الإنجليزي هنل إثر زيارته للكويت تقريرًا جاء فيه أن هذه البلاد تمثل حالة من الازدهار الاجتماعي، وأن عدد سكانها قارب الخمسة والعشرين ألف نسمة، وأنهم يمتلكون من السفن حوالي ثلاثين «بغلة وبتيلا» تستخدم كلها في التجارة بشكل مستمر مع الهند.

وواصل الرجل حديثه في هذا المجال إلى أن تطرق إلى وصف الكويتيين فقال عنهم: «والسكان شجعان، ولديهم طاقة كبرى، ومتحدون تمامًا ومتكاتفون، وليست بينهم عداوات ولا شقاقات..» ثم يقول: «وفي الحقيقة هم يردون الإهانة أو العدوان في التو واللحظة، وهم ليسوا متغطرسين ولا يعتدون على جيرانهم المسالمين..».

وهذه الأوصاف مقاربة - إلى حد ما - للأوصاف التي ذكرها الشيخ يوسف بن عيسى عن أهل الكويت، ولكن بعضها مخالف - للأسف الشديد - لما نحن عليه اليوم.

هذا في الماضي، وأما في أيامنا هذه فإن الكويت لا تزال بخير رغم كل المنغصات التي تعرضت لها ممن يعرفهم القراء جيدًا، ففي الكويت أناس نذروا أنفسهم للعلم وانتجبوا فيه، وآخرون نذروا أنفسهم للأدب وبرعوا فيه إلى حد كبير، واليوم تنتشر مؤسسات المجتمع المدني بجميع أنواعها وتنتشر الهيئات المشرفة على

الشباب والرياضة وعلى الزراعة والثروة الحيوانية، وفي الكويت مؤسسة للتقدم العلمي وأخرى للأبحاث العلمية ومركز علمي متميز وشباب بارزون في مختلف مجالات الحياة فهناك من أبناء الكويت أطباء ماهرون وفنانون بارزون ورياضيون على مستوى كبير من الإجادة، ولدينا إنجازات يومية نفخر بها، كما أن عددًا من أبنائنا يحصلون باستمرار على أعلى الجوائز في المناسبات والمهرجانات المختلفة، وكثير منهم متفوق في دراساته العليا.

نفخر بقضائنا وقضاتنا، ونفخر بمدرسينا وأساتذتنا، ونعتز بالمهندسين والأطباء الذين أنجبتهم هذه الأرض الطيبة، كما نفخر بتجربتنا الديمقراطية التي هي – على علاتها – تجربة فريدة من نوعها وسباقة لغيرها في منطقتنا.

بكل ذلك نفخر، وبأشياء أخرى تصعب الإحاطة بها، ولا تزال بلادنا تنجب النجباء من أبنائها، وتقدم كل جديد ممتع ومفرح مع طلوع كل صباح، دعك مما يتردد على بعض الألسنة، ويغيظ المخلصين من أبناء هذا الوطن، فإن هذه الأمور السيئة إلى زوال، إذ إن المواطنين يعرفون جيدًا مصلحتهم ومصلحة وطنهم وسوف يضعون حدًّا لكل ما يسيء من أي نوع كان.

إلا أننا لا ننكر أن من أهم المنغصات التي تمر بنا وتقلقنا أمران، أولهما المقترحات النيابية التي تدعو إلى استنزاف المال العام بطرق لا يقبلها عقل، ولا يرضاها مخلص لوطنه.

إن إهدار المال العام لا يأتي بالسرقات أو النهب المنظم فقط هذا مخالف للقانون وتمكن السيطرة عليه، ولكن الإهدار الذي يتم بقوة القانون هو أخطر بكثير من النهب، إن أموال الكويت تتسرب من بين يدي حكومتها بقوة القوانين التي يقترحها بعض الأعضاء الذين لم ينظروا يومًا ما إلى مصلحة الوطن، وأهله، ولا لمستقبل الأجيال القادمة من أبنائه. لقد تعددت مشروعات القوانين فمنها ما

يسقط القروض ومنها ما يدفع زيادات مبالغ بها في الرواتب والمكافآت، ومنها أشياء كثيرة لا يحيط بها الحصر، وهي مرشحة للزيادة والتنوع.

أما الأمر الثاني فهو آفة مضرة بالبلاد تمسخ مكانتها وتمحو تاريخها، وتؤثر في نفوس المخلصين من أبنائها تأثيرًا شديدًا، ذلك هو ما يصدر من بعض الأشخاص من دفع بنا إلى نسيان الغزو العراقي وآثاره، ونسيان مواقف الدول والأفراد الذين وقفوا ضدنا وبخاصة من كنا ندعمهم ماديًّا ومعنويًّا في الوقت الذي نرى فيه الدول الحرة لا يمكن أن تنسى الإساءة، ولا تتساهل مع من آذاها، على عكس ما هو حادث عندنا من جري وراء هؤلاء الذين ناصبونا العداء، والذين لا يمكن أن تتغير مواقفهم منا مهما التهموا من خيراتنا فالوقوف معهم خطأ، ونسيان ما حدث في اليوم الثاني من شهر أغسطس لسنة ١٩٩٠م، وما لحقه خطأ أكبر، وينبغي أن نحترم وطننا وذاتنا وأن لا ننسى ما حدث.

أعرف أن عندنا هيئة شعبية للحفاظ على المال العام، فليكن الأمر الأول الذي ذكرناه من ضمن اهتماماتها، ولتدافع عن أموال الكويت التي يبعثرها البعض يمينًا وشمالاً باسم القوانين؛ هذه القوانين التي يفصّلونها على أمزجتهم ووفق رغبات أناس لم يعرفوا من الوطن إلا جمع المال من أي طريق كان، ولو على حساب مستقبل هذا الوطن.

وأما الأمر الثاني فهو في حاجة إلى هيئة مماثلة تدعو إلى الاستذكار الدائم لكل ما فعله أعداء الكويت وما سوف يفعلونه مستقبلاً، وتقف حجر عثرة أمام الراغبين في مسح ذاكرتنا وتغييبنا عن تاريخنا، إما لمصالح خاصة أو لعدم القدرة على المجابهة أو للجهل بأثر الدعوة إلى النسيان في مستقبل البلاد.

حفظ الله الكويت.

****

ملحاق خير

إن كان في الكويت رجل يستحق أن يطلق عليه لقب ذاكرة الصحافة الكويتية أو على نطاق أوسع ذاكرة المطبوعات الكويتية فهو الأخ صالح خالد المسباح، لقد سخَّر الله لتراثنا الثقافي هذا الرجل الذي أرهق نفسه وماله في سبيل الحفاظ على البقية الباقية من صحفنا القديمة، وكتب كتابنا التي نفدت منذ زمن قديم، فكون بذلك مجموعات قيمة من كل ذلك وأصبح مرجعًا يرجع إليه الباحثون عند حاجتهم إلى أي صحيفة قديمة أو بحث قديم أو كتاب نفد من الوجود فيجدون عنده طلبهم يلبيه لهم. ويقدمه بنفس راضية وبسرور عميق وكأنه الشخص الذي يأخذ، لا الشخص الذي يعطي.. ولقد طالما لجأت إليه في طلب بعض من هذه الأمور فأجده يلبي الطلب بأسرع مما أتوقع وكأن سبحانه قد سخره لهذه المهمة التي عجز عنها الكثيرون وقد أصبح الأخ صالح المسباح بذلك علمًا على هذا العمل في الكويت وصارت له معارض متنوعة يعرض فيها كثير من المناسبات الوطنية والثقافية التي تمر بالكويت كثيرًا مما جمعه خلال سنين فيبهر الناس بمجموعاته القيمة ويسرهم بما يطلعون عليه من آثار الماضي الثقافية التي لولاه لم يطلع عليها أحد، وهو إلى جانب ذلك وبسبب خبرته التي نالها بسبب مزاولته لهذا العمل عضو في عدد من اللجان التوثيقية ومرجع يعاد إليه عند طلب استذكار أمر من الأمور المتعلقة بالمطبوعات القديمة على وجه الخصوص، والكتب التراثية على وجه العموم.

تخرج صالح خالد المسباح في جامعة الكويت، كلية التربية، قسم اللغة العربية في سنة ١٩٨٦م، وهو عضو في جمعية المعلمين الكويتية، ورابطة الأدباء الكويتيين،

وشارك في أكثر من معرض تراثي بعرض المجلات والكتب والوثائق النادرة التي حصل عليها نتيجة لدأبه على البحث عن الكنوز التراثية التي استهواه البحث عنها، وأقام بمفرده عددًا من المعارض. هو - حاليًّا - مقرر اللجنة الاستشارية للتوثيق الإعلامي للتراث والفنون الكويتية التي يرأسها وزير الإعلام، كما أنه كان عضوًا في لجنة الاحتفال بمناسبة مرور خمسين سنة على افتتاح مدرسة ثانوية الشويخ، وأصدر كتابًا تذكاريًّا وثائقيًّا بمناسبة الاحتفال بمرور خمسين سنة على صدور العدد الأول من الجريدة الرسمية (الكويت اليوم) وكذلك مطبعة الحكومة وشارك المستشار الإعلامي القدير الأستاذ رضا الفيلي في تسجيل مائة لقاء حواري مع عدد منتخب من رجال الكويت ذوي التجربة، وآخر أنشطته في عالم التأليف إصداره كتابًا وثائقيًّا عن حملات الحج الكويتية على الإبل بالتعاون مع اثنين من زملائه إلى جانب أنه لا يزال يسعى في المجال الذي اختاره لنفسه بصفته من المجالات التي يستطيع عن طريقها خدمة وطنه.

بقي أن أقول إن الأستاذ صالح خالد المسباح قد أفادني كثيرًا حين قدم لي بعض المطبوعات والصور؛ قدمت بعضها فيما كتبت واحتفظت ببعضها لوقت آخر. وهذه العبارات التي كتبتها هنا بمثابة تعبير عن شكري وتقديري له.

****

رجل من جيل لا يتكرر [1]

حمد الخليفة الحميدة من رجال الكويت المعروفين الذين لا يزال ذكرهم سائرًا ومحامدهم معروفة عند الناس وبخاصة في أذهان أولئك الذين عاصروه وكانوا على صلة به حيث يتكشف لهم ما يتحلى به من كريم الصفات.

أستطيع أن أقول إنني عرفت هذا الرجل قبل أن ألتقي به بمدة طويلة، فقد كنت في أوائل الخمسينيات أتابع قراءة «البعثة» الشهيرة التي كان يصدرها بيت الكويت في القاهرة، وفي كل إصدار من إصدارات سنواتها الأخيرة كنت أقرأ إعلانًا يستغرق صفحة الغلاف الأخيرة يتناول الأنشطة التجارية التي يمارسها الرجل، وفي الإعلان بيان عن كافة هذه الأنشطة ودعوة إلى التعاون في المجال التجاري مع المؤسسة التي أنشأها حمد الخليفة الحميدة، وهي التي يدل إعلانها على اتساع في العمل، وتنوع فيه.

وقد بقي هذا الإعلان ينشر حتى آخر عدد صدر من المجلة وهو العدد السادس من السنة الثامنة (أغسطس ١٩٥٤م).

وكان مقر المحل المعلن عنه في شارع الأمير. إضافة إلى هذا الإعلان فقد كنت أرى أخبار هذا الرجل منشورة في المجلة ذاتها فهي تذكر رحلاته ووفوده إلى القاهرة التي كان يحبها ويحرص على زيارتها، وقد استودعها ابنه الأخ عبدالله ليدرس هناك في مدرسة فيكتوريا أسوة بعدد من أبناء الكويت.

كان هذا الرجل في بالي ولذلك فقد لاحظت انتقال المحل المشار إليه إلى

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١/١٧.

شارع عبدالله السالم (الشارع الجديد) وكنت أمر من أمامه وأعجب لما يضمه من أدوات كهربائية وإلكترونية سبق الجميع في إحضارها إلى الكويت بهذه الكميات وهذا التنوع العجيب.

ولما كان في التقدير أن تكون لي صلة مباشرة به فقد التقينا؛ كان عضوًا في مجلس الأمة، وكنت وكيلاً لوزارة التربية أراه في المجلس وفي الوزارة، وأعجب بخلقه الكريم، وتواضعه الجم غير أن الصلة اتسعت فيما بعد، فقد انتقل أبوعبدالله إلى منطقة المنصورية ليسكن في الشارع الذي أسكن فيه أنا ووالدي وأخوي مرزوق وعبدالله، وكان المسجد المجاور سر التقائه بوالدي ومعرفته له، معرفة صارت محبة وصلة متمكنة بين الاثنين، وصارت العلاقة بين الأسرتين بعدها قوية، يكن كل منهما التقدير لصاحبه، ويفتقده إذا غاب ويفرح لفرحه كما يتألم لألمه.

لذلك أكتب عن حمد الخليفة الحميدة اليوم من أجل حفظ ذكره، ومن أجل التعبير عما نكنه له من تقدير ومحبة، وحتى تعرف الأجيال الصاعدة نموذجًا من النماذج الطيبة لرجال الكويت.

كان اشتغال هذا الرجل في بداية الأمر بالتجارة، وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في بداية حديثنا، ولكنه بحكم علاقاته القوية بالناس ومتابعته الحركة السياسية التي بدأت تنهض في البلاد، ورغبة منه في خدمة الكويت التي يحبها حبًّا لا حدَّ له فإنه تطلع منذ انتخابات المجلس التأسيسي في سنة ١٩٦٢م إلى المشاركة في العمل السياسي الوليد، ولكنه لم يوفق في خطوته الأولى لأن الأمر يحتاج إلى خبرة في الطرق التي ينبغي أن يسير عليها المرشحون حتى يضمنوا الفوز في الانتخابات ولكنه في انتخابات مجلس الأمة الأول في سنة ١٩٦٣م كان هو الأول على الفائزين عند رصد أصوات الناخبين في منطقته الانتخابية وجاء بذلك عضوًا في المجلس منذ أول دور من أدوار انعقاده في اليوم التاسع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٦٣م.

لم يكن الحميدة عضوًا خاملاً في مجلس الأمة، كما لم يكن شديد الهجوم ناسيًا لنفسه عند الحديث عن أية مسألة؛ ولكنه كان مشاركًا فيما يطرح من

ملحاق خير

الأستاذ جاسم عيسى النصرالله رجل من أهل الكويت المعروفين بقوة صلاتهم بالناس، وحرصهم على حفظ المودة واستمرار التعارف معهم وهو معروف شخصيًّا بهذه الصفة ولكن الكثيرين يجهلون مهاراته الأخرى، فهو كثير الترحال، لا يترك فرصة تمر عليه إلا انتهزها لكي يشبع هوايته في الاطلاع على أحوال الدول، ومن ثم يسجل ما لديه في دفتر خاص به كافة انطباعاته، دون أن يُطلع عليها أحدًا إلا في أضيق الحدود، وهو بعد ذلك شاعر، له شعر رقيق، ولكنه – بحكم عادته – لا يريد أن يبثه بين الناس، كما أنه راوية للشعر والأخبار والمعلومات الثقافية وما يتعلق بها من أسماء الأشخاص والرواة والشعراء.

ومن شعره قصيدة في الحنين إلى الوطن كتبها حين كان في بومبي، ونشرها في سنة ١٩٤٧م في مجلة العرب التي كانت تصدر هناك ومطلعها:

وطـنـي نـحـو مـائـك الـعـذب حـنّـا

مـغـرم طـيـر قـلـبـه فـيـك غـنّـى

يـا بـلاد الـحـبـيـب مـسـقـط راسـي

وأمـانـي الـكـئـيـب إذ يـتـمـنّـى

وجاسم النصرالله من أقرب الناس إلى قلب الشاعر داود سليمان الجراح قضيا معًا أوقاتًا طويلة يلتقيان أو يتراسلان، وتتم الرسائل المتبادلة بينهما عن عمق الصداقة والمحبة، كما تعبر عن الوفاء الذي اتصفا به معًا.

ولد جاسم النصرالله في البحرين سنة ١٩٢١م وكان أبواه قد نزحا من الكويت بلدهما الأصلي وأقاما هناك ولذا نشأ ابنهما في البحرين وتعلم بها، ثم صار مدرسًا بعد تخرجه في مدرسة الهداية الخليفية في المنامة.

نزح بعد ذلك إلى الهند وعمل قليلاً في التجارة وقليلاً في التدريس لبعض أبناء الجالية العربية في بومبي، وبعد زمن أمضاه هناك أتى إلى الكويت وتزوج فيها واستقر، وقد عمل في الجمارك وفي شركة نفط الكويت (١٩٤٦) وفي وظيفة من وظائف المحاكم الإدارية منذ سنة ١٩٥١ حتى تقاعد في سنة ١٩٧٢م.

وأبوعيسى يسعدنا عندما لا يكون مسافرًا بالزيارة في ديوانية الثلاثاء، ويشاركنا الأحاديث ويمدنا بكثير من المعلومات ويعرض علينا خبراته العديدة التي اكتسبها طوال حياته، أمد الله في عمره، وأبقاه لمحبيه.

****

المدرسة المنسية

روضة البنين المستقلة[1]

خيّم النسيان، على مدرسة من أهم مدارس الكويت في الزمن الماضي، وهي المدرسة المسماة: روضة البنين المستقلة، والروضة بحسب السلم التعليمي القديم تعادل السنوات الابتدائية الثلاثة الحديثة، فقد كان نظامًا من التعليم مختلفًا عن نظامنا الحالي على كل حال.

تعتبر هذه المدرسة من أوائل المدارس التي تم إنشاؤها في الكويت، إذ كان ذلك في سنة قريبة من سنة ١٩٤٤م كما سيأتي، ومقرها في الجزء الشمالي لمبنى المدرسة القبلية للبنات التي تم تجديدها واستعمالها لأنشطة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكان مبناها في الأصل ديوانية للسيد خلف بن عبدالرحمن النقيب الذي أسهم في كثير من الأنشطة ذات العلاقة بالتعليم، وقد أبرز ذلك الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» حيث تحدث عن آل النقيب فقال: «زعيم هذا البيت في الكويت السيد خلف باشا النقيب، وهو أحد الرجال الفضلاء.. له أخلاق عالية، وميل للعلم وذويه، وكان من أعظم المعضدين للمدرسة الأحمدية، وفي مجلسه العامر جرى أول بحث في تأسيسها وفيه - أيضًا - عقدت عدة جلسات...».

وذكر الرشيد مدى استفادته من معلومات السيد في كتابه «تاريخ الكويت» فقال: «وقد نقلنا عن هذا السيد الحلاحل بحثًا مستفيضًا في هذا التاريخ مما هو أعرف به من غيره».

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١/٢٤.

كان ناظر المدرسة هو الأستاذ المربي عقاب الخطيب وهو أول ناظر لها، وقد انتقل لهذا العمل من المدرسة المباركية في العام ٤٤ - ١٩٤٥م، وبقي فيها حتى العام الدراسي ٤٩ - ١٩٥٠ وذلك أنه عندما تم إنشاء مبنى مدرسة المثنى في منطقة الصيهد، قررت دائرة معارف الكويت نقل عدد من طلاب مدرسة الروضة إلى مبنى المدرسة الجديدة وقامت إضافة إلى ذلك بنقل طلاب الصفوف النهائية إلى المدرسة المباركية، ولم يكن طلاب المدرسة الجديدة «المثنى» هم طلاب الروضة فقط، إذ أضيف إليهم عدد من الذين تقع بيوتهم بالقرب منها، ومنهم من نقل من المدرسة الأحمدية كما حدث معي شخصيًّا، وأضيف إليهم - الطلاب المستجدون الذين لم يلتحقوا بمدارس قبل ذلك.

وبقي بعض طلاب مدرسة روضة البنين المستقلة في مدرستهم بعد أن أضيف إليهم عدد من التلاميذ المستجدين.

وفيما يتعلق بانتقال طلاب الروضة إلى مدرستهم الجديدة فقد أضفى عليه ناظر المدرسة الأستاذ عقاب الخطيب نوعًا من المهرجان الجميل، خرج هو ومدرسوه وكافة من تقرر نقله إلى مدرسة المثنى في طابور طويل على صفين متوازيين، وكان إنشاد الجميع عاليًا بكافة الأناشيد الوطنية وغيرها يشارك فيه الموكب بكافة أفراده، في مسيرة بدأت عند باب المدرسة التي تقرر الانتقال منها إلى المدرسة التي تقرر الانتقال إليها، وسار الموكب خلال الطرقات في موكبه المهرجاني تتلفت حوله أعين المارة، وتجتمع إليه قلوب أولياء الأمور.

لقد سعدت بمشاهدة هذا المنظر الجميل الذي مر بعدد من الفرجان منها فريج الشاوي حيث أسكن مع أسرتي ثم مال إلى الصيهد عبر الطريق الذي صار اليوم شارع فهد السالم وفيه كانت المدرسة الجديدة التي حل محلها مجمع المثنى حاليًّا.

كنت أنظر إلى ذلك الموكب، ولم أكن أدري أنني سوف أكون في اليوم التالي أحد التلاميذ الذين سوف ينتظمون في الدراسة بالمدرسة الجديدة كما أوضحت سابقًا.

كانت مدرسة روضة البنين المستقلة من أشهر المدارس في ذلك الحين وكان عدد كبير من أبناء منطقة القبلة ومن غيرها يدرسون فيها وبخاصة وأن قيام الأستاذ عقاب الخطيب بنظارتها يجلب أولياء الأمور فيسارعون بإرسال أولادهم إلى هذه المدرسة المتفوقة.

إلى ذلك فإن مدرسيها من نخبة المدرسين الكويتيين الذين سوف يرد ذكر عدد منهم فيما يلي، إلا أنني أتذكر واحدًا منهم على سبيل الخصوص، لأنني شاهدت عمله في المدرسة بنفسي ذلك هو ملا سعود الصقر الذي كان مدرسًا فيها، ثم في عدد من المدارس الأخرى، وكانت له مدرسة أهلية خاصة به، وكان يؤدي دروسه بإجادة واضحة، ويقترب من أذهان الأطفال حتى يتمكن من تقديم الدرس إليهم بطريقة تحببهم به.

ساقتني الصدفة إلى دخول هذه المدرسة أثناء يوم دراسي، ومررت بالصف الذي يدرس فيه هذا المدرس النابه، ولاحظت رغم صغر سني - وقتذاك - الطريقة العجيبة التي يدخل بها الملا سعود المعلومات إلى أذهان تلاميذه.

أما الأستاذ عقاب فقد بقي ناظرًا لمدرسة المثنى حتى سنة ١٩٥٤م، ثم استقال ليتفرغ لأعماله الخاصة بعد أن ترك حشدًا من التلاميذ الذين يذكرون - حتى يومنا هذا - ما بذله من جهد في العمل التربوي الذي وهب له جزء مهمًّا من حياته.

وبانتقال المساكن المجاورة لهذه المدرسة تغيرت استعمالاتها فترة من الزمن إلى أن تم إنشاء هذه الصرح الكبير (مجمع المثنى التجاري) على أرضها.

وأما روضة البنين المستقلة فقد بقيت قائمة بعملها بعد افتتاح مدرسة المثنى، وكان ناظرها المرحوم الأستاذ عبدالكريم عرب، وكانت قائمة لعدة سنوات بعد ذلك، ففي مستهل شهر يناير لسنة ١٩٤٩م كتب الأستاذ محمد نجم مقالاً في مجلة البعثة ذكر مدرسة الروضة مع عدد من المدارس منها المثنى مما يدل على بقاء الروضة بعد افتتاح المدرسة الأخرى، ولكنها سرعان ما أغلقت وأدخل مبناها على مبنى المدرسة القبلية للبنات.

وقبل أن تضم إلى المدرسة التي أشرنا إليها بقيت خالية فترة من الزمن واستعملت مخزنًا تابعًا لدائرة معارف الكويت فترة أخرى، وفي فترة خلوها كتب الأستاذ أحمد البشر في يومياته أن موجه المعارف الأستاذ جميل علي قدَّم تقريرًا إلى مدير معارف الكويت بتاريخ الثاني عشر من شهر يناير لسنة ١٩٥٢م تحدث فيه عن كثير من الأمور المهمة الواجب مراعاتها واقترح بعض الاقتراحات التي منها:

هدم مدرسة خالد بن الوليد، وروضة البنين وبناء مدرستين على أرضهما.

ويبدو أن هدم المبنى وإضافة الأرض بمبنى جديد إلى مدرسة البنات القبلية إنما هو تنفيذ لهذه التوصية، أو بالأحرى تعديل للاقتراح.

وإذا عرفنا مدى الاقبال على المدرسة من قبل أولياء الأمور فإننا لا بد وأن نذكر بعض ما يرد في الذاكرة من أسماء التلاميذ الذين كانوا يدرسون فيها ومنهم: الدكتور سليمان السعدون البدر، يوسف علي خريبط، المرحوم أحمد علي الدعيج، يعقوب يوسف الجوعان، يوسف العريفان، الدكتور إبراهيم مهلهل الياسين، الفنان

عبدالعزيز المفرج، عبدالرحمن النجار، فوزي مساعد الصالح، المرحوم عبدالله الفوزان، المذيع عبدالعزيز أحمد الشهاب، فيصل المسعود الفهيد، عبدالعزيز الصالح الحمدان، الدكتور عبدالعزيز سلطان، وإضافة إلى هؤلاء الأخ عبدالرحمن الغنيم وشقيقه سليمان، وقد أخرت ذكرهما لأنني أردت أن أطلع القارئ على ما كتبه الأخ أبوهيثم عن هذه المدرسة، وعن بعض أيامه فيها.

يقول الأخ المهندس عبدالرحمن خالد الغنيم - كتابة - موجهًا الحديث إليَّ ردًا على سؤال وجهته إليه:

لقد طلبت مني أن أعطيك بعض الصور القديمة ونبذة عن تجربتي العلمية في المدرسة القبلية «الروضة» بيت سيد خلف النقيب، وبعد بحث وجدت الصورة المرفقة التي تضم الصف «فرقة ٢ب» في الروضة وكذلك نسخة من شهادتي.

لقد كنت حتى صار عمري سبع سنوات وأخي سليمان ست سنوات نذهب إلى مدارس الملا مرشد والخنيني وغيرهما، وآخر المطاف كنت عند مدرسة الخنيني لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة، وكانت المرحومة جدتي لا تعترف بالمدارس الحكومية، وبعد أن أخذت ضربة قوية من قبل الملا عبدالله الخنيني، حلف والدي رحمه الله بأن لا نذهب إلى مدارس الكتّاب (الملا)، وألحقني أنا وأخي سليمان بمدرسة (الروضة) في القبلة سنة ١٩٤٦م، وكان ناظر المدرسة آنذاك الأستاذ الكبير عقاب الخطيب والأستاذ سليمان العثمان رحمه الله الذي كان مرشدًا على الصف والأستاذ علي القرطاس رحمه الله وغيرهما من الأساتذة الأجلاء.

لقد كانت الدراسة في المدرسة القبلية (الروضة) في بداية العام الدراسي ٤٥/٤٦ نقلة نوعية لنا، وكانت سنة تمهيدية لي ولأخي سليمان بعد الخنيني والملا مرشد، وفي الصف تعرفنا على أصدقاء استمرت صداقتهم معنا إلى الآن ومكثنا سنتين في المدرسة (الروضة) في القبلة قبل أن ننتقل إلى المدرسة المباركية لمدة

سنة ثم إلى المدرسة القبلية للابتدائي والمتوسط، ثم إلى المدرسة المباركية في سنة ٥٢ لمدة سنة حيث كنا في أول سنة للثانوية العامة بعدما ذهبنا إلى ثانوية الشويخ لإكمال الدراسة الثانوية.

لقد كانت الحياة والدراسة في مدرسة الروضة (القبلة) ممتعة، وكان التحصيل العلمي اهتمام أساتذتنا، وتعلمنا اللغة العربية والحساب والتربية البدنية والتمثيل، وكان ما يشدنا هو الاحتفالات التي تقام في المدرسة، والتحضير لها، وكان أستاذنا الكبير عقاب الخطيب يهتم بالتمثيل مع الأستاذ محمد النشمي رحمه الله، وكنا في فريق التمثيل في المدرسة وكانت أهم ذكرياتي هي في لقائنا للتدرب على التمثيل، وكيف نكون على المسرح وكان أهم حدث لي هو تمثيلي لابن الأستاذ عقاب في إحدى تمثيليات عيد المولد النبوي الذي كان بمثابة مهرجان ديني مشرف نحتفل فيه كل سنة.

ولقد التحق معنا في المدرسة كل من الشيخ خالد الأحمد الجابر الصباح وأخيه سمو الشيخ نواف الأحمد الصباح، ونحن صغار كنا نتهامس أن اثنين من أبناء سمو الأمير الراحل أحمد الجابر طيب الله ثراه معنا في المدرسة وكنا نحاول اختلاس النظرات والتعرف عليهما، ولقد مكثنا سنتين في المدرسة ثم تفرقنا إلى المدرسة الأحمدية والمدرسة الشرقية أو المباركية ثم المدرسة القبلية، وكان بجانب مدرستنا مدرسة للبنات وهي المدرسة القبلية للبنات وهذا هو ما حدا إلى التنافس بين الأساتذة والطلاب إلى إظهار اهتمامهم التربوي، وكنا ندرس على فترتين صباحية ومسائية وكنا في فريق التمثيل نواصل بعض الأحيان الاستعدادات لأعياد المولد النبوي إلى المساء وذلك بمعرفة الأهل وتشجيعهم لنا.

هذه يا أخي بعض ملاحظاتي وأهم شيء كان عندنا هو التحصيل العلمي في ذلك الوقت بالإضافة إلى النشاط التربوي والنشاط الكشفي والرياضي، وكان الانضباط في المدرسة هو شاغل ناظرنا وأساتذتنا الكرام.

«مرفق صور من شهادتي وكذلك صورة جماعية في أول صف درسنا فيه بالروضة وفيه نخبة من الإخوة الأعزاء».

هكذا نرى تجربة كل من الأخ عبدالرحمن وأخيه سليمان وهي تبرز فترة مهمة من فترات تاريخ التعليم في الكويت تلك الفترة التي كان التعليم النظامي فيها يندفع إلى الأمام في الوقت الذي تحاول فيه (الكتاتيب) الاحتفاظ بمواقعها، وهي - أيضًا - الفترة التي نجد بعض الأهالي يرفضون نقل أبنائهم من الكتاتيب إلى المدارس النظامية لأنهم لم يقتنعوا بعد بهذا الجديد في التعليم وهو أمر لم يعرفوه للفارق الزمني الذي تحكم فيما بعد بالخط التربوي الجديد بعد أن قامت دائرة معارف الكويت بجهودها الكبيرة في دعم مسيرة النظام التعليمي منذ نشأت في سنة ١٩٣٦م لا أنسى أن أشكر أبا هيثم على رسالته هذه فقد أفادتني كثيرًا وأكدت قناعتي بأن أبناء الكويت من ذوي التجارب لو كتبوا بعضًا مما مر بهم من تجارب وأحداث لكانت بين أيدينا حصيلة تاريخية مهمة ولاستطاع أبناؤها أن يتعرفوا الكثير من ماضي الحياة التي عاشها آباؤهم.

كما لا أنسى أن أشيد بتلك الجهود الكبيرة التي بذلها المدرسون الكويتيون في تلك البدايات المهمة لنشأة التعليم النظامي في وطنهم، فقد تركوا بصمات مهمة، وكانت لهم سير نيرة نعتز بها، ونفخر بما أوصلنا إليه جدّهم واجتهادهم وإخلاصهم لمهنتهم ولوطنهم قبل كل شيء.

ولعل من المهم هنا أن نعرض بعض المعلومات عن عدد من المدرسين الذين تولوا تدريس أبناء الكويت في روضة البنين المستقلة لأن من حقهم علينا بعد الإشادة بجهودهم الطيبة أن نذكر لهذا الجيل طرفًا من المعلومات عنهم.

تحت يدي صورتان تجمعان ما أظنه كافة مدرسي روضة البنين المستقلة، إحداهما أخذت في سنة ١٩٤٤م، والأخرى في العام الدراسي ٤٦/ ١٩٤٧م، تضم الصورة

الأولى إضافة إلى الناظر كلا من الأساتذة أحمد العثمان، ملا سالم الحسينان، ملا سعود الصقر، سيد هاشم الحنيان، ملا يوسف العمر، عبدالكريم عرب، عبداللطيف الفلاح، علي القرطاس، عبدالوهاب القرطاس، محمد غيث المطوع، عبدالعزيز العنجري، وتزيد الصورة الثانية على هؤلاء: الأستاذ عبدالمحسن الحمود.

ومما يجدر بي ذكره هنا أن خمسة من أساتذة هذه المدرسة انتقلوا مع ناظرها إلى مدرسة المثنى وهم ملا يوسف العمر، عبداللطيف الفلاح، علي القرطاس، عبدالعزيز العنجري، وعبدالمحسن الحمود وقد درَّسني ثلاثة منهم وهم: ملا يوسف العمر، وعلي القرطاس، وعبدالعزيز العنجري والتحق بمدرسة المثنى عدد آخر من المدرسين كان منهم الأستاذ محمد النشمي الذي انتقل من المدرسة الأحمدية فكان هو الوحيد من بين المدرسين الذين لي بهم معرفة إلى أن مرت الأيام فعرفنا مدرسينا وعرفونا وعرفنا زملاءنا كذلك.

كانت أيام الدراسة من أجمل الأيام، ولذا فإننا نجد تلاميذ المدرسة الواحدة يلتقون بعد مرور زمن على انتقالهم منها فلا تضعف الأيام متانة علاقاتهم ببعض ولا تنسيهم ما مر بهم لأنهم يتحدثون بذكريات مدرستهم كلما التقوا.

أرجو الله أن يمد في عمر الأحياء من أولئك المدرسين الأفاضل، وأن يرحم من توفاه الله منهم، فقد خدموا وطنهم في وقت كان أشد ما يكون حاجة إلى جهدهم.

****

ملحاق خير

ذهب الظن ببعض الإخوان إلى أننا حين نتحدث عن الأشخاص الذين يسيئون إلى وطننا وندحض حججهم المناهضة لنا ونرد على ترهاتهم فإن ذلك تدخل فيما لا يعنينا، وأننا نعتقد أن الشأن العراقي هو شأن كويتي، ويرون الملفات العالقة مع العراق قد انتهت فلا داعي للحديث عنها وأننا لسنا أوصياء على الآخرين.

فبالله من قال إن الملفات العالقة بيننا وبين العراق قد انتهت ونحن نراهم يثيرون بين حين وآخر الكثير عنا بما في ذلك الملفات التي كان من المفروض أنها انتهت، ومن قال إننا ندعي الوصاية على أحد في حين أننا لا نهدف إلا إلى حماية وطننا وكرامته.

ومن قال إننا نعتقد أن الشأن العراقي شأن كويتي، وهذا ما لا يؤمن به عاقل، بل إن العقل في وضع حد فاصل بيننا وبين العراق إلى أن يزول عنه هذا الموج الطامي الذي يخوضه أبناؤه، فإن أي شرارة تصلنا من نار الفتنة الموقدة هناك لن يكون لها إلا الأثر السيء على وطننا.

إن ما نكتبه بين حين وآخر عمّا تتعرض له الكويت من ألسنة السوء، وقلوب الحقد، ما هو إلا رد فعل لما يقولون عنا ولذلك فإن عنوان آخر مقال لنا عن هذا الأمر كان «الشيء بالشيء» وهو جزء من مقولة مشهورة فالشيء يذكر بالشيء، وعندما يثار الغبار في وجوهنا فإن من الواجب علينا أن نكسح هذا الغبار سواء

أجاء هذا الغبار من العراق أم الأردن أم من اليمن أم من ليبيا، بل من أي موقع كان مصدره، ولا علينا ممن تحن قلوبهم للغادرين وناكري الجميل لو اكتفوا بتمجيد صنمهم الساقط الذي لا ينكر كويتي مخلص مدى أذاه لهذا الوطن، ولكنهم يخرجون في هتافاتهم وادعاءاتهم إلى شتم الكويت وأهلها ووضع اللائمة عليها بادعاء أننا نحن من أوصلهم إلى مرحلة اليتم.

لن نسكت عن هؤلاء وإن عادوا عدنا، ولن ننسى ما حدث للكويت، ولن نسمح لأي كان أن يتهجم عليها، وإن كان لدينا من يسكت ويبلع الإهانة فنحن لا نبتلعها.

هيا اسمعوا هذا الصوت النابح في أعقاب إعدام صدام، شخص اسمه أبوالمعالي عضو اللجنة التنفيذية في حزب العمل يقول: إنه يجد العذر لإيران إذا ساعدت أمريكا في العراق ويقول: «لكن أي عذر نجده لدولة مثل السعودية أو الأردن أو الكويت، وربما يقول قائل إن العراق احتل الكويت، نقول له: وقد خرج العراق من الكويت، إلى متى ستظل هذه الأسطوانة؟ وهل ستأمن الكويت شرًّ حكومة عميلة جاءت تحت حماية الصواريخ الأمريكية، أم أن الكويت استمرأت الاحتلال الأمريكي».

أهذا واحد من الذين ينبغي تركهم، وعدم الاستماع إلى ادعاءاتهم، كما يريد صاحبنا، فهذا القول منشور في جريدة ومعلن عن طريق الانترنت وعدم الرد عليه يشعر القراء والمتابعين بأن الكويت - فعلاً - ضالعة فيما حدث ويحدث للعراق، بينما يشهد التاريخ بأنها مدت يدها بكافة أنواع المعونات من أول يوم تم فيه تحرير العراق واستمرت في ذلك على الرغم مما عانته اللجان الكويتية من الأهالي الذين كانوا يعاملون الإحسان بالإساءة لفرط ما شحنتهم حكومتهم السابقة ضد الكويت، والتاريخ يشهد أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتحرك في موضوع العراق إلا بناء

على إلحاح وإفادات أبناء العراق أنفسهم، وأن الكويت لا دخل لها في الحرب التي اندلعت، ولا في دوام الوضع القائم.

فهل يريدون منا السكوت على كل ذلك؟

هل هان علينا وطننا إلى هذا الحد؟

إن ما يناصب الكويت العداء لا ينسى عداوته بل هو يبوح بها كلما حانت فرصة، وإذا لم ننتبه إلى ما يقال ضد الكويت، ونهاجم من يهاجمها فإن هؤلاء سوف يزدادون غلوًّا في مهاجمتهم، في الوقت الذي نضع فيه أيدينا على رؤوسنا اتقاء للضربات الغادرة.

****

الأديب الكويتي محمد الفوزان [1]

محمد حمد إبراهيم الفوزان أحد الأدباء البارزين في الكويت. وهو إضافة إلى ذلك مدرس خدم المجال التربوي فترة طويلة بدأها منذ سنة ١٩٤٥م.

الأستاذ محمد من مواليد سنة ١٩٢٤م، توفي مؤخرًا بعد تجربة مرة نتيجة أسر ولديه من قبل قوات الغزو العراقي الغاشم، وقد هَدَّت المعاناة قوته، وأصبح في أيامه الأخيرة شديد الارتباك، منهك القوى. وقد فجعنا بعد وفاته بقليل بخبر استشهادهما، ومن شهد حاله علم أن استشهادهما بعد وفاته كان رحمة من الله له، لأن إحساسه بالفقد، وهو يظن انهما على قيد الحياة كان كبيرًا جدًّا فما بالك فيما لو تأكدت له وفاتهما؟ رحم الله محمدًا وولديه وأسكنهما فسيح جناته.

كان محمد الفوزان من الدارسين في المدرسة الأحمدية ثم انتقل منها إلى المدرسة المباركية وعندما غادرها في سنة ١٩٤٠م لم يبدأ العمل إلا في السنة التي ذكرناها سالفًا وهي سنة ١٩٤٥م، وكانت المدرسة التي اشتغل فيها بالتدريس هي المدرسة القبلية الابتدائية، التي بقي فيها فترة طويلة، ثم صار وكيلاً لمدرسة الشامية المتوسطة عندما تم إنشاؤها وقد سعدت بلقائه مرارًا في هذه المدرسة.

كان الفوزان نشطًا في مجال عمله التربوي، وكان يدرك أهمية الأنشطة الطلابية، ويعرف دورها في ترسيخ المعارف والعادات الطيبة في نفوس الطلاب، ويعرف أنها تكفل تَفَتُّحَ مداركهم وقدراتهم الذاتية وقد ركز في المدرسة على نشاط

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١/٣١.

التمثيل فكان يشرف على فريق التمثيل في المدرسة، بل ويشارك أبناءه التلاميذ في أداء بعض الأدوار، وهذا أمر لم يعرف عنه على نطاق واسع ولكنه كان يقوم به.

ومن المصادفات الغريبة أن كافة المدارس التي ذكرنا علاقة الأستاذ الفوزان بها قد انتهت فالأحمدية أزيلت والمباركية صارت مكتبة عامة، والقبلية التي درس فيها وتقع بالقرب من مسجد ملا صالح الكائن في شارع فهد السالم أزيلت من الوجود. والشامية انتهى دورها وصار مبناها يستغل لأعمال غير التدريس واستقبال التلاميذ ولم تكن صفوف المدرسة القبلية الابتدائية التي درس فيها الأستاذ الفوزان تعادل المدارس الابتدائية في أيامنا هذه، بل كانت المرحلة الابتدائية في الكويت عمومًا تقارب المرحلة المتوسطة حاليًا، أو أنها تعادل الصفوف الرابع والخامس والسادس والسابع في نظام التعليم العام.

كان الأستاذ محمد الفوزان من سكان القبلة، وكان منزله بالتحديد في الطرف الشمالي لفريج الشاوي الذي تحدثت عنه مرارًا، وكان يرى وهو يغادر منزله سيرًا على الأقدام إلى المدرسة القبلية، كما يرى وهو يعود منها وكان هادئ الطباع لين العريكة لم يره أحد يومًا في صراع مع أحد، لقد كانت روحه مرحة، وقلبه طيبًا لا يحمل حقدًا ولا يكره أحدًا مهما كان، ولفرط حبه لمداعبة أصحابه فإنه كان يحضر معه بعض الألعاب المسلية من لبنان ليعرضها بصورة مثيرة لهم ولكنها في الأخير تجلب ضحكهم ومسرتهم.

وكنت أراه أحيانًا وهو متجه من منزله إلى السوق فيمر بدكان والدي، حيث يقف قليلاً ليتجاذب معه بعض الأحاديث، ثم ينطلق في طريقه، حيث يقف بدكان الخال الشاعر داود الجراح، والخال الشاعر - أيضًا - إبراهيم الجراح. لقد كانت تربطه بهما صلة قوية وكان يرتاح إلى حديثهما حيث لا يخرج عن الأدب والشعر، ولا يتناول المسائل التي لا يحب هو الخوض فيها، وهما يشاركانه في ذلك، فهذه طبيعة فيهما كما هي طبيعة فيه.

ولعلاقته بهما ومحبتهما له وإعجابهما بشخصيته السمحة الكريمة، فقد كان له أثر في شعرهما، وسوف نقدم شيئًا من ذلك - فيما بعد - لتقريب صورة هذه العلاقة الطيبة التي كانت سائدة بين هؤلاء الرجال الثلاثة.

كان الأستاذ محمد حمد الفوزان من محبِّي لبنان، وكان دائم الرحيل إليه صيفًا، كما يفعل عدد من الكويتيين، وحدث أن كان هناك في سنة ١٩٦١م حين نعق عبدالكريم قاسم بدعواه ضد الكويت، تلفت الخال إبراهيم الجراح حوله فلم يجد صاحبه، وتذكر أنه في لبنان، فقال قصيدة لم يذكره فيها بالاسم، وإن كان - بحسب علمنا - هو المقصود:

لبنانُ مالك ويلي منك لبنانُ
بان الرفاقُ ولولا أنت ما بانوا

فتنت ويحك يا لبنانُ إخوتنا
أهكذا أنت يا لبنان فتَّانُ

في كل عامٍ إلى مغناك افئدةٌ
تهوي إليه وإخوان وخلَّانُ

ثم يصف المناظر الطبيعية والبشرية الجميلة، منتهيًا إلى القول بأن هذه الملذات لا تصلح في الوقت الذي نحياه:

قد كان ذاك وما كان العراق لنا
خصمًا ولا كان إرعادٌ وعدوانُ

ولا تحدَّث نسورُ الجو كاسرة
جهلاً خفافيش تؤويهن بغدانُ

إلى آخر هذه الأبيات الجميلة التي صدرت عن عاطفة صادقة.

أما الخال الشاعر داود سليمان الجراح، وكان أكثر التصاقًا بصاحبنا فكانت له أكثر من قصيدة يذكر فيها الأستاذ محمد الفوزان ومنها قصيدة أرسلها ردًّا على رسالة أرسلها الأستاذ من لبنان يقول فيها:

وصلت رسالتك التي دبَّجتها
فوضعتُ صفحتها على الأحداقِ
حبًّا وتقديرًا لمن قد خطَّها
فأنت تميس بلونها البرَّاقِ

ومنها:

أسَباكَ لبنانُ الجميل بجوِّهِ
وجنانه وبمائه الرقراقِ
حتى غدوتَ مُتَيَّمًا بربوعه
لك في المصيف تواصلٌ وتلاقي؟

أما القصيدة الأكثر دلالة على منزلة الأستاذ في قلب الشاعر، فهي التي قالها وأرسلها إليه يوم زواجه.

لقد كان الشاعر سعيدًا بزواج صاحبه، فأحب مشاركته في فرحته بقصيدة منها قوله:

بلبل الانس في زواجك غرَّدْ
فهنيئًا نلت المنى يا محمَّدْ
انا في غبطةٍ وجلُّ مرادي
أن تنالَ الذي تريدُ وأزيدْ

ولم يضع الشاعر مع هذه القصيدة تاريخًا لها، ولكنه وضع مع القصيدة الأولى تاريخ كتابتها، فذكر أنه كتبها وأرسلها إليه وهو في لبنان في اليوم الرابع

والعشرين من شهر ذي الحجة لسنة ١٣٧١هـ الموافق لليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٢م.

كان الأستاذ محمد حمد الفوزان قارئًا لا يمل القراءة محبًّا للأدب وأهله، لديه مكتبة فاخرة ضمت العديد من الكتب، وكانت رحلاته إلى لبنان في ذلك الوقت البعيد مدعاة إلى اقتناء عدد مختار من الكتب، يقرؤها خلال سنة كاملة إلى أن يعود في الصيف اللاحق ليجلب لنفسه غيرها، وكان يعتمد هذه الطريقة لأن الكتب لم تكن - آنذاك - متيسرة في الكويت بالسهولة التي هي عليها الآن. وإن الكتب الحديثة الصدور لا تأتي إلينا إلا في وقت متأخر فهو يستبق وصولها بشرائها من مصدرها.

تكوَّنت له بذلك ثقافة جيدة واكتسب فهما دقيقًا لنواحي العمل الأدبي. وراق له أن يشارك في ذلك فبدأ بالكتاب وقد جاءت كتابته مرآة لروحه الطيبة وإحساسه الجميل، فيها رقة وفيها عذوبة وفيها معلومات يقدمها لقارئه على طبق من المحبة الخالصة.

وقد خلط البعض بين الأديب محمد الفوزان والشاعر محمد الفوزان وذلك لتشابه اسميهما والحقيقة أن الشاعر النبطي محمد الفوزان كان من معاصري الشاعر عبدالله الفرج، وكانت بينهما محاورات شعرية يتبادلان خلالها القصائد ومعروف أن عبدالله الفرج قد توفي في سنة ١٩٠١م، وبذلك يكون قرينه محمد الفوزان، لابد وأن يكون قد توفي قبل ولادة الأستاذ محمد حمد الفوزان الذي نتحدث عنه هنا وقد سبق أن ذكرنا أن صاحبنا قد ولد في سنة ١٩٢٤م.

كان من أوائل مقالات الفوزان المقال الذي نشره في مجلة البعثة في عددها الصادر في شهر إبريل لسنة ١٩٤٧م، وقد كان معبِّرًا عن روحه الوطنية الصادقة فعنوان المقال هو: «شراعنا» تحدث فيه عن «هذا الشراع الأبيض

الخافق خفوق أجنحة الحمائم البيض تزدان به صواري السفن الذاهبة والآيبة في هذا الخليج العربي».

ثم تحدث عن الرجال الذين يقودون هذه السفن، ووصف عملهم بدقة تدل على معرفته التامة بما يعملون ثم يتابع بقلمه رحلة من رحلات السفر القديمة إلى نهايتها حتى يأتي إلى الختام الذي يدل دلالة واضحة على صدقه في التعبير عن حسه الوطني حين قال: «هذا هو شراعنا رمز الماضي والحاضر والمستقبل، شراعنا الأبيض بياض الأمل الباسم في نفوس الناشئة السائرة في طريق العلم والعرفان... وإن بينهما لرابطة قوية فهذا الشراع يضرب في البحر لغاية نبيلة هي تقوية حركة التجارة وربط الكويت بموانئ العالم، أما الناشئة الفتية، فغايتها أن تصل بالكويت على طريق العلم والمعرفة إلى هدفها السامي لكي تساير الدنيا..».

ونلاحظ هنا أنه لم ينس أنه معلم، وأن رسالته التي اضطلع بها تحتم عليه أن يكون موجهًا فكان توجيهه هنا بالمقارنة بين العمل والأمل: عمل الآباء والأمل في الأبناء.

وهذا موضوع عنوانه «رحلة صيف إلى طهران نشره في شهر فبراير لسنة ١٩٤٨م، وصف فيه رحلته هذه وصفًا دقيقًا لم يمهل شيئًا مما مر به خلالها ولم يترك شيئًا لم يعط القارئ بيانًا عنه.

ومثل هذا المقال حديثه عن سفره إلى دمشق، وعن لبنان الذي كتب عنه أكثر من مقال منها ما جاء تحت عنوان: «قالوا تحب لبنان» وانظر إلى ما يقوله هذا المعجب بالمشاهد التي شدته إلى هناك إذ يقول: «يا زمان الأنس في لبنان، يا مجمع الأصحاب والإخوان، يا بسمة تزين ثغر الزمان، ما أطيب الأسماء في رحابك، وما أجمل الثلوج تكلل هامات جبالك وهضابك، وما أصفى المياه تنساب في وديانك تحمل همسة القمة للحقل فيفيض بعد حين بالخضار والنضار».

ولا ينسى وطنه بين مقال وآخر فيكتب موضوعًا عن «الكويت بين جيلين»، وآخر بعنوان: «ليلة في الروضتين» ويكتب - أيضًا - «جمال بلادي» ولا ينسى الجزيرة العربية فيكتب عن أمجادها.

في شهر فبراير لسنة ١٩٥٠م نشر الأستاذ محمد مقالاً تحت عنوان «حظ للبيع» وهو مقال عجيب الشأن، يكاد يكون قصة تسلل من خلالها إلى موضوع فلسفي مهم. فقد تخيل شخصًا قد أدركه اليأس من حظه الذي لازمه السوء وجاء شاكيًا إلى الكاتب وقد نصحه هذا بالتخلص من هذا الحظ النكد بالبيع، وقال له ما عليك إلا الذهاب إلى سوق المزاد والطلب من أي (دلال) أن يتولى عرضه على الناس، تستمر الحكاية (المقال) إلى النهاية حيث يجد هذا المحبط رجلاً وقورًا ينصحه بالذهاب إلى سوق الحظوظ، وعندما سأل المنكود عن موضع سوق الحظوظ قال له الرجل: «سوق الحظوظ في نفسك يا ولدي سوق الحظوظ يا ولدي هو همتك هو عملك جدك واجتهادك.. هو نواياك الطيبة وغايتك النبيلة.. هو إخلاصك، فإذا وضعت كل ذلك نصب عينيك وجعلته هدفك الأسمى فإنك واجد حتمًا حظًّا (يكسر الصخر) كما يقول المثل. وتكون قد نلت حظًّا طيبًا في دنيا الحظوظ وسيمشي هذا الحظ في ركابك مادام سعيك لخير مجتمعك».

سم هذا المقال ما تشاء، قصة أو خاطرة أو ومضة فلسفية، ولكنه أخيرًا هو أسلوب محمد الفوزان في كل ما كتب.

أما الموضوع المعجب في سلسلة مقالاته ما جاء تحت عنوان «حديث غصن» جعل الأستاذ محمد الفوزان هذا الغصن يتحدث ويعبر عن نفسه، وكأنه إنسان ناطق، الأمر الذي يجعلنا نكبر الأستاذ محمد ونقدر فيه هذه القدرة الجميلة على صياغة موضوع له طابع فلسفي مثل هذا الموضوع، وهو من الموضوعات التي لم يكتب عنها أحد من كتابنا في ذلك الوقت.

ثم استمع إليه وهو يصف صباحًا له في جبل لبنان أنه يستقبل الصباح بحب، وينظر إلى ما حوله بدهشة وانبهار، ويصف المناظر المحيطة به وصف شاعر تتسلل إلى أعماقه كل هذه الأشياء الجميلة فور وصولها إلى عينيه: «وصحوت باكرًا.. ووقفت في النافذة استقبل موكب الشمس البهي يطل من الجبل، فينثر على أحضان الوديان دنانيره الذهبية، فتتفتح الأزهار، وتتمايل الأشجار، وتغرد الأطيار احتفالاً بمطلع الشمس، وينتشر الناس لاكتساب أرزاقهم..» ويستمر محمد الفوزان بعد هذا في وصف المنظر الصباحي من جهة النشاط البشري، فيصف طفلة قروية تحمل الحليب إلى البيوت المجاورة، وأطفالاً يحملون أنواعًا من الفواكه لبيعها على المصطافين، وفلاحًا يحمل آلته الزراعية وهو يسير إلى حقله وهكذا تتتابع المناظر.

وانظر معي إلى قوله عن موكب الشمس إنه ينثر دنانيره، ألا يذكرك هذا بقول المتنبي وهو يخترق شعب بوان:

وألقى الشرقُ منها في ثيابي

دنانيرًا تفرُّ من البنانِ

بلى، إن الأمر كما ذكرت لك ولقد قلت سالفًا إن الفوزان يصف ما يراه وصف شاعر، وها هو يتقمص شخص المتنبي ليقول نثرًا ما قاله أبوالطيب شعرًا.

هذا الذي قدمناه إنما هو قطرة من بحر كتاباته الشيقة، وما اخترناه له من عبارات رشيقة ما هو إلا نموذج لما تفجره مقالاته من ينابيع المعرفة.

أما موضوع الأستاذ محمد الفوزان الخاص، وهو الموضوع الذي أودى بصحته، وجعله بعيدًا عن الناس كثير الهموم، فهو ما حدث لولديه جاسم ويوسف اللذين أسرتهما قوات الغزو العراقي الغاشم من منزلهما في منطقة الخالدية في اليوم السابع من شهر سبتمبر لسنة ١٩٩٠م، ونقلتهما إلى العراق حيث تمت تصفيتهما ودفنهما في مقبرة جماعية في مدينة الرمادي العراقية وكان والدهما إلى أن توفاه

الله ينتظر عودتهما سالمين، ويأمل في رؤياهما قبل رحيله، ولكن الطغاة لا يبالون بمشاعر الآباء ولا يحسون بمدى تأثير ما يقومون به من أفعال ظالمة على أهالي من يقعون في أيديهم.

كان شقيق الشهيدين وهو فوزان محمد الفوزان هو الذي تلقى نبأ استشهادهما، وقد تلقاه بشجاعة رغم بوادر الأمل التي كانت تراود الأسرة بعودة فقيديها وقد اعتبر فوزان استشهاد أخويه وسامًا يعلق على صدر كل فرد من أفراد أسرتهم.

لقد تحمل الأستاذ محمد الفوزان كثيرًا خلال فترة أسر ولديه، وتقلب بين الرجاء واليأس، ولكن قدرته البشرية لم تطق الصبر أكثر مما صبر فانهارت صحته، وتوفي في ١٢/٢/٢٠٠٤م رحمه الله وأسكنه والشهيدين الجنة مع الأبرار والصديقين.

****

ملحاق خير

مدرسة الشامية المتوسطة للبنين التي كان وكيلها الأستاذ محمد الفوزان كما ذكرنا في المقال هي من أوائل المدارس التي بنيت خارج السور، وقد تزامن بناؤها مع نشأة منطقة الشامية السكنية، وتزامن - أيضًا - مع إنشاء عدد آخر من المدارس مثل مدرسة صلاح الدين في المرقاب وقد أزيلت وأنشئ في مكانها مبنى مؤسسة التأمينات الاجتماعية ومدرسة الصديق التي صارت مقرًّا لوزارة الداخلية.

كانت بداية مدرسة الشامية عند افتتاحها في سنة ١٩٥٤م تشمل مرحلتين من المراحل القديمة هما الروضة والابتدائي، وهما معًا يعادلان الصفوف السبعة الأولى حاليًّا، ثم عندما تغيرت المسميات وأقر السلم التعليمي الذي سارت عليه دائرة معارف الكويت ثم وزارة التربية أصبحت هذه المدرسة مقتصرة على صفوف المرحلة المتوسطة.

كانت مدرسة الشامية كغيرها من المدارس التي أنشئت في تلك الفترة ذات مبنى فخم لا يزال على الرغم مما مر عليه من سنين محتفظًا بكثير من رونقه القديم، وكان يحتوي على كثير من الإنشاءات المهمة التي ترفع من قيمة العملية التربوية وذلك واضح في الملاعب وفي حمام السباحة وفي صالة الألعاب المغطاة، والمسرح الكبير الذي تستخدمه المدرسة وتستفيد منه الوزارة والجهات الرسمية القريبة من المدرسة.

خرَّجت مدرسة الشامية عددًا كبيرًا من الطلاب أنهى أغلبهم دراسته الجامعية والعليا، وأصبح من هؤلاء الخريجين أعداد خدموا وطنهم في مواقع شتى.

ولكي نحصل على معلومات عن سير العمل في هذه المدرسة من حيث أعداد الفصول والطلاب في فترة من فترات العمل بها، فإننا نجد هؤلاء في العام الدراسي ١٩٥٥ - ١٩٥٦م منقسمين إلى قسمين، أحدهما قسم الروضة وهو ثلاث السنوات الأولى من الدراسة وكان في ذلك العام الذي أشرنا إليه يضم عشرة فصول دراسية فيها أربعمائة طالب. والثاني هو قسم المرحلة الابتدائية وهي أربع سنوات بعد سنوات الروضة الثلاث، وكان هذا القسم مكونًا من أربعة عشر فصلاً فيها أربعمائة وواحد وأربعون طالبًا.

لقد توقفت الدراسة في هذه المدرسة بعدما قامت بأداء واجبها نحو التعليم في البلاد، واحتلت مبناها هيئة تقدير تعويضات الغزو العراقي الغاشم، وقد أدخلت هذه الهيئة على المدرسة بعض التعديلات، ولكنها تعديلات لا تمس الجوهر.

تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن مباني المدارس في تلك الفترة التي بنيت فيها مدرسة الشامية التي تحدثنا عنها كانت تبنى بطريقة خاصة إذ إن البلاد كانت في حاجة ماسة إلى عدد كبير من المدارس، وكانت شركات المقاولات الكويتية لا تزال في ضمير الغيب لم تظهر إلى الوجود وإن وجد بعضها فهو غير قادر على القيام بإنجاز مشروعات كبرى كهذه التي تحتاجها دائرة معارف الكويت أو غيرها من الدوائر الحكومية. لذا فقد اختارت الحكومة الكويتية لفترة من الزمن خمس شركات كبرى من خارج الكويت على أن يكون لها وكيل كويتي وتم إسناد الأعمال الإنشائية إلى هذه الشركات المختارة بشكل عاجل، وقد أنجزت هذه الشركات التي

أطلق عليها اسم «الشركات الخمس» أعمالها، وكان من تلك الأعمال المدارس التي ذكرناها. وهي التي حظيت بما لم تحظ به مدارس الكويت فيما بعد من تسهيلات وإمكانات ورحابة في الساحات والمباني، ولم تتم مراعاة النواحي الجمالية في المباني اللاحقة كما رأينا في المدارس التي تم إنجازها عن طريق تكليف الشركات الخمس المذكورة لقد عملت تلك الشركات في فترة حرجة، وعندما استقرت الأمور عادت الحكومة الكويتية إلى وضع النظام الذي يكفل تكافؤ الفرص بين الشركات الكويتية التي بدأت عملها على ضوء ما شاهد أصحابها من طرق العمل التي سارت عليها الشركات الخارجية الخمس.

****

العلاقات الكويتية المصرية القديمة[1]

ينبغي ألا يذهب بنا الظن إلى أن العلاقات الكويتية المصرية قد بدأت منذ الثلاثينيات من القرن الماضي حين صارت الكويت تستعين بعدد من المدرسين المصريين لسد حاجة المدارس التي بدأت تتزايد منذ تأسست دائرة معارف الكويت في سنة ١٩٣٦م، أو أنها بدأت عندما زار الشيخ أحمد الجابر الصباح مصر في شهر نوفمبر لسنة ١٩١٩م. أو عندما ذهب عدد من الكويتيين إلى القاهرة من أجل الدراسة في الأزهر الشريف كما فعل الشيخ مساعد بن عبدالله العازمي في سنة ١٨٧٤م ومن قبله عيسى بن علوي في سنة ١٨٦٤م، وكما فعل أحمد بن خالد العدساني في سنة ١٩٠٨م، وماجد بن سلطان بن فهد سنة ١٩١٧م، أو أنها بدأت عندما رحل إليها صالح العثمان الراشد الحميدي، وعمل بالتجارة في أسواق القاهرة، وافتتح له متجرًا بها قبل سنة ١٩١٩م، ولا حينما زار الكويت العالم الشهير الشيخ رشيد رضا قادمًا من مصر في أوائل القرن العشرين.

كل هذه المعلومات تدل على علاقة متينة بين البلدين، ولكن تاريخ العلاقة الكويتية المصرية - رغم ذلك - أعمق من كل ما ذكرناه، إنه تاريخ يتعلق بالفترة التي حكم فيها مصر محمد علي باشا الذي سنذكره هنا ثم نلحق هذا ببيان طبيعة العلاقة بين البلدين.

حكم محمد علي مصر منذ سنة ١٨٠٥ وقد كان جنديًّا محاربًا، قاتل تحت الراية العثمانية في اليونان وغيرها، وفي مصر كانت له أعمال جديدة على كافة

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٢/٧.

المستويات، وهو الذي أدخل زراعة القطن وقام بتطوير نظم الري مما جعل مصر تتقدم في المجال الزراعي عما كانت عليه في العهود السابقة له، وبوجه عام فقد كانت فترة حكمه فترة نهضة كبيرة حضارية وعسكرية، اهتم بالجيش وتطوير قدراته كما اهتم بانشاء المصانع والمدارس، وإرسال البعثات إلى الخارج، ولكنه أرهق البلاد حين أرسل جيشه للحرب في عدد من الجبهات دفعته إلى زيادة الضرائب على الأهالي.

توفي محمد علي في اليوم الثاني من شهر أغسطس لسنة ١٨٤٩م.

بعث محمد علي – في نوبة من نوبات الرغبة في السيطرة على الغير – بجيش كثيف إلى شبه الجزيرة العربية، واستولى على عدد من المدن، ولما كان قد لقي مقاومة باسلة من السكان ومن حكامها على حد سواء، فقد اضطر إلى إبقاء الجيش في عدد من المواقع في حالة تأهب مما كلف الكثير من الأموال والأعتدة والأرواح إلى أن ألغيت الحملة العسكرية وعاد الجند إلى مواقعهم في مصر.

خلال فترة بقاء الجيش المصري في المنطقة وبناء على حاجته إلى مزيد من الأقوات والمواد المتعلقة بها فقد أدى ذلك بصورة غير مباشرة إلى الاتصال بالكويت التي كان لها – ولا تزال – وضعها المستقل بحيث لا يؤثر في علاقاتها بالآخرين أحد. وهذا هو ما حدث.

نحن الآن في الكويت خلال فترة حكم الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح الذي تولى حكم البلاد من سنة ١٨١٤م وحتى سنة ١٨٥٩م وكان مسؤول حملة محمد علي هو خورشيد باشا، وقد نظر هذا الرجل إلى متطلبات الحملة من أغذية وغيرها فلم يجد بلدًا يمكن أن يمده بما يريد غير الكويت، وذلك لسببين أولهما: توافر تلك المتطلبات فيها بسبب رواج التجارة وحركة السفن التي تجلب معها مختلف الغلال واللوازم، والثاني الاستقلالية السائدة في البلاد بحيث لا يمكن لأحد – وبخاصة الدولة العثمانية – الاعتراض على تعاملها مع خورشيد باشا أو غيره.

أرسل خورشيد مبعوثًا يمثله إلى الشيخ جابر بن عبدالله الصباح يطلب منه الموافقة على بقاء هذا المندوب في الكويت من أجل شراء احتياجات جيشه، وقد رحب الشيخ بالموفد، ووجد هذا مقامًا طيبًا في كنف الشيخ، وكان محمد أفندي «وهو اسم المبعوث إلى الكويت» يقوم بعد استقراره بشراء كميات من المواد ويرسلها إلى قيادته، وجاء ذكر بعض مشترياته في سنة ١٨٣٩، إذ قام بشراء كمية من الشعير حملها في عدة قوارب إلى القطيف، هكذا ذكرت الوثائق المصرية، وأما البريطانيون فكانوا يرون الأمر مختلفًا فهم يقولون في وثائقهم عن محمد أفندي أنه في مهمة سياسية بالدرجة الأولى، وهو يغطيها بهذه المشتريات التي يستطيع الحصول عليها من مكان آخر غير الكويت، وكانت السلطات البريطانية المقيمة في الخليج على تخوف من هذا الأمر لأنها لا ترى ضرورة أن تمد الكويت يد العون إلى المصريين، ولذلك فقد سارعت هذه السلطات إلى إرسال مساعد المقيم البريطاني في الخليج ليقابل الشيخ ويتعرف الوضع على حقيقته ويتأكد من تحركات المبعوث المصري الذي بدأ نشاطه في الأعمال التي طلبت منه قيادته القيام بها وأكثرها يتعلق بتسهيل شراء ووصول الإمدادات. ومما يلفت النظر أن المبعوث البريطاني الذي ذكرناه واسمه ت. أدموندز، لم يجد الاستقبال اللائق به عندما وصل إلى الكويت في اليوم الثلاثين من شهر أكتوبر لسنة ١٨٣٩م. وقد كتب تقريرًا عن مهمته برر فيه موقف الشيخ بأنه ربما كان متحسبًا أن يكون مآل أعمال خورشيد باشا إلى النجاح في منطقة الخليج، كما أدموندز أن مهمة المبعوث (محمد أفندي) ليست قاصرة على شراء المؤن والإمدادات. وإنما هي ذات هدف آخر خفي وهو جمع المعلومات عن المنطقة لمصلحة خورشيد باشا.

هذا وإنّ الفترة التي أقام فيها المندوب المصري محمد أفندي في الكويت كانت – بالنسبة له – مليئة بالأحداث، إذ كان هذا الرجل نشيطًا حريصًا على اداء المهمة الموكلة إليه، ومن أجل ذلك فقد كثرت اتصالاته وزادت معارفه، وكان ناجحًا

في عمله، وقد استمرت ثقة الشيخ به لدرجة أنه قدم له مساعدات كبيرة، وفيما يذكر التاريخ عن هذه الفترة أن عددًا من أفراد القوات العثمانية قاموا بالهرب من سيطرة قيادتهم واتجهوا بقيادة «محمود أغا الموره دي» إلى الكويت فوجدوا الأمان، وعندما طلبت السلطات العثمانية المقيمة في البصرة إعادتهم إليها رفض الشيخ جابر بن صباح تحقيق ما يريدون وتمسك بالعادات العربية الصميمة التي بها يحافظ العرب على حياة الأشخاص الذين يلجأون إليهم.

ولم تكن هذه المواقف الاستقلالية سببًا في امتعاض العثمانيين وحدهم، بل لقد كان البريطانيون أكثر قلقًا لحرصهم على إحباط مخططات محمد علي في المنطقة، وقد سعوا بالفعل إلى عمل تم به الحد من مساعدة خورشيد باشا ومن معه من رجاله.

وفي سنة ١٨٣٩م تم عقد اتفاق مكتوب بين الشيخ جابر ومحمد أفندي، واسمه الكامل عبده محمد رفعت أفندي وبموجبه ذكر هذا ما يلي «أما الكويت، فإن أميرها الذي هو جابر الصباح، فإنه ابن عمومتنا، ولا يمكننا المشي عليه بحرب»، ثم ذكر شروط الاتفاق التي بموجبها يحمي الشيخ اللاجئين إليه من جماعة خورشيد باشا، وأن يعيد الهاربين من سيطرة الجيش المصري متى ما تم طلبهم، وقد استثنى من هذا الشرط الأخير عمر بن عفيصان ومجموعة أخرى معه، ثم يقول محمد أفندي في تقريره الذي أشار فيه إلى كل ذلك: «وانختم ما بيننا وبينه على ذلك» وهذه العبارة هي التي دعتنا إلى الجزم بوجود اتفاق مكتوب بين الطرفين لأن الأمر المكتوب هو الذي يوضع عليه الختم.

ولم يأت تفسير لقوله عن الشيخ جابر أنه ابن عمومتنا، ولكنه قد قصد المعنى العام الذي يتحدث به الناس بعضهم إلى بعض حين تكون الصلة بينهم قوية وكأنها صلة قرابة.

وعلى الرغم من ظنون الإنجليز السيئة بمحمد أفندي ممثل خورشيد باشا في الكويت الا آن من الواضح أن وثائق تلك الفترة تدل على انشغاله بموضوع توفير الغلال، وهذا جزء من نص يؤكد ذلك، يقول المسؤول عن محمد أفندي في رسالة له: «ومن حيث إن (البغلة) تعلق دولتكم حضرت في هذه الأثناء من الكويت، وفيها نحو ٣٠٠ وكسور قمح وشعير (البغلة سفينة نوعها معروف، ويقصد بكلمة تعلق دولتكم: الخاصة بكم)، ثم يستأنف قوله: «وحضر لنا جواب من جابر بن صباح ومحمد أفندي، مضمونه أن صنف الغلال حينئذٍ غير موجود في الكويت».

ويبدو - أيضًا - أن محمد أفندي لكثرة تحركاته واتصالاته لم يعد شخصًا مرغوبًا فيه عند أهالي الكويت الذين لم يكونوا - في البداية - يبدون معارضة واضحة له. ولكن حادثًا حدث في الأحساء جعل هؤلاء يتحركون، ذلك لأنهم كانوا يعملون للجيش المرابط في الأحساء حسابًا ولكن الحادثة التي أشرنا إليها أضرت بموقف محمد أفندي في الكويت والرسالة (الوثيقة) المؤرخة في اليوم الأول من شهر نوفمبر لسنة ١٨٣٩م التي كتبها خورشيد باشا إلى رئاسته تقدم لنا صورة عن بعض ما حدث، ومدى تأثيره على موقف محمد أفندي في الكويت يقول في جزء منها: «أما محمد أفندي معاون الداعي الموجود في الأحساء، فقد عمل على زراعة المحل المسمى (نجم) خارج الأحساء، وقد ذهب لمعاينة ذلك المحل الذي عمل على زرعه، وبعد ما عاينه، رجع وقت العشاء، وفي أثناء عودته، كمن له ثلاثة في أثناء الطريق، وأطلقوا عليه الرصاص، فذهب قتيلاً، فداء عن أفندينا الخديوي الأعظم، فلما شاعت هذه الواقعة في أطراف الكويت، صمم جميع العرب على إظهار ما يضمرونه من جرأة، يجردونها قائلين: إن العسكر في الأحساء قليل، واتخذوا وفاة الأفندي المذكور فرصة، وعزموا على إخراج محمد أفندي، الملازم المأمور بمشترى الغلال من الكويت، كما كتب لنا بذلك المأمور».

إذن فقد كان الناس في الكويت يَتَوقَّوْنَ شر هذا الجيش الذي اخترق الجزيرة ووقف بالقرب منهم وهو على وشك أن يدهمهم فلجأوا إلى موقف مناسب ارتضاه أميرهم، وهو مراعاة احتياجات هؤلاء المحاربين من الغلال وغيرها، وجمعها بعد أن يقوموا بدفع أثمانها، ثم يتم نقلها إلى أماكن أخرى تحددها لهم القيادة، فالكويت لم تكن خاسرة في ذلك بل كانت تعمل لصالحها الذي يتمثل في اتقاء شر هذا الجيش وقد نجحت في ذلك. كما استفادت من مسألة البيع والشراء التي جاءت مع وجود المندوب المصري الذي تحرك بوجوده سوق كثير من المواد ولاسيما الغلال.

وهذه وثيقة كاملة النص، وهي عبارة عن رسالة كتبها خورشيد باشا، يخبر فيها قيادته عن محمود أغا الموره دي، ووصوله هاربًا بجنوده من البصرة مع طلب كيفية معاملته ومن معه، وهذا هو نص الرسالة «الوثيقة»: «من خورشيد إلى صاحب الدولة» «سيدي سني المهم صاحب الدولة والعاطفة».

«إن الرجل المدعو، محمود أغا الموره دي، من العساكر الموجودة في البصرة، التابعين لحضرة علي باشا، والي بغداد، ركب فلكا، في هذه المدة، هو وسبعون جنديًا سكبانيًا، وقام من البصرة حتى وصل إلى الكويت، ومنها أركبه ابن صباح أمير الكويت هو والملازم محمد أفندي الموجود في الكويت، من طرفي لاشتراء الغلال، في زورق، وأرسله إلى الأحساء، ومنها إليَّ، ومعه خمسة وستون جنديًّا، مع قافلة الغلال الواردة أخيرًا وبقي خمسة من جنوده في الأحساء، فقيَّدنا أسماءهم في الدفتر، اعتبارًا من أول ربيع الآخر ١٨٣٩/٦/١٤م وأعطيناهم تعييناتهم «الميرة المخصصة لهم» وخيمًا ومقدارًا من النقود وأرسلنا لكم كشفًا بأسمائهم، وأسماء بلادهم، ضمن كتابنا هذا، وتقريرًا من محمود أغا الموره دي المذكور، ومن اطلاعكم عليه تعلمون أنه قال فيه، إنه اتفق هو وخمسماية جندي، من الموجودين في البصرة ومتى ما صدر له الأمر، فإنه يرسل مندوبًا عنه، ويأتي بهم، فما هي المعاملة التي

يلزم، أن نعامله بها، وهل نعطيه رخصة ليأتي بأولئك العسكر، أم لا؟ حسب ما قاله، وبما أن هذه الأمور منوطة بإرادة ولي النعم، فإذا علمتم ذلك، بإذن الله تعالى، تعرضونه على أعتابه، وإفادتنا بما تصدر به، إرادته بمهمة دولتكم سيدي».

وهنا وثيقة أخرى ذات علاقة وثيقة بما تقدم وهي تمثل التقرير الذي كتبه محمود أغا الموره دي الذي مر ذكره فيما سبق وفيه يتحدث عن هروبه من البصرة إلى الكويت، وعن وضعه بعد ذلك، يقول في جزء من الوثيقة: «فاستدعيت بوجه السرعة سبعين جنديًّا، وركبنا الفلك بالكرهِ عنهم، وتوجهنا إلى الكويت، وصعدنا إليها، وجئت عند محمد أفندي، مأمور اشتراء الغلال، في الكويت، من قبل حضرة خورشيد باشا، وبينما كان «محمد أفندي»، ناويًا الإقامة في الكويت، بضعة أيام، جاء خطاب مع رجل مخصوص، من البصرة، لابن صباح، أمير الكويت، يطلب القبض علينا، وإعادتنا إلى البصرة، فلم يعبأ ابن صباح بذلك الكتاب، وأجابه بأنه غير قادر، على القبض علينا، وإرسالنا بالإجبار، ثم إن الأمير المرقوم أركبني أنا، ومحمد أفندي والعسكر الذين معنا سفينة، فوصلنا إلى الأحساء فصعدنا إليها».

هذا وكلتا الوثيقتين تحملان رقما واحدًا وهو محفظة عابدين رقم ٢٦٧ الوحدة رقم ٧ وتاريخًا واحدًا وهو السادس عشر من شهر يونيه لسنة ١٨٣٩م.

ويجدر بنا هنا أن نذكر جانبًا من حياة الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح، وهو قد تولى الحكم بعد وفاة والده في سنة ١٨١٤م، وكان هادئ الطبع عاقلاً، يحب شعبه، ويطعم الطعام حتى اشتهر بجابر العيش لكرمه. توفي سنة ١٨٥٩م.

وفي عهده شاركت الكويت بأول مجهود حربي خارج حدودها إذ أقدمت على إرسال جنودها إلى المحمرة لتأديب بني كعب بناء على التماس من الحكومة العثمانية، إذ «إن قبيلة بني كعب طردت جند الحكومة العثمانية من المحمرة فَهَمَّ جابر لاستردادها من أيدي الغاصبين».

وقد كان الاهتمام بهذا العمل من أجل تحقيق رجاء تلك الدولة من جهة، ومن أجل الرد على الاعتداء الكعبي الذي تم في عهد الشيخ عبدالله بن صباح على الكويت.

وفي عهده خرج - أيضًا - إلى محاربة إحدى القبائل التي تعيش في الجهة الشرقية من شط العرب وهم «النصار» في موقع يقال له البريم، وذلك لأن هؤلاء قتلوا رجلاً كويتيًّا، وقد هزم النصار، وعاد الجيش الكويتي منتصرًا.

وفي عهده جدد السور الأول، وفي سنة ١٨٣١م توفي في الكويت الشاعر النبطي المشهور محمد بن لعبون، وهو من الشعراء الذين كان لهم أثر في مسيرة الشعر النبطي، وله ديوان مطبوع، وأشعار تغنى إلى اليوم وقد دفن في منطقة القبلة في الزاوية الملاصقة للجزء الشرقي لمجلس الأمة.

وفي سنة ١٨٤١م وقع صباح بن جابر نيابة عن أبيه جابر بيانًا عن وقوفه «مع مشايخ العرب المصالحين، من استقامة المهادنة والصلح عند صدور التعديات والتعرضات في البحر، وأن لا لحرب ولا جدال في البحر مع جميع مشايخ العرب الداخلين في سلك الصلح والمهادنة».

ويعتبر هذا البيان من أوائل الوثائق في العلاقات الكويتية مع الخارج.

وفي عهده حضرت جماعة من الإنجليز إلى جابر تطلب منه بعض التسهيلات التي منها البناء في الكويت، فلم يقبل كل ما طلبوه منه، وعندما سألوه: أتسمح للحكومة العثمانية في نزول بلدك، والبناء فيها أم تمنعها كما منعتنا؟ قال: «نمنعها من ذلك إذا كان فيه ضرر علينا وعلى بلدنا».

وفي ١٨٢١/١٢/١٥م انتقلت الوكالة التجارية البريطانية من البصرة إلى الكويت نتيجة لعدم ملاءمة الأوضاع لها هناك، وقد بقيت هنا حتى ١٨٢٢/٤/١٩م وكان لها أثر كبير في المجال الاقتصادي الكويتي.

☆☆☆☆

هذه لمحة عن علاقات الكويت القديمة بمصر وهي وإن كانت لا ترقى إلى طبيعة العلاقات التي سادت منذ أوائل القرن العشرين، إلا أنها تدل على شيء مر بتاريخنا تجدر بنا معرفته، وتدل على أن الكويت التي كانت في ذلك الوقت بعيدة عن الاتصالات الخارجية قد صارت مفصلاً من مفاصل الحركات التي سادت في الوقت الذي تحدثنا عما جرى فيه.

هذا وقد تمت الاستعانة فيما يتعلق بالوثائق بكتاب «من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي» للدكتور عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، وهو من نشر دار المتنبي في قطر سنة ١٩٨٢م.

****

ملحاق خير

في ١٩٧٤/٣/٢م تم إنشاء مركز بحوث المناهج في وزارة التربية ومن مهامه القيام بالدراسات والبحوث والتجارب اللازمة لتطوير المناهج الدراسية، وهو مكوّن من وحدات فنية بحسب التخصصات المختلفة في المناهج الدراسية.

وبمناسبة ذكر مركز بحوث المناهج، أذكر أحد الأعلام الذين كانوا يعملون به، وهو الشاعر محمد حسن اسماعيل، وقد حرصت الكويت على حضوره لناحيتين، أولاهما حاجة العمل في المركز إلى مثله، والثانية الرغبة في أن يساهم في الحركة الثقافية والأدبية في الكويت خارج العمل، وقد أنتج الكثير في هذه الفترة، وشارك في أمسية شعرية اقتصرت عليه ألقى فيها عددًا من قصائده وكان وجود صاحب النهر الخالد ودعاء الشرق بيننا فرصة كبيرة للاستفادة منه، ولا أنسى أن أذكر أن الشاعر كان من أعز أصدقاء الأستاذ محمود محمد شاكر وأقربهم إلى نفسه، وله قصيدة استقبل بها صديقه حين زار الكويت لأول مرة يقول فيها:

وتكلمتْ حباتُ رمل البيد حيـ
ـن نزلتَ ضيفًا في قلوب رجالِها
وسمعتُها، وسمعتَ أنت حديثها
ورأيتَ مثلي ما يدورُ ببالها
كذب اللقاء فأنت نبضُ رياحها
وإباءُ تلعتِها وكبرُ جبالها
وحديثُ من غَبَروا وشبُاباتهمْ
بيديكَ سحرُ يمينها وشمالها

تعب الخلودُ ومـلَّ، حتى زرتها
فرددتَهُ نشوانَ فوق رمالها

وهي قصيدة طويلة ألقاها الشاعر في بيتي حينما كنت مع زملائي نحتفي بمقدم الأستاذ، وقدَّم لها بقوله: «لصديقي الكبير، الأستاذ محمود محمد شاكر، في لقائه المفاجئ بأرض الكويت العربية، التي نزل رحابها لأول مرة في حياته».

كان هذا الشاعر الفحل نجم المهرجانات الشعرية العربية، ومشاركًا في المهرجانات الخارجية التي كان منها مهرجان الشعر الذي عقد في يوغسلافيا بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٥م، وألقى فيه قصيدة طويلة تحت عنوان «السلام الذي أعرف»، وكانت قصيدة قيمة نالت إعجاب الحاضرين وترجمت إلى لغات عدة.

كان هذا الشاعر محرِّرًا بالمجمع اللغوي المصري، ثم انتقل إلى العمل في الإذاعة، وظل بها حتى صار مراقبًا عامًا للبرامج الدينية والثقافية، وتعددت أعماله الشعرية في هذه الفترة، ومنها: صلاة ورفض، هدير البرزخ، موسيقى من السرِّ، ونال جائزة الدولة التقديرية في بلاده سنة ١٩٦٥م.

توفي رحمه الله في الكويت في سنة ١٩٧٧م تاركًا فراغًا كبيرًا في دنيا الشعر الذي نهض به فترة حياته.

****

الشاعر حمود الناصر البدر [1]

هذا الشاعر من أشهر مبدعي الشعر النبطي الكويتي، وقصيدته في «حرب الصريف» كانت ولا تزال من أشهر قصائد هذا النوع من الشعر، وأكثرها ترددًا على الألسنة، ونشرًا في الكتب التي دونت ما تم التقاطه من الشعر النبطي، وقد سمى الأستاذ عبدالله الخالد الحاتم كتابه «خيار ما يلتقط من شعر النبط» وكانت قصيدة الشاعر حمود الناصر البدر من خيار الخيار فيما التقطه الحاتم وأصدره في كتابه المذكور.

في سنة ١٨٧٠م ولد في الحي القبلي من مدينة الكويت شاعر كبير، كان يعد من أكثر شعراء شعر النبط في عصره ولا يزال شعره يردد على الألسنة ويعجب به محبو هذا النوع من الشعر. اشتهرت المنطقة التي كان يسكنها هذا الشاعر باسم براحة حمود الناصر البدر، والبراحة في اللهجة الكويتية هي الموضع المتسع بين البيوت، ولها أصل في اللغة الفصحى ثم هي تطلق على الموضع بما في تلك البيوت والبراحة المعنية هنا تقع جنوبي الموقع الحالي لمجلس الأمة، وأول من سكنها أسرة الشاعر.

والشاعر من أسرة كويتية كبيرة، ووالده أحد تجار اللؤلؤ البارزين وكان من المشاركين في الحياة العامة في وقتها. أما الابن فكان كغيره من أبناء الكويت يعيش كما يعيشون، ويعمل كما يعملون، اشتغل بالعمل في الغوص، وصار ربانًا «نوخذا»

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٤/٢/٢٠٠٧.

مشهورًا، تميز شعره بالرقة والسلاسة، واشتهر بالغزل، ولكنه كان عند التحديد ينظم في كل ما يخطر على باله من أغراض. عاصر الشاعر عبدالله الفرج، وكان هذا معجبًا به، يثني دائمًا على شاعريته، وحدَّة ذكائه، كما كان حمود الناصر البدر مقربًا من الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت آنذاك، وشارك في المعارف التي خاضها الشيخ، وأسهم بشعره في الدفاع عن الكويت وحاكمها، ورد على كثير من الشعراء الذين تعرضوا لها بالسوء.

اشتهرت لحمود الناصر البدر قصائد كثيرة، وغنيت له أغان متعددة، وبخاصة في فن الخماري الجميل الذي كانت تردده الفرق الشعبية المشهورة في ذلك الوقت وعلى رأسها فرقة سعادة البريكي، وفرقة عودة المهنا يصاحبهما الفنان عواد سالم رحم الله الجميع ومن أشهر قصائده قصيدة قالها حين كان في معية الشيخ مبارك يوم اتجه إلى معركة الصريف، وقد كانت من القصائد الحماسية القوية، رددها على الربابة الفنان عبدالله فضالة فأجادها كثيرًا.

على الرغم من هذا النشاط، وهذه الهمة العالية، فإننا نراه في أواخر أيامه قد هجر الناس، وانزوى في بيته حتى توفي في سنة ١٩١٥م رحمه الله، وكانت وفاته في السنة التي توفي فيها الشيخ مبارك الصباح، لقد ارتبط الشاعر بأميره حيًا وميتًا.

وقبل الحديث عن قصيدة الشاعر حمود الناصر البدر الخاصة بحرب الصريف يجدر بنا الإشارة إلى أمرين مهمين وهما:

١ - أن المحاربين الكويتيين التقوا في ساحة الصفاة في وسط العاصمة يؤدون العرضة ويثيرون الحماس بينهم، استعدادًا لما هو آت، وقد وقف شاعرنا البدر ليلقي ثلاثة أبيات حماسية بهذه المناسبة وهي:

مـع الـسـلامـة يـا خـلـيـفـة مـالـي
أمـي وأبـوي وبـاقـي الـذّريـة
ودعـتـك الـلـه يـا الـحـبـيـب الـغـالـي
ومـن غـاب مـنـا يـرجـعـه الـلـه لـيّه
يـا زيـن حـبـك بـالـحـشـا مـا زال
وقـصـور حـبـك بـالـحـشـا مـبـنـيّه

٢ - بغض النظر عن نتائج هذه الحرب، فإن بعض مناقضي الشاعر تحدثوا عن أنه عجل في إنشاء قصيدته وكان الأولى به أن يتريث حتى يرى ما تسفر عنه المعركة، ولم يغب ذلك عن بال صاحبنا، وحين طلب منه الشيخ مبارك الصباح المشاركة بشعره فإنه ذكر للشيخ أن الحديث عن هذا الأمر يأتي على ضوء نتائج الحرب، ولكن ما يراه القائد هو غير ذلك، فالمراد في مرحلة الإعداد للمعركة أن يتم التحضير لها من جميع الوجوه، بما في ذلك الناحية الإعلامية التي كان يمثلها الشعر في ذلك الوقت بسبب انعدام باقي الوسائل ومن أجل ذلك قال الشيخ للشاعر ردًّا على ما طرحه: لا عليك قل ما تشاء.

تتكون قصيدة الحرب التي قالها الشاعر حمود الناصر البدر من واحد وخمسين بيتًا، بدأ الشاعر فيها بمخاطبة عدد من الرجال الذين كانت تحملهم جمال ذات قوة وضخامة، قدم الشاعر وصفها على هيئة تقربها إلى ذهن المستمع الذي يذهب به الخيال إلى تصورها وهي سائرة بحملها، وهي على تلك الصفات المبهرة في الشكل العام وفي سرعة المشي، وفي الأصول التي تنتمي إليها، يقول:

يـا راكـبـين اكـوار ست تـبـارا
فـج الـنـحـور افـحـاز مـا بـين الأزوار

قـطـم الـفـخـوذ مـعـلـقـمـات الـفـقـارا
كـوم عـلاكـيـم مـن الـقـفـر ضـمّـار

إلى أن يقول:

زرفـالـهـن بـين الـجـري والـطـيـارا
لـولا الـلـواحـي عـانـقـن رقـط الأطـيـار

ثم يقول:

مـثـل الـنـعـام انـذيـر ثـم اسـتـذارا
وجـه عـلـى وجـه يـبـي فـيـه مـعـبـار

ويكفينا هنا ما تقدم عن الشاعر، وعن قصيدته المشهورة فلن نخوض في أسباب تلك الحرب، ولا مكانها أو زمانها، ولن نتحدث عن نتائجها، فكل ذلك له موقع آخر غير هذا الموقع، كما أننا لا نتحدث عن القصائد التي جاءت للرد على القصيدة، أو من أجل تأييد الشاعر وتأكيد ما قاله فيها، والرد على معارضيه فذلك أيضًا له موضعه، ولكن ما أردنا أن نقدمه إنما هو عرض لحياة الشاعر وتنبيه إلى موقعه في دنيا الشعر النبطي في بلادنا، ومن أراد أن يطلع على ما هو أكثر من ذلك فسوف يراه مبسوطًا في مظانه من الكتب.

إن الحديث عن الشاعر حمود الناصر البدر يأخذنا إلى حديث آخر من الأحاديث المتعلقة بتراث الكويت إنه الحديث عن بيت البدر، هذا البيت التراثي القائم صرحًا من صروح الكويت مستقبلاً بحرها معطرًا بأجواء الماضي الجميل الذي لم يبق لنا منه إلا بعض المؤشرات الدالة عليه مثل هذا البيت.

إنه من نماذج البيوت الكويتية القديمة، بيت لا تزال الدولة تحافظ عليه، وتسعى إلى ترميمه وصيانته باستمرار حتى يبقى مثالاً لنوع خاص من أنواع المساكن التي لا زال أثرها في هذه الأيام، هذا البيت في منطقة القبلة على ساحل

تعرضت للنهب إبل له كانت متجهة إلى خارج البلاد، وقد أزعج الشيخ أن يرى واحدًا من أقرب المقربين إليه قد تعرضت أملاكه إلى ما تعرضت إليه، في حين أنه لم يكن يتوقع ذلك.

كان الحميضي إلى جانب عمله الذي ذكرناه مشتغلاً في التجارة، وتجارته كانت على نطاق واسع، وكان أهم فرع من فروعها بيع وشراء الجمال، كان يجمعها في الكويت، ويعنى بها ثم يصدِّرها إلى الخارج حتى يصل بها إلى مصر، ولم يكن يتولى هذه الأمور بنفسه فإن له عددًا من العاملين الذين يقومون تحت إشرافه بكافة ما يتطلبه مثل هذا العمل، وكان له أناس متخصصون بتكوين القوافل ومرافقتها إلى حيث يحدد لهم صاحب المال المكان الذي يقرره لها وقد ورد ما يدل على نشاط الحميضي في هذا المجال في رسالة كتبها الشيخ مبارك الصباح في اليوم الأول من شهر مايو لسنة ١٩١٢م، وأرسلها إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت، وكان يومها الكابتن شكسبير، والشيخ يرجو من الوكيل أن يكتب إلى الكولونيل السير بيرسي كوكس رئيس الخليج آنذاك بطلب الترخيص في الحصول على عدد من الأسلحة، وبين الحاجة الماسة إلى ذلك، ثم قال إنه ليس من المعقول أن يلتزم بما تريده الحكومة البريطانية بشأن منع السلاح، ثم يحرم نهائيًّا منه على حين أن بلدانًا مجاورة تتوافر بها كميات منه، ويباع فيها بأرخص الأسعار، وبين أن وجود السلاح أصبح ضرورة ملحة إزاء ما يتعرض له عدد من المواطنين وبالذات حين يكونون في خارج المدينة عبر الطرق الصحراوية المكشوفة، وما حصل لأحمد الحميضي مثال على كل ذلك.

ومن رسالته قوله: «أعرض لصويكم السامي شدة احتياجنا إلى السلاح من إلحاح رعيتي عليَّ جميعهم، من الأهالي والعشائر»، ثم يقول: «فالذين الآن يطلبون

السلاح ليس (يبونه) للتجارة، بل يصير بيدهم لأجل المدافعة»، ثم يضرب مثلاً للتعديات التي تتعرض لها بعض القوافل الكويتية قائلاً: «لأننا رأينا تعدي العشائر الخارجة على تجارتنا.. وبهذه الأيام الماضية جملة أباعر إلى تجار أهل الكويت أحمد الحميضي وغيره تبلغ ستمائة بعير مرسلينها بيد عمالهم إلى مصر للتجارة».

وهكذا اتضح فرع من فروع التجارة التي كان يقوم بها أحمد الحميضي من وقع هذه «الرسالة» الوثيقة.

في اليوم الأول من شهر فبراير لسنة ١٩١٧م تلقى أحمد محمد صالح الحميضي رسالة من الوكيل السياسي البريطاني في الكويت رسالة تحتوي على عدد من الأسئلة حول عدد من المسائل التجارية الجارية في الكويت، وكان ذلك لثقة المقيم السياسي بمعلومات الحميضي وصدقه في إجاباته، وقد رد هذا على الأسئلة بكل دقة وإيجاز وكانت رسالته التي احتوت على الرد مؤرخة في اليوم الثالث من فبراير للسنة نفسها، وهذه السرعة في الإجابة دليل على أنه حاضر الذهن وأن المعلومات التي يسأل عنها قريبة إلى متناوله فلم يتأخر أكثر من يوم واحد حتى أرسل الرد المطلوب.

الرسالة التي كتبها الحميضي وأرسلها إلى الوكيل السياسي البريطاني تشمل عدة نقاط، والإجابة كانت تتبع ما أورده الوكيل في رسالته فترد عليها ردًّا موجزًا ولكنه يفي بالغرض.

كان السؤال الأول عن مدى تمكن الكويت من التوسع في تجارتها وكان الرد أن الكويت تعتمد على ما كان يطلق عليه «حدرات أهل نجد» وهي نزولهم من نجد إلى الكويت لشراء البضائع منها، هذا ومعروف أن الكويت منذ القدم كانت تعتمد على تجارة الترانزيت فيبيع تجارها ما تأتي به سفنها من سلع، وبحسب حجم القادمين للتسوق يكون ازدهار التجارة، وهذا هو المقصود من الجواب.

وكان السؤال الثاني عن المراكب (أي البواخر، وكان القصد من ذلك معرفة مدى فائدتها لتجارة الكويت، وقد رد صاحبنا بأن تحميل البواخر من الهند في تلك الأيام كان صعبًا للغاية، وأن تخصيص الحكومة البريطانية لسفن جديدة تديرها شركة (برتش انديا) يقتضي تسهيل أعمال التحميل من الهند بصورة عامة، وعلينا أن نلاحظ هنا أن الفترة التي كانت موضع السؤال والجواب كانت خلال الحرب العالمية الأولى التي بدأت في سنة ١٩١٤م، وانتهت في اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩١٨م، وكان هذا هو سر الصعوبات التي تواجه ناقلي البضائع من الهند وما حولها من مناطق.

وواضح أن المقصود من السؤال هو معرفة مدى فائدة هذه البواخر لتجارة المنطقة، وأن الاجابة على السؤال سوف تكون مهمة لحسن أداء خدمة النقل من الهند إلى الكويت وما جاورها بما يكفل انسياب البضائع وعدم تعطيل حاجة الناس إليها.

كان السؤال الثالث عن الأمر الذي يراه سببًا في تأخير الأموال في الهند، وهل هو سبب زيادة أسعار الشحن، أم غير ذلك؟ وقد أجاب بأن السبب هو في قلة السفن المتجهة إلى الخليج لا غير.

وكان السؤال الرابع عن الخشب، ويقصد بها السفن الشراعية التي يمكن الاستفادة منها عند تنزيل البضائع من البواخر إلى اليابسة، لأن أرصفة ميناء الكويت حتى ذلك الوقت لا تتناسب مع أحجام البواخر ولا الأعماق البحرية المحيطة بها مناسبة لها.

وكان القصد من السؤال معرفة الأسعار مقارنة بأسعار الموانئ القريبة، وكان رد الحميضي أن الأسعار مناسبة بل هي أرخص من غيرها في المنطقة.

وكان تنزيل البضائع من البواخر يتم بهذه الطريقة إلى أن تم انشاء الميناء بأرصفته المتعددة، وتم تعميق المياه البحرية التي تسهل مسير البواخر إلى أرصفة التنزيل.

وهذا السبب لا يعدو ما ذكره في إجابته على السؤال الثاني، ويبدو أن الوكيل السياسي البريطاني كان يريد مزيدًا من التأكيد، وجاء السؤال الخامس عن مدى توافر الأمن في طرق نقل التجارة بواسطة البر، وكان رده أن الطرق آمنة.

وقد رد بهذا الرد على الرغم من تعرض قافلته للضرر وهي في طريقها إلى مصر ذلك لأنه لا يريد أن يمزج حالته الخاصة مع الوضع العام الذي يراه في تلك الطرق المؤدية إلى الخارج، وأن ما حدث له كان أمرًا عارضًا لا يعتبر قاعدة.

والسؤال السادس كان ينص على مدى الحاجة إلى فتح شعبة للبنك البريطاني، فقال إنه لا داعي لذلك في الوقت الحاضر ١٩١٧، وتعقيبًا على هذا الرد فإنه من المعروف أن أول بنك فتح في الكويت هو البنك البريطاني للشرق الأوسط، وكان ذلك في اليوم الثامن والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٤٢م.

وكان السؤال الأخير عن النقود، وهل هي كافية؟ ويمكن الاعتماد عليها؟ وقد رد الحميضي بقوله «وعن الأنواط (النقود الورقية).. الآن في الوقت الحاضر مرغوبة بواسطة قلة الحوالات».

ولا ينبغي أن نستغرب لهذا السؤال فإن النقود التي كانت تستعمل في الكويت - آنذاك - كانت نقودًا هندية، وهي تأتي تحت إشراف حكومة الهند البريطانية بحسب الحاجة إليها في الكويت وحيث أن الوقت الذي يتحدث الحميضي عنه كان وقت حرب، وكان التحويل المالي إلى خارج الكويت منقطعًا فإن الحاجة إلى العملة الورقية (الأنواط) ملحة ومهمة.

وهكذا تنتهي الرسالة، وتنتهي الإجابات التي بدت مقنعة للسائل، ويلاحظ أن أسئلة الوكيل السياسي البريطاني كانت تتناول - فقط - أمورًا تجارية لها علاقة بالتجارة البريطانية وبخاصة فيما يتعلق بحمولات البواخر، وتسهيل شحن السلع، وتأمين طريق النقل، ولا مأخذ على أحمد الحميضي في إجاباته هذه فهو تاجر وتهمه سلاسة العمل في هذا المجال.

فيما يتعلق بالمجلس الذي نشأ في سنة ١٩٢١م، وكان ذلك في بداية حكم الشيخ أحمد الجابر الصباح، الذي تلقى فور تسلمه زمام الإمارة اقتراحًا من بعض الأهالي يتضمن الدعوة إلى إنشاء مجلس شورى يكون له عونًا في إدارة البلاد، وقد وافق الشيخ على هذا الاقتراح، وبدأ مجلس الشورى الأول في عمله برئاسة حمد العبدالله الصقر وعضوية كل من: هلال المطيري، والشيخ يوسف بن عيسى، والسيد عبدالرحمن النقيب، وشملان بن علي، وإبراهيم المضف، والشيخ عبدالعزيز الرشيد، وأحمد الحميضي، ومرزوق الداود البدر، وخليفة الشاهين الغانم، وأحمد الفهد الخالد، ومشعان الخضير.

ولم يعمّر هذا المجلس طويلاً إذ سرعان ما انتهى به الأمر إلى الزوال، وقد قيل إن أهم سبب لذلك اختلافات الأعضاء فيما بينهم.

ولما كان الشيخ عبدالعزيز الرشيد عضوًا فقد واتته الفرصة للكتابة عند هذا المجلس وما حدث له، وقد ذكر ذلك - تفصيلاً - في كتابه تاريخ الكويت.

أما المجلس الثاني الذي نشأ في سنة ١٩٣٨ فقد كان وجوده بعد أن تنادى مجموعة من أبناء الكويت إلى عمل شيء يريح الناس بعد أن عصفت بالنفوس أمور كثيرة أدت إلى التذمر وكادت تفتح المجال لمداخلات أجنبية سوف تكون سببًا في هدم كل ما بناه الآباء لوطنهم، وقد قدم هؤلاء إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح رسالة اقترحوا عليه فيها تشكيل مجلس شورى يتولى دراسة كافة ما يعرض عليه

من شؤون البلاد ويقدم الاقتراحات المفيدة الداعمة لمسيرة الوطن، وقد استقبل الشيخ الوفد الذي قدم الرسالة ورحب به، ووافق على ما جاء في رسالته.

ونشأ المجلس برئاسة الشيخ عبدالله السالم الصباح وعضوية عدد من أبناء الكويت.

كان عمر المجلس قصيرًا هو الآخر فقد امتد عمله من اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو لسنة ١٩٣٨ حتى اليوم السابع عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٣٨ وقد قيل عنه الكثير، ولكن التاريخ سجل للأستاذ خالد سليمان العدساني سكرتير المجلس أنه ألف كتيبًا عن المجلس في الفترة القصيرة التي زاول فيها أعماله، ومما يلفت النظر في هذا الكتيب، ويدل على شيء كثير ما كتبه في البداية، وهو الإهداء الذي جاء فيه: «مولاي صاحب السمو أحمد الجابر الصباح في عهدك السعيد المجيد بدأ هذا الإنشاء الرائع الفريد فلئن حالت دون إتمامه الظروف، فلقد اقترن - على كل حال - جلال ذكره بجلال اسمك، واتسعت لمداه بوادر من رحابة صدرك، وسعة حلمك، فإذا نظرت إليه نظرة العطف والرضا وجدت أنه بهما قمين» طبع الكتيب في سنة ١٩٤٧م.

وكان أحمد محمد صالح الحميضي عضوًا في هذا المجلس.

وفي انتخابات المجلس البلدي التي تمت في شهر صفر لسنة ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢ كان الحاج أحمد الحميضي ضمن اللجنة المشرفة على هذا العمل وقد تكونت اللجنة برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وعضوية الحميضي وكل من عبدالله الساير وموسى المزيدي وعبدالملك الصالح ويوسف العبدالوهاب العدساني.

وكان الوكيل السياسي البريطاني الذي راسل أحمد الحميضي هو الكولونيل روبرت إدوارد هملتون وقد كان في الكويت منذ شهر يونيو لسنة ١٩١٦ حتى شهر مارس ١٩١٨.

وبعد فإنني لا أظن أن فيما قدمت الكفاية، فالحديث عن هذا الرجل ينبغي أن يطول حتى يغطي كافة جوانب حياته الحافلة بالأعمال ولكن - وهذا ما أردده دائمًا - أيام رجالنا غير مسجلة، ولم يعتن أحمد بمتابعة مسيرة العاملين منهم في خدمة الوطن إلا ما ندر، وبخاصة أن الرجل الذي أكتب عنه هنا على الرغم من أنه توفي في سنة ١٩٦٢ إلا أن الفترة التي شهدت نشاطه كانت بعيدة فهو من مواليد سنة ١٨٦٧، ولم يكن بالإمكان العثور على بيانات كاملة عن فترة شبابه ونشاطه ولا فترة ممارسته للأعمال الخاصة والعامة، لذا فإنني أرجو المعذرة عن التقصير لأن الأمر خارج الإرادة.

****

ملحاق خير

في سنة ١٩٢٢م تأسست المكتبة العامة في الكويت، وهي مكتبة أطلق عليها في البداية المكتبة الأهلية، وكان للشيخ يوسف بن عيسى الفضل في ظهورها إلى حيز التنفيذ، وتبرع لها عدد من الفضلاء بالكتب والأموال، يقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «وفي سنة ١٣٤١هـ فتحت المكتبة أبوابها للقراء، وأصبحت موردًا عذبًا زلالاً، ومنهلاً صافيًا للمطالعين، وفيها عدا الكتب عدة جرائد ومجلات راقية، تفضل بها رجال من أهل الشرف والغيرة».

وقد أسندت أمانة المكتبة العامة هذه - فيما بعد - إلى الشيخ محمد محمد صالح وهو رجل محب للعلم، حريص على إيصاله إلى طالبيه، وكان ينظر إلى عمله وكأنه رسالة يقوم بها يبتغي من ورائها الذكر الحسن والأجر والثواب من الله سبحانه قبل كل شيء، ولد الشيخ محمد في منطقة الشرق من العاصمة الكويتية في سنة ١٩٠١م، ودرس مبادئ القراءة والكتابة على يدي والده الذي كان إمامًا وخطيبًا في أحد مساجد منطقة الشرق، وبعد ذلك اتجه الشيخ محمد إلى تلقي دروس في اللغة العربية والفقه على يد الشيخ يوسف بن عيسى الذي اختاره فيما بعد للعمل في المكتبة عند إنشائها ثم اتجه الشيخ محمد إلى تثقيف نفسه تثقيفًا ذاتيًا فاتسع في القراءة وبخاصة في مادتي الفقه وعلوم الدين، وكان محبًّا للاطلاع لا يتوقف عنه إلا لعارض مهم. اشتغل بالتدريس والمراجعة بمعهد الإرشاد والمعهد الديني، وعرض عليه العمل في القضاء ولكنه لم يقبل ذلك.

اسمًا قريبًا من اسم المجلة التي كانا يستذكران أيامهما معها فسميا مجلتهما (البعث) ولم يكن لهذا الاسم عندما أطلقاه أي مدلول سياسي أو حزبي عندهما، بل هما أرادا إحياء اسم البعثة باسم مقارب له، والبعث بعد ذلك كلمة عربية يستطيع كل عربي أن يستعملها ما شاء وهي تعني اليقظة والانتباه ضمن معانٍ أخرى لا نحتاج هنا إلى إيرادها.

وزع الرجلان العمل بينهما بالتساوي فصار الأستاذ أحمد العدواني رئيسًا للتحرير، وصار الأستاذ حمد الرجيب مديرًا لـلإدارة، وبدأ العدد الأول بمقدمة كتبها رئيس التحرير جاء ضمن ما جاء فيها قوله: «إن هذه المجلة تسعى إلى هدفين أساسيين: الأول إنساني صرف، وغايته إحكام الصلة بيننا وبين الثقافة الإنسانية عامة، والاستفادة من كل ما يمكن أن تستفيد منه في هذا السبيل، وغاية الهدف الثاني: علاج مشكلات الكويت الاجتماعية بروح وطنية خالصة رائدها المصلحة العامة وحدها دون النظر إلى اعتبار آخر».

والمتأمل في هذه الكلمات يشعر بمدى التفاؤل الذي يسيطر على الرجلين، فهما ينظران إلى العالم كله بعين وللكويت بالعين الأخرى، ولكن هذا الطموح الكبير لم يتح له أن يصل إلى مبتغاه إذْ سرعان ما توقفت هذه المجلة بعد صدور عددها الثالث، إذ لم يستطع أي منهما أن يتحمل العبء المادي الكبير الذي كانت تستهلكه.

نعود إلى العدد الأول الذي تعكس موضوعاته مدى احتفاء محبي صاحبي (البعث) بهذه المجلة الجديدة إذ كتب لهم الأستاذ عبدالعزيز حسين مقالاً أرسله إليهما من مصر، وكتب مدير معارف الكويت - آنذاك - الأستاذ أحمد درويش يوسف كلمة تحت عنوان تحية رحب فيها بصدور المجلة وهنأ صاحبيها بذلك وشكر لهما همتهما ونشاطهما، وقال إنه يرجو أن تكون (البعث) رسالة الأمل الباسم الذي يداعب نفوس الكويتيين، وكتب الأستاذ عبدالعزيز الدوسري - وكان ناظر مدرسة

المرقاب - مقالاً تحت عنوان «كيف يخسر بعض الطلبة السنة الدراسية»، وكتب الأستاذ صالح شهاب مقالاً عن أندية البحرين.

أما الأستاذ الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري فقد حيّا المجلة الوليدة بقصيدة جميلة مطلعها:

أتت في زيِّها (البعثُ)　　　عروسًا رمزها البعثُ

وضم العدد الأول كذلك مقالاً للأستاذ عبدالعزيز الغربللي سكرتير معارف الكويت، وتحدث الأستاذ محمد الكوه في مقال له عن تصميم غلاف المجلة الذي رسمه بنفسه، وبين ما يقصد فيما رسم، وكتب الأستاذ عبدالله أحمد حسين مقالاً والأستاذ صالح عبدالملك ناظر المدرسة الأحمدية مقالاً آخر، هذا إلى جانب عدد من المقالات، والأنباء المتفرقة، والقصص والنوادر.

لقد توقفت هذه المجلة عن الصدور بعد عددها الثالث ولكن الرجلين لم يتوقفا عن التطلع إلى مثل هذا العمل، وقد جاءتهما الفرصة حين أصدرا مع الأستاذ فهد الدويري مجلة نادي المعلمين المسماة (الرائد) ولهذه المجلة حديث آخر إن شاء الله.

نقفز من العدد الأول لمجلة البعث إلى العدد الثالث والأخير، صورة الغلاف لم تتغير فهي ثابتة في الأعداد الثلاثة التي صدرت، وبداية العدد بقلم رئيس التحرير الأستاذ أحمد العدواني وعنوانها «تقاليد».. ثم تأتي أبيات من قصيدة للشاعر أبي العتاهية، فمقال، فالقسم الثاني من مقال للدكتور عبدالحميد يونس عنوانه «الفن بين المحاكاة والتمثيل»، وجاء بعد ذلك استطلاع صحافي عن مدرسة الصناعات التابعة لشركة نفط الكويت، وهي مدرسة أعدتها هذه الشركة لتدريب المستجدين من عمالها للاستفادة منهم بعد انتهاء مدة تدريبهم في مختلف الأعمال التي تحتاجها في مهمة استخراج النفط، وقد قامت المجلة بتقديم عدد لا بأس

به من الصور التي تمثل الطلاب وهم يدرسون ويتدربون، كما تمثل الأماكن المعدة لغرض التدريب.

وقدمت المجلة بعد ذلك بعض الأبيات المختارة منها أبيات للشاعر الكويتي محمود شوقي الأيوبي.

أما الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فقد واصل مساهمته الأدبية بالكتابة في هذه المجلة، وهذا مقال له تحت عنوان «مع المتنبي» استعرض فيه كتاب الدكتور طه حسين الذي يحمل الاسم نفسه، وقد انتقد كاتبنا كتاب طه حسين ولكن بأدب شديد مع إبراز الأعذار، وقد جاء من ذلك قوله: «وهذا الكتاب وإن حوى بين دفتيه كل هذه الآراء العجيبة، والأفكار الغريبة، لكنه مع ذلك أحرى بالمطالعة الممعنة، وأحق بالدراسة الوافية العميقة، لأنه يمثل جانبًا من نفسية الدكتور ولا أقول يمثل نفسيته كلها، وأردف ذلك بأنه يرى أن الدكتور طه لو عاد إلى ما كتب فيما سوف يأتي من الأيام لربما رجع عن بعض أفكاره المتعلقة بهذا الشاعر الفذ.

وفي صفحة لاحقة جاء موضوع يتضح من توقيعه أنه من وضع هيئة تحرير المجلة، فالموضوع تحت عنوان خواطر سانحة والتوقيع: سائح، ويجدر بنا أن نقف عند هذا المقال لما فيه من موضوعات تدل على ما مضى، فهو يوجه إلى عدد من المؤسسات كلمات تضم انتقادات واقتراحات يتمنى الكاتب الأخذ بها وذلك كما يلي:

١ - إلى دائرة المعارف، وقد أشار الكاتب إلى أن دائرة المعارف في الكويت تسعى إلى فتح مدارس جديدة وتعنى بتعليم الطلاب والطالبات، ولكن الأمر لا ينبغي أن يقتصر على ذلك، فإن تثقيف الناس في خارج المدرسة أمر مهم وينبغي أن يكون هناك اهتمام بتقديم محاضرات لمن يود أن يستزيد من المعرفة ولو كان ذلك عن طريق إحضار عدد من المختصين الذين يملكون القدرة على التثقيف ونشر الوعي بين الناس.

ومما يذكر هنا أن هذه الفكرة اختمرت في أذهان القائمين على دائرة معارف الكويت فأقامت الموسم الثقافي ابتداء من سنة ١٩٥٤ واستقدمت لإلقاء المحاضرات فيه عددًا من كبار الأدباء والعلماء في الوطن العربي، فأفادت كثيرًا بهذا العمل.

٢ - إلى دائرة البلدية، وكان العمل قد بدأ في فتح الشوارع، وتوسيع الضيق منها، واقتضى ذلك هدم الكثير من المساكن، ومع أن أصحاب هذه المساكن يتقاضون تعويضًا مجزيًا إلا أنهم يحتارون في أمرهم لأنهم لن يجدوا مساكن أخرى يشترونها في داخل البلد وقد تولت هذه الرسالة حل المشكلة، وكان هذا الحل هو الذي سارت عليه بلدية الكويت فيما بعد، وهو تنظيم مناطق جديدة تكون مناسبة للسكن وفق أنظمة معينة.

٣ - إلى مديرية الشرطة العامة، وفي هذه الرسالة حديث عن مشكلات المرور الناجمة عن السرعة، ويقترح الكاتب أن تقوم المديرية المعنية بتحديد سرعة السير في الطرقات حتى يأمن الناس حوادث المرور القاتلة وهذا هو ما حدث فيما بعد، وتحرص الإدارة العامة للمرور على تطبيقه.

٤ - إلى دائرة السلكي واللاسلكي، وكانت قد تسلمت العمل حديثًا من شركة أجنبية واستمرت اللغة في تعاملاتها باللغة الإنجليزية، وصاحب الرسالة يرجو هذه الشركة أن تهتم بلغة البلاد وأن تقوم بتحويل كافة البرقيات والمراسلات إلى اللغة العربية، وغني عن البيان أن هذا الأمر قد دخل في مجال التاريخ وتغير الحال عما كان عليه.

٥ - إلى شركة الكهرباء، ولم تكن قد تحوَّلت - بعد - إلى هيئة حكومية، ومن الملاحظ أن تمديد أسلاك الكهرباء في البلاد كان سطحيًّا ومكشوفًا في بعض الأحيان، وفي هذه الرسالة يدعو الكاتب إلى أن تكون كافة الأسلاك الممتدة مغطاة تحت الأرض وهو الأمر الذي تحقق في البلاد منذ مدة طويلة.

وبعد هذا جاءت بعض المقالات ومنها مقال للأستاذ عبدالمحسن محمد الرشيد عن النقد والناقد، وقصة لأحد الأدباء الكويتيين ثم استطلاع حول المستشفى الأميري الذي جرى افتتاحه في اليوم الثامن عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٩م وقد تضمن هذا الاستطلاع بيانات كاملة عن المستشفى بما في ذلك الحديث عن الخدمات التي يقدمها وأسماء العاملين فيه ثم أوردت المجلة مراسلات القراء، ثم نشرت للأستاذ فاضل خلف قصة تحت عنوان «التميمة» وإلى هنا ينتهي العدد.

ويلاحظ أن الموضوعات المتنوعة الكثيرة جاءت في ثمانٍ وعشرين صفحة لا غير، وأن المجلة لم يكن فيها إلا إعلان واحد لا يمكن أن يغطي مصروفاتها الكثيرة، فكانت عبئًا ماليًّا وذهنيًّا على الرجلين اللذين قاما بها مما اضطرهما إلى التوقف كما أشرنا من قبل.

كان حديث القراء إلى المجلة يعكس فرحتهم بها، واعتبارهم لها شيئًا يخصهم جميعًا، لذا فإنك تجد أسئلتهم تنم عن ذلك فهم يسألون مثلاً عن الكمية التي تطبع من كل عدد، ويقترحون بعض المقترحات التي يرون أن من المستحسن أن تأخذ بها المجلة من إضافة موضوعات، أو التوسع في أخرى، واحتج أحدهم عندما بدأت طباعة العدد الثاني في لبنان، وقال (وهو سعودي الجنسية) إنني أعلم بأن الكويت فيها مطابع جيدة، وكان ينبغي أن تستمروا في طباعة مجلتكم حيث أنتم حتى تكون كويتية قلبًا وقالبًا، وقد اعتذرت له المجلة بأن المطابع الموجودة في الكويت هي مطابع تجارية لم تستعد - بعد - لطباعة المجلات وعندما يتم ذلك فإن مما يسعد هيئة التحرير أن تعود إلى ما كانت عليه في العدد الأول.

وهكذا نجد الاهتمام من القراء يأخذ عدة اتجاهات ويدل في الوقت نفسه على تعلقهم بمجلتهم وحرصهم على تقدمها، وبالتأكيد فقد كان أسفهم شديدًا حين توقفت فجأة.

هذا وقد كشف باب «حقيبة البريد» عن بعض الأمور منها أن صاحبي البعث كانا يفكران في إصدار مجلة أسبوعية إضافية إلى مجلتهم هذه، ولكن الظروف لم تسمح لهما بتحقيق ما يصبوان إليه.

ومما عرفنا - أيضًا - أنه قد تصرف (أي وزع) من العدد الأول والثاني ما يقارب ثمانمائة نسخة ولا ندري إن كان هذا الرقم للعددين مجتمعين أم لكل عدد على حده لأن الأمر غير واضح، ولكن قدرة التوزيع آنذاك لا يمكن أن تتعدى معها المنتج من العدد الواحد من المجلة أكثر من أربعمائة نسخة.

لقد كان هم هذين الرجلين تقديم مجلة كويتية ثقافية شهرية، تحمل مشعل التنوير في البلاد في وقت تفتقر فيه ساحة الثقافية والأدب إلى محرك من هذا النوع يبث في الناس الرغبة في الاطلاع ومتابعة كل جديد ويحثهم على التقدم في مضمار الثقافة العامة حتى يستطيعوا خوض السباق مع العالم المتمدن.

ولابد هنا من ذكر نبذه عن هذين الرجلين اللذين دخلا تاريخ الكويت من أوسع أبوابه، فالأول الأستاذ الشاعر أحمد مشاري العدواني، أحد أبناء الكويت الذين بذلوا الكثير من أجلها، كان من أوائل الطلاب الذين أرسلتهم دائرة المعارف إلى الأزهر للدراسة فيه، وكان ضمن البعثة التي اشترك فيها كل من عبدالعزيز حسين، ويوسف العمر ويوسف مشاري الحسن البدر، وخلال دراسته كان نشطًا ضمن طلاب البعثة الكويتية وكان مشاركًا في كافة الأنشطة، ويتجلى نشاطه الأكثر في أشعاره التي يمد بها مجلة «البعثة» التي كان يصدرها بيت الكويت في القاهرة.

عندما تخرج من دراسته انتظم في العمل في سلك التدريس فترة ثم انتقل إلى العمل في الجهاز الفني بدائرة المعارف، ثم تدرج بها حتى صار وكيلاً مساعدًا للشؤون الفنية في سنة ١٩٦٣م وكان مستمرًا في نشاطه في هذه الفترة فأصدر مع حمد الرجيب مجلة «البعث» وشاركه في تحرير مجلة «الرائد» التي يصدرها

نادي المعلمين آنذاك، وتوالت أشعاره خلال هذه الفتر، ولكنه لم يجمعها في ديوان إلا في سنة ١٩٨٠م فصدر في هذا الوقت ديوانه «أجنحة العاصفة».

بعد عمله في وزارة التربية بوظيفة وكيل وزارة مساعد انتقل في سنة ١٩٦٥م إلى وزارة الإعلام، ثم صار أمينًا عامًا للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وكان ذلك في فترة تأسيس هذا المجلس الذي صار مَعْلمًا من معالم الكويت الثقافية بفضل الجهود التي بذلها أحمد العدواني عند التأسيس.

توفي الشاعر في شهر يونيه لسنة ١٩٩٠م بعد أن ترك آثارًا خالدة من الأشعار والأعمال، رحمه الله تعالى.

والثاني هو الفنان حمد عيسى الرجيب، وإذا ذكر هذا الرجل، ذكر المسرح في الكويت، فقد صرف جهده في إقامة مسرح كويتي، فأقامه على أصول فنية راسخة بفضل الخبرات التي يتمتع بها، وتلك التي جلبها معه حين عاد من دراسته، وكلنا يذكر دور زكي طليمات وغيره من الفنانين الذين لبوا رغبة صاحبنا فوقفوا معه في دفع عجلة الفن المسرحي في البلاد، وإذا ذكر هذا الرجل ذكرت الموسيقا فهو فنان مسرحي موسيقي موهوب فيهما معًا.

لا يحجب ذلك أدواره الأخرى التي قام بها منذ نشأة دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل، ثم عمله سفيرًا للكويت في عدة بلدان. ثم وزيرًا للوزارة التي بدأ عمله فيها، ولوزارة الإسكان، مرورًا بعمله ناظرًا لمدرسة الصباح في سنة ١٩٥٢م وكان من أقرب الناس إلى الشاعر أحمد العدواني، شاركه في أعمال فنية وأدبية كثيرة وقد تبين لنا بعض ذلك فيما سبق.

ولد حمد عيسى الرجيب في سنة ١٩٢٤م وانتقل إلى رحمة ربه في سنة ١٩٩٨م، أسكنه الله فسيح جناته.

☆☆☆☆

أما مطبعة الكويت فقد تأسست في سنة ١٩٥٠م وهي السنة التي صدر فيها العدد الأول من مجلة البعث المطبوع بهذه المطبعة.

يقول الأستاذ ابراهيم عبدالعزيز المقهوي الذي كان مديرًا متفرغًا للمطبعة بعد أن استقال من مهنة التعليم التي كان يعمل بها لدى دائرة معارف الكويت واستمر في إدارة عمله الجديد بالمطبعة لمدة سنتين: إن مطبعة الكويت كانت وليدة حاجة سوق الكويت للمواد المطبوعة، بعد ظهور عدد من الأعمال وبخاصة أعمال النفط، وكان مأمور مشتريات شركة نفط الكويت يضطر إلى إرسال مندوب إلى خارج الكويت لطباعة أوراق الشركة مع ما في ذلك من زيادة في التكاليف وفقدان للوقت.

كان مأمور المشتريات المشار إليه هو المرحوم خالد جعفر الذي اقترح فكرة إنشاء المطبعة، واتفق مع السادة حمود المقهوي، ومحمد ملا حسين، ودخيل الجسار على ذلك، وكوَّنوا شركة برأسمال قدره أربعون ألف ربية دفع كل فرد منهم عشرة آلاف ربية، واستأجروا بيتًا كان يملكه السيد عبدالله العوضي كان إيجاره بمبلغ مائة وخمسين ربية شهريًا، وكان موقعه خلف مبنى البلدية القديم بالقرب من مسجد الغربللي القائم حاليًا.

يقول الأستاذ إبراهيم المقهوي: إن المجموعة أوكلت إلى السيد حمود المقهوي مهمة استيراد الورق والمكائن والمعدات من أحرف ومستلزمات تحتاج إليها المطبعة وكان هذا الرجل خبيرًا بهذه الأمور منذ اشترك مع الأستاذ أحمد البشر الرومي في تأسيس مطبعة المعارف التي كانت أول مطبعة في الكويت وذلك في سنة ١٩٤٧م.

وقد جُلبت مكائن المطبعة من أمريكا بواسطة مكتب تجاري في الكويت يملكه جاسم الصانع، وهي مكونة من أربع مكائن متوسطة الحجم.

كان العاملون في مطبعة الكويت من الكويتيين وهم خالد الغيث وأحمد دشتي، وسليم العدساني وجاسم المطر وفهد الجارالله، وقد أنجزت أعمالاً كثيرة للكويت وللمملكة العربية السعودية وبخاصة المنطقة الشرقية منها.

ولم يتذكر أبوأسامة أن العدد الأول من مجلة البعث قد طبع في مطبعته، وقد يكون ذلك قد تم قبل أن يتولى إدارتها، وعلى كل حال فإني أشكر للأستاذ إبراهيم عبدالعزيز المقهوي مبادرته إلى تزويدي بهذه المعلومات عن مرفق مهم من مرافق العمل في البلاد.

****

ملحاق خير

كتبت عن البريد في الكويت أكثر من مرة، وكتبت عن البرق (الذي كنا نسميه التيل) مقالاً كبيرًا، وعرضت كثيرًا مما يتعلق بهذين المرفقين وتحدثت عن كثير من العاملين بهما ولكني - ويا للأسف - تجاوزت دون قصد شخصًا كان ينبغي عَليَّ أن أهتم بذكره، لا لأنه من أوائل العاملين في البريد والبرق فحسب بل لأنه من المفروض أن يكون قريبًا من بالي قربًا شديدًا ذلك هو المرحوم خلف حسين التيلجي، فهو وإن لم تكن لي علاقة مباشرة به، وذلك لسوء حظي فإن لي علاقة مع أولاده تجمعنا المحبة التي دامت سنوات عديدة، وما تزال قائمة والحمدلله.

من منا لا يعرف الأديب الكبير والشاعر والقاص الأستاذ فاضل خلف، ومن منا ينكر المحامي البارز وصاحب جريدة الشعب الأستاذ خالد خلف ومن منا ينسى الأستاذ عبدالله خلف أمين عام رابطة الأدباء وهو الأديب صاحب المؤلفات العديدة والكاتب في صحافة الكويت دون توقف لما يختزنه في نفسه من معلومات وفي عقله من أفكار، فلصلتي القوية بهؤلاء الأفاضل ما كان ينبغي أن أتجاوز والدهم الذي أدت خدمته الطويلة والقديمة في مجال البرق إلى تعلق ذلك باسمه وأصبح لا يسمى إلا خلف حسين التيلجي، وهذا في رأيي تكريم له، وإجلال لوظيفته التي كانت على زمنه من أهم الوظائف، لعلاقتها بخدمة الناس جميعًا.

لقد عمل التيلجي في عدة أعمال في الكويت وفي خارجها، ولكنه عرف بمهنته في البريد والبرق لطول ما استمر في هذا العمل المتصل بمصالح الجمهور الذي كان يترقب طلّته عليهم حاملاً معه برقية أو رسالة تحوي ما تحويه من خير أو غيره.

بدأ عمله هذا في سنة ١٩١٩م وكان سنه سبع عشر سنة، واستمر مثلها في البريد ثم التحق بإحدى الشركات المحلية لمدة عامين افتتح بعدهما محلاً للتجارة، ولما لم يجد توفيقًا في هذا العمل سافر إلى عبادان حيث اشتغل في شركة النفط هناك لمدة أربع سنوات عاد بعدها إلى العمل مديرًا للجوازات ممضيًا في وظيفته هذه سبع سنوات، عاد بعدها إلى العمل الحر إلى سنة ١٩٦١م وفيها التحق ببنك التسليف والادخار ليصير أمينًا للصندوق فيه، وكان هذا الموضع هو آخر المطاف بالنسبة للأعمال التي قام بها إذ إنه تقاعد بعد ذلك بناء على طلبه.

أجرى معه المرحوم عبدالفتاح المليجي مقابلة نشرها في كتابه «رجال وتاريخ» تحدث معه مليًا في كثير من الأمور المتعلقة بعمله، ويبدو أن جلسته معه كانت طويلة بحيث استوعبت تسع صفحات، ومما قاله التيلجي في المقابلة عن الموظفين الذين كانوا يعملون معه، كان هناك مسؤول واحد وكاتب واحد، واثنان من الموزعين أنا واحد منهما وتخصصي البرق، وجاسم عبدال هو الثاني، وعمله في البريد، وذكر أسماء التجار الذين ترد إليهم البرقيات بكثرة فقال إنهم السادة: الحميضي، البحر، الحاج حمد الصقر، عبدالله الفرج، السيد علي، إبراهيم الغانم، والمرزوق والخالد، وغيرهم وكان أكثر متلقي البرقيات الحاج عبدالرحمن البحر وأغلب موضوعاتها عن البيع والشراء (هذا نص عبارته).

هناك تفصيلات كثيرة لا مجال لذكرها كلها ولكنها تدل على كفاح هذا الرجل، وعمله الدائب في خدمة الوطن والمواطنين، وقبل الختام لا بد وأن أنوه بأن من أجل أعماله تربيته لأولئك الرجال الذين ذكرتهم في بداية هذا الملحاق. رحمه الله.

****

من الرموز الكويتية
الشيخ عبدالله الجابر الصباح [١]

لا أجد أحدًا له نشاط واضح في المجالات الاجتماعية والثقافية والتربوية بل والسياسية مثل النشاط الذي كان يبذله الشيخ عبدالله الجابر الصباح، ولا ترى في أيام الكويت الماضية جمعية أو ناديًا أو احتفالاً إلا وجدت هذا الرجل قائمًا مع العاملين والمحتفلين يؤازرهم ويدلي بدلوه معهم، ويدفع الناس إلى المشاركة في الأنشطة المختلفة التي يقومون بها، تراه في الدوائر الحكومية التي رأسها، وتراه في الأندية التي قامت في بداية الخمسينيات وما قبلها وتراه في المحافل العامة وفي المناسبات الاجتماعية على اختلاف أسبابها.

وقد بلغ بي الإعجاب به مبلغًا كبيرًا لدرجة أنني أقول لنفسي وأنا في مستهل حياتي: كيف سنعيش بدون الشيخ عبدالله الجابر الصباح.

كان - رحمه الله - حريصًا على أن يقدم للناس وللشباب منهم بخاصة خلاصة تجاربه، ويقرب لهم ما بعد عنهم من تاريخ الكويت فهو مرجع مهم من مراجعه، لقد كان شابًا مع الشباب، شيخًا مع الشيوخ منبسطًا بعيدًا عن التزمت والكبرياء، وكان في جميع حالاته، عالي الخلق رفيع الأدب لا يشعر المرء معه بالغربة مهما كان فارق السن بينهما.

أسعدني الله بمعرفته، وكنت قريبًا جدًّا منه حتى ولو تباعد اللقاء، فالرجل لا ينسى الذين يحبونه ويقدرون له مكانته وقد كانت بداية اتصالي المباشر به يوم

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٧.

كنت وكيلاً مساعدًا لشؤون التلفزيون في وزارة الإعلام، وقد لبى دعوة الشيخ جابر العلي السالم الصباح فزار هذا الجهاز من أجل أن يطّلع على خفاياه، وقد انتهزنا أنا والأستاذ صالح عبدالملك الصالح وكيل الوزارة آنذاك هذه الفرصة الكريمة لنقوم بتسجيل ما يمكن أن يتحفنا به أبوصباح، وكانت جلسة تاريخية تحت أضواء التلفزيون وأمام كاميراته وبحضور الأستاذ أحمد البشر الرومي والأستاذ سعود الراشد والأستاذ أحمد علي، وقال يومها شيئًا كثيرًا عن تاريخ الكويت السياسي وعن تاريخها الفني، مع شيء من سيرته الذاتية التي تهم الكثيرين معرفتها، وتلفزيون الكويت يحتفظ اليوم بتسجيل ذلك اللقاء المهم، وآمل أن يستمر في المحافظة عليه.

منذ ذلك الوقت توطّدت علاقتي بالرجل، وكنت أراه وأنا تلميذ صغير وأعجب بشخصه الكريم وأسمع عنه من الجميع ثناء عليه واطراء لخصاله الطيبة، لا تحس مع الشيخ عبدالله الجابر الصباح بفارق السن إذا كنت أصغر منه فهو بسيط في معاملته للجميع لا يضع حاجزًا بينك وبينه، وحين عرفته عن قرب وجدته رجلاً ينطبق عليه قول الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي:

كانت مساءلة الرُكبان تخبرني
عن جعفر بن فلاح أطيب الخبرِ
حتى التقينا فلا والله ما سمعت
اذني بأطيبَ مما قد رأى بصري

ولد الشيخ عبدالله الجابر الصباح في سنة ١٨٩٨ وتعلم في الكتاتيب السائدة في وقته، فدرس القرآن والقراءة والكتابة وحفظ سورًا من القرآن ودرس شيئًا من الفقه ثم علّم نفسه بنفسه في ناحيتين إحداهما القراءة وكثرة الاطلاع، والثانية هي مخالطة العلماء والأدباء والأخذ منهم حتى تكونت لديه ثقافة عالية يلتقي فيها مع كبار المثقفين.

بعد ذلك تولى أعمالاً متعددة برز فيها بما جبل عليه من خلق قويم وفهم لمجريات الأمور، وحسن التعامل مع البشر، وقد مهد له هذا القيام في سنة ١٩٢٤ برئاسة النادي الأدبي الذي ضم صفوة الشباب الكويتي، فكان فيه الكتاب والشعراء والمهتمون بالثقافة وكان الشيخ عبدالله الجابر الصباح متحمسًا للمشاركة في هذا العمل الثقافي والاجتماعي الذي كانت الكويت في أمس الحاجة إليه، ولما كان الشيخ عبدالله – بطبعه – محبًّا للأدب ميالاً للمشاركة في الأنشطة الاجتماعية المختلفة، داعية من دعاة التجديد والتطوير، فقد كان وجوده على رأس هذا النادي مدعاة للتفاؤل وإثارة للآمال باستمرار العمل على نهج سليم.

كان هذا في سنة ١٩٢٤ كما ذكرنا وبعدها بقليل أي في سنة ١٩٢٧ بدأ العمل في رئاسة المحاكم وكان له دور مهم في حل كثير من المشكلات التي تعرض عليه، وكان من ضمن هذه المشكلات القضايا المتعلقة بالغوص والسفر، وتولى بعد ذلك شؤون الأوقاف والأيتام، كما تولى رئاسة بعض المجالس الحكومية التي منها على سبيل المثال مجلس بلدية الكويت.

وفي سنة ١٩٣٦م اتخذ التعليم وضعًا جديدًا بإنشاء دائرة معارف الكويت التي تم اختيار الشيخ عبدالله الجابر رئيسًا لها، وقد بدأ بذلك مسيرة طويلة وكفاحًا مستمرًا في ظل ظروف مالية ضيقة، إضافة إلى عدم تقبل كثير من الأهالي لهذه المدارس الحكومية لتعودهم على الدراسة في الكتاتيب، وشيئًا فشيئًا سارت الأمور المالية بصورة ما، وبدأ الأهالي يدركون أهمية النظام التعليمي الجديد وانطلق الشيخ في هذا الطريق، واستمر في قيادة التربية والتعليم منذ تلك السنة حتى نهاية سنة ١٩٦٤م.

وإضافة إلى ما سبق فإننا نورد فيما يلي موجزًا يحتوي على بيان المناصب التي تولاها وهي كما يلي:

١ - رئاسة دائرة المحاكم في سنة ١٩٢٧م.

٢ - رئاسة دائرة بلدية الكويت في سنة ١٩٣٢م.

٣ - رئاسة دائرة معارف الكويت في سنة ١٩٣٦م.

٤ - رئاسة دائرة الأوقاف في سنة ١٩٤٨م.

٥ - رئاسة دائرة الأيتام في سنة ١٩٤٩م.

٦ - صار وزيرًا للتربية في سنة ١٩٦٢م، ثم وزيرًا للتجارة والصناعة في سنة ١٩٦٥م، وبعد أن ترك العمل الوزاري صار مستشارًا خاصًا لأمير البلاد.

وفوق كل ذلك فقد كان فارسًا من فرسان الكويت البارزين، شارك في عدد من المعارك الدفاعية التي خاضتها الكويت، وعلى الأخص في معركة الجهراء التي قامت في سنة ١٩٢٠م حيث كان قائدًا للفرسان، وبسبب إقدامه وعدم تهيبه للمواقف الصعبة أصيب في تلك المعركة.

لقد كان الشيخ عبدالله الجابر ذاكرة الكويت الحية النابضة ينقل في ذهنه دائمًا تاريخ البلاد وأسماء رجالها وأنسابهم. ويتذكر كافة المواقع التي تحتويها الخريطة الكويتية يعرف أسماءها وتحديد أماكنها، وتاريخ ماله تاريخ قديم منها، بل وأسباب ارتباط أسمائها بها. وهو مرجع في كل ذلك بحيث نجد الحاجة إليه ماسة في هذه الأيام عندما يعترضنا أمر نريد الاستفسار عنه على حين كان وجود هذا الرجل يغنينا عن البحث الشديد في الكتب وبين كبار السن عن معلومة نجدها على طرف لسانه يقدمها دون تردد فيفيد السائل من أقرب طريق، ومن ذلك أنه جاء إلى جمعية الخريجين الكويتيين في أحد الأيام محاضرًا عن الكويت فلم يترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الموضوع إلا تحدث عنها، وزاد على ذلك أنه استمع بصدر

رحب إلى عدد كبير جدًا من الأسئلة قدمها إليه الحاضرون، فأجاب عليها كلها من ذاكرة لا تخطئ ولا يؤثر بها مرور الأيام.

وقد آن لنا الآن أن نتحدث عن الجزء الأكبر من اهتماماته، وهذا الجزء ينقسم إلى قسمين، أولهما العمل في المجال التربوي بصفته رئيسًا لدائرة المعارف ثم وزيرًا للتربية، والقسم الثاني: صلاته الخارجية وبناؤه للعلاقات التي أفادت البلاد، ودفعت بعملية التربية، وأفادته شخصيًّا بخبرات كثيرة قلّما يتمتع بها أحد غيره.

ونحن حين نلقي نظرة سريعة على عمله في دائرة معارف الكويت خلال السنوات الأولى من إنشاء هذه الدائرة نجد أنها قد بدأت وفي الكويت مدرستان لا غير، هما المدرسة المباركية والمدرسة الأحمدية، ونجد أن هذه الدائرة قد بدأت العمل وليس أمامها إلا أن تلبي الرغبة في الحصول على تعليم جيد لأبناء الكويت في الوقت الذي تحتاج فيه إلى مزيد من الخبرات ومزيد من الأموال، ومع ذلك فقد كان مجلس المعارف بقيادة الشيخ عبدالله الجابر الصباح جديرًا بالقيام بهذه المسؤولية الوطنية الكبرى.

عندما جاءت السنة الدراسية ٤٨ - ١٩٤٩م كانت الكويت قد أنشأت عددًا من المدارس فصارت فيها إضافة إلى المدرستين اللتين ذكرناهما: المدرسة الشرقية والمدرسة القبلية ومدرسة المثنى ومدرسة المرقاب وروضة البنين المستقلة التي سبق أن كتبنا عنها مقالاً في هذه السلسلة.

ونشأت فروع لتخريج المعلمين والتجارة وظهر المعهد الديني إلى الوجود وتم الاعتناء بالمكتبة العامة وافتتحت مدارس للبنات منها المدرسة الشرقية والمدرسة الوسطى ومدرسة الزهراء، والمرقاب، وافتتحت سبع مدارس في القرى لسد حاجة التعليم فيها ونشطت الحركة الرياضية والكشفية، وقامت دائرة معارف الكويت

بأنشطة مختلفة في مجال الاحتفالات الوطنية والدينية، وأرسلت البعثات الطلابية للدراسة في الخارج، كل ذلك تم في فترة وجيزة وفي ظل ظروف مادية صعبة، ولكن ذلك لا يصبح مستحيلاً على رجال يقودهم الشيخ عبدالله الجابر.

وقد استمر هذا النشاط، وتزايدت أعداد الطلاب والطالبات وتزايدت أعداد المدارس، واتسعت أعمال دائرة المعارف، متجهة إلى عدة مجالات نافعة.

ولم يقتصر عمل دائرة معارف الكويت في عهده على إنشاء المدارس، ومتابعة شؤون الدراسة بل كان من أهم ما كانت تعنى به هذه الدائرة التي يقودها في بناء الإنسان الذي يضاف إلى تعليمه الدروس المقررة ما يكسبه الخبرات في حياته، والنشاط في جسمه وعقله، إذ تهتم بالأنشطة المدرسية والنواحي الفنية بمختلف أشكالها، وبالحركة الرياضية والكشفية وكثير من هذه الأمور التي تكمل بناء شخصية الطلاب والطالبات، وكان قائد هذا الركب الشيخ عبدالله الجابر الصباح لا يدع فرصة إلا وقد انتهزها ليعبر عن تشجيعه للعاملين معه في هذا المجال يحضر احتفالاتهم ومهرجاناتهم ويلبي كل دعوة تأتيه منهم.

وفي هذه الفترة التي شهدت النشاط القوي الذي قامت به دائرة المعارف في مختلف النواحي وجدنا الاهتمام بالمكتبات العامة ورعايتها وفتح فروع لها، وتزويدها المستمر بكل جديد من الكتب، ووجدنا الموسم الثقافي الذي دعي إليه عدد كبير من كبار رجال الثقافة والعلم العرب لكي يلقوا محاضرات استفادت منها الأعداد الكبيرة من المتابعين لهذا النشاط، وذلك إضافة إلى المؤتمرات التي كان من أهمها مؤتمر الأدباء العرب الرابع الذي عقد في الكويت خلال سنة ١٩٥٨م، وكان من أنجح ما عقد له من دورات.

وكثير غير هذا لا يحيط به الحصر، ولكن «موسوعة تاريخ التعليم في دولة الكويت» أوردت الكثير من ذلك وهي موسوعة أشرفت عليها لجنة مختصة وشارك

في إعدادها عدد من التربويين، ونشرتها كل من وزارة التربية ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ومركز البحوث والدراسات الكويتية.

أما في مجال اتصالات الشيخ عبدالله الجابر الصباح الخارجية فإن الحديث عنها يطول، ولكننا سوف نختار فترة مهمة من الفترات التي شهدت حركته في هذا المجال. إذ لا تغيب عن البال كثرة رحلاته بين البلدان، ولا صلاته مع أهالي تلك البلدان، ولذلك فإن أفضل ما نتحدث عنه هنا زيارته لمصر في سنة ١٩٥٣م لأنها زيارة كانت لها نتائجها الطيبة حيث أدت إلى مزيد من توثيق العلاقات بين البلدين الشقيقين، وكذلك بين الشيخ عبدالله الجابر والمسؤولين هناك، وقد بدأ الشيخ نشاطه منذ لحظة وصوله، فقد كان الرئيس المصري محمد نجيب على وشك أن يستقل القطار متجهًا إلى الصعيد حين وصل الشيخ إلى فندقه من المطار ولما علم بعزم الرئيس على السفر هب إلى وداعه في محطة القطار الذي تأجل رحيله بأمر الرئيس المصري حتى يستقبل الشيخ القادم إليه.

كان إعجاب الرجلين ببعضهما شديدًا منذ اللحظة الأولى مما طور العلاقات فيما بعد كما سوف نرى، ولقد شاهد ضيف مصر الكويتي كثيرًا من الأمور، وقام بعدد كبير من الزيارات وكانت هناك دلالتان قويتان على متانة العلاقات أولاهما قيام اللواء محمد نجيب باستقبال الشيخ عبدالله الجابر في مطار القاهرة الدولي متخطيًا الأنظمة السائدة عندهم والثانية انضمام الشيخ عبدالله إلى هيئة التحرير التي لا تقبل في عضويتها غير المصريين.

وقد شارك الشيخ بغرس شجرة في الغابة التي انشأتها الحكومة المصرية وسمتها غابة الكويت، وشارك في اجتماعات اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية بدعوة من رئيسها آنذاك وزير معارف مصر ولم تكن الكويت آنذاك عضوًا في الجامعة، وزار الكلية الحربية المصرية وبعض الوحدات العسكرية ومصانع

الغزل والنسيج في مدينة المحلة الكبرى، وزار الاسكندرية، والتقى الملك الليبي هناك، وقام بتوديعه بمناسبة عودته إلى بلاده بعد مدة طويلة قضاها في مصر.

ولم يترك الشيخ عبدالله الجابر فرصة دون أن يعبر فيها عن سعادته بزيارة مصر والتفاف قيادتها وأهلها حوله. ولذا فقد سجل كلمة للإذاعة المصرية أذيعت في مساء يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٥٣م، وكان مما جاء فيها قوله: «وإني أرى واجبًا عليَّ بمناسبة زيارتي لمصر للمرة الأولى، أن أتوجه لحضرة الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب قائد الحركة المباركة، وإلى رجاله الأحرار في الجيش والحكومة بأجمل عبارات الامتنان، فقد استشعرت من عطفهم وحسن استقبالهم، ما ألهج لساني بالشكر، والدعاء لهم، ولمصر الفتية بالنجاح والتوفيق».

وردًا على قيام الشيخ عبدالله الجابر الصباح بغرس الشجرة في الغابة المصرية، أهدت حكومة مصر للكويت شجرتين من أجل غرسهما في الكويت تعبيرًا عن العلاقات القائمة بين البلدين، وقد تم غرسهما في احتفال كبير أقيم في ثانوية الشويخ حيث تم الغرس في يوم الخميس التاسع من شهر أبريل لسنة ١٩٥٣م بحضور الشيخ عبدالله الجابر وجمع غفير من المسؤولين وأبناء الكويت وأبناء الجالية المصرية في الكويت، وبعثة الشرف المصرية التي كانت ترافق الشيخ.

وكانت قد أقيمت للشيخ عبدالله الجابر في مصر حفلات كثيرة منها الحفلة التي أقامها بيت الكويت هناك وحفلة كبرى أقامها ضباط الجيش المصري.

إن السيرة الذاتية للشيخ عبدالله الجابر الصباح سيرة غنية بالعمل، حافلة بالخدمة الوطنية، مليئة بمحبة الناس له ومحبته لهم، لا يكفي الحديث عن هذا الرجل مقال، ولضيق المجال فإن هذا هو أقل ما يمكن أن يقال، ولكن الرجل يستحق الكثير.

****

الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة [1]

هذا حديث قلَّت الكتابة عنه، حتى ليكاد ينسى، وأرى أن أمراً من الأمور مهما صغر مما مر بالكويت في ماضيها جدير بأن يسجل، حتى إذا سألنا عنه وجدناه مكتوبًا.

هذا الحديث ينصب على كتاب «الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة» لمؤلفه عبدالمسيح أنطاكي. وهو فيما يبدو كتاب غير مرغوب فيه لأنه ولد ميتًا على يدي كاتبه وإذا أردنا أن نتكلم عن هذا الموضوع فلا بد من الحديث عن ثلاثة رجال تدور حولهم حكاية هذا الكتاب.

أما الأول فهو الشيخ مبارك الصباح، وهو وإن كان معروفًا للجميع باعتباره أحد أبرز حكام الكويت، فإنه لا بد لنا من إيراد شيء من ذكره إذ قد يكون ذلك مفيداً لمن لم يلمّ بتاريخ هذا الرجل.

مبارك بن صباح بن جابر الصباح. تولى حكم الكويت في سنة ١٨٩٦م، وقد أبرز اسم البلاد في الخارج، وكانت له اتصالات عديدة مع الدول الأخرى، واستقبل كثيراً من المندوبين الذين أرسلتهم دولهم بغية الإستفادة من بعض الامتيازات التي تتيحها الكويت، وهو الذي وطّد حدود الكويت، وسهر على استقلالها وتقدمها وعلى استتباب الأمن والطمأنينة فيها.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٣/١٤.

حدثت في عهد الشيخ مبارك الصباح أحداث كثيرة كان من أهمها إبرام الاتفاقية المرقمة ٣٦ مع بريطانيا، وذلك في سنة ١٨٩٩م، التي استمر العمل بها حتى اليوم التاسع عشر من شهر يونيو لسنة ١٩٦١م، وقد كفل ذلك الاتفاق حماية الكويت من الأخطار، وضمن استمرار الحكم في ورثة الشيخ مبارك، وفي مقابل ذلك فإن الشيخ لا يتعاقد أو يتفق على أي أمر مع دولة أخرى إلا بعد التشاور مع بريطانيا، ولم يكن لها الحق في التدخل في شؤون البلاد الداخلية الأمر الذي جعل الاتفاق ساريًا دون خلافات إلى حين انتهائه في الفترة التي ذكرناها.

أما الرجل الثاني فهو الشيخ خزعل بن جابر بن مرداو، أمير المحمرة التي هي اليوم جزء من خوزستان الإيرانية، وكان يطلق عليها أحيانًا عربستان لكثرة ما فيها من العرب، تولى الحكم في سنة ١٣١٥ هـ التي توافق سنة ١٨٩٧م، وتوفي في سنة ١٩٣٦م، وكان والده وأخوه الأكبر مزعل حاكمين لها على التوالي، قبل أن يقوم خزعل بحكمها.

كان الشيخ خزعل محبًّا للأدب، مكبًّا على التبحر في الفقه وله بعض المؤلفات، وقد قدم إليه عدد من الشعراء ومدحوه فأغدق عليهم العطايا وكان محبًّا للعمران فأنشأ عددًا من المنشآت في إمارته، واعتنى بنظمها وترتيبها وكان محبًّا لأشياء أخرى لا مجال لذكرها.

وألفت عنه كتب، توفي في طهران بعد أن أمضى فترة بها بعد خلعه واستيلاء الحكومة الإيرانية على بلاده في حيلة لا مجال لسردها، وذلك في سنة ١٩٢٥م.

أما الثالث فهو عبدالمسيح بن فتح الله أنطاكي، وهو صحافي وشاعر وكاتب ولكن مستواه الفني في كل ذلك هو مستوى الكتابة في أيامه، حيث الكثير من المبالغات، والكثير من الأسجاع، ولكنه كان مقبولاً في وقته عند بعض الناس..

كانت أصول هذا الشاعر الصحافي قد نزحت من اليونان إلى أنطاكية التركية بالقرب من الحدود السورية، وفي هذا البلد ولد وعاش طفولته، ومنها سمي الانطاكي، ثم انتقل مع عائلته إلى حلب القريبة من أنطاكية ونشأ بها، أكب على القراءة، والاطلاع على كل جديد، وأحب الشعر ونظمه منذ بداية حياته. وألف عددًا من الكتب، وأصدر مجلتين أولاهما «الشذور» الشهرية، التي نشر منها عشرة أجزاء، والثانية أصدرها فيما بعد عندما انتقل إلى مصر في سنة ١٣١٥هـ التي توافق سنة ١٨٩٧م، وهي «العمران» التي استمرت لمدة اثنتي عشرة سنة وبالقاهرة مات في سنة ١٩٢٣م.

كان كثير التجوال بين البلدان، كثير المديح للمسؤولين فيها، ولكن اتصاله بالشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل أفاده كثيرًا وجعل له ذكرًا بين الناس، وقد كان لصلته بهما نفع كبير له، يدل على ذلك ما ترك من شعر ونثر فيهما، فإن هذا العدد الكبير من القصائد والمقالات والكتب لابد وأن تكون قد صدرت من شخص وجد في ممدوحيه ما أغناه عن الآخرين ورفع ذكره.

لم يكن الأهالي يحبون عبدالمسيح أنطاكي، ولم يكن له اختلاط مع أحد منهم أبدًا، لأنهم قرأوا ما كتب فوجدوه كلامًا بلغ من الرياء والنفاق أمراً تشمئز منه النفوس، وقد أورد الشيخ عبدالعزيز الرشيد شيئًا عنه معبراً عن إحساس الكويتيين تجاهه، وكان يرى أن الشيخ مبارك إنما قربه لأنه يعرف أهمية الصحافة فيما يتعلق بالدفاع عن مواقفه، ولأنه يرغب في إيصال أفكاره إلى الناس كافة عن هذا الطريق، ولكنه اختار الشخص السيئ لهذا الأمر.

قال الرشيد عن أنطاكي: «كان يتردد إلى الكويت وقد أوقف جزءاً كبيراً من جريدته لهذا الغرض، ولكن يؤسفنا أن كل ما خطته أنامل ذلك الكاتب كذب صراح، وافتراء محض، ولا عجب فعبدالمسيح قد عاهد نفسه ألا يتفوه بكلمة يقال له فيها: «صدقت»».

وعلى هذا فإن الرشيد يرى أن اختيار هذا الصحفي للمهمة المرجوة إنما هو اختيار غير موفق لأن من انفضح أمره في الكذب كانفضاح عبدالمسيح حتى صار مضرب الأمثال فضرره أكبر من نفعه، وهذه هي عبارة الشيخ عبدالعزيز الرشيد، ومما يدل على أن ما كتبه هذا المؤرخ ليس رأيًا فرديًّا فقد شاع الرأي في عبدالمسيح بين الناس، وبلغ مسامع الشيخ مبارك ما قيل عن كتابه: «الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة»، فأمر بوقف توزيعه في الكويت، فمات الكتاب منذ ذلك اليوم، ولم يعد أحد يذكره فيما عدا المختصين بتاريخ الكويت ولاسيما في زمن حكم الشيخ مبارك الصباح.

طبع الكتاب الذي أوردنا ذكره فيما سلف بمطبعة العرب بالقاهرة في سنة ١٣٢٥هـ التي توافق سنة ١٩٠٧م، وهو مكون من عدة رسائل كان ينشرها في مجلة «العمران» سالفة الذكر، يصل مجموعها إلى ثلاث وعشرين رسالة، وهو عندما جمعها للطبع حرص على أن يضع للكتاب مقدمة يتحدث فيها عن هدفه من النشر، وعن ظروف كتابته لهذه الرسائل، وعن الظروف العربية بعامة في ذلك الوقت.

وعندما وضع عنوان الكتاب على الغلاف لم يشأ أن يصف نفسه بالمؤلف، بل كتب «وهي قسم من سياحة الفقير إليه تعالى» خادم العربان وصاحبُ العمران: «عبدالمسيح أنطاكي بك.

كانت الرسائل الواردة في كتاب الأنطاكي المسمى «الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة» تحكي مشاهداته منذ غادر مدينة بوشهر الإيرانية متجها إلى المحمرة «عربستان» على متن باخرة أقلته إلى هناك. كان يأمل في لقاء الشيخ خزعل بن مرداو أمير تلك البلاد، لكنه لحسن الحظ – كما يقول – وجد أن الشيخ مبارك الصباح مع ابنه الشيخ حمد وحفيده الشيخ عبدالله السالم الصباح في ضيافة شيخ المحمرة، وكانت عند الأنطاكي رغبة شديدة في لقاء الشيخ مبارك ولكنه لم

يجد أن خط سير الباخرة يمر بالكويت، وقد تحققت رغبته عندما وجد الشيخ في زيارة لصديقه حاكم المحمرة.

كانت بين الشيخين علاقة متينة، وصداقة، امتدت فترة من الزمن، وكانت الزيارات المتبادلة بينهما مستمرة، وقد أحب الشيخ خزعل الكويت وأمضى فيها زمنًا وبخاصة بعد أن ابتنى له قصرًا في المنطقة القريبة من قصر دسمان. وكما قلنا من قبل عن حياته، فإنه عاش إلى زمن الشيخ أحمد الجابر الصباح، وكان إلى آخر أيامه محبًّا للكويت حريصًا على استمرار علاقته بها.

وصف الأنطاكي مجالس الشيخين في الفيلية التي هي مقر حكم الشيخ خزعل، وتحدث عن السهرات التي يقضيانها مع مرافقيهما في تبادل الأحاديث والأشعار والاستماع إلى أشخاص مثل الأنطاكي ينقلون إليهم القصص والحكايات المسلية، وكثيرًا من الأخبار، ثم تحدث عن رحلات الصيد التي يقومان بها ووصفها شعرًا ونثرًا، وأتى على ذكر اللقاءات والاستعراضات التي تمت أثناء وجوده هناك، ثم تحدث عن عودة الشيخ مبارك الصباح إلى الكويت وعودته معه بناء على دعوة منه، ومن الكويت سافر عن طريق البصرة إلى الهند كما جاء في آخر الكتاب.

هذا الكتاب كما ذكرنا ليس إلا سلسلة مقالات تصف ما دار في رحلة المؤلف إلى الكويت والمحمرة وأسلوب كتابته أسلوب قديم لم يعد مطروقًا في هذه الأيام، ويغلب المديح المبالغ فيه وألفاظ التفخيم التي لا داعي لها على كثير مما جاء في كافة المقالات أو الرسائل كما سماها في الكتاب، ولكنه على كل حال يتحدث عن فترة مهمة يعرف البعض جزءًا مما دار خلالها ويجهلها الكثيرون بكاملها والاطلاع عليه يفيد من هذه الناحية.

أنا شخصيًّا – لم أستفد – من قراءة هذا الكتاب إلا بأمرين فقط هما: حديثه عن الشيخ حمد المبارك الذي قلَّ الحديث عنه فيما ورد إلينا من كتب بسبب وفاته

المبكرة، وكان الشيخ مبارك يحبه ويسند إليه الكثير من المهمات، والأمر الثاني ذكره الشيخ عبدالله السالم الصباح فقد تبين لي من هذا الكتاب أن الشيخ عبدالله كان يرافق جده في بعض الرحلات ومنها هذه الرحلة التي تحدث عنها أنطاكي.

يتساءل الناس في الكويت عن أهداف الزيارات المتعددة للشيخ مبارك الصباح للمحمرة حيث مقر حكم الشيخ خزعل، والواقع أن الشيخ مبارك يقضي وقته كله في الكويت، ولا يقوم بأية أسفار خارجها ولذا فإنه إذا أحب أن يرتاح من عناء العمل الذي كان يقوم به في حكم البلاد وحراستها من أعدائها فإنه لا يجد مكاناً أقرب إليه، ولا صديقاً يأنس به إلا المحمرة والشيخ خزعل الذي ربطته به صداقة قوية، واستمر حاكم المحمرة على وفائه للكويت مدة طويلة بعد وفاة الشيخ مبارك، وهو (أي الشيخ خزعل) كان أيضاً كثير التردد على الكويت يزور صاحبه الشيخ مبارك، وكانت له في الكويت أملاك لايزال الناس يشيرون إليها وإن لم تعد من أملاكه بعد أن تم التصرف بها بيعاً.

إذن: فما هي طبيعة هذه الرحلات المتبادلة بين الرجلين؟ وكيف يقضي الشيخ مبارك وقته في المحمرة والفيلية وباقي المناطق التي يصحبه إليها صديقه الشيخ خزعل بن جابر؟ إن كتاب «الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة» إذا نزعنا منه بعض المبالغات التي لا داعي لها وهي تناسب أساليب الكتابة في عصر مضى، فإننا سوف نجد بعض التفصيل، ونحصل - بالتالي - على الإجابة المطلوبة.

ولئن كنا قد تحدثنا عن الكتاب وعن مؤلفه فإننا ملزمون في هذا الموضع من مقالنا بالحديث عن الزيارات وطبيعتها رداً على التساؤلات التي مرت بنا.

عندما تحدث الأنطاكي عن وصوله إلى الفيلية، وقد اكتشف أن الشيخ مبارك كان موجوداً هناك، ولكنه أبلغ بأن الشيخ خزعل لا يأتي إلى قصر الحكم إلا متأخراً في الأوقات التي يكون صاحبه في زيارته تقديراً لوجوده عنده.

ولذا فقد تم انتقاله إلى قصر الضيافة حيث كان الأميران في انتظار هذا الشخص، الذي وصف طريقه إلى هذا الموضع وصفاً دقيقاً ذكر فيه ما رأى من مبانٍ ويخوت كان آخرها اليخت الخاص بالشيخ مبارك، ثم تحدث عن اللقاء والاستقبال الحسن الذي استقبلاه به قائلاً: «ولم أبلغ باب الإيوان حتى نهض الشيخان تنازلاً للقائي وجبراناً لخاطري فأسرعت إليهما وقبلت راحتيهما، وتلعثم لساني عن الكلام لهيبة المقام»، وفي هذا المجلس ألقى قصيدتين خص كل واحد من الشيخين بواحدة منهما، ثم ارتجل كلمة طويلة ذكر فيها خدماته لهما وللعرب كافة ووصف لهما كيف أوصلته المقادير إلى مقرهما وذلك اعتبره نوعاً من حسن الحظ.

بعد أن استقر به المقام أخذ في التجوال في مدينة المحمرة التي ذكر موقعها، وأجناس سكانها، وأهم ما فيها من المباني، كما وصف أسواقها المفروشة بالبلاط والموزعة على التجار كل بحسب نوع بضاعته.

ثم تحدث في فصل كامل عن الشيخ خزعل وعدد أعماله في بلده، وذكر شمائله وخصاله، لينتقل بعد ذلك إلى وصف رحلة من رحلات الصيد قام بها الشيخان، وقد قدَّم لوصف هذه الرحلة بمقدمة تاريخية مملة لا داعي لها عن الصيد في خارج هذه المنطقة التي كان فيها.

وبعد إسهاب آخر تحدث عن خروج الشيخين من مقر إقامتهما إلى الصيد، يقول: «وعند الظهر صدر أمر سمو سيدي الشيخين الجليلين أعز الله بهما الإسلام بالمسير، وفي الحال صدحت الموسيقى الخزعلية من القصر الخزعلي العالي بسلام الوداع، وصفرت اليخوت صفير الوداع أيضاً، وأخذت ثلة من الحرس الخزعلي في القصر السلام بضرب البنادق في الفضاء»، وهكذا يستمر في الوصف حتى يصل

اليخت إلى منطقة قارون وهي تكتب اليوم بالكاف فيقال (كارون) وهناك حط الرحال، وأمضى الجميع السهرة، حيث استمع الساهرون إلى أحاديث منوعة وإلى أشعار منمقة من الأنطاكي والشيخ عبداللطيف الجزائري، والشيخ محمد مطلق وهما من حاشية الشيخ خزعل، وقد اختتمت هذه السهرة بقصيدة طويلة كتبها وألقاها صاحب كتاب «الرياض المزهرة» في الجلسة ذاتها، وفي الختام يقول: «ثم قضينا السهرة بين نكتة هزلية، وفكاهة أدبية، وبعد ذلك انفضّ الاجتماع».

كان أول يوم من أيام الصيد هو يوم السبت الثامن عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٠٨م، وقد بدأ الحديث عنه بقوله: «أصبح الصباح ونادى إمام سمو مُعز السلطنة بحيَّ على الفلاح، وهبّ من في الباخرة إلى الوضوء فالصلاة، ثم تناولنا على مائدة سمو الشيخ طعام الفطور، وانتهى بعد تفصيل كثير للموجودات في مخيم الصيد.

وبعد يوم حافل كان السمر ليلاً كالعادة السابقة يتفوق فيها الشعر وتحكى الحكايات الطريفة، وهنا تنتهي الرحلة.

ينتقل بعد ذلك إلى نشاط آخر من الأنشطة التي تقام بمناسبة حلول الشيخ مبارك الصباح في تلك الديار وهو الاستعراض، حيث يقوم أعداد من أبناء القبائل التي تقطن هناك بعرض ما لديها من فعاليات وبخاصة الفعاليات الحربية التي يتقدمها راكبو الخيل، وقد ذكر أن تلك الأعداد تقرب من الخمسة آلاف رجل، وبعد ذلك قام الشيخ خزعل باستعراض جيشه الذي لم يدع الفرصة تفوت هذا الصحافي فقام بالحديث وإلقاء الشعر بهذه المناسبة، وكانت كلمة طويلة مملة كلها مبالغات إن لم نقل نفاق، وبعد الطعام قامت مناورة حربية بحرية بين قسمين من أقسام جيش السلطنة وفي الليل كان السمر الذي لم يخرج عما كانت عليه الأسمار السابقة التي ذكرناها.

وأخيرًا وصل إلى نهاية الرحلة، ووصف وداع الشيخ خزعل لضيفه، وقد حرص الأنطاكي على أن يصحب الشيخ مبارك إلى الكويت.

استغرق أمر الإبحار من الفيلية حيث مقر الزيارة إلى الخروج من الحدود العراقية وقتًا طويلاً كانت فيه استقبالات من المسؤولين الذين جاءوا للسلام على الشيخ مبارك وكانت فيه عدة قصائد ألقاها الأنطاكي واقتصرت سهرة ليلة السفر إلى الكويت على الأحاديث وعلى ما لابد منه وهو قصيدة أخرى لعبدالمسيح الأنطاكي.

في فجر يوم الأحد الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٠٨م كانت بداية هذا اليوم كما ذكر الأنطاكي إذ «نادى مؤذن سمو مولانا المعظم بحي على الصلاة، فهب سمو مولانا الشيخ فتوضأ، وقام للصلاة، فصلى ومن خلفه معيته السنية صلاة جامعة»، ثم صدر أمر الشيخ بالمسير، وتمت الإجراءات الوداعية المعتادة، وسار الركب إلى الكويت التي تم الوصول إليها بعد خمس ساعات، وكان الاستقبال الذي لقيه الشيخ حافلاً يتقدمه الشيخ جابر والشيخ ناصر نجلا الشيخ مبارك وعدد كبير من الناس. وكان ختام هذه قصيدة طويلة بمناسبة الوصول إلى الكويت. بعد ذلك دُعي إلى لقاء الشيخ جابر المبارك الصباح. وقد وصف مجلسه وصفًا جيدًا وألقى أمامه قصيدة طويلة نالت - كما يقول - إعجاب الحاضرين. وبعد صلاة العشاء حضر مجلس الشيخ مبارك الذي رحب به وقدمه إلى الحاضرين بصفته صاحب مجلة العمران. ثم قال قصيدة كما هي عادته، ألحقها بخطبة طويلة.

قام بعد ذلك بجولة يرافقه فيها أحد خدم الشيخ مبارك اطّلع فيها - من الداخل - على قصر السيف وما يحتوي عليه من قاعات ومرافق ورياش، وبعد عودته من هذه الجولة زاره الشيخ ناصر المبارك، وكان عمره آنذاك يناهز الخامسة

والعشرين ولكنه كان – على الرغم من أنه كفيف – مطلعاً عالماً صاحب مكتبة خاصة كبيرة تضم أمهات الكتب. وقد استمع كل منهما للآخر، وتُوِّج اللقاء بقصيدة من الأنطاكي.

ثم بدأت الجولة الثانية، وهي في هذه المرة حول مدينة الكويت، وقد تحدث عن موقعها وعن سكانها وعن الشيخ مبارك الذي يرعى هذه البلاد ويحرص على مصالحها ومصالح أهلها في الداخل والخارج. وتحدث عن تربة الكويت والزراعة فيها، وعن الأمن والعدل في الأحكام، وعن مجلس الشيخ في وسط المدينة وهي المجلس (الكشك) الذي يحل فيه مشاكل الناس الذين يتقدمون إليه بشكاياتهم، تحدث الأنطاكي – أيضاً – عن الحركة العلمية، وعن آداب الكويتيين، ثم تحدث عن دار الضيافة ووصفها وصفاً دقيقاً.

في اليوم التالي حضر إلى مجلس الشيخ مبارك الصباح وألقى قصيدة طويلة من قصائده التي لا تنفد، ثم شارك بحضوره استعراضاً على ظهور الخيل، وقد نال هذا الاستعراض منه قصيدة أخرى.

من المعروف أن مبارك الصباح كان يُصغي – دائماً – إلى كل ذي شكوى، وكان حريصاً على العدل بين المواطنين ولكن الأنطاكي عندما حضر أحد مجالس الشيخ، وفيه الكثير مما يقال عن الشيخ مبارك إلا أن صاحبنا لم يكتف بذلك، فأخذ يورد بعض الحكايات والأشعار وينسبها إلى هذا المجلس، ومن ذلك قوله: «ثم دخل عليه رجل من البادية وكان ماسكاً زمام تاجر من الكويت وقال: أبيت اللعن يا أبا جابر..» وهذه العبارة لا يمكن أن تصدر إلا إذا كان الأنطاكي قد شاهد في ليلته السابقة فيلم عنتر وعبلة.

كان ختام كتاب «الرياض المزهرة بين الكويت والمحمرة» عرض لصفات الشيخ مبارك الصباح مما هو معروف عنه لدى القاصي والداني، ثم وصف وداعه للشيخ

ومن في معيته، وللكويت كلها، ثم رحيله ونهاية حديث الشعر الذي يكاد يغطي أكثر من نصف صفحات الكتاب.

هنا قد يتساءل القارئ: ما هو السبب الذي دفعني إلى الكتابة عن الانطاكي وكتابه؟ والواقع أنني أجبت على هذا السؤال منذ البداية، ولكنني أعود فأقول: لقد كتبت ما كتبت لكي يعرف الناس ما لا يعرفون عن هذا الكتاب. ولكي يعرفوا – وهذا هو المهم عندي – طبيعة العلاقة بين الشيخ مبارك الصباح وصديقه الشيخ خزعل ابن جابر، وعن الأجواء التي كانت سائدة – آنذاك – في الكويت وفي المحمرة، ولم يكن فيما قدمت أي إطراء لعبدالمسيح أنطاكي لأنه لا يستحق الإطراء ولكننا ينبغي أن نكون على علم بما كتب، فهل هذا الإيضاح كافٍ؟ أظن ذلك.

****

الشيخ أحمد خميس الخلف (١)

في العدد المرقم خمسمائة وواحد وسبعين من الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» صدر مرسوم أميري بتوقيع المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح مؤرخ في السابع والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٦٦م يُعّين بموجبه الشيخ أحمد خميس الخلف مستشاراً بمحكمة الاستئناف العليا اعتباراً من أول أبريل من العام نفسه، وكان الشيخ أحمد الخميس يعمل قاضيًا في محاكم الكويت منذ أمد بعيد تدلنا عليه صورة نشرتها مجلة البعثة الكويتية في شهر أبريل لسنة ١٩٥٠م.

تحدثت هذه المجلة عن المحاكم في الكويت وعن جهود الشيخ عبدالله الجابر الصباح التي أدت إلى تنظيمها، وضمان حسن سير العمل فيها، وضمت الصورة عدداً من القضاة منهم الشيخ أحمد الخميس الخلف والشيخ أحمد عطية الأثري بجانب عدد من القضاة من أبناء مصر الذين قدموا للمشاركة في العمل بمرفق القضاء في الكويت.

ولد الشيخ أحمد خميس الخلف في الكويت إبان سنة ١٨٩٣م. واسم عائلته الجيران، ولكنه تَسمّى باسم الخلف نسبة إلى خاله العالم الفقيه الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، وكان هذا الشيخ معلمًا له ومربيًا، ومتابعًا لدراسته رغبة منه في الوصول به إلى مرتبة العلماء. وقد درس في الكويت وخارجها وقام بالتدريس - كذلك - في الكويت وفي خارجها.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٣/٢١.

وفي الكويت كان مدرسًا في مدرسة السعادة التي أسسها المرحوم شملان ابن علي آل سيف، وكان مشاركًا للأستاذ عبدالملك الصالح في مدرسة خاصة تُعَلِّم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وتقوم بتحفيظهم القرآن الكريم.

لقد كان الشيخ عبدالله الخلف الدحيان حريصًا علىٰ تقدُّم ابن أخته الشيخ أحمد الخميس، متابعًا له وهو يسعى إلى تحصيل العلم في خارج الكويت فكان يوصي عليه من يعرف من العلماء، ويكتب إليه الرسائل موجهًا وناصحًا. وقد بلغ من حرصه عليه أن بلغت مراسلاته إليه مقدارًا كبيراً عثر منها على نحو سبع وثلاثين رسالة. وكلها تدور حول الاطمئنان عليه وعلى سيره في الدراسة، وفيها نصائح تتعلق بأسماء الكتب التي يقترح عليه قراءتها والعلوم التي ينبغي أن يتجه إلى دراستها، والعلماء الذين يرى الشيخ عبدالله ضرورة استفادة ابن أخته من علمهم لمعرفته بقدراتهم العلمية، وهكذا.

الا يحق للشيخ أحمد خميس الخلف أن يتسمى باسم خاله بعد أن لقي منه كل هذه العناية والرعاية والمتابعة والمحبة الصادقة التي نمت عنها رسائله إليه.

اختير الشيخ أحمد الخميس في سنة ١٩٨٣م عضوًا في المجلس البلدي، ثم صار قاضيًا من الدرجة الأولى في اليوم الثاني عشر من شهر أبريل لسنة ١٩٦١م، ثم صار مستشارًا في محكمة الاستئناف في اليوم الأول من شهر أبريل لسنة ١٩٦٦م.

وكان إلى جانب ذلك كله إمامًا وخطيبًا في مسجد البدر خلفًا لخاله الشيخ عبدالله الخلف، وفي شهر يوليه من سنة ١٩٧٤م انتقل الشيخ أحمد إلى رحمة الله تعالى مأسوفًا عليه من كل من عرف قدره وعلمه وسعد بحضور مجالسه وسماع وعظه.

أعتبر نفسي محظوظًا لأنني عشت تلك الفترة التي كان فيها الشيخ أحمد خميس الخلف إمامًا وخطيبًا في مسجد البدر، وإنني حضرت تلك الأيام والليالي

الجميلة التي كانت عابقة بروح الإيمان، مليئة بكل ما يدفع بالنفس إلى حب الخير وحب الغير، كان مسجد البدر في ذلك الوقت الذي أقصده وهو الوقت الذي امتد بالنسبة لي من سنة ١٩٤٨م حتى سنة ١٩٥٨م منارة مشعة بفضل إمامة الشيخ أحمد الخميس، ثم بفضل تلك الكوكبة الرائعة من الرجال المصلين الذين تحيط بهم السكينة وتملأ نفوسهم التقوى.

للشيخ أحمد الخلف صوت جميل ينشد أشعار المدائح النبوية في مجلسه بين صلاتي المغرب والعشاء فيسعد الحاضرين، وكان رقيق الأسلوب واضح العبارة، حريصاً على أن تكون خطبه في يوم الجمعة في متناول الحضور، وأن يذكر فيها الأشياء التي تحدث في وقته، فينتقد الخطأ وينصح ويوجه.

والآن هدم مسجد البدر وأزيل من موقعه دون سبب، بل إن المار على موقعه ليجد أن هذا الموقع لا يزال أرضاً فارغة لم يحتج لها بعد هدم المسجد.

وهذا الموقع أمام الطريق الساحلي في الجزء الشمالي الغربي من متحف الكويت الوطني.

كان مسجد البدر حين رأيته لأول مرة مبنيًّا من الطين المغطى بطبقة من الجص، وفي داخله بعد الساحة الخارجية المسماة صحن المسجد إيوان، ثم المصلى الرئيسي (ويسمّى في لهجتنا الخلوة) الذي يدخل إليه المصلون من عدة أبواب، وفي صدر هذا المصلى يوجد المحراب والمنبر، ويعتمد الإيوان والمصلى على أعمدة تنتهي بأقواس مزخرفة بمادة الجص تعطي المسجد منظراً جميلًا وجلالًا باهرًا، وكان مؤذن المسجد في فترة طويلة السيد سليمان بلال الشهير بصوته المتميز وأدائه المحبب لدى المصلين. وكان في الوقت الذي أدركته فيه يؤذن الأذان الأول فوق المنارة من يوم الجمعة، ثم يأتي ليقف أمام المنبر، وفي هذه الأثناء يكون خطيب المسجد قد وصل وأدى السلام للحاضرين حيث يقوم المؤذن بأداء الأذان الثاني الذي تبدأ

بعده الخُطبتان، ثم الصلاة. ومن أجمل الليالي التي أذكرها في هذا المسجد ليالي العشر الأواخر من رمضان، حيث تقام صلاة القيام ويجتمع – في فصل الصيف – عدد كبير من الناس مع أبنائهم فوق سطح المسجد لكي يؤدوا الصلاة ويستمعوا إلى وعظ الشيخ أحمد خميس الخلف ويتناولوا في فترات الراحة القهوة الحلوة المكونة من الزعفران وحبات الهيل والماء والسُّكّر، ولا تنتهي هذه الصلاة إلا قبل موعد تناول السحور بقليل، فيذهب كلٌّ إلى بيته، وبعد الإمساك تبدأ صلاة الفجر، ويتم استقبال يوم جديد. لقد كانت أيامًا جميلة لا يزال من حضر صلاة القيام فيها ذاكرًا لها، متمنيًا عودتها.

قام بإنشاء هذا المسجد المرحوم ناصر بن يوسف البدر من ثلث والده، وألحق به بيتًا كان يسكن فيه الشيخ عبدالله الخلف الدحيان. ولمكانة هذا الشيخ الجليل فقد ضاق المسجد بالمصلين من أول جمعة صلوها فيه في سنة ١٣١٥هـ وهي توافق سنة ١٨٩٧م، فأمر الشيخ مبارك الصباح بتوسعته، وقد جُدِّد مرتين بعد تلك التوسعة، إحداهما في سنة ١٩١٠م، والثانية في سنة ١٩٥١م، بعد أن قامت دائرة الأوقاف العامة برعاية المساجد.

كانت للشيخ أحمد الخميس أفكار عبَّر عنها في عدة مجالات من أهمها ما كان يذكره في خطب يوم الجمعة. وهو يخطب الخطبة الأولى من ذلك اليوم وفق ما كان يخطب به خاله الشيخ عبدالله الخلف. أما الخطبة الثانية فكان ينوع فيها ويعبِّر من خلالها عن أفكاره، وتتضمن عادة أمراً بمعروف أو نهيًا عن منكر أو انتقاداً لعمل لا يقبله الدين الحنيف وكان يقف بالمرصاد لكل من يخالف الشرع.

أما في غير خطب يوم الجمعة فقد كان نجم المناسبات وخطيبها البارز في كل حين، وهو إضافة إلى ذلك يشارك في الكتابة فقد وجدنا له على سبيل المثال مقالًا يرد فيه على الشيخ أحمد عطية الأثري.

وكان الشيخ عطية قد شارك في ندوة أدارتها مجلة البعثة في عددها الأول من السنة الثانية، وكان السؤال الموجه إليه عن نشوء المعهد الديني، وقد أبدى الشيخ رأيه حول المذاهب الإسلامية فقال: «حبذا لو قام المعهد الديني على أساس وحدة الرؤى، ونبذ الخلافات المذهبية التي هي علّة العلل».

وقد علق الشيخ الخميس على هذه العبارات تعليقًا يدل على فهم لهذه المسألة الشائكة التي خاض فيها الكثيرون وكان من رأيه أنه لا بأس من الاختلاف بشرط أن يكون معتمدًا على الأدلة وأن يكون موصلاً إلى الاتفاق لا إلى الاختلاف.

ووجدنا له ردًّا على عدد من الأسئلة قدمتها إليه مجلة البعثة ونشرتها في شهر نوفمبر لسنة ١٩٤٧م.

وكان السؤال الأول يتعلق بالمعهد الديني والفوائد التي ترجى من وراء إنشائه، والثاني عن وسائل تنظيم إخراج الزكاة، والثالث يتعلق بتنظيم الأوقاف ويلاحظ أن هذا السؤال جاء على هيئة اقتراح، وأنه قد أخذ به فنشأت دائرة الأوقاف العامة في شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٨م وبدأ عملها في شهر يناير لسنة ١٩٤٩م.

والسؤال الرابع عن أوضاع الخطابة في المساجد، وقد أجاب الشيخ الحمد الخميس عن هذه الأسئلة بقوله:

١ - إن تعليم الدين من الأمور الواجبه سواء أكان في معهد أو مدرسة أو رباط أو غير ذلك، وإيجاده في الكويت ضروري لخلوها من المعاهد العلمية التي تجنى منها ثمار العلم.

٢ - الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، والزكاة والصدقة معناهما واحد، إلا أن الشرع قسم الصدقة قسمين، صدقة واجبة وهي الزكاة، وغير واجبة وهي صدقة التطوع، ثم أضاف الشيخ عن الزكاة أنها لا تصرف إلاّ لثمانية أنواع

من المحتاجين، وأضاف: فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء الثمانية الذين ذكرهم الله في القرآن، ولا يسوّغ لأحد من البشر بعد قسمة الله لها ان يقدم أو يؤخر أو يسن نظامًا جديدًا أو يقترح فيها، للحكمة التي شرع الله من أجلها الزكاة، وإن كان هناك تقديم أو تأخير أو أسباب أو وسائل أو مقترحات جديدة أو غير ذلك، مما يعود على البلاد والعباد بالنفع فهو في الصدقة غير الواجبة.

٣ - تحدث عن الأوقاف فقال: أما جعلها تحت نظارة هيئة صالحة تقوم بإصلاحها وتعميرها وصرفها إلى جهتها المعنية لها من قبل الوظائف فهذا مما لا بأس به حيث لم يقم المتولون بما عليهم في التولية المشروعة.

٤ - الجُمع والأعياد شرعت تذكارًا للمعاد واستبصارًا على الاجتماع والاتحاد، والخطب التي تلقى فيها غير كافية بالمراد والأسباب جهل الخطباء، ووراثة المساجد عن الآباء، وكذلك إقامة الجمعة في كثير من البلدان الإسلامية غير كافية بالمقصود من الحكمة التي شرعت من أجلها الجمعة لتعددها بغير حاجة، إذ حصلت التفرقة، بذلك، والذي أقترحه: المسارعة إلى إيجاد المعاهد الدينية وتولية أهلها عليها، وإصلاح القضاء الشرعي. فبالعلم وإصلاح القضاء الشرعي تصلح جميع أمور المسلمين... والله أعلم.

كان الشيخ عبدالله الجابر الصباح يقدر الشيخ أحمد الخميس، ويحتفظ له في نفسه بمنزلة خاصة ويصحبه في عدد من المناسبات، فتراه يصحبه في شهر يونيو لسنة ١٩٥٢ في رحلته إلى لبنان، ومعه عدد كبير من الأصحاب، وقد حضر صاحبنا مع الشيخ عبدالله الجابر حفلة عشاء أقامها سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح على شرف الشيخ عبدالله الجابر الصباح، والوفد المرافق له بفندق إمباسادور في بحمدون في لبنان.

ومن الدلائل على العلاقة بين الرجلين ما حدث في يوم الأحد الثالث من شهر يونيو لسنة ١٩٥١ وكان الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيس مجلس دائرة الأوقاف

العامة قد اتجه إلى مدينة الأحمدي هو وكافة الهيئة العاملة برئاسته، وذلك من أجل وضع حجر الأساس لمسجد الأحمدي، وكان في الاستقبال سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح رئيس دائرة الأمن العام في الأحمدي آنذاك، ومدير عام شركة نفط الكويت وعدد من المشاركين في حفل وضع الحجر الأول في بناء المسجد.

كان الشيخ أحمد خميس الخلف ضمن الحاضرين، وقد طلب منه إلقاء كلمة بهذه المناسبة فألقى كلمة طيبة بليغة جاء فيها: «إن من دواعي الفخر والاعتزاز أن الذي وضع الحجر الأساس لهذا المسجد، قد وضع الأساس المتين لبناء الأجيال الواعية والطبقات المستنيرة وذلك بتعهده غرس نهضة التعليم الحديث في الكويت منذ بذورها الأولى حتى أصبحت شجرة وارفة الظلال دانية الثمار.

وإننا لعلى ثقة من أن إدارة الأوقاف وعلى رأسها سعادته ستحقق الأهداف السامية التي أنشئت من أجلها، وبالفعل فقد أخذت تواصل أعمالها الإنشائية بهمة ونشاط أقام الدليل على إخلاص وجدارة حضرة مديرها الفاضل السيد عبدالله العسعوسي، الذي يقوم بواجبه مخلصًا صامتًا مرضيًا بذلك ضميره، وفق الله الجميع إلى ما فيه خير البلاد وتقدمها في ظل حضرة صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير البلاد المعظم.

كانت للشيخ أحمد الخميس علاقات جيدة مع علماء عصره، وكان كثير اللقاء بهم، ومراسلة من يغيب منهم خارج البلاد وكان يحب الشعر وله محاولات جيدة فيه.

وكانت له – على الأخص – صلة قوية بالخال الشاعر داود الجراح، وكانت بينهما صداقة منذ كانا يدرسان على يد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، وكان الخال داود كثير السؤال عن صاحبه حين يسافر إلى الهند كما هي عادته، كما كان الشيخ أحمد يراسله، ويبلغه بما يستجد من أحداث الوطن، وفي إحدى الرسائل

وجدنا الشيخ يندفع فيكتب قصيدة جميلة يجاري فيها صديقه الشاعر، ويبثه فيها أشواقه وكانت مراسلاتهما خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي.

ولا بأس هنا من الاشارة إلى أمر ذي دلالة على ما قدمناه عن علاقاته بالأدباء والعلماء ففى اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٤٦ تلقى الشيخ أحمد الخميس من صديقه الشاعر داود الجراح حين كان في الهند رسالة تعبر عما بينهما من المودة وفيها تهنئة للشيخ بمناسبة عودته من الحج، وفيها – أيضًا – تعزية جاء فيها: «أعزيكم بفقيد العلم والأدب والزهد والورع، وخاتمة العباد والنساك الشيخ يوسف بن حمود رحمة الله عليه رحمة واسعة.. وفي الرسالة أيضًا إبلاغ عن قرب مغادرة صاحبه للهند عائدًا إلى الوطن.

ومن الرسالة يتضح أن الرجلين صديقان للمتوفى وهو أحد علماء الكويت المعروفين، كان مدرسًا بالمدرسة المباركية، ثم لازم الشيخ عبدالله الخلف الدحيان واستفاد من علمه ومن مكتبته، وعندما توفي الشيخ عبدالله لزم ابن حمود منزله وانقطع عن الناس حتى توفي في سنة ١٩٤٦م.

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٥٧ م تلقى الخال داود سليمان الجراح وهو في الهند أيضًا رسالة من الشيخ أحمد الخميس يخبره بانه تسلم رسالته، وسر لما فيها من أنباء طيبة عن صحته، ومما ورد فيها قوله: «وقد أفدت وأحسنت وأجدت عما ذكرت من الحفاوة والإكرام للشيخ عبدالله الجابر، فهو جدير بذلك، أنتم أهل له، وما عندك من الشوق فعندنا أضعاف أضعافه، وما جادت به شاعريتكم في شعركم الموزون لافضّ فوك ولا عدمك بنوك، وقد تطفلت على الشعر بأبيات مجاوبًا، وهي تدل على الشعور لا الشعر فأرجو قبولها مع غض الطرف».

كان الشيخ عبدالله الجابر الصباح في الهند آنذاك، وقد احتفت به الجالية الكويتية هناك، ولعلم الخال داود بمدى محبة صاحبه للشيخ عبدالله الجابر، فقد كتب له عن ذلك، ومطلع أبيات الشيخ أحمد هو:

أتحفتنا داود نعم المتحف
بهديةٍ من نيل فضلك ترشف

وكما كانت له علاقات شخصية خاصة مع علماء وشعراء عصره، فقد كان له حضور في مجتمعه يشارك في المناسبات ويحضر الحفلات خطيبًا فيها، ويشارك في أية أعمال تسند إليه غير عمله الرسمي المألوف، فمن ذلك:

– كان الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت الأسبق في زيارة للهند عاد منها يوم الثلاثاء المصادف للرابع عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٧م وقد كان في استقباله حشد كبير من الشيوخ والمسؤولين والمواطنين، وألقى الشيخ أحمد الخميس كلمة بهذه المناسبة عبر فيها عن الترحيب بالأمير، وترجم فرحة المواطنين بعودة أميرهم سالمًا.

– كان أحد حضور حفل افتتاح مبنى معهد الكويت الديني الذي قام به الشيخ عبدالله الجابر الصباح رئيس المعارف، وكان ذلك في صباح يوم الثلاثاء السادس من شهر مارس لسنة ١٩٤٩م.

وقد ألقى أحمد الخميس في هذا الحفل خطبة بليغة أشاد فيها بالمعهد الديني وبأساتذته، وحيًّا رجال المعارف الذين بذلوا جهوداً مشكورة حتى أمكن إنجاز هذا الصرح الديني المهم.

وكان قد ردَّ على سؤال وجه إليه عن المعهد الديني فأبدى أهمية هذا المعهد، وأن إنشاءه كان ضرورة للبلاد.

– عندما جرت الانتخابات الخاصة بانتخاب أعضاء مجلس دائرة الأوقاف العامة تشكلت لجنة للإشراف عليها ولفرز الأصوات، وذلك في شهر مارس لسنة ١٩٥٢م برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وكان الشيخ أحمد الخميس أحد أعضائها.

– له تعليق منشور على مسألة توحيد المذاهب الإسلامية التي أثارها الشيخ أحمد عطيه الأثري، وكان الشيخ أحمد يرى خلاف ما يرى الشيخ عطيه، وهو أن الاختلاف بين العلماء المؤسسين للمذاهب رحمة وفيها التخفيف على الناس، وهو بعد هذا أساس الاجتهاد في العلم الديني التي تكثر الدعوة إليه لضرورته، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

. كان يدعو إلى الاهتمام بخطب الجمعة، وذلك لأنها فرصة مواتية لنشر الدين، والتعريف بالعبادات والمعاملات الإسلامية، ويرى أنه لا يمكن أن تكون الخطبة على المستوى المأمول إلا اذا كان الخطيب قادراً على تقديم ما ينفع. واقترح الشيخ بهذه المناسبة عقد اجتماعات دورية بين الخطباء للبحث في أمر الخطب والاتفاق على ما يناسب الظروف منها. وقد رحبت مجلة البعثة بهذا الاقتراح، وقال أحد كتابها «إن مما يزيد في أهمية هذا الاقتراح أنه جاء من شيخ جليل له مركز رسمي في المحكمة الشرعية، وأن دعوته جاءت بعد أن لمس اجماع رجال الدين على أن الخطبة المنبرية الحالية لا تفي بالغرض».

كان للشيخ أحمد خميس الخلف حضوره في المجتمع، وكان له وزنه بين رجال الدين، ولشدة تجاوب الناس معه وتقديرهم له كان إقبالهم الشديد على سماعه وهو يخطب يوم الجمعة من على منبر مسجد البدر، ولذا فإنه عندما توقف عن الخطابة، وانتقل بعد توقفه بقليل إلى الرفيق الأعلى ترك فراغًا لا يسده أحد إذ لم أر رجلاً تعلق به الجمهور كتعلق الناس به، وإذا كان لدينا في وقته علماء لهم مريدون وطلاب يتلقون العلم على أيديهم فإن هذا الرجل كان له مثلهم، وكان يزيد عليهم بأنه يُلقي دروساً خاصة على عامة الناس فيفيدهم، وينشر الوعي بأمور الدين بينهم. رحمة الله عليه.

****

ملحاق خير

الشيخ عبدالله الخلف الدحيان علم من أعلام الكويت، ورائد من رواد العلم الديني فيها، فهو علّامة الكويت بلا منازع، له صيت في وطنه وفي خارج وطنه، عُرف بغزارة العلم، وكرم الأخلاق والورع، وأحبه الناس لما يتمتع به من صفات كريمة جعلته مثالاً يُحتذى بين عدد كبير من رجال عصره، ولد الشيخ عبدالله الخلف في الكويت في يوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر لسنة ١٨٧٥م ونشأ في رعاية والده، وتعلم منه القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، فنشأ منذ صغره حسن السيرة محبوبًا مقربًا عند أقرانه، محباً للعلم مكبّاً على تحصيله، وعندما شب وأصبح قادراً على الدراسة الأعلى، ذهب إلى الشيخ محمد ابن عبدالله الفارس فلازمه وأخذ عنه مبادئ الفقه وشيئًا من اللغة العربية، وحضر مجالس السيد مساعد السيد عبدالجليل العلمية وأفاد منها. ثم خرج - بعد ذلك - إلى تلقي العلم في خارج الكويت، فحضر عند عدد من العلماء، وكان هؤلاء يعجبون بسرعة إدراكه واتساع فهمه، مما حببه إلى نفوسهم، وحملهم على تقديره، وبخاصة أنه يمتاز مع همته العلمية بالصدق والإخلاص والتواضع.

وقد حصل من عدد من هؤلاء العلماء على إجازات تثبت دراسته، وتبين ما حَصَّل من علم على أيديهم، وهذه الإجازات تشبه الشهادات الدراسية التي تقدم للطلاب في وقتنا الحاضر، ومن الإجازات التي حصل عليها الشيخ عبدالله الخلف الدحيان إجازة كتبها الشيخ إبراهيم بن عيسى، واشتملت على ذكر الكتب التي

تلقاها الدحيان عن شيخه، وفيها عدد من كتب الحديث التي تناولها الشيخ ابن عيسى بالتفصيل ذاكراً سندها وعمن تلقاها، مضيفًا إليها كتب الفقه. وأوصاه في آخر إجازته بتقوى الله في سره وعلانيته، والتمسك بسُنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقول الحق بحسب الاستطاعة، وتمنى له التوفيق في مُقبل أيامه، وكان تحرير هذه الشهادة في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول لسنة ١٣٣٢هـ (الموافق للثامن عشر من شهر فبراير لسنة ١٩١٤م).

وقد عاد الشيخ عبدالله الخلف إلى الكويت مزوَّداً بالعلم مسلحاً بالأخلاق وبدأ بالتدريس والإمامة، واشتغل فترة بأمر القضاء، وشارك في كثير من المناسبات التي تقتضي مشاركته، وبخاصة تلك المناسبات التي تقام من أجل الخير، وبقي على حاله من الصلاح وحسن السيرة إلى أن توفي في يوم الخامس عشر من شهر فبراير لسنة ١٩٣١م.

****

يومان من تاريخ الكويت [1]

لا يخفى أن علاقة الكويت ببريطانيا قد بدأت رسميًّا بعد إبرام الاتفاق التعاقدي بين البلدين في سنة ١٨٩٩م، وهذا لا يعني عدم وجود اتصالات سابقه ورد ذكر بعضها فيما قدمناه من مقالات ذات إشارة إلى بعض نواحي تاريخ الكويت. وكان هذا الاتفاق يحظر على الحكومة الكويتية القيام بأية اتصالات خارجية إلا عن طريق بريطانيا في مقابل أن تكون هذه مسؤولة عن أمن الكويت وعن اتصالاتها. وقد بقيت الكويت وفيَّة لهذه الاتفاقية في الحدود التي لا تمس كرامتها بمعنى أنها كانت تقوم ببعض الاتصالات الضرورية التي لا تستطيع الدولة المتعاقدة معها الاعتراض عليها لقوة الأسباب الداعية لها.

استمرت الأمور على هذا المنوال إلى اليوم التاسع عشر من سنة ١٩٦١م، وكان الأمير - آنذاك - هو الشيخ عبدالله السالم الصباح. وقد بدا منذ أواخر الخمسينيات من القرن الماضي أنه لابد من انتهاء هذا الوضع، فالكويت تنمو، ويزداد عدد سكانها، ويرتفع مقدار ثروتها مع ظهور نتائج الاستكشافات النفطية، ولم تعد هي تلك البلاد التي لا تستطيع الاعتماد على نفسها، وهنا استقر في ذهن الطرفين المتعاقدين أن يقوما بإنهاء هذا الوضع بحيث تتحرر الكويت من هذه الاتفاقية التي - والحق يقال - لم تجلب للبلاد احتلالًا، ولا تأثيراً يعرقل المسيرة التربوية والصحية، وكافة الأنشطة الحكومية التي تسير عليها الكويت.

---

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٨/٣/٢٠٠٧.

وفي اليوم المشار إليه وقع الشيخ عبدالله السالم الصباح مع السير وليام لوس اتفاقية جديدة تنهي الاتفاق التعاقدي السابق، وتجعل الكويت في حل من ذلك الارتباط الذي مرت عليه عقود طويلة، ثم تخطاه الزمن.

بدأت الكويت بقيادة أميرها في سيرها الاستقلالي وكانت أولى الخطوات هي الانضمام إلى جامعة الدول العربية في اليوم الثاني من شهر يوليو لسنة ١٩٦١م، ثم تبعت هذه الخطوة خطوات أخرى مهمة، وقد كان من أهم الخطوات على المستوى الداخلي صدور النظام الأساسي للحكم في فترة الانتقال، وهي الفترة الفاصلة بين الوضع السائد ونشأة مجلس الأمة بموجب الدستور الكويتي اللاحق صدوره.

لقد كان صدور النظام الاساسي للحكم المشار إليه بتوقيع الأمير، الذي أخذ على عاتقه متابعة السير في الطريق الديموقراطي إلى نهايته، وحرص على أن يكون هذا النظام ضامنًا للحريات ولحقوق الناس، مؤكدًا على واجبات الجميع في ظل الدستور الذي صدر فيما بعد في اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٢م.

وفي عرض يسير لما ورد في النظام الأساسي نجد أنه صدر في اليوم السادس من شهر يناير لسنة ١٩٦٢م ونشر في الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» فور صدوره، على هيئة ملحق للجريدة المذكورة تحت رقم (٣)، وجاء تحت عنوان: «القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٢م بالنظام الأساسي للحكم في فترة الانتقال» ولحق هذا العنوان تنويه بأن هذا هو الدستور المؤقت للبلاد. وقد جرى العمل به حتى صدر الدستور المعمول به اليوم بعد أن أقره الأمير والمجلس التأسيسي الذي تم إنشاؤه بناء على هذا القانون.

يتكون قانون النظام الأساسي للحكم في فترة الانتقال من خمسة أبواب هي الحريات العامة التي جاء فيها أن الكويتيين سواسية أمام القانون وأن الحرية الشخصية مكفولة، وأنه لا عقاب إلا على عمل أو امتناع عن عمل طبقًا للقانون

الساري وقت وقوع الجريمة. كما يشير هذا الباب إلى حرية الرأي وحرية الصحافة، وأنهما مكفولتان في ظل القانون. كما جاء فيه أن حرية القيام بشعائر الأديان مكفولة، وأن الملكية لها حرمتها وأن المساكن مصونة، وتبيح المواد اللاحقة من هذا الباب حرية التنقل، وحق المواطن في التعليم، وحرية تكوين الجمعيات السلمية.

أما الباب الثاني فجاء تحت عنوان «السلطة التشريعية» وجاء في إحدى عشرة مادة تحدثت عن تكوين المجلس التأسيسي ونظام عمله، وطبيعة العلاقة بين الحكومة والمجلس.

وفي الباب الثالث وجدنا القانون يورد ما يتعلق بالسلطة التنفيذية، وما يتعلق بطبيعة عملها. أما الباب الرابع فهو عن السلطة القضائية، وكانت المادة الأولى في هذا البند تنص على أن «القضاة مستقلون لا يخضعون في قضائهم لغير القانون وضمائرهم».

أما الباب الخامس فقد جاء تحت عنوان: «أحكام عامة» تمت بموجبه تسمية الدوائر التي كانت عاملة في البلاد: وزارات. وأقرت المادة (٣٦) الجمع بين الوزارة وعضوية المجلس التأسيسي.

وقد كان صدور هذا القانون بمثابة نقلة نوعية في الحياة السياسية في البلاد لأنه القانون الذي مهد للمجلس التأسيسي والدستور.

ولم يكن اختصاص هذا المجلس في إنجاز مسودة الدستور فقط، بل كان يتولى في هذه الفترة الانتقالية مسؤولية التشريع مع الأمير، كما يتولى القيام بالأعباء التي يقوم بها اليوم مجلس الأمة.

وقد حرص الأمير على إصدار أمره الخاص بفترة الانتقال بموجب قانون ليعطي الأهمية لهذه الفترة وما يدور فيها من أعمال وما يتخذ خلالها من قرارات،

وهي الفترة التي تُوِّجت بصدور الدستور الذي بموجبه لقب الشيخ عبدالله السالم الصباح بلقب أبي الدستور.

في اليوم الرابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢ صدر المرسوم الأميري رقم (١) لسنة ١٩٦٢ بدعوة المجلس التأسيسي للانعقاد، وحدد الشيخ عبدالله السالم الصباح موعد الاجتماع الأول لهذا المجلس في يوم السبت العشرين من يناير لسنة ١٩٦٢، وباشر المجلس أعماله بحسب هذا التاريخ ووفق النظام المحدد له. فأصبح يتابع أعمال الحكومة، ويدرس القوانين ويقرها وفي الوقت الذي يسعى فيه إلى إصدار دستور البلاد الذي هو العمل الرئيسي للمجلس التأسيسي.

وكان المرسوم الأميري رقم (٢) الصادر مباشرة بعد مرسوم الدعوة لانعقاد المجلس هو مرسوم بإعادة تنظيم الوزارات، وقد صدر بتاريخ السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢ وكانت أجهزة العمل الحكومي في الكويت مكونة من دوائر لكل دائرة رئيس يتبعه مدير عام ومديرون مساعدون. وقد اقتضى التغيير الذي حصل في البلاد في أعقاب التاسع عشر من شهر يونيو لسنة ١٩٦١ أن يتم تغيير مسميات أجهزة العمل الحكومي، حتى تتوافق هذه المسميات مع ما هو قائم في البلدان الأخرى. فصدر هذا المرسوم ليعدل الأوضاع التي كان سائدة. وفي المرسوم إشارة إلى الاختصاصات المتعددة للوزارات كل على حدة، وفيه نص على أن يكون لكل وزارة وزير، ووكيل وزارة، مع جواز أن يكون للوزارة وكيل مساعد أو أكثر يحدد اختصاص كل منهم بقرار من الوزير المختص.

أما المرسوم الأميري رقم (٣) لسنة ١٩٦٢، فقد احتوى على تعيين الوزراء فيما صار يسمى فيما بعد الوزارة الأولى، لأنها أول وزارة مشكلة في تاريخ الكويت ما بعد الاستقلال وقد ضمت هذه الوزارة عددًا من الوزراء الذين دخلوا هذا المجال للمرة الأولى وهم السادة حمود الزيد الخالد، وعبدالعزيز حمد الصقر،

ومحمد بن يوسف النصف، وقد صدر مرسوم تشكيل الوزارة بتاريخ السابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٦٢، وبعده بثلاثة أيام اجتمع المجلس التأسيسي كما تبين آنفًا، وتم ذلك بحضور المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي ألقى كلمة الافتتاح وبين فيها سياسة الحكومة، وأكد على وجه الكويت العربي، ودعا إلى الائتلاف والتعاون، ووحدة الصف.

في الساعة العاشرة من صباح يوم السبت العشرين من شهر يناير لسنة ١٩٦٢ كانت الجلسة الافتتاحية وهي الأولى للمجلس التأسيسي وقد تمت بحضور الشيخ عبدالله السالم الصباح، وأعضاء المجلس الذين كان منهم أعضاء تم اختيارهم وهم من الوزراء، وأعضاء منتخبون، وكانت جلسة مفتوحة حضرها عدد من المسؤولين ورجال السلك الدبلوماسي والإعلام. وتم استقبال الشيخ عند مدخل المجلس من قبل لجنة تكونت من الشيخ محمد الأحمد الجابر الصباح، والعضوين عبداللطيف الثنيان، وسعود العبدالرزاق، وفور توجه الشيخ إلى المنصة ضجت القاعة بالتصفيق والهتاف والدعاء له بطول العمر.

وألقى الشيخ عبدالله السالم الصباح كلمة الافتتاح التي كان فحواها كما يلي:

حضرات الأعضاء المحترمين، السلام عليكم ورحمة الله، باسم الله العلي القدير نفتتح الآن أعمال المجلس التأسيسي لدولة الكويت المستقلة، هذا المجلس الذي تقع على عاتقه مهمة وضع أساس الحكم في المستقبل. لقد كان إعلان استقلال الكويت في التاسع عشر من شهر يونيو الماضي فاتحة عهد جديد للكويت التي عرفت منذ وجدت الحرية والكرامة، وهذا مجلسكم يمثل دورًا من أدوار الرقي والتقدم المطرد في تاريخ هذه البلاد.

لقد كانت مصلحة شعب الكويت هي هدف الحكومة دائمًا تسعى إليه بمختلف وسائل الاصلاح في جميع الشؤون العمرانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وهذا التطور في حياة الكويت في هذه الحقبة القصيرة من الزمن لأكبر شاهد على ذلك.

وستستمر الكويت دائمًا - بإذن الله - في طريقها الذي اختطته لنفسها. دولة عربية تتضامن مع شقيقاتها الدول العربية في كل ما يعود بالخير على الأمة العربية، وتسعى جهدها إلى تدعيم الجامعة العربية.

دولة مستقلة تؤيد حق كل بلد في نيل حريته واستقلاله، دولة محبة للسلام تسعى إلى إقراره وتؤيد كل من يسعى إليه، متمسكة في كل ذلك بميثاق الأمم المتحدة.

وإني لأدعو الله سبحانه وتعالى - أن يحفظ هذه الأمة من كل سوء، وأن يسدد خطاكم ويعينكم على كل ما فيه مصلحة البلاد وأمنها ورخائها.

واختتم كلمتي بالنصح لكم - كوالد لأولاده - أن تحافظوا على وحدة الصف وجمع الكلمة حتى تؤدوا رسالتكم الجليلة في خدمة هذا الشعب على أكمل وجه وأحسنه. والله ولي التوفيق.

وبعد انتهاء الشيخ من إلقاء كلمته توجه إلى خارج القاعة مودعًا بمثل ما استقبل به من هتاف وتصفيق ودعاء.

بعد استراحة قصيرة دعي الأعضاء إلى الاجتماع من أجل انتخاب الرئيس حيث فاز السيد عبداللطيف الثنيان بالتزكية. ثم تم انتخاب نائب الرئيس حيث فاز الدكتور أحمد الخطيب بهذا المنصب.

ثم عرضت على المجلس بعض الرسائل الواردة التي كانت منها رسالة الوزراء الأعضاء في المجلس يقول نصها: «إنه وإن كان القانون رقم ١ لسنة ١٩٦٢ بالنظام الأساسي للحكم في فترة الانتقال يجعل الوزراء أعضاء في المجلس لهم ما لسائر الأعضاء وعليهم ما عليهم، فإن الوزراء - الأعضاء في المجلس بحكم وظائفهم - قرروا أن يمتنعوا عن التصويت على الدستور رغبة منهم في أن يتركوا أمر ذلك للأعضاء المنتخبين وحدهم».

وزير المالية والاقتصاد، وزير الكهرباء والماء، وزير الجمارك والموانئ، وزير الأشغال العامة، وزير الداخلية، وزير الإرشاد والأنباء، وزير الخارجية، وزير التربية والتعليم، وزير الأوقاف، وزير الدفاع، وزير البريد والبرق والهاتف».

وجرى التداول فيما بعد حول بعض الأمور الإجرائية ومواعيد الجلسات. ثم رفعت الجلسة، وهكذا تمت أحداث يوم من أيام الكويت، وسوف نواصل الحديث عن اليوم الثاني.

لقد كانت أحداث اليوم الثاني مرتبطة عضويًّا بأحداث اليوم الأول، لقد انتهى دور المجلس التأسيسي وصدر الدستور، ودعي الجمهور إلى الترشيح والانتخاب، وجاء دور انعقاد مجلس الأمة الذي نص الدستور على قيامه، وكانت جلسة الافتتاح في صباح يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر يناير ١٩٦٣م.

حضر الشيخ عبدالله السالم حفل الافتتاح، واستقبله عند مدخل المجلس كل من الشيخ محمد الأحمد الجابر الصباح، والسادة عبدالعزيز الحمد الصقر، وعبداللطيف محمد الثنيان، وسعود العبدالعزيز العبدالرزاق، وكان أول عمل قام به هو إزاحة الستار عن اللوحة التذكارية المعبرة عن لحظة افتتاح المجلس، ثم دخل ومن معه إلى القاعة حيث بدأت الجلسة.

في البداية كانت كلمة رئيس السِّن السيد سعود العبدالرزاق الذي قال: «يتفضل حضرة صاحب السمو الأمير المعظم بالنطق السامي». ووسط التصفيق والهتاف وقف الأمير قائلاً: **«حضرات الأعضاء المحترمين**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله العلي القدير، نفتتح الدورة الأولى لمجلس الأمة الذي تبدأ بانعقاده مرحلة العهد الدستوري في دولة الكويت المستقلة.

في هذه المرحلة التي تعتبر حلقة من حلقات سير دولتنا الصاعدة نحو هدفها الأعلى، يسعدني ان أهنئكم بثقة الشعب بكم حين اختاركم لتحملوا أمانة تمثيله، وان أكرر وصيتي لكم (كوالد لأبنائه - أن تحرصوا على وحدة الصف في هذه الدولة العربية المتمسكة بدينها وتقاليدها.

وإنه ليسعدني في هذا اليوم الأغر من تاريخ بلادنا أن أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور وقوانين الدولة، وأذود عن حريات الشعب ومصالحه وأمواله، وأصون استقلال الوطن وسلامة أراضيه والله ولي التوفيق».

بعد هذه الكلمة تُلِيَ مرسوم تشكيل الوزارة الذي صدر في اليوم الثامن والعشرين من يناير لسنة ١٩٦٣م، ثم جاء دور تلاوة الخطاب الأميري الذي ألقاه الشيخ صباح السالم الصباح رئيس الوزراء آنذاك. وكان خطابًا ضافيًا هنأ فيه شعب الكويت بيوم الافتتاح الذي يعتبر استهلالاً رائعًا للعهد الدستوري الجديد. وحمد الله سبحانه على أن هيأ له (الأمير) هذه الفرصة لحضور هذا اللقاء.

ثم تحدث عن المجلس التأسيسي وعن الدستور ومدى تعاون الحكومة مع ذلك المجلس في فترة الانتقال، ثم أشار إلى انضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية وحرصها على ذلك، مؤكدًا حرص الحكومة على الانضمام إلى منظمة الأمم المتحدة بالعزم الأكيد لأبناء الوطن، ومساندة الدول الصديقة.

أما النواحي الداخلية فقد كان لها نصيب من الخطاب فجاء الحديث عن الإجراءات التي اتخذت خلال الفترة القصيرة التي مضت، ثم الحديث عن العمل على ضمان استقلال البلاد، والحرص على كرامتها وعزتها. ودعم القضايا العربية. وضمن ما يتعلق بالشأن الداخلي ورد في الخطاب تأكيد على زيادة موارد الدولة والحرص على إيجاد موارد إضافية تستند إليها البلاد مع موارد النفط، وأشار إلى أن رأس المال والملكية حقوق فردية ذات وظيفة اجتماعية ينظمها القانون. وأكد اهتمام الحكومة بالتعاون باعتباره اتجاهًا اجتماعيًّا مهمًّا.

ثم عرج على الحديث عن الميزانية، وعن القوانين المنتظر الانتهاء منها باعتبارها مكملة لطبيعة المرحلة الجديدة التي تعيشها البلاد.

ولم ينس الحديث عن التعليم وعن العزم على إنشاء جامعة الكويت، وعن الطموح إلى تعليم أفضل إضافة إلى الحرص على العناية بالتعليم الإلزامي ورعاية البحث العلمي.

وكانت عبارات ختام الخطاب الأميري تنص على القول بأنه «وستنال الخدمات الاجتماعية والثقافية لأبناء الشعب، وشؤون رعاية الشباب اهتمامًا زائدًا يُحقق ما أوجبه الدستور على الدولة من رعاية اجتماعية للطفولة والشيخوخة، ووقاية للشباب من الاستغلال والإهمال الأدبي والجسماني».

وقد غادر الشيخ عبدالله السالم الصباح مجلس الأمة بعد ذلك تحيط به قلوب الأعضاء والمدعوين وتدعو له بالصحة وبالتوفيق. ثم استمر المجلس في الانعقاد لكي يقسم الأعضاء اليمين الدستورية. وبعدها أعلن رئيس السِّن السيد سعود عبدالعزيز العبدالرزاق بدء انتخاب رئيس المجلس، فكان أن تم فوز السيد عبدالعزيز الحمد الصقر بهذا المنصب بالتزكية، وبعد أن تسلَّم الرئاسة دعا إلى انتخاب نائب الرئيس وقد فاز بهذا المنصب السيد سعود العبدالرزاق.

تمت هذه الجلسة التاريخية، واستمرت بعدها الجلسات حيث تم انتخاب اللجان، وإصدار اللائحة الداخلية وبعدها سار المجلس في طريقه المقرر.

هذان يومان مهمان من أيام تاريخ الكويت، وقد كانا أهم يومين مَرَّا على البلاد، لأن الحياة الكويتية طبعت بعدهما بطابع جديد، وسارت على نهج مرسوم يقرره الدستور، ومن أجل ذلك حرصتُ على أن أقدم هذا العرض لهذين اليومين.

****

رجال لا ينساهم الوطن: مشاري الحسن البدر[١]

عرفت السياسة الكويتية القديمة رجلًا من رجالها له مكانته في هذا المجال، وله قدرته على تصريف الأمور، ومزاولة الأعمال الحكومية المهمة. ذلك هو السيد مشاري الحسن البدر، الذي ولد في سنة ١٨٦٨م، وبعد أن شبَّ ودرس في مدارس الكويت الأهلية، عمل في أعمال مختلفة حتى توفي في اليوم الثامن عشر من شهر يوليو لسنة ١٩٦٣.

هو قارئ مثابر على القراءة، لا يترك الكتب أو الصحف التي تقع بين يديه دون قراءتها، فهو ينهل منها ويستفيد من معارفها. ولذلك فقد كانت مجالسه ممتعة لأنه يفيد مجالسيه حين يفيض عليهم من تلك المعلومات القيمة التي استقاها من قراءاته.

في بداية حياته وعندما تبينت للناس قدراته ومعلوماته وتمكنه من الإحاطة بكثير مما يحتاجه الشخص الذي يتحمل المسؤولية تم اختياره عضوًا في المجلس البلدي وذلك في سنة ١٩٣٢، وبقي في عضوية هذا المجلس المهم حتى تم اختياره عضوًا في مجلس معارف الكويت، وذلك في سنة ١٩٣٦ وكان هذا هو أول مجلس ينشأ للمعارف في البلاد، وقد تزامن مع نشأة الدائرة التي يشرف عليها. وكانت للسيد مشاري البدر في هذا المجلس أنشطة عديدة سوف نصل إلى الحديث عن شيء منها فيما بعد.

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٤.

وفي سنة ١٩٣٨ كان عضوًا في المجلس التأسيسي الذي سماه خالد سليمان العدساني «مجلس الأمة التشريعي» وفقًا للقانون الذي أصدره الشيخ أحمد الجابر الصباح، وهو القانون الخاص بإنشاء المجلس الذي تحدث عنه العدساني في كتابه: «نصف عام للحكم النيابي في الكويت»، الذي صدر في سنة ١٩٤٧ والقانون المذكور يحدد أعمال المجلس وهو في الأصل مشروع مقدم من عدد من المواطنين إلى الأمير الذي رحب به وأقره. تحدث المؤلف عن الانتخابات التي أفرزت المجلس، وذكر من الفائزين فيها السيد مشاري الحسن البدر، وكان الرئيس هو الشيخ عبدالله السالم الصباح بموجب انتخاب المجلس له. ولسنا هنا في مجال البحث عن أسباب عدم استمرار هذا المشروع الوطني لأن الأسباب كثيرة ومتضاربة وكلٌّ يدلي بدلوه حولها، وربما جاء - في المستقبل - من يتحدث بحيادية تامة عن الأوضاع التي كانت سائدة في سنة ١٩٣٨ بما في ذلك ما حدث حول المجلس التشريعي.

وبنهاية عمل هذا المجلس انقطع مشاري البدر عن العمل العام وتفرغ لأعماله الخاصة، وإلى علاقاته الاجتماعية وقراءاته التي لا يمكن ان يتركها.

ولكنه عاد مرة أخرى بعد ذلك بفترة طويلة لكي يشارك في الانتخابات التي جرت في البلاد لاختيار أعضاء لمجلس معارف الكويت، وقد فاز في هذه الانتخابات، وجاء ضمن الأعضاء الجدد، وذلك في سنة ١٩٥١، وفاز معه عدد من الرجال هم: مشعان الخضير، ويوسف العدساني، وخالد زيد الخالد، ومشاري الحسن البدر، وأحمد البشر الرومي، وسليمان العدساني، وخليفة خالد الغنيم، وسيد علي السيد سليمان، وسلطان الكليب، وعبدالله الصانع، ومحمد جاسم المضف، ومحمد ملا حسين.

ومن الجدير بالذكر أنه قد تمت الانتخابات - في الوقت نفسه - لاختيار أعضاء مجلس بلدية الكويت، وأعضاء مجلس الصحة، وأعضاء مجلس الأوقاف، وظهرت النتائج في وقت واحد.

وقد كتب عنه الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» ما يدل على إعجابه به وبثقافته وأخلاقه وصفاء تفكيره.

ذكر اسمه ثم قال: «أما هذا الأديب الفاضل فهو من أفراد هذا البيت الفضلاء (يقصد آل بدر) بل من أفراد الكويت عقلًا وأخلاقًا وآدابًا، (يقصد أنه من المتفردين في ذلك)».

له اطلاع واسع على مجرى السياسة في سائر الأنحاء سيما في مصر، بحيث يدهشك حينما يبحث معك في ذلك حتى ليخيل إليك أنه ممن نبتوا في أرض مصر، واغتذوا بلبانها. له من الصلاح، والتأني، وصفاء السريرة ما جعله محترمًا بين إخوانه محبوبًا عند مواطنيه».

وهكذا وجدنا السيد مشاري الحسن البدر وهو يعيش عصره المتفجر ويستقبل وهو في شبابه كثيرًا من الأحداث المهمة منها ما له دلالة على النشاط الكويتي المفيد الذي يدفع بالبلاد نحو الأفضل، ومنها ما هو مؤسف كفشل المشروع النيابي الذي تحدثنا عنه. لقد شهدت الفترة التي بدأ فيها العمل العام والخاص، نشأت بلدية الكويت في سنة ١٩٢٨م وهي من المؤسسات الحكومية الأولى في البلاد وكان لها دور في تحريك كثير من الأعمال المهمة، وتحديد الكثير من الأمور التي لم تكن بالإمكان الإحاطة بها لولا جهاز البلدية الذي بدأ نشطاً بفضل اهتمام الشيخ أحمد الجابر الصباح والمجموعة الطيبة من أبناء الكويت الذين تولوا العمل في مجلس الإدارة وفي الجهاز الإداري والفني في البلدية بشكل عام.

وفي سنة ١٩٣٦م نشأت دائرة معارف الكويت، وعين لها أول مجلس، وانطلقت تعمل بكل الإمكانات المتاحة، تسابق الزمن، وتتخطى العقبات في سبيل إتاحة فرصة الدراسة لأبناء الكويت وبناتها، وقد كان لها منذ نشأتها نشاط كبير معروف.

وكذلك نشأة المجلس التشريعي الذي أنجز كثيراً من الأعمال على الرغم من قصر فترة عمله، وعلى الرغم مما قيل عنه على ألسنة بعض الناس.

وكانت قد مرت على صاحبنا منذ نشأته الأولى أحداث أخرى، إذ عاش طرفًا من أيام حكم الشيخ مبارك الصباح للكويت، وكامل أيام حكم كل من الشيخ جابر المبارك والشيخ سالم المبارك والشيخ أحمد الجابر الصباح وتوفي قبل وفاة الشيخ عبدالله السالم بسنتين، ولكنه لم يبدأ بالمشاركة في الأعمال العامة إلا في سنة ١٩٣٢م حين صار عضوًا في المجلس البلدي كما أشرنا إلى ذلك سابقًا.

وفيما يلي نماذج من أنشطته خلال فترة ممارسته للعمل العام، وقيامه بالمشاركة بجهوده الخاصة فيما يهم الوطن والمواطنين.

١ - طرحت عليه مجلة «البعثة» الكويتية الصادرة في القاهرة ثلاثة أسئلة؛ أجاب عليها إجابة الحكيم المجرب. ونشرتها المجلة المذكورة في عددها الصادر في اليوم الأول من شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٧م.

كان السؤال الأول هو:

- ما الوسيلة التي تقترحها لتشجيع النشء على الاطلاع؟ وهل ترى أن مكتبة المعارف الحالية تفي بالغرض؟ وما الوسائل التي تقترحها لإصلاحها؟

وقد أجاب على هذا السؤال بقوله: «أعتقد أن من خير الوسائل لتشجيع النشء على الاطلاع أن نؤسس لهم دور المطالعة وأن توضع بين أيديهم كل ما تنتجه المطابع من الكتب والصحف والمجلات من أي لون كان ليغترف منها الناشئ ما شاء من ضروب العلم والمعرفة فلا نقصره على قراءة نوع معلوم بدافع التزمت والحذر فإن ذلك مدعاة للسأم والضجر، وباعث للخمود الذهني، والانصرف عن المطالعة المفيدة كما نشاهده في شبابنا اليوم. ومكتبة المعارف لا تحقق الغرض المرجو منها

ما دامت بوضعها الحالي، فيجب نقلها إلى مبنى يؤسس لها خصيصًا على غرار المكاتب الحديثة، وأن يكون بعيداً عن الضوضاء وجلبة الشوارع وأن تسخو عليها الإدارة بالانفاق في شراء الكتب وغيرها من وسائل التثقيف. وأن تيسر لها سبيل الاتصال بالمكاتب ودور النشر الكبرى في العالم العربي لكي تواكب النهضة الحديثة وتقف على مظاهر التطور التي تحدث فيه».

وكان السؤال الثاني هو:

- ما الفوائد التي تظن أننا نجنيها من وراء إنشاء قاعة للمحاضرات والاجتماعات الأدبية؟

وجاء رده التالي على هذا السؤال بقوله: «إن إنشاء قاعة للمحاضرات وسيلة فعالة لتشجيع المثقفين ومحبي الإصلاح في هذا البلد على معالجة أحوالنا الاجتماعية والبحث في عوامل تأخرنا الأدبي، وعرض الأفكار الجديدة وطرق الإصلاح على الجمهور، وستكون مثابة لمن يريد الفائدة والتزود بزاد المعرفة يرتادها بدلًا من قضاء الوقت كله في الأسواق والمقاهي».

أما السؤال الثالث فيقول:

- ما الأبواب التي أعجبتك في نشرة «البعثة» وما الأبواب التي تقترح إضافتها؟

فأجاب بقوله: «نشرة البعثة مجهود مبرور يستحق القائمون على نشرها الشكر والثناء، وهي على صغر حجمها مازالت تؤدي واجبها على خير الوجوه، وإنما ينقصها أن تعنى بمشاكلنا الاجتماعية والأدبية فلا تقتصر على نشر الموضوعات التاريخية. وأن تفسح المجال لمن يريد البحث في ذلك. ومن خير ما رأيت في النشرة باب ندوة البعثة، إذ إنه يساعد النشء على تفهم مشاكلنا الحاضرة واقتباس خير الوسائل لإصلاحها».

لقد كانت إجاباته دالة على أفكاره النيرة، وعلى أنه مدرك لما حوله حريص على التعبير الصادق عما يراه صوابًا.

٢ - في أواسط سنة ١٩٣٦م، وكان مجلس معارف الكويت قد أنشئ حديثًا وجوبه بقلة الموارد المالية التي ينبغي أن تتدفق عليه حتى يستطيع المضي قدمًا في أداء العمل الموكل إليه، استشعر عدد من رجال الكويت هذه المسؤولية مع علمهم، بضعف إمكانات البلاد المادية وقتذاك حيث إن مطالبتهم للحكومة بالزيادة سوف يكلفها ما لا تطيق.

اجتمع ثمانية من هؤلاء كان منهم مشاري الحسن البدر، وكان الباقون هم محمد أحمد الغانم، ومشعان الخضير الخالد، والسيدعلي سيد سليمان، وسليمان العدساني ونصف اليوسف النصف، وعبدالله العسعوسي، وسلطان إبراهيم الكليب، وتداولوا في اجتماعهم الأمر الذي طرحناه هنا، وكان أمامهم اقتراح محدد هو أنه لا سبيل إلى علاج الموقف المالي لمعارف الكويت إلا عن طريق زيادة الضريبة الجمركية بمقدار نصف بالمائة وإحالة ما يجبى من ذلك إلى الصرف على التعليم، ولم يكن هذا الاقتراح غريبًا فقد سبق طرحه لمؤزارة بلدية الكويت، وقد نجح في حل مشكلاتها المالية.

وحين رفع الأمر إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت الاسبق رأى عرض الاقتراح على أكبر عدد من التجار الذين يستوردون، والأهالي الذين هم مستهلكو البضائع، وتم الاجتماع بحضور ثمانين شخصًا في أواخر شهر يوليو للسنة ذاتها فوافق جميع الحاضرين عليه، وعندما رفع إلى الأمير صادق على ذلك بقراره الصادر في ١٦/١٠/١٩٣٦م.

٣ - في اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٥١م قام الشيخ فهد السالم الصباح بجولة، أمضى جزء منها في القاهرة، زار خلالها بيت الكويت،

وأقيمت على شرفه حفلة شارك فيها الطلاب الذين حضروا للترحيب به وبهذه المناسبة وصل السيد مشاري الحسن البدر إلى القاهرة ليكون في معية الشيخ فهد في زيارته هذه، وقد قضى هناك عدة أيام صحب الشيخ فيها في كل زياراته وحضر الحفل معه وكان حرص الشيخ على وجوده معه واضحًا لما يتمتع به من مزايا ولأنه كان في ذلك الوقت عضوًا بمجلس دائرة معارف الكويت.

هذه معلومات عامة مقتطفة من مصادر شتى عن حياة هذا الرجل الذي أمضى جزءاً كبيرًا من حياته وهو يخدم وطنه. وللأسف الشديد فإننا لا نجد البيان الكافي عنه ولا عن أمثاله من الرجال الذين خدموا الكويت في المراجع المكتوبة ولا عند المراجع الشفهية، وهي مشكلة ينبغي أن يتصدى لها المختصون بحيث يجدون الوسائل التي بها يسجلون حياة هؤلاء الرجال وأعمالهم تسجيلاً كاملاً.

للسيد مشاري الحسن البدر عدة أولاد أعرف منهم اثنين معرفة جيدة، بل لقد كانا صديقين لي أعتز بصداقتهما، وقد توفاهما الله، ولكن ذكراهما لا تزال ماثلة أمامي وأمام كل من عرفهما، واطلع على جهودهما، فقد سارا سيرة والدهما في العمل من أجل المجموع دون تردد.

أولهما هو: يوسف مشاري الحسن البدر وكان من أوائل الطلاب الذين أرسلوا للدراسة في خارج الكويت، ففي اليوم الحادي والعشرين من شهر فبراير لسنة ١٩٣٩م أرسل مجلس المعارف بعثة تضم عدداً من الطلبة المتفوقين إلى القاهرة للدراسة في الأزهر الشريف، وكانت هذه البعثة مكونة من أربعة طلاب هم الأساتذة: عبدالعزيز حسين وأحمد مشاري العدواني، ويوسف المشاري الحسن البدر، ويوسف العمر، وكان سفرهم إلى القاهرة في ذلك الوقت المبكر صعبًا جدًّا لأن المواصلات غير متيسرة وقد استغرق طريقهم من الكويت إلى مقر دراستهم اثنين وعشرين يوماً.

وقد أنهى هؤلاء الطلاب دراستهم إلا يوسف البدر الذي انقطع عنها وقد كان سبب ذلك هو موقفه الوطني والقومي المعادي للإنجليز الذين كانوا يحتلون عددًا من الدول العربية بما فيها مصر.

وقد اعتقله أفراد من الجيش الإنجليزي ليلاً واقتادوه إلى المعتقل. فتدخلت دائرة معارف الكويت لإنقاذه من معتقله، واحتجت على الإجراء البريطاني ضده، ونتيجة لذلك أطلق سراحه وعاد إلى الوطن.

وكان يوسف المشاري البدر مدرساً في المدرسة المباركية حين تم انتدابه إلى هذه البعثة. وكان ضمن الذين يقومون بالتدريس معه الأساتذة راشد السيف، وعبدالمحسن البحر، وعبدالعزيز العتيقي وآخرون.

عرفت المرحوم يوسف مشاري الحسن البدر معرفة جيدة، منذ كنت أتردد على مكتبة الخليج التي افتتحها في شارع الأمير، وصار يقدم فيها آخر ما يصدر من كتب ومجلات، صارت هي ملتقى لعدد من الأدباء ومحبي الأدب والثقافة، وتوثقت صلتي به كثيرًا عندما عملنا معًا في وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام حاليًّا). وكان ملحقًا صحافيًّا في سفارة الكويت ببيروت فور افتتاح السفارة، وكان افتتاح هذه السفارة قد تأخر لأن حكومة لبنان لم تعترف بالكويت دولة مستقلة كغيرها من الدول التي بادرت إلى ذلك إذ كان بيع التفاح اللبناني على عراق عبدالكريم قاسم مهمًّا عند الحكومة اللبنانية بحيث لا تبالي أين يقع الحق. ما يهمنا أن يوسف البدر قد توجه إلى لبنان وسرعان ما كوّن له علاقات وطيدة مع رجال الإعلام والسياسيين اللبنانيين فلا تكاد تسأله عن شخص منهم حتى ينبئك عنه نبأ الخبير الذي يعرف الكثير. وقد كان الرجل يتردد على الكويت لمتابعة بعض الأعمال المنوطة به، وكان يشارك في عدد من المؤتمرات الإعلامية، ولذلك كثر لقائي به

فوجدت فيه رجلاً طيب النفس، عالي الأخلاق، وفيّاً لكل من يعرف، حريصًا على أداء واجبه من منطلق وطني وقومي الأمر الذي يجعله يسعى إلى تقوية العلاقات بين الكويت والبلد الذي أوفد إليه، وقد نجح كثيرًا في ذلك، ولا يزال اللبنانيون الذين عاصروا زمن عمله هناك واحتكوا به يذكرون هذا الرجل النبيل بكل خير.

والثاني هو: جاسم مشاري الحسن البدر أحد ولديّ مشاري الحسن البدر، ولد في سنة ١٩٢٥م، درس في مصر، وتخرج في كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٧م.

عين في اليوم العشرين من شهر أبريل لسنة ١٩٦٠م مديرًا لدائرة العدل، وعندما حُوِّلت الدوائر الحكومية إلى وزارات صار وكيلًا لوزارة العدل وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٦٢م واستمر في عمله هذا إلى أن تقاعد، وعمل بالمحاماة، وعين فيما بعد عضوًا في المجلس البلدي يوم الثالث والعشرين من شهر يونية لسنة ١٩٨٠م.

وكان جاسم المشاري البدر كما كان أخوه يوسف مدرسًا قبل أن يتجه إلى الدراسة العالية. وهو بعد أن أنهى دراسته في الصف الأول الثانوي بالمدرسة المباركية أرسل إلى مصر لإكمال المرحلة الثانوية، ومن ثم الدراسة في الجامعة، وذلك في سنة ١٩٤٣م. وكان قبل ارتحاله للدراسة مدرسًا منذ سنة ١٩٤٠م حتى سنة ١٩٤٣م.

يبدو لنا - بجلاء - نشاط جاسم مشاري الحسن البدر أثناء وجوده في مصر حيث يتلقى دراسته، وذلك منذ وقت مبكر، ففي سنة ١٩٤٦م كان يشارك في الأنشطة الطلابية التي يقوم بها زملاؤه في بيت الكويت بالقاهرة وأول نشاط عرفناه له هو التمثيل فقد شارك في أداء تمثيلية بعنوان «معركة اليرموك» مع الأستاذ حمد الرجيب وعدد من الطلبة.

ثم وجدناه يكتب عددًا من الموضوعات في مجلة البعثة منها مقال وصف فيه زيارة قام بها المبعوثون الكويتيون إلى (دار الهلال) الشهيرة، ومنها إحدى الطرائف التي ذكرها ضمن عدد آخر أورده بعض زملائه.

واستمر حبه للمسرح، ولكنه عبر عنه هذه المرة بمقال نشره في شهر سبتمبر لسنة ١٩٤٨م تحدث فيه عن أهمية الاهتمام بالمسارح الشعبية.

وكان ينوِّع في كتاباته، فهذا مقال عن الإجازة التي قضاها في الوطن بعد عناء الدراسة طوال عام دراسي كامل، قدم فيها وصفاً كاملاً لحياته في هذه الفترة التي استغرقت ثلاثة شهور، واعتبرها فرصة للحديث عن الكويت وأهلها وبحرها ولقائه أصحابه خلالها.

ويتسع في اختياراته الكتابيّة فيكتب في سنة ١٩٥١م مقالًا عن البترول تحت عنوان «البترول يعيد الحياة إلى الكويت» معتمداً على ما نشرته جريدة «البلاغ» المصرية التي صدرت في تلك السنة، أما في شهر يناير لسنة ١٩٥٢م فقد نشر مقالاً ذا صبغة محلية تناول انتخابات مجالس الإدارات الحكومية التي جرت في الكويت آنذاك، وكان عنوانه «المجالس المحلية والمجالس الإدارية» وقد استغل ثقافته القانونية التي بدأت تتشكل مع قرب تخرجه في كلية الحقوق فتحدث كثيراً عن هذه الانتخابات وعن المجالس التي انبثقت عنها من الناحيتين القانونية والإدارية.

ومع اهتمام جاسم مشاري الحسن البدر بمختلف الأمور التي تهم وطنه وتهم زملاءه فقد كانت له مشاركات أخرى تتعلق بالناحية التنظيمية للطلاب، ونحن نلاحظ أنه عندما تداعى أبناء الكويت بمصر لإنشاء اتحاد يجمعهم وينظم أنشطتهم كان صاحبنا من المبادرين إلى المشاركة في تأسيس هذا الاتحاد، وقد

انتخب عضوًا في هيئته الإداريـة، وكان رئيس الاتحاد - يومذاك - الأستاذ عبدالعزيز الصرعاوي، ووكيله الأستاذ فيصل الصالح، وأمين السر الأستاذ ابراهيم الشطي.

وبعد، فهذا إجمال لسيرة السيد مشاري الحسن البدر، وسيرة ولديه يوسف وجاسم. وكم كنت أتمنى الإفاضة في ذلك لولا ضيق المكان، ولكن الإشارة تكفي اللبيب، وقد يكون فيما كتبت دافعًا لأحد أبناء الكويت لمتابعة هذا الأمر والزيادة عليه. رحم الله الثلاثة وأثابهم.

****

ملحاق خير

جاءتني بواسطة الفاكس رسالة من الأخ عبدالله محمد ناصر الدويع العجمي، يسرني أن أورد نصها فيما يلي تعميمًا للفائدة.

«لم نرسل لك هذه الرسالة نحن بل مشاعرنا وذكرياتنا وحنين الماضي الجميل هي التي أصرَّت على أن ترسل لكم، تمر علينا هذه الأيام ذكرى العام الرابع عشر على وفاة المرحوم الشيخ جابر العلي السالم الصباح طيب الله ثراه الرجل الذي فقدناه إلا أنه باقي في قلوب أحبابه لا يكفي المدح ولا الشعر ولا الكلمات، هذا الرجل العظيم لما قدمه تجاه أقربائه وأصدقائه وشعبه، ونأمل في هذه المناسبة أن تحظى مقالتكم القادمة باستذكار هذه الشخصية العزيزة على قلوبنا، وتغمرنا السعادة عندما تنشر صورة زيارة المرحوم الشيخ جابر العلي إلى خاله المرحوم ناصر الدويع العجمي والشكر في الأخير على اهتمامكم بماضي الدولة العريق والحرص على تثقيف وتذكير الأجيال الجديدة بعبق ماضي الكويت الجميل».

وأنا هنا أود أن أوضح للأخ الكريم عبدالله أنه لا يختلف اثنان على أن المرحوم الشيخ جابر العلي قيمة وطنية لا تعوَّض، وأنه خدم بلاده وأهل بلاده أجل الخدمات على المستويين الرسمي والشخصي، وقد أسعدني أنني ألفت حول

سيرته الغنية بالمآثر كتابًا تحت عنوان «الشيخ جابر العلي السالم الصباح، نظرة في تاريخ رجل» أتمنى أن يكون الأخ عبدالله قد اطلع عليه. وسوف يرى فيه الصورة التي أشار اليها، وهي التي أعيد نشرها مع هذا الملحاق نقلاً عن الصفحة رقم (١٨٤) من الكتاب.

رحم الله فقيدنا وأسكنه فسيح جناته، وأشكر الأخ الكريم على رسالته، وعلى اهتمامه.

****

بداية العمل الصحافي في الكويت
مجلة «الكويت» (١)

المتتبع للحركة الثقافية والنشاط الاجتماعي في الكويت منذ البداية الأولى للقرن العشرين يجد اسمًا من أسماء أبناء الكويت يتكرر دائمًا مشاركًا في كل نشاط باذلًا جهده في العمل على أن تتابع الكويت السير متقدمة في مجال التعليم وفي مجال الثقافة باعتبارهما المدخل إلى التقدم في كثير من شؤون الحياة، هذا الرجل هو الشيخ عبدالعزيز الرشيد الذي بادر في سنة ١٩٢٦م بإصدار كتابه «تاريخ الكويت» مؤرخًا فيه لفترات مهمة من حياة وطننا الحبيب، وألحق بذلك في سنة ١٩٢٨م إصدار مجلته الشهيرة التي أطلق عليها اسم الكويت، وكان إلى جانب ذلك كثير المشاركة في اللجان الشعبية التي تبادر إلى القيام بالأعمال الاجتماعية المختلفة، ونحن كلما اطلعنا على نشأة مشروع حيوي من المشروعات التي أقيمت في تلك الفترة بأيدي عدد من الكويتيين وجدنا الشيخ عبدالعزيز الرشيد واحداً من هؤلاء المبادرين، ووجدنا في لقاءات التأسيس لتلك المشروعات آراء قيمة، واقتراحات سديدة.

في اليوم الثالث من شهر فبراير لسنة ١٩٣٨م توفي المرحوم الشيخ عبدالعزيز الرشيد، فأسف لوفاته الجميع، وعلى الرغم من أن خبر وفاته جاء متأخرًا إلى

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١١/٤/٢٠٠٧.

أرض وطنه إلا أن رنّة الحزن كانت عليه قوية لما أداه من خدمات لاتنسى، وقد كان في أواخر أيامه في جاوة حيث وصل إليها في منتصف شهر أغسطس لسنة ١٩٣٧م، وبقي فيها يؤدي دوره المرسوم في التعليم والوعظ والإرشاد والإصلاح إلى أن توفاه الله بعيدًا عن وطنه.

كان عبدالعزيز الرشيد كتلة من النشاط لا تهدأ، يعمل في كل وجه من وجوه العمل الاجتماعي والثقافي في الكويت وخارجها، اشتغل بالتدريس والوعظ وألف الكتب، ونظم الأشعار وقام بعدة رحلات إلى مناطق متعددة، وترك عند وفاته آثاراً مهمة منها كتابة تاريخ الكويت، ومنها أعداد مجلة الكويت التي أصدرها منذ شهر مارس لسنة ١٩٢٨م حتى شهر مارس لسنة ١٩٣٠م.

نتحدث هنا عن مجلته التي أصدرها في شهر مارس لسنة ١٩٢٨م استمرت في الصدور حتى شهر مارس لسنة ١٩٣٠م، وهي مجلة يجدر بنا أن نقف فنستعرض تاريخ نشأتها وأسلوب النشر الذي اعتمده صاحبها، وهي تستحق هذه الوقفة لأن لها فضل السبق، فهي أول مجلة كويتية.

صدرت مجلة الكويت بموجب موافقة الشيخ أحمد الجابر الصباح على صدورها بعد أن اطلع على موضوعات العدد الأول منها، وقد طلب أن يكون الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رقيبًا عليها.

صدرت هذه المجلة بعد أن عرض الرشيد فكرتها على الشيخ أحمد الجابر الصباح - أمير الكويت آنذاك - فوجد منه تشجيعًا واهتمامًا بالأمر، ولذا فقد صدر أول عدد منها بتحية وإهداء إلى الشيخ باعتبارها حسنة من حسناته العديدة، وفي مقدمة العدد الأول يقول الرشيد: «إن إصدار مجلة للكويتيين في الكويت أمنية كان

الوصول إلى قمتها من أسمى ما تتوق إليه النفس»، ثم تحدث عن أبواب المجلة التي اشتملت على موضوعات في الدين ورد الشبهات عنه، والأخلاق والموازنة بين القديم والجديد، والأدب، والتاريخ، والتراجم، واللغة، ومتفرقات من الفوائد، وقد حفظت لنا هذه الأعداد القليلة كنزًا مهمًّا من آثار أدباء الكويت في عصره، فهي تضم لهم مقالات وملاحظات وأشعارًا لم تكن لنحصل عليها لولا أن سجلها صاحب مجلة الكويت في مجلته، وستبقى هذه المجلة دليلًا قاطعًا على اهتمام أهل الكويت بالثقافة والحرص على الوصول إلى منابعها بكل الوسائل الممكنة.

طبعت المجلة في المطبعة العربية بمصر، وكان صاحبها ومديرها - آنذاك - الشاعر الأديب السوري خير الدين الزركلي وقد اجتهد الشيخ عبدالعزيز الرشيد في عمله بالمجلة من حيث إعدادها للنشر، ومتابعة توزيعها والرد على مراسلاتها فكان هو كل إدارة المجلة من تحرير وتوزيع ومحاسبة وغير ذلك. وقد استطاع بجهوده واتصالاته أن يحصل على مشتركين عددهم ثلاثمائة شخص فيكون قد ضمن منذ البداية توزيع ثلاثمائة نسخة وهذا عدد جيد بالنسبة لتلك الأيام.

وكما قلنا فقد طرز الرشيد العدد الأول بإهداء إلى الشيخ أحمد الجابر، قائلا: «مَن أحقّ الناس يامولاي بإهداء المجلة إليه منك يا صاحب السمو الأمير الجليل، ولولاك لما صح لها أن تبرز إلى عالم الوجود اليوم».

وقد حرص صاحب المجلة على أن يعرض منذ العدد الأول الأبواب التي رأى أن تحتوي عليها بقية الأعداد وقد كانت أحد عشر بابًا أشرنا إلى بعضها قبل قليل.

وقد التزم بهذه الأبواب إلى آخر عدد صدر من مجلته التي ضمت إلى كل ذلك عددًا لا بأس به من المعلومات عن الكويت وأخبارها، واهتمت برسائل القراء التي فيها أسئلتهم أو ما تَعِنُّ لهم من معلومات يودون نشرها إلى جانب كثير من الأمور التي تعنى بها المجلات، ولم تتوقف المجلة لأن همّة صاحبها قد ضعفت، ولكنها

توقفت لاشك . لأسباب مادية فالتوزيع لا يكفي والإعلانات معدومة لذا لم يجد الرشيد أمامه سبيلاً إلى الاستمرار في إصدار مجلته فتوقف بعد السنة الثانية.

ومما يسرنا أن الأعداد التي صدرت من مجلة الكويت قد أعيد طبعها ونشرها بهمة دار نشر كويتية هي دار قرطاس للنشر.

كان من الطبيعي - والمجلة كويتية - أن تورد أشياء كثيرة عن الكويت، وأن يكون نصيب أهلها وبخاصة الأدباء وافراً من حيث ذكرهم وإيراد أخبارهم والحديث عن إنتاجهم.

لما كان استعراض موضوعات المجلة كلها في مكان كهذا صعبًا لكثرة ما يمكن أن يقال في هذا الشأن فإن من الممكن استعراض ما ورد فيها عن الكويت.

وفيما يلي نوجز شيئًا عن ذلك بغية الاطلاع على توجه المجلة من جهة، وعلى أنواع النشاط الأهلي والحكومي آنذاك من جهة أخرى، وفي ما يلي نورد ذلك:

- في الصفحة التاسعة عشرة من «العدد الأول» قصيدة طويلة للشاعر صقر الشبيب الذي كان الرشيد معجبًا به وبشعره وبتوجهه الإصلاحي، ومطلعها:

دعوا العواطفَ لا تقفوا لها أثراً
واقفوا عقولَكم سلبًا وإيجابا

وهي غير واردة في ديوانه المطبوع بإشراف المرحوم أحمد البشر الرومي خلال سنة ١٩٦٨م

وفي الصفحة الثالثة والعشرين من العدد نفسه أورد صاحب المجلة مداعبات شعرية وهي عبارة عن أبيات شعرية بين الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشاعر خالد محمد الفرج، وقد تناولا فيها الموضع المسمى لوذان.

في الصفحة الرابعة والعشرين التالية للصفحة السابقة أورد نبذة عن حياة الشاعر الفنان عبدالله الفرج، ثم في ص٢٦ جاء بكلمة عن اللهجة الكويتية، ذكر فيها عددًا من الكلمات العربية المتطابقة مع اللهجة الكويتية.

جاء بعد ذلك العددان الثاني والثالث معًا، وفي ص٦٦ منهما قصيدة للشاعر صقر الشبيب يحيي فيها ذكرى الشيخ علي سالم الصباح الذي استشهد في معركة من المعارك القديمة في سنة ١٩٢٨م، وهي منشورة في ديوان الشاعر في الصفحتين رقم ٢٣٢ و٢٣٣.

وفي ص٦٨ سبعة أبيات قالها صاحب المجلة على لسان أحد تلاميذ المدرسة الأحمدية، وقد ألقاها هذا التلميذ في حفلة مدرسية ومطلعها:

يـا أيـهـا الأقــوامُ صـونـوا أرضَـنـا
بمـــدارسٍ فـيـهـا الـعـلـومُ تُـصـانُ

وفي ص٧٥ حتى ص ٧٨ حديث عن بعض الغارات التي شنها البعض على الكويت، وهي أحداث كانت شائعة في المنطقة في ذلك الوقت.

وفي ص٨٠ أورد أبياتًا للشاعر عبدالله الفرج، وهي باللغة الفصحى.

وفي ص٨٣ مقال عن الشيخ محمد بن فارس فيه ترجمة وافية له منذ ولادته حتى وفاته، وهو رجل من رجال العلم والفضل، وكان من معلمي الشيخ عبدالله الخلف الدحيان العالم الديني الشهير.

في ص١٠١ حديث عن حفلة تأبين أقيمت في ذكرى استشهاد الشيخ علي السالم الصباح، وكانت في ليلة العشرين من شهر رمضان لسنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٨/٣/١م) وقد جاء في المجلة وصف للحفلة وما دار فيها وأسماء المتحدثين شعرًا ونثراً.

وفي الصفحة ذاتها يقول الرشيد أنه حصل من الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت الأسبق على امتياز فتح مطبعة هي الأولى من نوعها في البلاد، ويبدو أن هذه المطبعة لم تر النور لأسباب غير معروفة.

وفي آخر هذين الجزأين (ص١٠٤) يأتي إعلان تجاري، ولكن من يقرؤه الآن لا يظن به ذلك، وقد كانت إعلانات ذلك الزمان شبيهة بما هو في مجلة الكويت، وللإعلان عنوان هو: أحمد بن محمد آل غانم وهو شخصية كويتية معروفة ومرموقة. ونص الإعلان هو: «من أشراف الكويتيين اتخذته شركة النفط التي في عبادان وكيلها الوحيد في الكويت للقيام بمهامها وسائر ما يرجع إليها هناك ثقة بأمانته وصدق لهجته واعتمادًا على نشاطه ونشاط أبنائه الأفاضل الذين كانوا له عضدًا كبيرًا.

وحضرته مستعد لأن يكون وكيلاً عن كل من يميل إلى تصريف أنواع البضائع الأجنبية في الكويت على اختلافها مع النظافة في المعاملة وبذل الاجتهاد في التصريف فعلى من يرغب في ذلك مراجعة حضرته في الكويت بهذا العنوان (أحمد بن محمد آل غانم)».

وكان العددان الرابع والخامس مندمجين في طبعة واحدة، وفي ص ١٤٩ منهما قصيدة للشاعر صقر الشبيب هي في ديوانه ص ٢٣٠ و٢٣١.

وفي ص ١٥٠ قصيدة للشاعر عبدالله العلي الصانع وكان نزيل دبي في ذلك الوقت ومطلعها:

تَـذكُــرَ قـومَـــهُ فَـجَـفـا كـراهُ
أخـــو هَـــمٍّ حـلـيـف الـنـائـبـاتِ

وفي الصفحة التي تلتها قصيدة للشاعر محمود شوقي الأيوبي.

وفي ص ١٥٢ حديث عن اتفاق عقد في اليوم الأول من شهر مايو لسنة ١٩٢٨ بين مصلحة بريد العراق وشركة السيارات الكويتية على نقل البريد بين البلدين.

اختصرت فيه كما تقول المجلة مدة نقل الرسائل من البصرة إلى الكويت من عشرة أيام بوساطة السفن الشراعية إلى بضع ساعات.

في ص ١٤٥ من العدد ذاته تحدَّث صاحب المجلة عن مدرسة السعادة وهي مدرسة سبق لنا الحديث عنها، أسسها المرحوم شملان بن علي بن سيف لتعليم الأيتام، يقول الرشيد: «وقد قام هذا المحسن بأعبائها بنفسه، وحمل أثقالها على عاتقه حسبة وأجرًا، وآلى ألا يدعها ما دام في القوس منزع، وأوقف أخيرًا على مصالحها سفينة كبيرة لتنتفع بدخلها».

في ص ١٥٣ حديث طويل عن قبيلة - العوازم تحدث فيه عن أصل القبيلة وعن جدهم الأول وهو الفصل الأول من الموضوع، وجاءت بعده متابعة لا مجال لذكرها.

في ص ١٥٥ جاء الفصل الثالث عن المقالات التي خصصها صاحب المجلة للحديث عن الشاعر عبدالله الفرج، وأورد فيه بعض قصائده، وقد لحقته فصول أخرى لا داعي لذكرها.

في العدد السادس من المجلد الأول ص ٢١٢ أورد بضعة أبيات من قصيدة القاها الشيخ عبدالله النوري في حفل تأبين الشيخ علي السالم الصباح الذي أقيم في المدرسة المباركية وسبقت لنا الإشارة إليه من واقع أحد أعداد هذه المجلة.

في ص ٢٢١ من العدد نفسه خبران أحدهما عن الآبار الارتوازية في الكويت ذكر فيه أنه قد «شعر الكويتيون بالخطر الذي يتهددهم لاعتمادهم على السفن الشراعية التي تنقل ماءهم الذي يشربون من نهر البصرة وفي مقدمتهم حاكم

الكويت المعظم الأمر الذي حدا بسموه إلى أن يعقد اتفاقًا مع الميجر هولمز على حفر بئرين ارتوازيين هناك (في الكويت) وقد بوشر العمل فعلًا من نحو ستة أشهر واعترض العمال في أثنائها عقبات اضطرتهم إلى الانتقال من مكان إلى آخر وأخيرا استجلبوا آلة حافرة أضخم وأقوى من الأولى والعمل فيها جار الآن بهمة ويؤمل أن يتم قريبًا على ما يسر، ولا ريب أن نجاح هذا المشروع مع كونه يزيل عن الكويتيين خطرهم يعد من حسنات سمو الأمير الجليل وستكون الكويت بعده جنة غناء ملتفَّة بالأشجار مغردة الأطيار حقق الله الآمال».

أما الخبر الثاني فعنوانه «جريدة الصباح في الكويت» وهي تعبير عن الطموح الذي كان يتمتع به الأمير، وذلك ما ورد في الخبر حيث يقول: «أراد سمو الأمير الجليل ألا يقتصر على إصدار مجلة (الكويت) في وطنه وحسب بل أراد أيضًا أن يكون بجانبها جريدة أسبوعية باسم (الصباح) تطبع في نفس المطبعة التي استحدثها سموه وقد أصدر أمره بذلك، وعهد بإدارة تحريرها إلى صاحب هذه (المجلة) وستصدر قريبًا إن شاء الله).

وفي ص ٢٢١ حديث طويل عن حياة الشيخ عبدالله السالم الصباح، عن تميزه بالاطلاع وحب الآداب ومناقشة العلماء والأدباء، وأورد المقال اهتمامه بمجلة الكويت كما أورد بعض ما قاله الشعراء فيه من شعر.

وفي ص ٢٦٢ من العدد السابع ورد مقال بعنوان «مشكلة الزواج في الكويت» أورد فيه كاتبه ما يلاقيه الشباب من صعوبات عند عزمهم على الزواج، ويقدم في آخره بعض المقترحات المفيدة.

في شهر صفر لسنة ١٣٤٧هـ الموافق لشهر يوليو من سنة ١٩٢٨م سافر الشيخ يوسف بن عيسى إلى البحرين، وكان سفره ذلك من أجل استطلاع عمل بلدية البحرين التي نشأت هناك، وكان لنشأتها أثر في تغير الكثير من الأمور الحياتية

إلى الأفضل، وعندما عاد قدم اقتراحًا إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح الذي قبل الاقتراح الداعي إلى إنشاء بلدية الكويت، وقد نشرت مجلة الكويت مقالاً ضافيًا عن انطباعات الشيخ يوسف خلال زيارته، وعن بلدية البحرين.

لا تزال المجلة تقدم قصائد الشاعر عبدالله الفرج، والمقارنة بين الفصحى والعامية الكويتية.

لحق ذلك خطاب من الزعيم التونسي الشيخ عبدالعزيز الثعالبي، وفيها نصائح للمجلة.

كان الشيخ عبدالله السالم الصباح قد اشترك بعدد من نسخ المجلة تشجيعًا لصاحبها على المضي في إصدارها، ونشر في الجزء السابع بيانًا بأسماء الجهات التي طلبت الشيخ عبدالله أن توجه إليها الأعداد التي اشترك بها وهي: جمعية الشبان المسلمين بمصر، وجمعية الهداية الاسلامية بمصر، وجمعية مكارم الاخلاق بمصر، والأستاذ أحمد زكي باشا، والأستاذ أحمد تيمور باشا، والشيخ عبدالعزيز جاويش، والكلية الأعظمية في بغداد، والكلية الرحمانية في البصرة، وندوة العلماء في الهند.

ومن هنا يبدو أن الشيخ عبدالله قد اختار فيما عدا الجمعيات رجالاً كانوا يعتبرون من القمم العلمية والثقافية في ذلك الوقت، وبذلك فإن وصول المجلة إلى هؤلاء سوف ينقل إليهم صورة جميلة عن الكويت.

في الجزء الثامن - أيضاً - أبيات من قصيدة للشاعر ناصر جاسم الغانم عنوانها: «دمعة على الإسلام» ويبدو من هذه الأبيات أنها صدرت من شاعر جيد الشعر وكم نتمنى أن نطلع على باقي شعره، أو أن نعرف شيئًا عن حياته وظروف نشأته.

في العدد الثامن محاورة شعرية بين شاعر الكويت صقر الشبيب والقاضي عبدالمحسن البابطين وكانت هذه المحاورة مكونة من عدة قصائد تم تبادلها بينهما.

وفي الجزء العاشر قصيدة للشاعر صقر الشبيب يقول مطلعها:

ما زلتُ أشكو من زماني نوبا

تغادر الطفلَ الرضيعَ أشيبا

وهي في ديوانه ص ١٥٦ .

وقصيدة أخرى للشاعر ناصر جاسم الغانم.

وأخرى للشاعر عبدالله العلي الصانع.

في المجلد الثاني، الجزء الأول، خبر عن مولد الشيخ جابر العبدالله الجابر الصباح هذا نصه:

«في العام الفائت رزق الله سمو الأمير المفضال الشيخ عبدالله بن جابر آل الصباح رئيس النادي الأدبي في الكويت سابقًا وأحد أفراد هذه الأسرة الغيورين ولدًا ذكرًا أسماه (جابرًا) باسم أبيه وقد هنأ حضرته به بعض علماء الكويت وأدبائها بأبيات غُرٌّ منهم الاستاذان الجليلان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وأستاذنا الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان وإليك ما قاله الأول لا فضّ فوه.

أهنيك عبدالله بالبدر جابر

به جبرَ اللهُ الخواطر مذ ظهر

ونرجو له حفظًا من الله دائماً

وذكرًا جميلاً بالمحاسن مُشتَهَرْ

ومن كنت يا ربَّ المكارم أصلُهُ

جديرٌ بأن يسمو بأخلاقك الغُرَرْ

في الجزء الثاني من المجلد حديث طويل عن الشيخ فهد السالم الصباح، جاء فيه: «هذا الشاب المهذب هو أحد الشباب النابه من بيت آل الصباح العائلة الحاكمة في الكويت وممن شغفوا بالعلم وتحصيله شغف سواه بشهوته ولذته.

تلقي مبادئ العلوم الابتدائية في المدرسة الأحمدية ثم كان أحد أفراد البعثة العلمية التي خرجت من الكويت إلى العراق، وبقي في الكلية الرحمانية في البصرة برهة من الزمن يرتشف من نمير العلم الزلال ثم عاد إلى وطنه الكويت مملوء الحقيبة والإهاب، وأخيراً حدا به الشوق إلى أن ينضمّ في سلك طلاب الجامعة الأمريكية في بيروت فكاشف أخاه الكبير سمو الأمير الجليل الشيخ عبدالله السالم الصباح في ذلك العزم وهو لا يدري ماذا يصادف ولكنه لم يجد من سموه إلا كلّ تشجيع على تلك المهمة الشاقة ولا بدع أن يجد من سموه مثل هذا التشجيع، وسموه ممن يعرفون مزايا العلم بأنواعه، ويعلمون أن الوقت المقبل ليس له من السلاح النافع سواء دينيًّا أودنيويًّا، ولهذا فقد سافر ذلك الشاب فعلا إلى الجامعة في العام الفائت وهو الآن في الكويت لتمضية العطلة الصيفية وسيرجع إليها بعد أن تفتح وفقه الله وسدد خطاه وأصلح دينه ودنياه، وأبقى له ولإخوانه سمو الأمير الجليل أخاهم الكبير الذي تجسمت فيه الشفقة عليهم بأكمل معانيها».

وفي الجزء الأول من المجلد الثاني موضوع يتعلق بانقاذ طائرة بريطانية هذا فحواه: «في النصف من محرم ذهب الوجيه الجليل المحترم الحاج محمد الثنيان آل غانم هو وجملة من إخوانه وأصحابه في (ماطوره) البحري الخاص للتنزه، وبينما هم سائرون في عرض البحر قرب جزيرة (بوبيان) وإذا بطيارة مائية محلقة في الفضاء أخذت تنزل على سطح البحر تدريجيًّا فظنها صاحبنا الفاضل قد أصيبت بخلل اضطرها إلى النزول فتقدم إليها ليستطلع أمرها ولكنه وقد أبصرها تحاول الطيران زال ما كان توهمه في شأنها فرجع أدراجه وكاد يتركها تلعب بها

أمواج البحر لولا أن أهلها رفعوا علمًا بريطانيًّا أسود ورموا في الهواء قنبلة نارية ليشعروه بأنهم واقعون في خطر يجب إنقاذهم منه وهذا ما حدا بحضرته إلى أن يكرَّ راجعًا مرة أخرى إليها وقد تمكن بعد رجوعه وبعد علمه بحقيقة الحادثة من إنقاذ أهلها وكان من بينهم أحد السواح المثرين البريطانيين الكبار وتمكن أيضًا من إنقاذ الطيارة نفسها التي ألحقت بماطوره شيئًا من الخلل لضخامتها ولم يفلتها مع هذا إلا بعد أن أوصلها مرفأ السلامة في شط العرب، وبعد أن استلمها أحد المراكب البريطانية التي أخذت تبحث عنها عندما علمت بما أصابها».

ذكرت المجلة في الجزء الأول من المجلد الثاني حديثًا عنوانه «وفيات» تحدثت فيه عن وفاة ثلاثة أشخاص منهم من أهل الكويت ناصر يوسف البدر، والسيد خلف النقيب، وأوردت نبذة عنهما جاء فيها:

أولاً: الحاج ناصر يوسف البدر وقد قال عنه: «في شعبان من سنة ١٣٤٧ هجرية (فبراير ١٩٢٩م) توفي هذا الوجيه في الكويت وهو رحمه الله القطب الذي يدور عليه بيت آل بدر الكرام وكان لموته رنة أسف عظيمة عند عامة الكويتيين وخاصتهم لما هو معروف عنه من الكرم والأخلاق وكانت له رحمه الله عند حاكم آل الصباح وبالأخص الشيخ مبارك منزلة عالية فرحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والثواب».

ثانيًا: السيد خلف باشا النقيب، وقال عنه: «توفي السيد الجليل في مدينة الكويت في شهر صفر سنة ١٣٤٨هـ (يوليه ١٩٢٩م) بعد مرض ألزمه الفراش مدة من الزمن، وكان يشكو من ألم القلب. وقد شيعت جنازته - رحمه الله - بموكب مهيب حافل مشى فيه الكويتيون على اختلافهم من أمراء وعلماء وأعيان وكان من بينهم سمو الأمير الجليل الشيخ أحمد بن جابر آل الصباح حاكم الكويت وابن عمه سمو الأمير الجليل الشيخ عبدالله بن سالم الصباح وبقية أفراد العائلة الحاكمة».

ملحق خير

كثيراً ما ذكرنا أن مباني المساجد لها دلالتها على تاريخ الكويت، وبعضها يقرب تاريخ إنشائه من الفترة التي بدأ الكويتيون فيها في إنشاء دولتهم، كمسجد البحر الشمالي الذي بني في سنة ١٦٨٠م وهو تاريخ قريب من تاريخ نشأة الكويت في سنة ١٦١٣م. ومن حسن الحظ أن بعض المساجد القديمة لاتزال قائمة، ولايزال تاريخها معروفًا محفوظًا يدل على العناية التي بذلت فيها، وعلى تقدير أبناء البلاد لهذه الأماكن الدينية السامية، وقد جاءت مسألة دلالة مبانيها التاريخية فائدة أخرى تحسب لها.

وإذا عددنا المساجد القديمة في الكويت، فلابد أن نذكر منها مسجد سعيد، وهو مسجد من أقدم المساجد عندنا حيث أسس في سنة ١٨٧٨م، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى إمامه سعيد الذي كان يعمل عند آل الفلاح، وكان يشتغل أحياناً في الغوص بوظيفة (سيب) وهو الذي يجر الغائص من قاع البحر حين ينهي مهمته ويعتزم الخروج من القاع.

وحين نشأت دائرة الأوقاف العامة أعادت إليه اسم مؤسسه وهو عباس الهارون الذي بناه من ثلث مال أحد المتوفين الذي كان موكلاً بتدبيره وإنفاقه في الخيرات. ولذا فإن هذا المسجد قد أصبح معروفًا باسم: مسجد عباس الهارون، ولم يجدد المسجد بعد بنائه الأول إلا بعد فترة طويلة حيث تم الانتهاء من تجديده في يوم السادس من شهر مارس لسنة ١٩٥٠م.

أما اليوم فقد قام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بعمل جليل تجاه هذا المسجد حين أدرجه ضمن المواقع الأثرية التي يرعاها، فجدده تجديدًا شاملًا حافظ فيه على نمطه القديم، وأكسبه مظهرًا جميلًا جذابًا. يقع المسجد في حي القبلة، وهو مقابل لمبنى شركة البترول الوطنية الواقع بالقرب من المبنى القديم لغرفة تجارة وصناعة الكويت، وكانت تحيط به البيوت من جميع جوانبه منها بيت المرحوم زيد السرحان، وعبدالمحسن العساف، وآل فلاح، والمرحوم عبدالله البحر، وغيرهم كثيرون، وكان يخدم هذه المنطقة، والمنطقة المجاورة التي تسمى فريج السبت. والمبنى صغير، ولكنه يؤدي الغرض ولا يضيق بالمصلين، وكان هؤلاء يصلون فوق سطح المسجد في أوقات الحر الشديد، لعدم توافر أدوات التكييف المعروفة لنا اليوم. وله مدخلان أحدهما شمالي يطل على سكة طويلة لا يزال أثرها بارزاً حتى الآن، والآخر جنوبي وهو المطل اليوم على شركة البترول الوطنية وغرفة تجارة وصناعة الكويت. أمَّ الناس في مسجد عباس الهارون عدد من الأئمة كان منهم الملا سليمان النامي، والشيخ مساعد بن خليفة الخرافي، وكان المرحوم الشيخ محمد بن سليمان الجراح إمامًا في هذا المسجد لمدة طويلة بعد أن انتقل إليه من مسجد العثمان في القبلة، وكان إضافة إلى الإمامة يقوم بتقديم دروس دينية نافعة للمصلين في ليلتين من ليالي الأسبوع.

ولاتزال في أوراق وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وثيقة تثبت وجود وقف على هذا المسجد هو عبارة عن بيت يقع في منطقة القبلة.

****

مجلة كاظمة الكويتية[1]

هذه مجلة كويتية قديمة صدر أول عدد من أعدادها في شهر يوليو لسنة ١٩٤٨م. كانت أعدادها الأولى تنبئ عن جهد كبير أدى إلى صدورها، وتدل على اهتمام ثقافي دفع بها إلى الأمام، ولكنها - للأسف الشديد - قد احتجبت عن قرائها بعد صدور العدد التاسع الذي صدر في شهر مارس لسنة ١٩٤٩م، بعد أن كانت الآمال معلقة عليها في سد ثغرة من الثغرات المهمة في حياة الكويت تلك الأيام التي كان الكويتيون فيها يتطلعون إلى شيء من نتاج أبناء وطنهم فيه علم وثقافة عامة وأدب وفيه نظرة على الداخل والخارج. ولكن هذا التوقف لم يكن غريبًا، فقد كانت هذه سنة الحياة بالنسبة للصحف الكويتية التي صدرت قبلها أو معها، إذ لم تكن الظروف مهيأة تمامًا لمثل هذا العمل المهم ولم تكن الوسائل كافية للاستمرار في الإصدار.

كانت مجلة (كاظمة) هي أول مجلة تطبع في الكويت منذ عددها الأول حتى توقفها عن الصدور، وكانت تطبع في مطبعة المعارف التي كانت أول مطبعة تجارية في البلاد، وهي المطبعة التي نشأت بجهود ومتابعة الأستاذ أحمد البشر الرومي والسيد حمود عبدالعزيز المقهوي، ولم تكن هذه المطبعة مهيأة لطباعة المجلات ولكنها قامت بذلك رغبة في المساهمة في نشر الثقافة بين أبناء الوطن. وتقديرًا للهيئة التي تصدر المجلة.

تظهر أهداف المجلة جلية على غلافها، فبعد ذكر اسمها الذي تحيط به لوحة جميلة تمثل ماضي (كاظمة) نجد التعريف بها كما يلي: «مجلة تصدر بالكويت» ثم

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٥/٤/٢٠٠٧م.

نجد الأهداف التي وضعت فوق عنوانها الرئيسي، وهي: «علوم، فنون، اجتماعيات، قصص، شعر، وكتب» وللقارئ أن يتخيل مدى طموح المشرفين على هذه المجلة وكتّابها إذا عرف هذه الأهداف فهي شاملة لأمور كثيرة تصب كلها في خانة الثقافة والفن وخدمة المجتمع ورعاية الناشئين من الكتّاب الذين حرصت المجلة على احتضانهم وتقديم إنتاجهم لقرائها.

يقف وراء هذه المجلة رجل أديب شاعر له أنشطة متعددة في المجال الثقافي والتربوي وله تطلع إلى خدمة الكويت وأبنائها عن طريق نشر المعلومات والثقافات المختلفة وعن طريق دفع الأدباء الكويتيين إلى الكتابة والنشر حتى يطلع القراء على ما لديهم من أفكار، وحتى تعم فائدة التوجيه الذي يقدم في مقالاتهم فيستفيد منه الناس، ويكون ذلك خطوة من خطوات تقدم البلاد، هذا التقدم الذي هو أمل الجميع آنذاك.

ذلك الرجل هو الأستاذ الشاعر أحمد السقاف وهو علم من أعلام الشعر والثقافة في الكويت ورائد من رواد الإعلام فيها وهو مربيّ قدم في مجال التربية الكثير من الجهود وله عدة مؤلفات، وديوان شعر غني بالقصائد القيمة التي انتشرت في أنحاء الوطن العربي، ودخل بعضها إلى الكتب المدرسية بحيث صار الطلاب العرب بمن فيهم أبناء الكويت يحفظونها ويترنمون بها.

ومن حسن الحظ أن مركز البحوث والدراسات الكويتية قد قام في سنة ٢٠٠١م بإعادة نشر كافة الأعداد التي صدرت من المجلة، فصارت هذه المبادرة فرصة للأجيال التي لم تطلع على ما فيها من موضوعات تقدم صورة واضحة عن كويت الأمس، وتحكي عن جهود رجالها الذين دأبوا على العمل بكل إخلاص وتفانٍ في سبيل تقديم الأفضل لوطنهم ولأبناء وطنهم. كما صارت هذه المبادرة فرصة لنا لكي نتمكن من استعراض هذه المجلة منذ صدورها حتى احتجابها لما في ذلك من فائدة نرجوها للقراء.

لعل من الأفضل هنا أن نقدم هذه الفقرة من الكلمة التي كتبها الأستاذ الدكتور عبدالله يوسف الغنيم رئيس المركز في تصديره للمجلد الذي ضم أعداد مجلة (كاظمة) فهو يقول: «وكانت كاظمة» تعكس على صفحاتها معالم نهضة متنامية شاملة على أرض الكويت، تتقدم بخطى فساح إلى الأمام، وترسم الطريق لما يجب أن يكون تعويضًا عما فات من سنوات، وسدّاً لثغرات باعدت بين الكويت والأمة العربية، وركب التطور العالمي المتلاحق، فضلًا عن مسايرة الأحداث في البلاد العربية التي أخذت بحظٍّ من السبق في ميادين الثقافة والتعليم».

هذا وقد قام الأستاذ أحمد السقاف بكتابة مقالة تحت عنوان «قصة هذه المجلة» تم نشرها في المجلد الخاص بها، فكانت هذه المقالة بمثابة مدخل يستطيع القارئ أن يعرف من خلاله كيف نشأت هذه المجلة وما هو الغرض من إنشائها.

تحدث الأستاذ عن اهتماماته الأدبية والثقافية، وأنه نتيجة لذلك كان يأمل في أن يسود البلاد جو تنتشر فيه المعارف، وتعم الأفكار الحديثة وتلحق الكويت بسببه ركب الثقافة والتقدم الذي كان يرى دول الوطن العربي وقد سلكته، وقطعت منه مسافات طيبة قربتها كثيراً من أهدافها، كان في البداية يقوم بدعوة عدد من المهتمين بالأدب إلى ندوة يعقدها في منزله لكي يتلمس الطريق إلى الهدف المنشود، وقد عقدت هذه الندوة فيما بعد مرارًا واستمرت منذ أواخر سنة ١٩٤٥م حتى بداية صيف سنة ١٩٤٦م. وكان توقف الندوة عن الانعقاد مع بداية العطلة الصيفية للمدارس، وكان الأستاذ وأكثر حاضري الندوة مدرسين، فلم يتمكن هذا الجمع من اللقاء آنذاك.

ولكنه ظل يفكر في طريق أكثر شمولًا وسهولة حتى يصل إلى أكبر عدد من الناس، فانشغل باله بإصدار مجلة تعبر عن أفكاره، وتحل محل تلك الندوة، وكانت وسائل إصدارها من أهم ما شغل تفكيره في تلك الفترة، إذ إنه بقي في الانتظار

حتى ربيع سنة ١٩٤٨م حين علم ببدء مطبعة المعارف بالعمل، وعلى الرغم من أن إمكانات تلك المطبعة كانت قديمة ومتهالكة إلا أنه جازف وتقدم إلى إصدار مجلة كاظمة مستفيدًا من وجود المطبعة الأولى في الكويت.

يقول في المقالة التي أشرنا إليها عن هذه المرحلة:

«فصممت على البدء في مشروع المجلة، وقصدت المرحوم عبدالحميد الصانع مدير بلدية الكويت آنذاك، وكنت أعرف أنه من جلساء الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت، وفاتحته بالفكرة، وطلبت منه أن يستأذن أمير البلاد لإصدار مجلة ثقافية شاملة، فوافق رحمه الله ووعدني بالردِّ في أقرب وقت، وما هي إلا أيام قلائل حتى حضر إلى المدرسة الشرقية وبشرني بموافقة الأمير، وطلب أن نجتمع في منزله أو منزلي، وكان الاجتماع في منزلي مساء اليوم نفسه، فدرسنا ما يلزم دراسة دقيقة من جميع الجوانب، واخترنا اسم المجلة واستلهمنا صورة الغلاف من تاريخ كاظمة المشهورة بمياهها العذبة وكثرة المترددين عليها لرعي الإبل والأغنام، وكان المرحوم الأستاذ عبدالصمد تركي يزورني بين حين وآخر. فأخبرته بقرب صدور مجلة كاظمة فطلب أن يساعد، فأسندت إليه إدارة التحرير».

والسيد عبدالحميد عبدالعزيز الصانع الذي صدرت مجلة كاظمة بموجب ترخيص هو فيه «صاحب الامتياز المسؤول» كما جاء فيها، هو مدير بلدية الكويت آنذاك كما قال الأستاذ السقاف، ولكنه إضافة إلى ذلك رجل مثقف عالي الثقافة خبير بتاريخ الكويت، شارك في تأسيس المكتبة الأهلية في سنة ١٩٢٢م، وكان عضوًا في النادي الأدبي الذي نشأ في الكويت في سنة ١٩٢٤م، وكان عضوًا في عدد من المجالس الحكومية فقد عين عضوًا في مجلس دائرة الصحة العامة ومديراً لها في سنة ١٩٥٠م، وعضوًا في مجلس دائرة معارف الكويت في سنة ١٩٥٢م، وعضوًا في لجنة التنظيم على مستوى البلاد، وعضوًا في لجنة كتابة تاريخ الكويت وعضوًا في اللجنة التي وضعت قانون الانتخابات.

ولد في سنة ١٨٩٤م وتوفي في اليوم الرابع من شهر مارس لسنة ١٩٧٦م. رحم الله أبا عبداللطيف فقد خدم بلاده خدمة كبيرة في مجالات شتى.

أما الأستاذ عبدالصمد التركي الذي كان في بداية المجلة مديراً لتحريرها، فقد أثنى عليه الأستاذ السقاف ثناءً طيبًا في المقال الذي قدمنا هنا نبذة منه، ولكنه لم يستمر في عمله، وإن استمر في الكتابة لكاظمة ولم ينقطع عن ذلك.

كان عبدالصمد التركي أديبًا له عدة مؤلفات، اشتغل بالتدريس ثم صار ملحقا ثقافيًا للكويت في الخارج فترة من الزمن، وهو من مواليد سنة ١٩٢٠م.

الأستاذ عبدالصمد رجل فاضل الأخلاق محب للناس، كانت له صلة بعدد من أدباء الكويت ومفكريها، كما كانت له صلة بأمثالهم في البلدان العربية، وكانت له علاقة بالشاعرين فهد العسكر وصقر الشبيب.

وكان أحد مؤسسي نادي المعلمين، ورابطة الأدباء الكويتيين. وكاتبًا مسرحيًا وناشرًا للمقالات في عدد من المجلات في داخل الكويت وخارجها، توفي في سنة ١٩٩٣م.

وكما حدثنا أبو أسامة عن صدور المجلة فإنه حدثنا عن ظروف احتجابها، فقال: «وسارت الأمور في المجلة دون زوابع حتى صدر العدد الثامن، وهو يحمل هجومًا على موقف الدول العربية من قضية فلسطين، فإذا بأبي عبداللطيف المرحوم الأستاذ عبدالحميد الصانع يمر عليّ في مكتبة الخليج لدى المرحوم يوسف مشاري البدر وينتحي بي جانبًا، ويخبرني بأن بعض الكبار قد ساءهم ما جاء في افتتاحية العدد».

كان موضوع الافتتاحية هو قضية فلسطين وقد أنحى الأستاذ السقاف باللائمة فيه على البلدان العربية التي لم تقم بواجبها تجاه هذه القضية المهمة.

وقد كان المطلوب منه هو الاعتذار عما سلف حتى لا يؤثر ذلك على علاقات الكويت بالدول المعنية. ولما لم يصدر الاعتذار في العدد التاسع، صدر قرار بإيقاف المجلة ومنعها من الصدور، وعلى الرغم من المضايقات التي تعرض لها الأستاذ السقاف نتيجة لذلك إلا أنه استمر في هذا الطريق، وتولى مسؤولية إصدار مجلة الإيمان في سنة ١٩٥٣م وهي مجلة النادي الثقافي القومي ثم توَّج عمله بإصدار مجلة العربي عن وزارة الإرشاد والأنباء حين كان أحد كبار مسؤوليها، ورعاها عندما صار وكيلاً لهذه الوزارة، ولاتزال هذه المجلة مستمرة في صدورها وأصبحت علامة من العلامات الثقافية للكويت.

والآن نتساءل: ما الذي نجده في مجلة كاظمة؟ ومن هم كُتّابها؟.

لن نستعرض أعدادها التسعة، ولكننا سوف نعرض العدد الأول ثم العدد التاسع لنعرف كيف بدأت وكيف انتهت، وكنا قد قلنا إن العدد الأول صدر في أول يوم من شهر يوليو لسنة ١٩٤٨م، وقد استقبل هذا العدد استقبالًا باهرًا لعدة أسباب أولها أن وراءه رجلاً مشهودًا له بحب الأدب والاهتمام باللغة، والثاني أن كتّاب العدد كانوا مجموعة مميزة من أدباء الكويت وكتّابها، وآخر الأسباب أن المجلة طبعت في الكويت.

علامات

صدر العدد الأول في ست وثلاثين صفحة، وبدأ بتصدير كتبه الأستاذ السقاف لكي يوضح من خلاله أهداف المجلة الوليدة، وذكر أنها أمنية عزيزة على نفسه وعلى المثقفين من أبناء البلاد، وأن فكرة إصدارها كانت تراوده، ولكنه لم يكن لينهض إلى تحقيقها لولا قيام مطبعة المعارف التي تولت الطباعة وطلب من القراء أن يتعهدوا المجلة بالرعاية والاهتمام حتى تستطيع مواصلة السير وتحقق الأهداف المرجوة أما السيد عبدالحميد الصانع، صاحب الامتياز، المسؤول فقد

كتب كلمة معبراً فيها عن آماله، بمستقبل زاهر للكويت، وأن تقوم المجلة بقسط من العمل من أجل بناء هذا المستقبل.

ثم تأتي المقالات، فنرى مقالاً في التفسير للشيخ يوسف بن عيسى، ومقالاً عن الإخلاص في العمل للشيخ محمد عبدالرؤوف أحد المدرسين في معهد الكويت الديني.

ثم كتب الأستاذ فاضل خلف مقالاً تحت عنوان «من شهداء الإسلام» عن الصحابي الجليل حارثة بن سراقة، أورده بصورة قصصية جميلة كما هي عادة أبي محمد، ثم جاء دور الأستاذ عبدالصمد التركي ليشارك بمقال عنوانه: «هل الأمة برجالها؟»، والأستاذ عبدالعزيز الغربللي بمقال عنوانه «نحن والأدب»، وكتب محمد قبازرد مقالة تحت عنوان «خطوة إلى الأمام» أشاد فيها بمجلة كاظمة ورحب بصدورها وهذه هي المرة الأولى التي نقرأ له فيها مقالًا، وكان رجل أعمال وتجارة، ومحبًّا للتصوير السينمائي، ترك لنا منه ثروة فنية مهمة.

وكتب في هذا العدد - أيضًا - كل من الأستاذ عبدالرزاق البصير والأستاذ عبدالمحسن الرشيد والدكتور صالح العجيري والأستاذ خالد خلف وكتب الأستاذ فهد الدويري قصة من قصصه التي أبدع فيها.

وتحت باب «اجتماعيات» جاء مقال عن فلسطين وآخر عن الوقف الخيري، ثم عرضت المجلة أحاديث متفرقة أشبه ما تكون بالأخبار والتعليقات عن المياه، والمعارف، والصحة، والبلدية، والجمارك، وعن البريد، ودائرة الجوازات، وعن ملجأ المجانين (كما كان يسمّى في الماضي)، وعن المطبعة. ثم جاء دور الشعر تحت عنوان واسع هو: «قيثارة الشعر» ضم عددًا من القصائد لشاعر البحرين عبدالرحمن المعاودة، والشاعر فهد العسكر والشاعر عبدالله زكريا الأنصاري، وفي آخر العدد ثلاثة أبواب هي باب العلوم والفنون، وباب البريد الأدبي، وباب الكتب، تلاها باب

القصص. وفي آخر صفحة من هذا العدد خبر أوردته المجلة تحت عنوان «نبأ هام خطير» تضمن الإبلاغ عن التوقيع على الاتفاقية التي عقدتها الكويت مع الشركة الأمريكية المستقلة المحدودة بشأن استخراج النفط من حصة الكويت في المنطقة المحايدة. وعبَّرت المجلة عن اهتمام الكويت والكويتيين بهذه الاتفاقية التي سوف تتيح زيادة في الدخل القومي.

ونحن نعرف أن أي مجلة تصدر فإن اعتمادها الأساسي على الإعلان، ولم يكن تجارنا في ذلك الوقت يقدرون قيمة الإعلان التجاري، ومع ذلك فقد كان في العدد الأول ستة إعلانات منها ما هو صغير ومنها ما ملأ صفحة كاملة. وقد كان هذا العدد من الإعلانات على قلته بالنسبة لإعلانات جرائد ومجلات اليوم ملائمًا في وقته.

أما العدد الأخير من مجلة كاظمة، وهو الصادر في اليوم الأول من شهر مارس لسنة ١٩٤٩م، فقد حافظ على عدد الصفحات فجاء في أربع وثلاثين صفحة كالعدد الأول تمامًا، وكانت بدايته مع المقال الذي يكتبه الأستاذ السقاف في كل عدد باعتباره رئيسا لتحرير المجلة، وعنوان هذا المقال: «جنود في الميدان» تضمن الحديث عن معاناة المدرسين طالبًا مراعاة ظروفهم، وإعانتهم على أداء مهمتهم السامية. وفي باقي مواد العدد تغيير ملحوظ إلى الأفضل، فقد تعدد الكتاب من داخل الكويت ومن خارجها، وأضيفت أبواب جديدة، وعني بالتواصل مع القراء، إضافة إلى نشر أخبار الكويت والوطن العربي. وجدنا من الكتَّاب الذين لم يكتبوا في العدد الأول كلا من عبداللطيف الصالح وخالد الغربللي ويوسف عبداللطيف العمر، وأم أسامة والدكتور سامي بشارة وهو من الأطباء العاملين في الكويت آنذاك.

ورأينا في هذا العدد حديث المجلة عن الأدواء الاجتماعية مع تركيزها على موضوع «الإعجاب بالنفس» باعتباره أحد تلك الأدواء، وفي الصفحة ذاتها عنوان آخر هو: «توابل وبهارات» فيه بعض الانتقادات التي كان منها الإشارة إلى ألوان المباني في الشارع الجديد (شارع عبدالله السالم) وعدم تناسقها وفساد الذوق في اختيارها.

أما فيما يتعلق بالأخبار فقد تداخلت فيها الأخبار المحلية مع الخارجية، والأخبار السياسية مع الاجتماعية، فصارت الصفحة المخصصة لذلك تحتوي على سرد شامل لكثير من الأحداث.

وفي البريد الأدبي رسائل من عدد من الأدباء يُثنون فيها على المجلة وما تتميز به من مستوى ثقافي ملائم، ثم بعد ذلك جاءت التعليقات، والأسئلة والانتقادات التي كان المشاركون بها هم قراء (كاظمة)، وكان رئيس تحرير المجلة يرد على كل ما يتطلب الرد من ذلك.

والخلاصة إن العدد التاسع كان في غاية النضوج بالمقارنة مع العدد الأول، فكأن رئيس التحرير كان يتوقع ما سوف يحدث لمجلته فأعطى عددها الأخير كل طاقته، ومن الملاحظ أيضًا أن عدد الإعلانات قد ارتفع إلى عشرة منها ثلاثة كل واحد منها يغطي صفحة كاملة، وتزايد إقبال المعلنين على الإعلان في المجلة كما يعرف الجميع - دليل على الثقة بها.

كانت مجلة (كاظمة) من المجلات التي ظهرت مبكرًا في الكويت، ونالت إعجاب الناس، وفازت بمشاركة عدد كبير من كتّاب الكويت في تحريرها، وحظيت بعناية الأستاذ أحمد السقاف، الذي كان يعتبرها رسالة، بذل في إيصالها إلى الناس كل ما يستطيع من جهد ومال، وقد أحسن مركز البحوث والدراسات الكويتية صنعًا حين أعاد طباعتها كاملة، وأصدرها في مجلد واحد أنيق، فأوصلها إلى القراء الذين كانوا يسمعون عنها أو يقرأون خبر صدورها دون أن يطلعوا عليها، لقد كانت هذه المجلة جزءًا من تاريخ الكويت الثقافي، ودليلاً على اهتمام أبناء البلاد بالأنشطة المتعددة، وعلى رغبتهم الشديدة في إحراز التقدم.

****

ملحاق خير

لم تخل الكويت من المكتبات، فقد عرفت المكتبة الأهلية التي تعرض كتبها للقراء من أجل قراءتها والاستفادة منها، وعرفت عدداً من المكتبات في بيوت أصحابها تتفاوت أعداد الكتب فيها بحسب إمكانات مقتنيها.

ويقال إن صاحب المكتبة الشخصية الأولى في الكويت هو المرحوم الشيخ ناصر بن مبارك الصباح الذي اقتنى عدداً من الكتب يحتوي على أهم المصادر والمراجع ويضم أكثر من ثمانين ديوان شعر، وعدداً كبيراً من تفاسير القرآن الكريم، والحديث الشريف، والأدب واللغة والتاريخ، بحيث بلغ عددها ثلاثة آلاف كتاب، ولم تخل هذه المكتب النفيسة من المخطوطات المهمة، ولكنها - للأسف الشديد - تشتت بعد وفاة صاحبها ولم يعد لها أثر.

غير أن بيع الكتب في الكويت لم يبدأ بصورة متكاملة إلا في المكتبة الوطنية التي أسسها المرحوم محمد بن أحمد الرويح في سنة ١٩٢٧م، وكانت تحتوي على عدد من الكتب النافعة، وعلى أهم الصحف من مختلف البلاد العربية ولاسيما القاهرة ودمشق وبيروت، وكانت تحتوي على كل ما يحتاج إليه القارئ أو الباحث، وسدت فراغاً كبيراً في هذا المجال الحيوي، وكان صاحبها كثير التردد على المكتبات المصرية واللبنانية والسورية من أجل تزويد مكتبته بكل جديد، فسدَّ بذلك حاجة القراء وطلاب العلم الذين لولاه لم يتمكنوا من الحصول على ما يريدون من الكتب والقرطاسية.

وبعد هذه المكتبة جاءت «مكتبة التلميذ» وهي مكتبة افتتحت في وقت مناسب حيث بدأ التعليم يأخذ طريقه في الكويت، وبدأ الطلاب يشعرون بحاجتهم إلى مزيد من الكتب والقرطاسية، فجاء السيد حمود بن عبدالعزيز المقهوي ليفتتح هذه المكتبة مزوداً إياها بكل جديد، وكانت هذه المكتبة تعتمد على بيع الصحف والقرطاسية ولا سيما الدفاتر المدرسية ودفاتر المدارس وغيرها، وكانت الدفاتر التي تباع في هذه المكتبة ذات طبعة خاصة بها وهي متميزة عن غيرها.

ثم افتتح الأستاذ يوسف مشاري البدر مكتبة سماها مكتبة الخليج كانت غنية بالكتب المتنوعة والموضوعات، وبعدها بقليل افتتح السيد عبدالرحمن الخرجي مكتبته المسماة «مكتبة الطلبة» التي كان جُلّ اعتمادها على بيع الكتب، وقد كانت فيها أعداد كبيرة من الكتب في موضوعات متعددة، وكان يجلب أغلب كتب هذه الكتب من بيروت، ومن هذه المكتبة اطلع شباب الكويت على الأدب الحديث، وقرأوا التيارات الأدبية المعاصرة، وقد كان لصاحب هذه المكتبة الفضل في إطلاع القراء على كثير من الموضوعات التي لم يطلعوا عليها من قبل، وذلك في تنوع جميل، واختيارات للكتب رائعة. وقد افتتح عبدالرحمن الخرجي إلى جانب مكتبته مطبعة سماها «مطبعة الطلبة»، وكان ينوي تخصيصها لإصدار الكتب ونشرها، وطبع بالفعل كتاب الرحالة الأمريكي أ.لوثر المسمى «الكويت ١٨٦٨م»، ولكنه لم يوفق في هذا المجال بسبب طبيعة السوق التي كانت ضيقة للغاية في ذلك الوقت.

****

رجال لا ينساهم الوطن:
نصف اليوسف النصف [١]

هل نستطيع أن ننسى رجلًا قدَّم للكويت هذه الخدمات التي اضطلع بالقيام بها نصف اليوسف النصف. إنه رجل بذل الكثير من جهده ليعمل في الأجهزة الحكومية، والمؤسسات الأهلية من موقع المسؤولية فأجاد وأنتج، ولذا فهو يستحق منا أن نتحدث عن حياته وعن أنشطته المتعددة.

عرفت هذا الرجل في مكتب الشيخ جابر العلي السالم الصباح بوزارة الإعلام حين كنت أعمل هناك، وكان يقوم بين آن وآخر بزيارة أبي علي الذي يكنُّ له تقديرًا ومودة هو أهل لهما. لقد كان هادئًا يتحدث عن علم بما يتحدث عنه، وتحسّ فيه الطيبة وحسن الخلق، وتشدك إليه أحاديثه التي تدل على سعة اطلاعه، وعمق تجاربه.

كنت يومها حديث التخرج حديث العمل، وعندما رآني سأل عن اسمي كعادة رجالنا الأوائل، ولما عرفني قال: أهلاً بابن خالتي، وقد عجبت آنذاك لقوله هذا، ولم أعرف السر في نعتي بهذا النعت إلا عندما عدت إلى المنزل وسألت الوالد رحمه الله فقال لي نعم؛ أبو عثمان أيضًا ابن خالتك، وكانت هذه كنيته التي يعرف بها في كل مكان بالكويت.

لقد عرفت أن للمرحوم حسين بن مجرن الرومي ثلاثًا من البنات تزوج سليمان الداود الفنيم إحداهن، وتزوج جد نصف اليوسف الثانية، أما الثالثة فقد تزوجها

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢.

سيف بن علي، وبحسب هذه الصلة فإن هذه الأسر الثلاث تجمعها ثلاث أخوات، وكل أسرة تعتبر نفسها ابنة خالة الأسرة الأخرى على الطريقة المتبعة في السابق. ومن هنا قال لي أبو عثمان: أهلاً بابن خالتي، فهو يسير على الأساليب التي تعوَّد عليها، وهي أساليب تربط بين الناس، وتحفظ صلات النسب بينهم.

كانت هذه السماحة التي وجدتها في الرجل كافية لكي يرتبط قلبي به، وعلى الرغم من أن الحظ لم يسعدني بجلسة مشابهة إلا أنني كنت أراه في مواضع مختلفة، ومناسبات متعددة فأقدم له من التحيات والتقدير ما يستحقه بصفته رجلاً كريم المحتد طيب الخلق بعيدًا عن الكبرياء الزائفة، يتصرف بالحسنى مع الجميع، ولا يحس الجالس معه إلا بروح الأبوة إن كان الجالس صغيرًا، أو الأخوة إن كان الجليس قريبًا من سنِّه. منذ الثلاثينيات وحتى أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، وأنت لا تكاد ترى عملًا حكوميًّا لا يشارك فيه أبو عثمان. لقد ولد في سنة ١٩٠٢م، وتعلّم لدى الكتاتيب كما يفعل لداته، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءة والكتابة والحساب، وتعلم بخاصة الحساب المتعلق بأعمال الغوص والسفر، وهو من الأمور التي يحتاج إليها العاملون في هذين المجالين آنذاك، ثم عمل مع والده في التجارة إلى أن تم اختياره في سنة ١٩٣٥م للعمل مديرًا لبلدية الكويت، وبقي في منصبه هذا حتى سنة ١٩٤٠م، وهو ثاني مدير لهذه الدائرة المهمة. وكان يجمع بين عمله هذا وعضوية مجلس المعارف الذي بدأ عمله في سنة ١٩٣٦م، وكان النصف ضمن أعضاء هذا المجلس حتى سنة ١٩٥١م. كما كان في الوقت نفسه عضوًا بالمجلس البلدي منذ سنة ١٩٣٢م حتى سنة ١٩٣٣م.

وعضوًا في المجلس التأسيسي في سنة ١٩٣٨م، وكان عضوًا في لجنة التعمير التي جرى تشكيلها بعد سقوط الأمطار الغزيرة في سنة ١٩٥٤م، وكانت أمطارًا تسببت في خسائر كثيرة، فصار لهذه اللجنة دور في حل كثير من المشكلات التي

نشأت عن الكارثة، وفي سنة ١٩٥٤م عين النصف عضوًا في مجلس الشورى. ثم عين عضوًا في لجنة كتابة تاريخ الكويت، وفي الفترة الممتدة من سنة ١٩٥٩م. وإلى سنة ١٩٦٢م كان عضوًا في الهيئة التنظيمية للمجلس الأعلى لإدارة شؤون البلاد، وهذا هو أعلى منصب تولاه، وكان من أهم المناصب في ذلك الوقت.

ولعل مما يدل على إمكاناته الثقافية وإلمامه بتاريخ الكويت، وفهمه للعمل التربوي أنه اختير عضوًا في لجنة كتابة التاريخ كما رأينا، وأنه في سنة ١٩٤٨م كان يقوم بأعمال مدير المعارف، ولو لم يكن عنده استعداد لهذين العملين لما تم اختياره لهما، وقد قام فعلاً بكل ما أسند إليه دون تأخير، وكعادته في اللجان التي اشترك فيها فقد كان محط الأنظار، وكان يثري النقاش بما يقدم من أفكار مهمة. ولم يكن له من عضوية المجالس غير ما ذكرنا إلا أن أحمد البشر الرومي أورد في أوراقه الخاصة في اليوم الثامن عشر من شهر مارس لسنة ١٩٤٨م خبرًا يدل على إضافة إلى ما سبق فهو يقول ما نصه: «استقال أعضاء المحكمة وهم خالد الزيد، ونصف اليوسف، وعبدالحميد الصانع، وهؤلاء أنفسهم استقالوا منذ شهرين من عضوية المجلس ومن لجنة التفتيش» والبشر يقصد أن هؤلاء هم أعضاء المجلس المشرف على دائرة المحاكم.

وإضافة إلى كل ما تقدم فإن مما يؤكد ميوله الأدبية وحرصه على مناهل الثقافة أنه كان عضوًا في النادي الأدبي الذي أسسته في الكويت نخبة من الشباب في سنة ١٩٢٤م. وقد ذكره سكرتير النادي السيد محمد سليمان العتيبي في مقابلة أجرتها معه مجلة الرائد الكويتية في عددها الصادر في شهر فبراير لسنة ١٩٥٣م.

في شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٨م تم تعيين نصف اليوسف مديراً لدائرة الصحة العامة إضافة إلى عضويته في مجلس المعارف كما حدث له عندما كان مديرًا لدائرة البلدية.

ولم يكن نصف اليوسف بعيدًا عن أعمال الصحة، فقد كان عضوًا في مجلس بلدية الكويت ومديرًا لها، وهي التي كانت تقوم بالأعمال الصحية إلى أن نشأت دائرة الصحة العامة في سنة ١٩٣٦م برئاسة الشيخ عبدالله السالم الصباح.

وقبل أن يعين بهذا المنصب فإنه كان عضوًا في اللجنة التي تم تشكيلها للإشراف على هذه الدائرة وذلك في اليوم الخامس من شهر يونيو لسنة ١٩٤٣م، وكانت هذه اللجنة مكونة منه، وعبدالحميد الصانع، وأحمد المشاري، وعبدالله الزيد، ومشاري الروضان.

دام عمل صاحبنا في دائرة الصحة العامة منذ تاريخ تعيينه الذي ذكرناه، إلى شهر يناير لسنة ١٩٥٢م حيث استقال لأسباب صحية، وقد أعلن هذا الخبر وسط مجموعة من الأخبار عن أعمال قامت بها الصحة في آخريات سنة ١٩٥١ منها:

- انتقال الدائرة إلى مبناها الجديد، وهو المبنى المعروف المطل على الساحل، الذي تم تحويل الدائرة وهي مقيمة فيه إلى وزارة، وبقيت فيه فترة طويلة حتى انتقلت إلى مقرها الجديد في منطقة (شامان).

- اهتمت الدائرة بتقديم الخدمة العلاجية في المستشفى الأميري على مدار الساعة فقررت ألا يخلو المستشفى من طبيب مناوب خلال الليل، وأن تكون هذه المتابعة بالتناوب بين الأطباء إضافة إلى طبيب الخفر الذي تقرر أن يكون مستعدًا مع زميله المناوب للطوارىء وتلبية طلبات الأهالي والذهاب إلى منزل المريض لمباشرة علاجه إذا تعذر حضوره إلى المستشفى.

- اهتمت الدائرة بعلاج المرضى الذين يعانون من الأمراض الصدرية وخصصت لهم موقعًا مؤقتًا وهي في الوقت نفسه تسعى إلى إنجاز المبنى الخاص بهذا الغرض، وقد بوشر ببنائه في الشويخ، ولا يزال عاملاً في موقعه هذا إلى اليوم.

- تم إنشاء قسم خاص بعلاج مرضى العيون في سنة ١٩٥٠م وهو أحد أقسام المستشفى الأميري.

- تكونت نواة الصحة الوقائية في السنة ذاتها، وكان مقرها في مستوصف دسمان، وتزامن مع نشأتها إنشاء قسم الأشعة وقسم المختبرات.

- في سنة ١٩٥١م زاد عدد المستوصفات نتيجة لتزايد عدد السكان وتزايد الحاجة إلى العناية الصحية والعلاج فصارت في هذه السنة وحدها ثلاثة مستوصفات.

ولا ننسى أن نضيف أنه قد تقدم في السنة التي استقال فيها (١٩٥٢م) إلى الانتخابات التي جرت لاختيار أعضاء لمجلس دائرة الصحة العامة، ففاز بتلك الانتخابات، وقد دام عمل المجلس إلى سنة ١٩٥٦م، واستمر نصف اليوسف فيه إلى النهاية على الرغم من استقالته التي لم تكن متوقعة.

بقي لنا من الحديث عن نصف اليوسف النصف سؤالان هما:

- ماذا فعل أثناء عمله في دائرة الصحة العامة؟

- ماذا فعل بعد استقالته؟

وفيما يخص السؤال الأول فإن ذلك تدل عليه الإنجازات التي أشرنا إلى جزء منها، وتدل عليه النظرة التي كان ينظر بها إلى دائرة الصحة باعتبارها جهازاً حكومياً يؤدي أفضل الخدمات في ذلك الوقت، ومن الدلائل على ذلك أن الكويت كانت تفخر بإنشاء المستشفى الأميري، وتجعله في برامج زيارات ضيوف الكويت، وقد كان نصف اليوسف مديرًا للدائرة حين زار الكويت الشيخ سلمان بن عيسى آل خليفة حاكم البحرين آنذاك وكان قدومه في اليوم الخامس من شهر نوفمبر لسنة

١٩٤٩م وكالعادة فإن من ضمن برنامج زيارة الضيف الكريم الاطلاع على المستشفى الأميري. وقد كانت الزيارة سارّة للجميع طافوا خلالها بكافة فروع المستشفى واستمعوا إلى كلمة ترحيب من نصف اليوسف مدير دائرة الصحة العامة.

وإذا أردنا الاتساع في بيان ما له من أنشطة في هذا المجال فإن له محادثة صحفية منشورة في مجلة البعثة الصادرة في شهر ديسمبر لسنة ١٩٥١م، وفيها مما نود الاطلاع عليه في هذا المجال ما يلي:

١ - متى تأسست دائرة الصحة وكم عدد الأعضاء القائمين عليها والمستشفيات التي تشرف عليها هذه الدائرة؟

● لقد تأسست دائرة الصحة العامة في ٢٤ رمضان لسنة ١٣٥٨هـ، وتأسس مجلس الصحة في جمادى الأولى لسنة ١٣٦٢هـ ويتكون من خمسة أعضاء، هم السادة عبدالحميد الصانع وعبدالعزيز الحميضي وأحمد الفهد وعبدالله الزيد الخالد ومحمد عبدالرحمن البحر. أما عدد المؤسسات الصحية التي تشرف عليها الدائرة الآن، فهي المستشفى الأميري الواقع في الحي الشرقي من المدينة ثم المستوصفات المركزية والقبلية «يقصد المستوصف الواقع في حي القبلة» والعيادة المتنقلة التي تجوب القرى، وسيفتح قريبًا مصح الأمراض الصدرية وسيشيد مستوصف في جزيرة فيلكا.

٢ - هل هناك بعثات في الخارج لدراسة الطب على نفقة إدارة الصحة، وإذا لم يكن هناك أحد فهل فكر القائمون على هذه الدائرة بذلك؟

● نعم توجد بعثات في الخارج لدراسة الطب على نفقة هذه الدائرة وسيتخرج الطالب أحمد الخطيب في السنة القادمة من الجامعة «الأمريكية» ببيروت كما تفكر الدائرة في إرساله للحصول على شهادة اختصاص من «إنجلترا».

٣ - هل لإدارة الصحة إشراف على المستشفيات الأهلية أم لا؟ وهل هناك تعاون بين هذه المستشفيات وإدارة الصحة؟

● لا يوجد هناك إشراف على المستشفيات الأهلية، ولكن يوجد تعاون بين هذه الدائرة وتلك المستشفيات.

٤ - هناك سيارات للإسعاف تجوب القرى من آن لآخر فلماذا لا تعوض بوحدات صحية صغيرة في القرى المهمة وتكون تلك السيارات بمثابة حلقة الاتصال بين تلك الوحدات، وتزويدها بما ينقصها من الأدوية وغير ذلك وإن كان من الصعب تحقيق هذا الغرض فلماذا لا تعوض بمراكز صغيرة «للتلفون» يمكن بواسطته الاتصال بالمستشفى لإرسال الإسعاف اللازم في الحالات الضرورية؟

● من الصعب في الوقت الحاضر فتح مستوصفات في القرى، وقد عوضنا هذه المستوصفات بعيادة متنقلة تجوب جميع القرى وقد وضع لها برنامج خاص لتجوالها. هذا وقد أخذنا عددًا من شباب القرى لتعليمهم فن التمريض وسيكون في كل قرية شاب مسؤول عن الإسعافات وإعطاء الإبر اللازمة، وسيقوم الطبيب المسؤول عن العيادة المتنقلة بزيارة هذه القرى كالعادة ويزود هذا المضمد بالإرشادات اللازمة.

٥ - كثر قدوم الأجانب إلى الكويت، فهل هناك حجر صحي لوقاية الأهالي من الأمراض التي ينقلها الأجانب؟

إن مراقبة الحجر الصحي موجودة في هذا البلد ولا يسمح للأجانب القادمين بدخول الكويت إلا إذا أبرزوا شهادات التطعيم، أما الذين ليس بحوزتهم هذه الشهادات فإنهم يطعمون ضد المرض الذي يمكن أن ينتشر في بلادهم، وعليهم

أن يراجعوا طبيب الحجر الصحي بعد ذلك بمدة ٤٨ ساعة، ثم إنه قد بوشر ببناء مركز للحجر الصحي في الشويخ.

وبحسب التواريخ التي ذكرها فإن تأسيس دائرة الصحة العامة يوافق اليوم السادس من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣٩م وتعيين مجلس إدارتها يوافق شهر مايو لسنة ١٩٤٣م، ونلاحظ أنه لم يذكر اسمه ضمن المجلس مع أنه عضو فيه، وذلك بسبب ما طبع عليه من التواضع.

نعود هنا إلى الإجابة عن السؤال الثاني وهو:

- ماذا فعل بعد استقالته من دائرة الصحة العامة؟

المتتبع لحياة نصف اليوسف اللاحقة لتاريخ تقديم استقالته من منصبه حيث كان مديرًا لدائرة الصحة العامة يجد أنه لم يركن إلى الراحة، إذ استمر في مجالات أخرى تختلف عن المجالات التي كان يعمل بها في الهيئات الحكومية، ففي سنة ١٩٥٤ م تأسست شركة الخطوط الجوية الكويتية فكان عضوًا في مجلس إدارتها الأول، ثم صار هو رئيس مجلس الإدارة منذ سنة ١٩٥٩م حتى سنة ١٩٦٢م، وكانت سنوات خصبة بالنسبة لهذه المؤسسة الوطنية خطت خلالها خطوات مهمة في ترسيخ قواعد العمل فيها وتوسيع مجالات طيران خطوطها. وقد ذكرنا أنه كان عضوًا في لجنة تاريخ الكويت التي جرى تشكيلها في سنة ١٩٥٩م واستمرت بعد ذلك، كما ذكرنا أنه كان عضواً في الهيئة التنظيمية للمجلس الأعلى لإدارة شؤون البلاد في الفترة الممتدة من سنة ١٩٥٩م حتى سنة ١٩٦٢م، وكان خلال هذه الفترة من الرجال الذين يؤخذ رأيهم في كثير من المسائل لما له من تجارب ولسداد رأيه في كثير من الأمور، ومن ذلك أنه اختير ليكون عضوًا في لجنة فرز الأصوات

في الانتخابات التي جرت في سنة ١٩٥٢م، وكانت برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح وعضوية كل من الشيخ يوسف بن عيسى والشيخ أحمد الخميس، والسيد خالد الزيد الخالد، ونصف اليوسف النصف.

وأخيراً انتهت حياة هذا الرجل الحافلة بجلائل الأعمال، فقد توفي في اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٧م، بعد أن ترك آثاراً من أعماله في الحكومة وفي خارجها هي محل تقدير الجميع، فهذا الرجل أمضى حياته في جد واجتهاد وعمل دائب لا يهدأ وبذلك فإن إنجازاته قد حفظت ذكره الذي لا ينساه الوطن على مَرّ السنين.

****

ملحاق خير

عندما صدرت مجلة (كاظمة) في سنة ١٩٤٨م كانت قد سبقتها أمور مهدت الطريق لصدورها، ومن أبرز هذه الأمور قيام عدد من المؤسسات الأهلية الكويتية التي أسهمت في نمو الحركة الثقافية، وهيأت الأجواء للنشاط الفكري الذي ساد ذلك الوقت، وهي مؤسسات قام أبناء الكويت بتكوينها رغبة منهم في النهوض إلى المستوى الذي تعيش فيه الدول الأخرى، والذي يرونه ماثلاً في كثير من الصحف والمجلات التي تردهم من خارج الكويت وبخاصة من مصر التي كانت الحركة الثقافية فيها قد بلغت الأوج ببروز عدد كبير من الأدباء والمفكرين، وعدد من الصحف والمجلات الثقافية، وكان ما يكتب في الصحافة المصرية زاداً ثقافياً لأبناء الكويت في تلك الفترة فتح أعينهم على ضرورة اللحاق بالركب، فكان أن بدأ هؤلاء الرجال بتأسيس عدد من المؤسسات المهمة التي أدَّت دورها في التوعية، وتبنِّي عدد من الكفاءات الأدبية الكويتية الناشطة، وكانت أعمال تلك المؤسسات هي البذرة التي آتت أكلها بعد ذلك في شكل نهضة شاملة عمَّت البلاد كلها، وبكل مرافقها.

وقد بدأت تلك المؤسسات في الظهور اعتبارًا من سنة ١٩١٢م كما يلي:

١ - المدرسة المباركية:

وقد تأسست سنة ١٩١٢م، ويرجع الفضل في إنشائها إلى ثلاثة من أبناء الكويت هم الشيخ يوسف بن عيسى والشيخ ناصر المبارك الصباح والسيد ياسين الطبطبائي، وكان القصد من إنشائها هو إدخال التعليم في الكويت إلى مرحلة جديدة تفوق مرحلة المدارس الأهلية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وذلك من

أجل إدخال العلوم العصرية، والنظام التربوي المناسب للعصر آنذاك، وقد تكاتف أبناء الكويت على تقديم الدعم المادي والمعنوي لهذه المدرسة التي أضحت نواة التعليم النظامي في البلاد ولحقها على مر السنين عدد من المدارس.

٢ - الجمعية الخيرية:

وقد تأسست في سنة ١٩١٣م باجتهاد من المرحوم فرحان الخالد، وكان من أصحاب الفضل في كثير من الأعمال الخيرية، وقد اهتمت بإرسال عدد من طلاب العلم إلى الخارج، واستقدام عدد من المرشدين منهم الشيخ محمد الشنقيطي، وأحضرت طبيباً مزوداً بما يحتاج إليه المرضى من أدوات علاجية مناسبة وأدوية، كما قامت بعدد آخر من الأعمال المفيدة.

٣ - المكتبة الأهلية:

وقد تأسست في سنة ١٩٢٢م وكان للشيخ يوسف بن عيسى الفضل في ظهورها إلى حيز التنفيذ، وتبرع لها عدد من الفضلاء بالكتب والأموال، يقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد: «وفي سنة ١٣٤١هـ فتحت المكتبة أبوابها للقراء، وأصبحت مورداً عذباً زلالًا ومنهلًا صافيا للمطالعين، وفيها عدا الكتب عدة جرائد ومجلات راقية تفضل بها رجال من أهل الشرف والغيرة».

٤ - النادي الأدبي:

وقد تأسس في سنة ١٩٢٤م وشارك في إنشائه عدد من أبناء الكويت، وكان برئاسة الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وأول من فكر في إنشاء هذا النادي المرحوم خالد سليمان العدساني.

وقد تحدث الشيخ عبدالعزيز الرشيد عن الحركة الفكرية في البلاد في عهده فقال: «في الكويت اليوم حركة فكرية، ونهضة علمية وأدبية، يدير شؤونها أناس علموا بالحوادث التي مرت عليهم أن العصر عصر ارتقاء وتقدم لا عصر

جمود وتأخر، علموا بذلك فساروا بكل همة ونشاط، وبكل إقدام وجرأة، تتقدمهم الأحلام اللذيذة والآمال العذبة».

وقد عزا تلك النهضة إلى عدة أسباب، منها الاطلاع على ما يرد البلاد من صحف مختلفة الأغراض والمصادر، وكانت تردهم على الرغم من المشاق التي كانوا يعانونها في سبيل الحصول عليها، وكان اهتمامهم بالصحف في ذلك الوقت عظيمًا حتى قال المرحوم أحمد البشر الرومي:

إن للصُحْف بقلبي
منزلاً أغلى محلّه

وذكر الرشيد أن السبب الثاني هو الآراء الحرة والنصائح الثمينة التي كان يبثها أهل العلم والفضل من الغرباء، وقد استقبلت الكويت في تلك الفترة عدداً منهم كالأستاذ محمد رشيد رضا (١٩١٢م) والأستاذ عبدالعزيز الثعالبي (١٩٢٤م) والشيخ محمد الشنقيطي (١٩٢٤م) وكان الأهالي يحتفون بهؤلاء الضيوف، ويحرصون على الاستماع إلى محاضراتهم، وحضور مجالسهم الإرشادية، وكان تقديرهم كبيرًا لهؤلاء المصلحين، وفي ذلك يقول أحد أبناء البلاد وهو عبداللطيف النصف مُرَحبًا بالشيخ محمد الشنقيطي:

إيهِ بني قومي وسادةَ معشري
أوموا إليه بشكركُمْ وأشيروا
خَلُّوا النواظرَ شاخصاتٍ نحوَهُ
وذروا القلوبَ تسير حيث يسيرُ

والسبب الثالث من أسباب النهضة - يقول الرشيد - هو: «ظهور شبان متنورين امتلؤوا حماسة وغيرة حتى أخذوا يعانون إنهاض الوطن إلى العُلا، ورفعه إلى مستوى الكمال». وقد انتسب السيد نصف اليوسف النصف إلى هذا النادي، ونشط في عدد من فعالياته.

****

الكويت ١٩٠٠م وما حولها (1)

عندما جاءت سنة ١٩٠٠م، وبدأت أيامها تتوالى على الكويت، كانت البلاد قد تطورت تطوراً ملموساً، ونمت أهميتها في المجالين الاقتصادي والسياسي بصورة واضحة، إذ شهدت اتصالاتها مع الخارج في المجال التجاري شكلًا غير مسبوق، وزادت علاقاتها مع بومباي وبقية موانئ غربي الهند إضافة إلى قوة علاقتها بالمواني القريبة مثل البصرة وبوشهر، وكان هذا التحرك في مجال الاتصال التجاري بين الكويت وغيرها من البلدان يتزايد عامًا بعد عام، بل وأصبحت الكويت ميناء لاستيراد وتصدير كثير من المواد مثل القهوة والتوابل والمنسوجات والسجاد كلها تباع إلى بلدان أخرى مجاورة مما أعلى من أهمية ميناء الكويت، وجعله من أهم المواني في المنطقة ولم يكن مفيداً للكويت وحدها بل كان فائدة كبرى للدول التي تستورد عن طريقه، وكان نتيجة ذلك ما ذكره الباحث الروسي جيورجي بونداريفسكي في كتابه «الكويت وعلاقاتها الدولية..» عن حجم العمل التجاري الكويتي خلال الفترة التي نتحدث عنها إذ يقول: «حقق التجار الكويتيون أرباحًا طائلة من تصدير الخيول العربية الشهيرة إلى الهند، إذ بلغت قيمة الصادرات من هذه السلعة البديعة سنويًّا ما يزيد على ٧٥٠ ألف ربية، أي ما يعادل تقريبًا الدخل نفسه من تصدير اللؤلؤ، فضلاً عن استخدام المراكب الشراعية الكويتية التي اشتُهرت في القطاع الغربي من المحيط الهندي في تزويد بومباي سنويًّا بآلاف الأطنان من التمور».

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٩.

وتحدث بنداريفكسي بعد ذلك عن تجارة السلاح في تلك الفترة قائلًا: ويدل على ذلك – بصورة خاصة – واقع إطلاق تسمية «كويتي» في تلك المناطق على بنادق «مارتيني» التي كانت تصنع في برمنجهام.

في اليوم السابع عشر من شهر مايو لسنة ١٨٩٦م تولى الشيخ مبارك الصباح الحكم في الكويت، لا نخوض في تفصيل ما حدث فأدى إلى هذه النتيجة ولكن الكويت حظيت بحاكم قوي استطاع أن يقودها وسط العواصف وأن يؤكد سيادتها ويحدد حدودها ويعطيها سمعة ممتازة في الخارج.

لم تكن الأمور سهلة في البداية، ولكن هذا الرجل الشجاع استطاع أن ينفذ خططه كاملة، وأن يبعد عن البلاد الأشباح التي كانت تطاردها، وهي أشباح كان منها: الإنجليز والأتراك والروس ولكن الشيخ مبارك استغل هذه الأشباح ليحول نزاعها فيما بينها على بلده إلى صالح البلد.

أما الإنجليز، فقد كان لهم وجود في الخليج منذ وقت طويل، وتحملوا الكثير من المشاق في منافستهم لأطراف أخرى حتى يفوزوا بالتوحد في هذه المنطقة، وأما بالنسبة للكويت فنحن نعلم أنهم حاولوا محاولتهم الأولى حين جاء وفد منهم إلى الشيخ جابر الأول ابن عبدالله الأول آل صباح الذي تولى حكم الكويت في سنة ١٨١٤م طالبًا بعض التسهيلات منها السماح لهم بالبناء في البلاد، ولم يوافق الشيخ على ذلك، وعندما سألوه عن موقفه لو كان هذا الطلب مقدمًا من الحكومة العثمانية، رد عليهم بقوله: «نمنعها من ذلك إذا كان فيه ضرر علينا وعلى بلدنا».

ولم تكن هذه هي نهاية المطاف في ما يتعلق بالاتصالات الكويتية البريطانية، بل كان قبلها أمر أهم من ذلك، ففي الثالث من شهر أبريل لسنة ١٧٩٣م، انتقلت الوكالة التجارية البريطانية من البصرة إلى الكويت إثر خلافات بينها وبين السلطات العثمانية هناك، وأقامت هنا لمدة سنتين، وبعد اللقاء الذي أشرنا إليه

وفي عهد الشيخ جابر نفسه انتقلت الوكالة مرة أخرى إلى الكويت وبقيت بها منذ اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٨٢١م حتى اليوم التاسع عشر من شهر أبريل لسنة ١٨٢٢م.

ويعلق لوريمر صاحب كتاب «دليل الخليج» على هذا بقوله: «ونستطيع أن نستنتج من اختيار الكويت مقرًّا تلجأ إليه الوكالة التي انسحبت من العراق التركي أن الكويت لم تكن في سنة ١٧٩٣م وبأي حال من الأحوال – رغم كل ما يقال – تابعة لتركيا»، لا ننقل قوله هذا باعتباره الدليل الوحيد على النتيجة التي وصل إليها، ولكن لعلاقته بموضوع الوكالة.

الإنجليز الذين كانوا يتوقون إلى نوع من الاتفاق السياسي مع الكويت في ذلك الوقت لم يكونوا على اتفاق مع بعضهم فالجهاز المركزي للخارجية البريطانية في لندن له رأي، وحاكم الهند البريطاني له رأي آخر، وسفير بريطانيا في اسطنبول له رأي مخالف، هذا غير قنصلهم في بغداد الذي كان له رأي آخر وهذه الآراء متضاربة وقد يتخذ قرار من القرارات ثم ينقض قبل تنفيذه بسبب تلك الخلافات في الرأي بين الجهات التي ذكرناها، وكان هذا الوضع الغريب سببًا في تأخر البريطانيين في اتخاذ قرار مناسب، وهو الذي جعل الشيخ مبارك يشك لفترة من الزمن في إمكان الاستفادة منهم بصفتهم حلفاء.

وإذ تعرضت الكويت لضغوط كثيرة بسبب الأطماع التي كانت تحيط بها في السنوات الأولى من حكم الشيخ مبارك، فإنه وجد نفسه في حاجة إلى الاعتماد على حليف قوي، وهذا أمر غير غريب على المنطقة فقد سبقته بعض البلدان إلى عقد معاهدات مثل تلك المعاهدة التي يفكر بها.

من المؤكد أن الكويت في هذه الفترة كانت حرة في اتخاذ القرار الذي تشاء، وقد قامت السلطات البريطانية بعمل استقصاء حول هذا الأمر فوجدت أنه لا

شيء يسيطر على حرية الكويت وبالتالي فإن حاكمها يستطيع التصرف وفق ما يراه صالحاً لوطنه.

وقد وجد الشيخ أن الطريق السليم له وللكويت هو أن يرتبط باتفاقية معاهدة مع بريطانيا، والواقع أن مبارك الصباح لم يترك سبيلًا يضمن به مصلحة بلاده واستقلالها إلا سلكه، ولم يكن يثق تلك الثقة العمياء في كل ما يقدم له من وعود من أي طرف كان. وفي موضوع علاقته بالإنجليز لم يكن يخرج عن هذا المبدأ، وطلبه الدخول في حمايتهم، لم يكن هو الطلب الوحيد من نوعه، فقد كان يحاول بشتى الطرق أن يجد دولة محايدة يعتمد عليها، ولذا نقدم هذه المقتطفات للدلالة على أنه لم يرم نفسه في أحضان الإنجليز كما تدعي بعض المطبوعات، ولكن الأمور بطبيعتها، وبحسب تسلسل الأحداث، أوصلت إلى توقيع معاهدة سنة ١٨٩٩ بين الكويت وبريطانيا، ومن تلك المقتطفات:

١ - كلف الشيخ مبارك عباس عليف وهو مندوب روسي على علاقة معه بنقل رسالتين إحداهما شفهية ذكر فيها أنه قرر أن يخرج من هذا الوضع المتوتر والمقلق الذي وضعته فيه مؤامرات الأتراك من ناحية، والمقترحات السقيمة المفروضة عليه من قبل الإنجليز للدخول تحت حمايتهم من الناحية الأخرى. أما الرسالة المكتوبة فقال فيها إنه: «في بلده من أب وجد مستقلين، ولا يوجد لأية دولة تداخل معنا»، وأضاف عن مدى ارتباطه بتركيا أن كل ما يربطه مجرد «مكاتبات عادية بسبب أملاكنا بطرفهم دون أية التزامات»، كما أبدى استعداده بأن يمكن الروس من اتخاذ الإجراءات اللازمة لضمان أمن الكويت، ورفع العلم الروسي فوق أراضيه.

٢ - في خريف عام ١٨٩٨م أطلع مبارك الإنجليز على واقعة إجراء الفرنسيين مفاوضات معه حول إبرام اتفاقية سياسية.

٣ - في ٢٤ ديسمبر ١٩٠١ غادرت السفينة الحربية الروسية (فارياج) الكويت متجهة إلى لنجة وبندر عباس، وقدم قنصل روسي من بوشهر في أثناء وجود

السفينة في الكويت الهدايا وعرض المساعدة باسم الحكومة إلى الشيخ إذا ما طلبها من أجل المحافظة على استقلاله.

٤ - لم يكن مبارك يعتمد نهائيًا على الإنجليز، بل كان كثير الاختبار لموقفهم منه ومدى قيامهم بالتزاماتهم تجاهه، ومن ذلك طلبه الحماية من جهات أخرى، وتودده في بعض الأحيان إلى الحكومة العثمانية.

٥ - أطلق السلطان عبدالحميد على مبارك لقب قائمقام وأرسل موظفًا للحجر الصحي في سنة ١٨٩٧، وقد قابل الشيخ مبارك هذا بامتعاض، وأجبر الموظف على المغادرة، واقترح على السلطات البريطانية أن يدخل تحت حمايتها وهذا ما تم له فيما بعد، وكان الدافع إلى هذا هو خوفه على استقلال بلاده بعد الخطوتين التركيتين المذكورتين سابقًا.

هكذا إذن، فإن الوضع المتفجر حول الكويت الذي دفع بالشيخ مبارك إلى اتخاذ خطوة الاتفاق مع الإنجليز لم يكن حله - فقط - بالاتفاق مع هؤلاء، فقد كانت العروض متعددة، وهناك من يقدم خدماته، بينما يقف الشيخ حائرًا بين هذه الدول، وقد كانت عينه على بريطانيا لأنه يعرف عن تواجدها القديم في المنطقة ويعرف علاقاتها وقوتها وما يمكن أن تقدمه إليه، وقد بذل كل ما يستطيع كي يحصل على الاتفاق معها في سنة ١٨٩٩م وهو اتفاق لمن يقرأه لأول وهلة لا يعطي الكويت شيئًا، ولكن مبارك الصباح وقعه في مقابل تزويده برسالة جاء فيها: «فإن حكومتي مستعدة لحمايتكم ولن تسمح للقوات التركية أو لسفنها بشن أي هجوم على الكويت».

لقد استمر التعاون الكويتي البريطاني جيداً فيما بعد بفضل حرص الشيخ مبارك على الاستفادة من الأوضاع وتحويلها إلى صالحه، وكانت العلاقات بين البلدين في أوج تألقها في اليوم التاسع من شهر يونيو لسنة ١٩٦١م حين تم الاتفاق

المشترك على إلغاء ذلك الاتفاق، الذي لم يكن معاهدة، ولم يكن وصاية، ولكنه - كما سماه أحد كبار الإنجليز - اتفاق تعاقدي.

وحتى هذا الاتفاق التعاقدي لا يدل على فرض الحماية لولا الرسالة التي جاءت فيما بعد، لأن الشيخ طلبها في مقابل توقيعه على هذا الاتفاق الذي لا يقيده بشيء سوى حصر علاقاته ببريطانيا وحدها. ولكنه استطاع أن ينجو بالكويت من المطامع، واستطاعت الكويت أن تنهي ارتباطها بها في الوقت المناسب وبكل سهولة كما شاهدنا في تاريخنا الحديث.

أما الأتراك العثمانيون فقصتهم مع الكويت قصة طويلة، ووضعهم مختلف تمامًا عن وضع البريطانيين.

كانت الكويت في الفترات السابقة لحكم الشيخ مبارك تنظر إلى الدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية كبرى، وكانت تساعدها بقدر إمكاناتها. وكانت هناك دلائل تاريخية كثيرة تدل على استقلال الكويت، منها استقبالها لعدد من المسؤولين الفارين، وتوفير الأمان لهم دون أن تستطيع الدولة المذكورة عمل شيء لإعادتهم من الكويت، ومنها قدرتها على القيام بمهمات تساعد بها الدولة كلما احتاجت إلى ذلك، يدفعها ذلك الاحساس الذي أشرنا إليه والمتعلق بكون هذه الدولة إسلامية كبرى، وقد ذكر بوكنجهام في كتابه «رحلة في أرجاء أشور» وكان قد زار الخليج في سنة ١٨١٦م: «هناك كل الأسس والمبررات التي تؤكد أن الكويتيين قد حافظوا دائمًا على استقلالهم».

واستمر الحال فيما يتعلق بالصلة بين الكويت والدولة العثمانية إلى ما بعد سنة ١٨٩٦م، حين تسلم الشيخ مبارك الصباح زمام الحكم، وبدأت المداخلات غير المريحة من الجانب العثماني وعلى الأخص أولئك الذين يتولون السلطة في المناطق القريبة من الكويت، ولكن السبب القوي الذي دفع العثمانيين إلى القيام بعدد من الأعمال العدائية هو موقف الشيخ مبارك من الطلب الألماني بمد سكة الحديد إلى كاظمة.

كان الألمان يرغبون بموافقة الشيخ حتى يكون لهم موطئ قدم على الخليج، وكان العثمانيون يطمعون في الحصول على الغنائم التي وعدوا بها من الجانب الألماني إذا ما نفذ هذا المشروع، وكان الشيخ مبارك يخشى على استقلال وطنه، ولا يقبل أن يفرط بأراضيه التي طلبها الألمان، وهي أراض واسعة جداً.

كانت الحكومة العثمانية في حاجة ماسة إلى المال، وكان هذا المال قريبًا منها فيما لو قال مبارك الصباح: نعم، ولكن لم يقلها، فانقلبت الموازين وصارت الكويت في نظرهم جزءًا من دولتهم، وهي التي لم تر واحدًا منهم قبل هذا الوقت فيما عدا مرور مدحت باشا في سنة ١٨٧٢م أثناء ذهابه إلى الأحساء، وكان ذلك برضا الحاكم وموافقته، ولم يهدأ العثمانيون منذ تم رفض السماح للألمان بمد سكة الحديد إلى كاظمة، فصاروا يختلقون المشكلات، ويدبرون الدسائس ولو أردنا الحديث عن تفصيلات طبيعة العلاقة الكويتية العثمانية، وما تم منذ سنة ١٩٠٠م بالتحديد حين وصلت البعثة الألمانية ثم خابت مساعيها إلى أن انتهت الدولة العثمانية وسقطت في الحرب العالمية الأولى، لو أردنا ذلك لما استطعنا أن نجد المجال الكافي لكثرة الأحداث وتشابكها وتداخل المصالح، مع غباء المسؤولين العثمانيين الذين لم يكونوا يعملون للعقل حسابًا أبدًا.

وأخيرًا فإننا نستطيع القول إن العثمانيين قد استعانوا بالخيال ليثبتوا ملكيتهم للكويت، ثم عندما عجزوا عن تحقيق ذلك اتجهوا إلى الحديث عن ملكيتهم لجزيرتي بوبيان وورية بغية تقديمهما هدية إلى ألمانيا كما سبق أن أشرنا، ولكننا عندما نرجع إلى الواقع فليس لنا إلا أن نردِّد ما جاء في إحدى الوثائق البريطانية التي تقول: «إن الادعاءات التركية مجرد وهم وخيال، فلا سيطرة للسلطان على الكويت، إذ قيام الحكام القادرين على حماية مدينة تركية مقابل ثمن يدفع لهم يعني تمكنهم من حماية أنفسهم، وإذا كانوا يقدمون للسلطان الاحترام مثل بقية

المسلمين فليس معنى هذا وقوعهم تحت سيطرته، إن مطالب تركيا على مدى السنين لم تؤد بها إلا إلى إلغاء صفقات الأراضي التي اشتراها الشيخ من العراق بحجة أنه ليس مواطنًا تركيًا، ولا يحمل الجنسية التركية، فكيف يكون (قائمقام) من قبل تركيا وهو غير تركي في نظرهم».

ومن المستفاد من كلام الشيخ مبارك أنه: «لم يكن خاضعًا للأتراك أبدًا ولا يوجد هناك أي جدال حول مركزه كحاكم للكويت وزعيم لقبائلها، وإذا ما أراد الأتراك أن يطلقوا عليه لقب (قائمقام) أو أي لقب آخر فإن ذلك لا يغير الحقيقة، حيث لم يسبق له أبدًا أن حمل هذا اللقب».

ولم يكن للأتراك ممثل في أي وقت من الأوقات في الكويت، والمناسبة الوحيدة التي أرسلوا فيها إلى الكويت موظفًا صحيًا كانت بسبب الموضوعات الصحية البحتة، ولم يكن لها أي أثر سياسي، ومع ذلك فقد بادر الشيخ إلى إخراجه على الفور.

فكيف تكون التبعية من دون سلطة، ومن دون ممثلين للدولة الأم إن كانت أمًّا حقيقية؟

وهناك أمور أخرى يجدر بنا إضافتها وهي:

يقول لوريمر: «في ٢٤ أغسطس سنة ١٩٠١م أصدر قائد السفينة بيرسيوس إنذاراً إلى القائد التركي بعدم إنزال قوات تركية إلى أرض الكويت، وأمضى القائد العثماني يوم ٢٥ كله يحاول عبثًا أن يحصل من مبارك على اعتراف بالسيادة العثمانية دون جدوى، فمضى إلى الفاو وهو يتهدد الشيخ بالعقاب مستقبلاً».

فإذا كانت تركيا تعتبر أن الكويت جزء منها فلماذا تصر على الحصول على هذا الاعتراف، وفي هذا الوقت بالذات؟

ويقول لوريمر أيضًا: «بلغ من تأثير مبارك حدًّا جعله يستطيع تغيير والي البصرة وإحلال الشخص المناسب له مكانه، فبالتعاون مع نقيب البصرة نُقل حمدي باشا، وعُين في خريف سنة ١٨٩٩م محسن باشا بدلًا منه، وكان لهذا الأخير دور كبير في إكرام مبارك. وقيامه بزيارة رسمية للبصرة قوبل فيها بكل ترحاب على عكس ما كانت تدعيه الحكومة العثمانية من تبعيته».

ويقول لوريمر: «في مايو ١٨٩٩م فرض الشيخ مبارك عوائد جمركية منظمة قدرها ٥٪ على كل الواردات بما فيها القادمة من ميناء البصرة وغيرها من الموانئ التركية التي كانت معفاة من الضرائب، وفي ٢ من سبتمبر وصل مدير تركي مع خمسة جنود لإدارة ميناء الكويت ولكن مباركًا رفض استقبالهم، وأرغمهم على العودة إلى البصرة في اليوم التالي، ووصلت تعليمات من القسطنطينية إلى البصرة باعتبار هذه المسألة منتهية».

ولم تكن روسيا بعيدة عن هذه الأجواء، ومن ذلك أنه فور علم سفيرها في الآستانة بأمر الاتفاقية الكويتية - البريطانية التي تم التوقيع عليها في اليوم الثالث والعشرين من شهر يناير لسنة ١٨٩٩م، حتى تكهن بما يمكن أن يحدث من الجانب البريطاني مما يغير الوضع المعروف لهم في الجزء الشمالي من الخليج. وقد كان في حاجة إلى معلومات مؤكدة عن ذلك فأرسل شخصاً هو في الأصل تاجر طلب منه أن يذهب إلى الكويت بحجة شراء فرو الخراف، وأبلغه بأنه لا ينبغي أن يتدخل بحديث أو غيره عن الموضوع وإنما المطلوب منه أن يسمع وأن ينقل إلى السفارة كل ما سمعه.

وإثارة للزوابع في وجه بريطانيا فقد طلب السفير من قيادته اتخاذ إجراء كان هو قدوم السفينة الروسية «غلبلياك» للقيام بجولة في الخليج بما في ذلك الكويت، وقد وصلت هذه السفينة إلى الكويت وأحسن الشيخ مبارك استقبالها، وأطلع بحارتها على معالم المدينة واستضاف الشيخ كبار المرافقين في الرحلة.

وفي خلال سنة ١٩٠١م وبالذات بعد معركة الصريف تطورت العلاقات بين مبارك والمندوبين الروس، وكانت هناك رسائل متبادلة، وكان الشيخ مبارك قد وجد في الجانب الروسي ما لم يجده عند البريطانيين، فليست هناك أطماع تطغى على الصداقة، ولا دسائس تجعل الابتعاد عنهم آخر الأمر هو السبيل الوحيد للنجاة، ولذا فقد طلب الشيخ من أولئك المندوبين الروس عقد اتفاق للحماية معهم، ومع ذلك فإننا نجد تعليق الكاتب الروسي بونداريفسكي شديد الدلالة على الوضع في ذلك الزمان حيث يقول: «لم يكن طلب مبارك الموجه إلى روسيا خدعة. ولم يكن شيخ الكويت – بطبيعة الحال – يسعى إلى وضع بلده تحت الحماية الروسية، لكن طلبه المساعدة يدل – بلا ريب – على تطلعه إلى تخفيف الضغوط الإنجليزية عليه.

هذه نبذة موجزة عن بعض ما حدث. وسوف يجد الباحث في هذا الموضوع ما يريده من معلومات في المراجع التالية:

١- الكويت وعلاقاتها الدولية لبونداريفسكي.

٢ – الكويت تواجه الأطماع لكاتب المقال.

٣ – الكويت عبر القرون لكاتب المقال.

****

رجال لا ينساهم الوطن:
خالد العبداللطيف الحمد [١]

هذا رجل من رجال الكويت. بذل جهده في خدمة وطنه، وترك ذكرًا طيبًا لما امتاز به من طيبة ووفاء، ولما كان يقدمه من أعمال عرف بها وصارت دليلًا على ما يتمتع به من قدرات وخبرات.

إنه المرحوم خالد العبداللطيف الحمد، الذي عرف بأنه اقتصادي عريق، وسياسي قديم. وكانت السياسة من الأمور التي اشتغل بها في البداية، ولكنه وجد ضالته في الاقتصاد، وعلم أنه يستطيع أن يفيد وطنه عن هذا الطريق بصورة أفضل وأجدى.

لقد نشأ عصاميًّا، معتمدًا على قدراته الخاصة في كل شيء، وقد أدت به هذه القدرات، وثقته بنفسه إلى وصوله إلى أهدافه في الحياة على الرغم من الصعوبات التي واجهها، بدءًا من مرحلة الدراسة فقد كان يقول ضاحكا:» أي دراسة؟ لم أدخل أي مدرسة في حياتي، وكل ما تعلمته من قراءة وكتابة كان نتيجة أسفاري منذ الصغر مع الوالد، فقد تعلمت قراءة القرآن حين كان عمري إحدى عشرة سنة، وقد كان يأخذني معه إلى أماكن بعيدة لم يكن أمامي لكثرة ما أجده من فراغ إلا وقتًا طويلاً، ولم يكن خالد الحمد يكتفي بالقراءة والكتابة في ذلك الوقت فحسب بل كان يتولى الطبخ في المنزل حتى إذا عاد والده من عمله وجد غداءه أو عشاءه حاضرًا.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٥/١٦.

وعندما شب عن الطوق، وأصبح من حقه أن يعتمد على نفسه بادر إلى العمل، كانت هناك صعوبات كثيرة تواجهه في العثور على عمل ملائم، وكان عمله في بعض الأحيان إضافة إلى ما يكلفه من مشقة يقتضي منه القيام ببعض الأسفار التي كان منها سفره إلى اليمن في سنة ١٩١٠م، وقد ذكر عمله هذا في ذلك المكان وذلك الزمان فقال: «كنت أشحن القهوة من اليمن إلى تجار الحجاز والبحرين والكويت».

وقد كان يعود بعد بيع محصول القهوة ليستقبل في الكويت محصولًا آخر وهو التمور التي تأتي من خارج الكويت في طرقاتها إلى أولئك الذين ينتظرون وصولها إليهم فيعود مرة أخرى إلى حيث كان ويسعى إلى تصريف هذا المحصول الذي يقابل- تجاريًا- محصول القهوة. ولا شك في أن هذه الجهود التي يبذلها تجار الكويت في عملية النقل والتسويق ذات دلالة على الهمَّة التي تميزوا بها وأفادتهم وأفادت الوطن.

هذه هي بداية حياته، وبداية عمله، وسوف يأتي مزيد من التفصيل عن عمله التجاري، ولكننا ذكرنا أن له نشاطًا سياسيًّا، فما هذا النشاط؟

كان ذلك هو دوره في المجلس التشريعي الذي نشأ في سنة ١٩٣٨م. ويقول عن هذا الأمر أنه كان طريح الفراش في المستشفى الأمريكي إثر عملية أجراها فيه. وفي ذلك الوقت بدأ التحرك لانتخابات المجلس المذكور، وكانت الاتصالات قائمة على قدم وساق بهذا الخصوص يقول: «زارني مشعان الخضير، وسيد علي سيد سليمان وعبدالله الصقر، واقترحوا عليَّ الانضمام إلى المجلس باعتبار ذلك ضرورة تحتمها خدمة الوطن، وقد وعدتهم بأنني سوف أكون معهم بعد خروجي من المستشفى، وهذا هو ما حدث، خرجت لأشارك في الانتخابات وأنجح فيها وأصير عضوًا في المجلس، ثم يقول: كانت الاجتماعات تتم في كشك الصقر في محلة القبلة (موقعه ضمن موقع متحف الكويت الوطني اليوم)، وكان الرئيس هو الشيخ عبدالله السالم الصباح.

يتحدث بعد ذلك حديث الثقة شاهد العيان عن مصير المجلس الذي تقاذفته المشكلات حتى أدى ذلك إلى حله، وما تبع ذلك من أمور هي موضع حديث إلى يومنا هذا. وخالد الحمد عضو هذا المجلس يقول بالتحديد حول هذا الأمر: «وبعد فترة من الزمن حدثت خلافات نتيجة بعض المطالبات التي تقدم بها بعض الأعضاء.. هذا بالاضافة إلى دور «ديكوري» المعتمد البريطاني في الكويت - آنذاك - الذي حرك المجلس وأشعل نار الفتنة، حتى يضمن حله لأنه كان منزعجًا من وجوده. وكان هو الداء الذي أدى إلى ما حدث».

أدى حل المجلس وهو النتيجة الطبيعية لتلك المشاحنات والمداخلات إلى كثير من المشكلات في الشارع الكويتي، يقول الحمد: «وقد اتخذت الجهات الحكومية عدة إجراءات لحفظ النظام منها سجن المحرضين على ما حدث، ولما كنت في البصرة فقد كنت بعيدًا عن ذلك، إذ كنت في خارج البلاد، ولكنني أصررت على العودة لمشاركة زملائي فيما هم فيه. وما أن وصلت بيتي حتى ألقي القبض عليَّ».

وقد أنقذته من ذلك وساطة من الشيخ عبدالله السالم والشيخ يوسف بن عيسى، وكانت حجتهما أنه كان في خارج الكويت، فأمر الشيخ أحمد الجابر الصباح بالإفراج عنه.

ومن هنا نأى بنفسه عن الحياة السياسية وصار مهتماً بتجارته، فنقل أهله إلى اليمن، واستأنف نشاطه هناك، وكان له مكتب في مدينة عدن يعتبر مكتبًا لكل الكويتيين، فلا يمر أحد بتلك المدينة أو يحتاج أحد من العابرين أو من أصحاب السفن الشراعية الكويتية إلى شيء إلا ونجد مكتب الحمد يلبي رغبته، ويدفع عنه شبح الغربة. ولم يكن خالد عبداللطيف الحمد ينقطع عن الكويت مهما كان الطريق شاقًّا، ففي اليوم التاسع من شهر أكتوبر لسنة ١٩٤٢م رصد المرحوم أحمد

وتبادلهم بين الدول لا يتجاهله واحد من الناس فما بالك إذا كان هذا الواحد من الحاصلين على لقب علمي كبير. وبلغ به الانفعال أن قال: «فلا تنعت من له الفضل عليك شخصيًّا بكونك كويتياً بكلمة المسمى أو كلمة خادم»، والواقع أن خدمة الوطن فخر لمن يقوم بها وليست فضلاً يتفضل به الشخص على وطنه أو على أبناء وطنه، وأنا لا أريد أن أتحدث كثيراً في هذا الموضوع حتى لا أزيد الدكتور مناور انفعالًا. ولكنني أحب أن أشير إلى أمر لا أظنه يفوت الاخ الدكتور وهو أن مقالاتي التي مر على نشر أول مقال منها قرابة الثلاث سنوات معروفة بين الناس وقد لاحظ الجميع مدى حياديتي وعدم خروجي عن النص الوارد في وثيقة أو كتاب وكانت الصفة التي ذكرتها للرجل واردة بنصها في كتاب الشيخ عبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» القسم الاول ج ٢ الصادر في سنة ١٩٢٦م ص٧٠، وكذلك في كتاب: «من هنا بدأت الكويت» لعبدالله خالد الحاتم الذي صدرت طبعته الأولى في سنة ١٩٦٢، (انظر ص ٧٢، ٧٣)، فأين كنت طوال هذه المدة ولماذا لم نر لك ما يدل على عدم رضاك على ما كتبناه، وليس بالضرورة أن يكون ردك وقت صدور الكتابين ولكن على الأقل قبل أن أنقل عنهما ما رأيته أنت غير صحيح.

وختامًا فانني أعبر هنا عن تقديري واحترامي لكل من قدم خدمة للكويت، فهي ذات الفضل الأول والأخير – بعد الله – علينا.

****

رجال لا ينساهم الوطن:
بدر محمد الناصر الساير[١]

عندما كتبت ذكرياتي عن (فريجنا) الذي عشنا فيه قبل الانتقال إلى خارج السور، لم أستطع أن أنسى ذكر رجل من أطيب الرجال في ذلك الفريج، وهو بدر محمد الناصر الساير، كان محبوبًا من الجميع، وكان يتميز بدماثة خلق، وتواضع شديد، وكان الأطفال يكنّون له محبة وتقديرًا خاصين لأنهم يرونه رحيمًا بهم لا يسمعون منه إلا الكلمة الطيبة، كانوا ثلاثة في ذلك الحي القديم هم الوالد محمد الناصر الساير، ووالده بدر وناصر، وكانت والدتهما صورة كريمة لنساء الكويت آنذاك، كما كان ابنها بدر مثالاً طيبًا لابن الكويت العامل من أجلها في مجالات مختلفة سوف نبين شيئًا منها.

كان من الأمور التي أسعدنا بها أبوفيصل ونحن صغار يوم كنا ندرس دراستنا الصيفية عند الشيخ محمد صالح العدساني أنا وأخي الدكتور مرزوق. وكان مقر المدرسة في سوق الصاغة وهو سوق قريب من السوق الداخلي حيث يقع مكتب بدر الساير، وعندما تنتهي الدراسة مساء أو صباحًا كنا نخترق السوق الداخلي مشيًا على الأقدام إلى بيتنا في (فريج) الشاوي، وكنا نرى الرجل في مكتبه يعمل في تجارته، ونفخر أن يكون أحد رجال (فريجنا) واحدًا من أولئك التجار العمالقة الذين يحتلون هذا السوق، وكان موقف أبي فيصل من المواقف النادرة فهو يعرف

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٧/١٨.

أننا نتجه في طريق طويل إلى بيتنا فيصر على دخولنا إلى مكتبه انتظارًا لإنهاء ما بين يديه من أعمال، ثم يأخذنا بسيارته إلى (الفريج) وقد كنا فرحين بهذه البادرة الجميلة وسعيدين بركوب تلك السيارة التي كانت - ربما - أول سيارة يملكها أحد أبناء (فريجنا). وكان العطف الذي يخصنا به، باعتبار أننا من أبناء جيرانه مؤثرًا في نفوسنا، مما كان يدفعنا إلى دعاء صامت نتمنى له فيه كل خير، وقد صار في ظني أن هذا الدعاء الذي لم يجاوز قلبينا إلى شفاهنا هو الذي فتح الطريق لهذه الأسرة الكريمة فصارت تمتلك اليوم أكبر مؤسسة لتجارة السيارات، وهي المؤسسة التي يقوم الأخ ناصر محمد الساير بإدارتها والاهتمام بكل ما يتعلق بها.

ولم ينس أبوفيصل وهو في مصر خلال سنة ١٩٥٨م أن هناك أحد أبناء (الفريج)، فقام بزيارته وإبداء الاهتمام به، ذلك الطالب هو كاتب هذا المقال الذي فوجئ وهو يفتح الباب للطارق فإذا هو الرجل الشهم مع ابنه مساعد وكانت فرحة غامرة لي بهذه الزيارة التي ما كنت أتوقعها، ولم يسبقها تمهيد، وهي على كل حال نموذج من النماذج التي نرى بدر الساير يقدمها لنا فنعجب لقدرته على اكتساب محبة الناس وتقديرهم وإسعادهم أيضًا.

ولقد ولد بدر محمد الناصر الساير في سنة ١٩٠٢م، وعاش مع أقرانه متنقلاً بين الكتاتيب التي كانت تدرس القرآن الكريم والقراءة والكتابة في ذلك الوقت، وعندما تم افتتاح المدرسة المباركية في سنة ١٩١٢م كان هو من أوائل الطلاب الذين انتظموا في سلك الدراسة بها، وقد ورد اسمه في القائمة التي نشرتها وزارة التربية في سنة ١٩٦٢م عندما أقامت احتفالها الكبير بمناسبة مرور خمسين سنة على نشأة المدرسة التي كانت أول مدرسة نظامية تقيمها الكويت لأبنائها.

كان اسم بدر الساير ضمن المجموعة التي وردت أسماؤها في الكتيب المشار إليه، ويصعب علينا ذكر جميع من كانوا فيه، ولكننا نلاحظ أنه كان معه آنذاك

أحمد البشر الرومي وأحمد سعود الخالد، وخالد أحمد المشاري، وصالح يوسف النصرالله، وسليمان عبدالوهاب الهارون، وسعدون الجاسم اليعقوب، وسلطان الماص، وآخرون،

وقد نشأ أبوفيصل في بيئة كريمة لها جذورها الطيبة فوالدته لولوة محمد المطير، وأمها رقية الساير، أخت مبارك وعبدالله وأحمد وخليفة الساير، وأختها نورة والدة مشاري هلال المطيري، أما زوجته فهي دلال إبراهيم العبدالهادي الميلم من مواليد سنة ١٩٢٠م وكان والدها من المشاركين في معركة الجهراء (١٩٢٠م) حيث أصيب فيها، ونقل للعلاج في المستشفى الأمريكي بالعاصمة، ولكنه لم يكن في حالة تقبل العلاج فتوفي في المستشفى، وكان سن ابنته دلال عند وفاته ثلاثة أشهر.

أنجب أبوفيصل كلًّا من حصة وفيصل ومساعد وساير وتوفيت بدرية التي ولدت في سنة ١٩٥٧م بعد سنوات من وفاة والدها، وبالتحديد في سنة ١٩٧٨م.

كانت البيئة التي عاش في كنفها بدر محمد الساير سببًا في توجهه التجاري، فأصبح يعمل في هذا المجال عبر ثلاثة محاور في محله التجاري الكائن في سوق التجار وهو المحل الذي أشرنا إليه في بداية هذا الحديث ومنه كان يزاول عمله في التجارة، منه اكتسب الكثير من الخبرات باتصاله الشديد مع غيره من التجار الموجودين في ذلك السوق العريق، وكوَّن له علاقات ممتازة معهم استفاد منها في تقوية مركزه التجاري، وقربته إلى العاملين في السوق، وكذلك إلى المتعاملين معه الذين وجدوه أهلاً للثقة، وقادرًا على تلبية حاجاتهم من السلع المختلفة التي كان يستوردها من عدد من البلدان منها الهند التي كانت علاقته بتجارها وثيقة أفادته في المرحلة الثانية من حياته العملية، وهي المحور الثاني من المحاور الثلاثة التي أشرنا إليها فيما سبق، وهذا المحور هو انتقاله إلى العمل في البحرين فترة من الزمن في الوقت الذي كانت هذه البلاد منارة تجارية في الخليج لها سوقها القوي،

واتصالاتها التجارية المتعددة الأطراف، وهنا قام بتأسيس شركة كان مقرها المنامة، وكان شريكه فيها المرحوم خالد عبدالعزيز السعدون، وإضافة إلى عمله في الشركة فقد كان وكيلاً لأملاك هلال المطيري في البحرين، يشرف عليها ويتابع كافة ما يتعلق بها.

سار مع شريكه في عملهما مدة طويلة إلى أن أحس بدر محمد الساير بأنه لا بد وأن يعود إلى وطنه، فأسرته في حاجة ماسة إليه، وأعمال الأسرة تريد لها من يقودها بمثل الخبرة والقدرة اللتين يملكهما هذا الرجل المجرِّب، ذو العلاقات الطيبة بين الناس جميعًا، وقد كانت عودته إلى العمل في الكويت ذات جدوى طيبة، إذ بدأ بها المحور الثالث في العمل.

عاد إلى وطنه بخبراته التي اكتسبها من عمله في البحرين، وبعلاقاته الطيبة مع كثير من المتعاملين في السوق تسبقه سمعة كريمة من حسن الخلق والأمانة والدراية بالعمل وحب الناس، وكان أخوه ناصر محمد الساير وهو أصغر منه بسنوات طويلة في حاجة إليه آنذاك لأنه بسبب فارق السن يراه بمثابة الأب والمعلم، وكانت العودة فرصة لناصر اكتسب فيها الكثير من الخبرات التي جمعها أخوه أبوفيصل على مدى السنين سواء أكان ذلك في الكويت أم في خارجها، وكان أهم ما في ذلك علاقاته القوية بالتجار وكبار الشخصيات الذين رأوا فيه رجلاً محل ثقة، ووجدوا أن تعلق الناس به من أهم الأدلة على صفاته الكريمة.

بدأ بدر محمد الساير العمل في الكويت مجددًا اعتبارًا من سنة ١٩٥٩م حين أنشأ مع أخيه ناصر شركة تتاجر في أعمال متعددة كان أهمها تجارة السيارات، وقد تفوقت هذه الشركة مع امتداد الزمن بسبب الأساس المتين الذي بدأت به، ولاشك في أن خبرات بدر الساير وعلاقاته الجيدة بالناس ومحبتهم له كانت دافعًا للعمل الجديد الذي بدأ به فصار له كل هذا الرنين والإبهار في عالم الكويت اليوم.

وفي كتاب أصدرته شركة الساير تحدث ابنه مساعد بدر الساير الذي يشغل الآن منصب عضو مجلس الإدارة التنفيذي في الشركة فقال عن والده: إن الناس لا يزالون يذكرونه بكرمه ورفعة أخلاقه، وحبه لمساعدة الغير، ويرى أنه من خلال تلك الروح السمحة صنع له علاقات متينة مع الناس ساهمت في دعم الشركة وتقوية أعمالها.

ويقول مساعد: «إن تلك الذكرى العطرة التي يكاد يسمع بها يوميًّا عن والده تمنحه الشعور بالفخر والاعتزاز، وأنه تعلم منه أن رصيد الإنسان الحقيقي هو حبه للناس ومحبتهم له، وعلاقاته الطيبة معهم».

ولذلك فإنه نتيجة للانتخابات التي جرت في الكويت عند أواخر سنة ١٩٥١م لاختيار أعضاء مجالس الدوائر الحكومية تم انتخاب بدر الساير عضوًا في مجلس دائرة الصحة العامة مشاركًا في ذلك عددًا من كبار رجال الكويت منهم نصف اليوسف النصف، ومحمد عبدالرحمن البحر، ومحمد عبدالمحسن الخرافي، وأحمد سعود الخالد.

نعود الآن إلى إلقاء نظرة على حياة أبي فيصل عندما كان في البحرين حين كان يدير مع صديقه خالد عبدالعزيز السعدون الشركة التي أسساها هناك، وتعاونا على أن تقوم بدور تجاري مهم يخدم المنطقة بكاملها، وكانت الروح العربية التي كان هذان الرجلان يحسان بها قد جعلتهما يضعان تحت اسميهما العبارة التالية: «البحرين جزيرة العرب».

سارا بهذه الشركة حثيثًا أدى إلى نجاحها وكانت لعلاقاتهما الوثيقة بكثير من الناس وبخاصة من المسؤولين والتجار آثارها في الحصول على نصيب وافر من هذا النجاح وعندما عاد من البحرين كان قد ترك فيها أثرًا كبيرًا، ومحبين عديدين لم يكونوا يعتبرونه إلا واحدًا منهم، وترك من آثار تلك الشركة المراسلات العديدة

التي كانت تراسل بها تجار المنطقة، وتجار الهند، وهي آثار تدل على النشاط وعلى قوة الصلات وسوف نضع صورتين لرسالتين منهما من أجل الاطلاع وتعرف أسلوب المراسلات في ذلك الوقت.

ومع ذلك فقد حصلنا على معلومات طيبة عن بدر محمد الساير من المرحوم الأستاذ صالح شهاب الذي كان يدرس في الكلية الصناعية في البحرين حين كان صاحبنا هناك، إذ كان الأستاذ صالح قد أوفد للدراسة في الكلية المذكورة ضمن البعثة الثانية التي ذهبت للدراسة هناك وكان ذلك في سنة ١٩٤٠م، وقد تكوَّنت البعثة من أربعة أشخاص هم:

- أحمد محبوب العامر
- شيخان أحمد الفارسي
- بدر أحمد الحداد
- صالح جاسم الشهاب

أما البعثة الأولى فقد توجهت إلى البحرين قبل ذلك بقليل من أجل الدراسة في الكلية نفسها، وكانت مكونة من طالبين هما:

- الأستاذ عقاب الخطيب
- الأستاذ خالد عبدالكريم الغريللي

وقد أرسلا على حساب شركة نفط الكويت بموجب قرار صادر في اليوم الثامن من شهر فبراير لسنة ١٩٤٠م.

في سنة ١٩٨٤م أصدر الأستاذ صالح الشهاب كتابه «تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان» وهو كتاب شامل لكثير من المعلومات عن تاريخ التعليم، وعن الأحداث المصاحبة التي حدثت فاطلع عليها المؤلف ثم كتبها ضمن ما كتب من معلومات. يتألف الكتاب من جزأين يضمّان كل ما يتعلق بتاريخ التعليم وتاريخ الأشخاص الذين عرفهم الأستاذ صالح خلال مسيرة حياته، ومن هؤلاء بدر محمد الساير الذي أثبت صورته في الجزء الأول من كتابه وتحدث عنه حديثًا ينمُّ عن

التقدير للرجل ولخدماته الجمة لكل من يتصل به، وقد وصفه بقوله: «لقد كان يتميز بكرمه العربي الأصيل، وحبه لمساعدة إخوانه الكويتيين الذي يفدون إلى البحرين لمزاولة أعمالهم التجارية، فغالبًا ما كان يستضيف العديد منهم في منزله» وقد ذكر هؤلاء والده الذي كان على صلة أخوية عميقة مع أبي فيصل، هذا وقد روى لنا الأستاذ صالح جانبًا من مواقف بدر الساير مع الطلاب الكويتيين الذين كانوا يدرسون في البحرين، فقال: «وإنني وزملائي أعضاء البعثة في الكلية الصناعية في البحرين لن ننسى أيادي المرحوم بدر الساير البيضاء علينا ومساعدتنا في غربتنا عندما توقف صرف رواتبنا لمدة تزيد عن الشهرين، وكنا نبث شكوانا إلى الله ثم إلى المرحوم بدر الذي لم يقصر في تمشية أمورنا، ولكن باب الفرج انفتح على مصراعيه عندما قدم الأخ مشاري هلال المطيري إلى البحرين قادمًا من بومبي، وبتوصية من المرحوم بدر الساير الذي شكا له أوضاعنا المادية وتأخر رواتبنا، وعيد الأضحى المبارك على الأبواب، فتكرم على كل منا بمبلغ (٤٥) روبية، وكان يعتبر مبلغًا كبيرًا في سنة ١٩٤١م، وأضاف إلى ذلك تذكرة دخول إلى مسرحية مجنون ليلى التي كانت تعرض آنذاك ضمن أنشطة نادي البحرين، وكانت قيمة كل تذكرة عشر روبيات».

وأكد الأستاذ صالح شهاب أن بدر محمد الساير كان لهم بمثابة الأب يقف معهم في الملمات ويساعدهم عند الحاجة وينصحهم في المواضع التي تقتضي النصح ولقد حدثت لهم حادثة تتعلق بارتباطهم بعمل مسرحي مع أحد الأشخاص أمرهم بدر الساير بالانفضاض عنه وترك العمل معه، وكانوا قد عانوا الكثير بسبب موقف كليتهم منهم، ولكن الرجل الذي كانوا يعتبرونه أبًا لهم لم يتأخر عن القيام بما يساعدهم على التخلص مما هم فيه، بل وحرص على أن يتحدث مع عدد كبير من الأشخاص ذوي المكانة في البحرين حتى يتدخلوا في حل المشكلة بمن فيهم المرحوم عبدالله جاسم بودي الذي كان يعمل في القنصلية البريطانية

هناك، وقد استغرقت هذه الحكاية عدة صفحات من الكتاب ومن الصعب إيراد كافة تفصيلاتها، وتكفينا هنا الإشارة إلى دلالتها على مكانة أبي فيصل وحرصه على خدمة أبناء وطنه، وعدم تأخره في أداء ما يراه واجبًا عليه تجاههم.

والواقع أن تجار الكويت العاملين في خارجها إبان تلك الأيام كانوا رسلاً لها وسفراء، وكانوا نِعمَ العون لإخوانهم الذين يفدون إلى البلدان التي يعملون بها، وقد كتب أحد كتَّاب مجلة البعثة مقالاً حول هذا الموضوع ومما قاله: «إن الكويت تفخر بأبنائها البررة أمثال حسين بن عيسى وإخوانه، ومحمد الشايع وإخوانه، وعبداللطيف العبدالرزاق في بومباي، وفهد المرزوق وعبدالرحمن الشاهين والفليج في كراتشي، وخالد السعدون وبدر الساير في البحرين، ومرشد العصيمي في دبي، وآل الحمد في عدن وغيرهم».

لقد كان بدر محمد الساير من رجال الجالية الكويتية البارزين في البحرين، وكان له حضوره في كثير من المناسبات ومشاركاته في الاستقبالات الرسمية التي تقام بين وقت وآخر، وكان يسعى إلى استقبال ضيوف البحرين من الكويتيين والاحتفاء بهم، ويحرص على أن يؤدي واجبه تجاههم، وكأنه معهم في الكويت، ومن الصور الدالة على مثل ذلك صورة مهمة نشرتها الشيخة منى الجابر العبدالله الجابر الصباح في كتابها: «الكويت.. صور وذكريات:»، وهي صورة تم التقاطها في البحرين إبان الأربعينيات من القرن الماضي، وذلك عند زيارة الشيخ أحمد الجابر الصباح للبحرين.

وفي الصورة أمير البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة (١٩٤٢ - ١٩٦١م) وعدد من رجال البحرين والكويت ويبدو فيها بدر الساير واقفًا خلف الشيخ أحمد الجابر، في الوقت الذي وقف إلى يساره صديقه خالد السعدون وهذه الصورة

تعبِّر عن قيام هذين الرجلين بمهمة في هذه الزيارة، كما تدل وقفة الاستعداد التي يقفانها على أن لهما دورًا في تقريب العلاقات، وعلى أن لهما مكانة يثبتها وجودهما في هذا المحفل المهم.

وبعد؛ فهذا جهد المقل وما يستحقه أبوفيصل أكثر بكثير مما قدمت فقد كان شخصًا نافعًا لوطنه ولأهل وطنه، كثير الأعمال في شتى المجالات، محبوبًا لدى الكبار والصغار على حد سواء، كان ابنًا بارًّا للكويت ولذلك لم يسقط من تاريخها بل ظل ذكره سائرًا إلى اليوم، منذ وفاته في اليوم العاشر من شهر يوليو لسنة ١٩٦٧م رحمه الله.

****

ملحاق خير

ناصر محمد الساير هو شقيق بدر الساير ورفيق دربه، وهو كما ذكرنا ممن استفاد منه خبرة ودعمًا.

ها نحن في (الفريج) القديم الذي نتخيله اليوم وكأنه لا يزال قائمًا، فنرى ناصر محمد الساير وهو يسير في غدواته وروحاته، يمر بنا كالطيف لننظر إليه بإعجاب شديد لما يتحلى به من رزانة وشباب حي، وهندام فاخر، ولم تكن له مواقف غير ملائمة مع أحد من السكان المجاورين كما لم نسمع له صوتًا نابيًا، بل كان مثالاً للرقي في الأخلاق والعادات.

ولد ناصر الساير في اليوم التاسع والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٢٩م، وبذلك يكون أصغر سنًّا من أخيه بسبع وعشرين سنة، كان محبًّا لطلب العلم فدرس في البداية في مدرسة العنجري الأهلية وهي مدرسة كانت قائمة في (فريجنا) وقد سبق لي أن درست فيها وصاحبها هو المرحوم عبدالعزيز ناصر العنجري، وبعد دراسة في عدد من مدارس الكويت النظامية، وبعد أن تلقى دروسًا في اللغة الإنجليزية عند مدرسين يقومون بتعليم هذه اللغة للراغبين في ذلك، لم يكتف بذلك فالتحق بأخيه في البحرين وانتظم بالدراسة في إحدى مدارسها، وكان وهو هناك وبإشراف أخيه يقوم ببدايات عمله التجاري فكان يراسل الشركات، ويطلب البضائع، وعاد إلى الكويت لكي يفتتح مكتبًا له في شارع عبدالله السالم (الشارع الجديد) ومنه توسع في عمله وزادت خبراته واتصالاته.

كان نشطًا طوال حياته ولم يدع مجالاً من مجالات العمل الأهلي إلا وانخرط فيه بكل جد وإصرار على الإنتاج، وكان في سنة ١٩٧١م عضوًا في مجلس الأمة للفصل التشريعي الثالث، وكان عضوًا في نادي المعلمين الذي كان قائمًا في السنوات الأولى من عقد الخمسينيات في القرن الماضي، وكان عضوًا في المجلس الأعلى للمعاقين مرشحًا من قبل وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وعضوًا في غرفة تجارة وصناعة الكويت، وعضوًا في مجلس إدارة الهيئة العامة للصناعة، ونائب رئيس مجلس الإدارة وعضوًا في مجلس إدارة شركة المال الكويتية، وترأس فيما سبق مجلس إدارة شركة دار الاستثمار، وكان نائبًا لرئيس مجلس الإدارة للشركة الوطنية القابضة ثم صار رئيسًا لمجلس إدارتها، وكان فيما سبق نائب رئيس مجلس الإدارة لمركز الخليج المالي، ونائب رئيس مجلس الإدارة الأسبق لشركة الإسكندرية للملاحة والنقل بمصر، وهو عضو في مجلس إدارة المنظمة الإسلامية العالمية الخيرية.

وهذا التشعب في النشاط والتنوع فيه دليل على همة عالية لا تعرف التهاون، وهو وإن ترك بعض تلك الأعمال الآن إلا أنه اكتسب من وجوده السابق فيها خبرات كبيرة لها أهميتها ودورها في مسيرته العملية كلها، ولذا نراه قد أسس وترأس مجالس إدارات ما لا يقل عن اثنتي عشرة شركة متنوعة الأغراض منها ما هو في الكويت، ومنها ما هو في خارجها ومنها شركات صناعية، ومنها شركات ذات نشاط تجاري بحت.

هذا هو ناصر محمد الساير كما عرفته، منذ رأيته وأنا صغير، وكما أرى اليوم من نشاطه الجم، وعلاقاته الطيبة بالناس فلا تكاد تمر مناسبة اجتماعية من المناسبات التي يلتقي فيها أهل البلاد إلا وجدته مشاركًا فيها، فهو حريص على أداء واجباته الاجتماعية بقدر حرصه على عمله الذي لا يزال يبدع فيه ويأتي منه بكل جديد.

أرجو من الله تعالى أن يمد في عمره، ويلبسه أثواب الصحة والعافية ويبقيه لنا أخًا عزيزًا لا ننساه.

****

لوريمر مبدع كتاب دليل الخليج (١)

من أهم الكتب التي كتبت عن الكويت كتاب ألفه لوريمر، وترجم وطبع تحت اسم «دليل الخليج»، وهذا الكتاب يحتوي على قسمين أحدهما جغرافي والثاني تاريخي، والكتاب بقسميه يضم تاريخ وجغرافيا الخليج وعمان ووسط الجزيرة وقد تحدث لوريمر كثيراً عن الكويت في جزء من الدليل من الناحية التاريخية ومن الناحية الجغرافية.

تم نشر القسم الجغرافي من الكتاب في سنة ١٩٠٨ وكان القسم التاريخي قيد الإعداد للنشر في أوائل سنة ١٩١٤م حين ألمت المنية بالمؤلف فمات دون أن يكتب له المقدمة أو الفهارس. وجاءت طبعة الدليل باللغة الإنجليزية في ستة مجلدات للقسم التاريخي، وثلاثة مجلدات للقسم الجغرافي، أما الترجمة العربية منه فقد جاءت في أربعة عشر مجلداً، لكل قسم من هذين القسمين سبعة مجلدات.

حديث لوريمر عن الكويت في القسم التاريخي من دليل الخليج كثير ومتناثر، نراه منذ المجلد الأول حين يعرض شؤون الكويت وعلاقتها الخارجية منذ سنة ١٨٩٩ إلى سنة ١٩٠٥م، وقد تحدث في هذا الفصل عن اتفاق الكويت مع بريطانيا، وعن التهديدات العثمانية بالعدوان على الكويت، ومحاولة تركيا الفاشلة في اقتطاع أجزاء من الكويت. إلى تعيين أول مسؤول بريطاني يمثل بلده عندنا وذلك في سنة ١٩٠٤م. وتحدث لوريمر - أيضًا - عن المصالح الألمانية والمصالح الروسية في البلاد بتفصيل كافٍ. ومثل هذه التفصيلات متناثرة في باقي المجلدات، ولكن الجزء الأهم

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٢٥.

فيما كتبه لوريمر عن الكويت، جاء في الجزء الثالث من الطبعة العربية تحت عنوان «تاريخ الكويت» جاء فيه ذكر تأسيس الكويت ونموها وعلاقات الهولنديين بشيخ الكويت، وعن بداية علاقة البريطانيين بالكويت منذ سنة ١٨٧٦م. وعن الجاسوس الفرنسي الذي تم القبض عليه في الكويت عند نهاية سنة ١٧٨٨م، تحدث عن تجارة الكويت وعن انتقال الوكالة التجارية البريطانية في سنة ١٧٩٣م إلى الكويت. ثم تحدث عن علاقات الكويت مع عدد من المجاورين، وعن تعيين وكيل مصري بالكويت في سنة ١٨٣٨م، واستمر لوريمر في سرد تاريخي طويل يصعب عرضه في هذا المجال، ولكن ما يمكن أن يقال هنا هو أن هناك الكثير من الملحوظات على ما كتب، وهو معذور في ذلك لأنه لا يفهم اللغة التي يتكلم بها أبناء المنطقة ولا يعرف عاداتهم. إضافة إلى أنه يكتب تحت سيطرة أفكاره الخاصة بصفته بريطانياً.

نأتي إلى القسم الثاني من دليل الخليج.. وهو قسم يختص بالنواحي الجغرافية كما ذكرنا.. ويتكون من سبعة مجلدات.. وكان حديثه في هذا القسم عن الكويت شاملاً لأمور كثيرة منها وصف الأماكن الكويتية، والحديث عن الخليج وجون الكويت ومدينة الكويت وما حولها، وعن المناخ والسكان و طرق إدارة البلاد والمواصلات والنباتات والحيوانات وكثير غير ذلك مما تصعب الإحاطة به هنا، وكان حديثه عن الطقس في الكويت مطولاً يشمل الحديث عن المواسم الممطرة وعلاقة المناخ بالصحة والأمراض، ولم ينس أن يكتب كثيراً عن الغوص باعتباره المصدر الرئيسي للثروة في الكويت، وقد اتسع في هذا المجال حتى تحدث عن قضايا متعددة منها ما يخص الكويت ومنها ما يخص غيرها ولكن المسألة التي يوردها تكون عادة مشتركة معها.

قام لوريمر بعمل كبير حين أصدر دليل الخليج، وجمع عن المنطقة الكثير من المعلومات التي كان من الممكن ضياعها والجهل بها لولا أنه بدأ منذ بداية القرن

العشرين في العمل الدائب والزيارات المتكررة للمنطقة، والكتابة عن كل ما تسمعه أذناه أو تراه عيناه، ونحن في الكويت مدينون له بحفظ الكثير من أحداث تاريخنا الذي نجده بعد التدقيق والتمحيص ونبذ الشوائب عنه جلياً في هذا الدليل المهم.

تحدث ليزلي ماكلوفين في كتابه «بحر المعلومات» عن لوريمر، ويبدو أنه كان معجباً به جداً وهي المرة الأولى التي أجد فيها اسم هذا الرجل كاملاً وهو جوني جوردون لوريمر. وكان قنصلاً في بغداد من قبل بلاده بريطانيا، وهنا يقول ماكلوفين: «يجب أن نتوقف قليلاً عندما يذكر اسمه (يقصد لوريمر) لنستوعب قصة رجل بريطاني محترم وعظيم، انتهى عمله نهاية تراجيدية»، ويضيف: «لقد كان لوريمر ضابطاً يعمل في الخدمة المدنية البريطانية ـ الهندية (قسم المعلومات) لما له من مؤهلات، وقد تمت التوصية عليه من قبل اللورد كيرزون نفسه في شهر يوليه لسنة ١٩٠٤م ليقوم بدور سياسي في الخليج، وكانت النتيجة عملاً رائعاً يعتبر كنزاً ثميناً من المعلومات القيمة جداً، وكان هذا العمل مصنفًا على أنه سرٌّ إلى أن أتيحت الفرصة للاطلاع عليه من قبل الجمهور».

ولقد كانت نهايته المأساوية التي أشار إليها الكاتب هي وفاته نتيجة انطلاق رصاصة من سلاحه بالخطأ في سنة ١٩١٤، وهو يقوم بتنظيف بندقيته، فعجلت بنهايته.

نعود هنا مرة أخرى إلى كتاب «دليل الخليج» وذلك بمزيد من التفاصيل بعد ما سبق لنا أن قدمنا شيئًا عنه مجملاً:

يتضمن الكتاب معلومات كثيرة من التاريخ والجغرافيا فيما يتعلق بالخليج ووسط الجزيرة العربية وعمان، مع أحاديث طويلة عن أوضاع الحكومة البريطانية في الهند، وأحوال جيوشها في المنطقة وعن الأطماع المحيطة بالمنطقة من بريطانيا وغيرها، ويورد معلومات شبه دقيقة عن سير الحياة في عدد من البلدان الواقعة ضمن خطة عمله، مع حديث عن السكان والأماكن وموارد المياه بل وحتى مغاصات

اللؤلؤ والأنساب وعن جزء من الساحل الفارسي وتاريخ بعض البلدان فيه مما يجعل هذا الدليل حاويًا لأمور كثيرة لا يجدها المرء مجتمعة في غيره.

يتكون الكتاب كما أشرنا من قسمين أحدهما تاريخي والثاني جغرافي وقد صدر القسم الجغرافي أثناء حياته ولكن القسم التاريخي طبع بعد ما فارق المؤلف الحياة. وقد كانت وفاته في أوائل سنة ١٩١٤م كما يقول ناشر الطبعة الإنجليزية في مقدمته للقسم التاريخي من الكتاب، وهذا تأكيد لما سبق

في سنة ١٩٠٣م أصدر اللورد كيرزون حاكم الهند ونائب الملك البريطاني بها أمراً بجمع كافة المعلومات عن الخليج ووسط الجزيرة العربية وما حولهما، وتنفيذًا لهذا الأمر قام ج.ج. لوريمر يساعده جابرييل الذي تم ترشيحه لوظيفة سياسية مرموقة في الهند بالبدء في العمل منذ سنة ١٩٠٤م، قام الرجلان برحلة طويلة لجمع المعلومات زارا خلالها مسقط وصحار والشارقة والبحرين والكويت والمحمرة وبوشهر وبندر عباس وغيرها.

وكانت صحبة لوريمر للورد كيرزون في رحلته الخليجية المشهورة في سنة ١٩٠٢م ذات فائدة له في الإحاطة بكثير من المعلومات قبل أن يتم تكليفه بهذا العمل.

لقد تم تأليف الكتاب وتم نشره من قبل حكومة الهند في كلكتا سنة ١٩١٥م، وقد اعتبرته سريًّا للغاية لما يحتوي عليه من معلومات مهمة في ذلك الوقت، ولم يكن ما طبع منه يتجاوز المائة نسخة.

في القسم التاريخي من الكتاب وهو القسم الأول تحدث لوريمر عن نشأة الكويت، وشرح طريقة تكوينها منذ نزح إليها العتوب ومن صيغة أقواله يتضح عدم دقة ما توصل إليه من ذلك وهو معذور لأن ما أتيح له من معلومات لم يكن كافيًا. وقد ذكر أن نمو الكويت الذي أعقب فترة التأسيس كان سريعًا وواضحًا وانتقلت

به هذه البلاد إلى مستوى واسع من النشاط والتطور الذي كان الداعم له نشاط السكان البحري، وهذا في حد ذاته صحيح.

وفي سنة ١٧٥٨م تحدث لوريمر عن علاقات الهولنديين الذين كان مقرهم جزيرة خرج بشيخ الكويت، وكنا قد تحدثنا عن ذلك في أحد مقالاتنا.

وتحدث الكاتب عن بداية علاقة بريطانيا بالكويت في الفترة من سنة ١٧٧٥م حتى سنة ١٧٧٨م حين احتل الإيرانيون البصرة وصار البريد الصحراوي يرسل إلى حلب عن طريق الكويت، ووصفت الكويت أنها طريق جيد للقوافل العابرة وميناء آمن أيضًا.

يقول لوريمر إن تجارة الهند تحولت بعد احتلال البصرة من قبل الإيرانيين إلى الكويت وكان هذا سببًا في ازدهار التجارة بها، وكانت الضريبة المفروضة على البضائع لا تتجاوز ١٪ آنذاك.

بعد ذلك جاء الحديث عن أوضاع الوكالة التجارية البريطانية التي انتقلت من البصرة إلى الكويت بحثًا عن الأمن وذلك في سنة ١٧٩٣م، وامتد بقاؤها فيها حتى سنة ١٧٩٥م وكان حديثًا تفصيليًّا يصعب إيراده هنا ويمكن الرجوع إليه في دليل الخليج، وكان ذلك قبل بدء العلاقة المباشرة بين البلدين.

ثم قدم وصفًا دقيقًا للكويت في الفترة من ١٧٩٥م حتى سنة ١٨٣٨م. وقد بدأه بسنة ١٨٢٠م، وذلك بقوله: «إن في الكويت سكانًا مسلحين يتراوح عددهم بين خمسة آلاف وسبعة آلاف رجل، منهم عدة مئات ترجع أصولهم إلى العتوب» وإن البلاد تعتمد في مصادرها المائية على جزيرة فيلكا». وقال أيضًا: «إن الكويت التي يسودها الرخاء بفضل السياسة السليمة لحاكمها كانت لها قوة بحرية قوامها خمس عشرة سفينة، وعشرون أخرى في حجم أصغر، كما كان لها ١٥٠ قاربًا إضافة إلى ماتقدم».

فهذه معلومات مهمة عن الكويت في ذلك الوقت ما كان بالإمكان الحصول عليها من غير كتاب دليل الخليج.

تلت كل ذلك أحاديث عن علاقات الكويت بغيرها، وعن انتقال مكتب المقيم البريطاني من بغداد إلى الكويت منذ سنة ١٨٢١م إلى سنة ١٨٢٢م، ولا شك في أن هذا دليل ساطع على استقلال الكويت عن تركيا وهو أمر تدل عليه دلائل كثيرة غير هذا الموضوع.

لحقت ذلك إشارة إلى افتتاح وكالة سياسية مصرية في الكويت سنة ١٨٣٨م، ثم أدرج عدداً من الأنشطة السياسية التي قام بها شيخ الكويت في ذلك الوقت، ثم تحدث عن علاقة الكويت بنجد وبعربستان والبحرين، وتحدث عن رحلة الرائد لويس بيللي التي زار فيها الكويت في سنة ١٨٦٥م معرجًا للمرة الثانية أو الثالثة لبيان علاقات الكويت مع بريطانيا ثم مع تركيا.

وقد ذكر في هذه الأثناء مدينة الكويت في سنة ١٨٣١م التي امتدت ميلًا واحداً على طول الشاطئ بعمق قدره ميل إلى الداخل، وأصبحت شوارعها أكثر اتساعًا من شوارع مسقط وبوشهر، لكن الدفاع الوحيد عنها ظل مجرد سور لا يبلغ سمكه أكثر من قدم واحد يحيط بالمدينة من ناحية الصحراء، وقد حفر خلفه خندق جعلت فيه ثغرتان للمدافع.

وللسور ثلاث بوابات لها حراستها الخاصة، وفي هذه السنة رفع الشيخ مقدار الضريبة على الواردات من ١ ٪ إلى ٢ ٪.

هنا أفرد عدة صفحات للحديث عن فترة حاسمة في تاريخ الكويت التي امتدت من سنة ١٨٩٦م حين تولى الشيخ مبارك حكم الكويت، حتى سنة ١٨٩٩م، حين تم التوقيع على الاتفاقية الكويتية- البريطانية.

ولقد كان التوقيع على هذه الاتفاقية نهاية محاولات طويلة بذلها الشيخ مبارك في سبيل أن يضمن أمن بلاده وسط الأطماع التي كان يحاط بها آنذاك في الوقت الذي كانت بريطانيا تمتنع فيه عن القيام بأية خطوة في هذا السبيل، ولم يكن لها دافع للموافقة على التوقيع مع الكويت إلا أنها سعت إلى ذلك بعد أن أحست بمحاولات روسية تدعمها تركيا تتعلق بإنشاء مخازن للفحم في الكويت مع مد خط سكة حديد إليها تنفيذاً للخطة الألمانية المعروفة، وحتى تغلق بريطانيا الطريق أمام هذه المحاولة المزدوجة بادرت إلى الموافقة على الأمر الذي كانت تتردد في قبوله.

اشتدت في الفترة اللاحقة المضايقات العثمانية لمبارك الصباح، وتنوعت، ولكن تعيين أول وكيل سياسي بريطاني في الكويت إبان صيف سنة ١٩٠٤م كان أمراً حاسماً في الصراع وأصبحت الاتفاقية موضع التنفيذ.

واستمرت الأحداث بعد ذلك في جو ملبّد بالمشكلات من كل نوع، وكان مبارك الصباح لاعباً ماهراً بفضل حنكته السياسية من جهة وبفضل المعلومات التي يحصل عليها من كل مكان فيوظفها لصالحه مستفيداً منها مما جعله موضع استشارة لعدد من المسؤولين في المنطقة. واستمرت - كذلك - علاقات الكويت مع الدول مثل بريطانيا والمانيا وتركيا وروسيا وفرنسا، لينتهي القسم التاريخي من كتاب لوريمر: دليل الخليج، والحياة في الكويت مفتوحة على كثير من الأحداث.

بعد هذا العرض الذي قدمناه للقسم التاريخي من كتاب «دليل الخليج» يأتي حديثنا عن القسم الثاني وهو القسم الجغرافي، وسوف نجد فيه تفصيلات كثيرة ومعلومات لا حصر لها عن النواحي الجغرافية للكويت وهو الجزء الذي يهمنا هنا في ذلك الكتاب.

ذكر أولاً تسمية الكويت وسبب هذه التسمية، ثم تحدث عن الساحل والميناء والمراسي المتوافرة في ذلك الوقت، بما في ذلك الحديث عن طبيعة الأرض المحيطة

بجون الكويت وأن كثيراً منها طيني يصعب اختراقه عند انخفاض المياه، وتكلم عن (النقع) التي تحيط بالعاصمة على الساحل وعن السفن التي رآها وهي تنتظر موسم الغوص. و قال إن المدينة تمتد طولاً على الساحل بمقدار ميلين، وتمتد إلى الداخل بما لا يزيد على ثلاثة أرباع الميل (يلاحظ وجود فرق في المقاييس عنها في سنة ١٨٣١م)، وأورد خبرًا مهماً يقول: «وهناك بيت محصّن إلى الغرب من المدينة بميل واحد على رأس عجوزة، أقامه في سنة ١٩٠٤ أكبر أبناء شيخ الكويت وسُمّي باسمه «قصر الشيخ جابر» (لعله يقصد قصر دسمان). وتحدث عن الأحياء السكنية والأسواق والمساجد وطبيعة بناء المساكن وعن المناخ والسكان، والمؤن والمياه، ومصائد الأسماك، ومصائد اللؤلؤ، وبناء القوارب، وبعض المهن، وعن التجارة والموازين، والمقاييس والعملة التي كانت مستعملة في ذلك الوقت.

ثم أورد كشفًا واسعاً بأنواع البضائع الواردة إلى البلاد، وأسعارها ووسائل وصولها إلى البلاد مع بيان القيمة الإجمالية للصادرات والواردات.

مرة أخرى عاد للحديث عن المواقع وعن المناطق والجزر، ثم عن الملاحة الساحلية، وينتهي من ذلك لكي يقدم كشفاً بأسماء عدد من المواقع في البلاد يتضمن اسم الموقع، وتحديده، وطبيعته، مع بيان ما له وما عليه من ملاحظات، ويلاحظ أن بعض الأماكن التي ذكرها هي اليوم داخل حدود المملكة العربية السعودية، وكان ينبغي عليه الاهتمام أكثر بهذا الجانب، إضافة إلى عدم الاعتناء بتصحيح الأسماء الذي ورد اسمها خطأً وهذا الأمر كان من واجبات المترجم ولكنه لم يهتم به.

ثم ألحق هذا بحديث عن الجغرافيا الطبيعية للكويت، وعن النباتات والحيوانات والمواصلات.

وأخذت الطرق من الكويت إلى مدن الخارج اهتماماً كبيراً منه فجعل لها جدولاً واسعًا يورد أسماء المحطات والمسافات التي تصل بينها، وطبيعة كل محطة

مع بيان ما لديه من ملاحظات، وعندما انتهى من كل ذلك عاد إلى الحديث عن موضوعات مر بعضها في الكتاب ولم يمر بالبعض الآخر فذكر الزراعة والتجارة، والإدارة العامة للبلاد، وإدارة العاصمة، وإدارة القبائل، والموارد العسكرية، والدخل.

يأتي – بعد ذلك – تفصيل أكثر لأسماء المناطق والقرى والجزر والممرات المائية ومواقع كل ذلك بدءاً من الحديث عن العدان براً وبحراً، ويلاحظ أنه لا يستعمل ألف التعريف على جميع الأماكن المعروفة فهو يقول: عدان، فحيحيل، عقيله، رحيه وهكذا.. إضافة إلى بعض الأخطاء في النطق، وكانت هذه مسؤولية المترجم. ألحق ذلك بذكر ثلاثة مواضع صغيرة ثم تحدث عن الدبدبة وأجزائها وطبيعة الأماكن فيها وكافة أسماء تلك الأماكن وتحدث عن كبد والقرعة، وتكلم - أيضًا - عن قصر السُرّة ووصفها وصفاً كاملًا. ثم جاء حديثه عن كاظمة، والصبية، والجهراء التي تحدث عنها حديثاً وافياً بَيّن فيه الموقع وطبيعة الدفاعات عنها، والسكان والزراعة وطرق الري، وتربية الحيوانات والدواجن، والمياه، وطريقة إدارة البلدة. ثم لم ينس الحديث عن الأماكن المجاورة لها مثل الأطراف والفريدة والرحية والسادة وغيرها. ولم ينسَ الحديث عن الدمنة والفنطاس وكافة قرى القصور، وعن بوبيان وورية وفيلكا، وهي الأخرى نالت نصيباً من التفاصيل أسوة بما عمله مع الجهراء، وبعدها أكمل الحديث عن باقي الجزر.

نال الحديث عن الطقس نصيباً موفوراً من القسم الجغرافي لدليل الخليج، ولكن ما ذكره لا يتعلق بالكويت وحدها بل هو حديث عن الطقس وطبيعة المناخ في المناطق المتجاورة ومنها الكويت.

وكان ختام هذا القسم حديث مطول عن الغوص وعن مغاصات اللؤلؤ في المنطقة كاملة لا عن الكويت وحدها وهو حديث موسع تناول موضوعات عدة يصعب إيرادها هنا لما فيها من تفريعات وحسابات، وتفصيلات لا يلمّ بها إلا كتاب،

ولكن مما يلفت النظر في هذا الموضع هو ما ذكره عن تدخل الدول المختلفة في مسألة صيد اللؤلؤ وبيعه، وما أمضاه البريطانيون من وقت وهم يحاولون إيجاد الحلول المناسبة للكثير من المشكلات التي تحيط بعملية الصيد والبيع، وبالمواضع التي يكون الغوص فيها ملائماً وغير ذلك، ولن يستفيد القارئ من أي إيجاز نقدمه له لهذا الموضوع، ولكن الأفضل على كل حال هو الرجوع إلى الأصل.

وبعد، فهذا كتاب جدير بالدراسة، ويا ليتنا نجد من أبناء الدول التي تضمن الحديث عنها من يقوم بتحقيق نصوصه، وتصحيح ما يحتاج إلى تصحيح منه، مع التعليقات التي تقتضيها بعض صفحاته، فالواقع أنه - فيما أعلم - لم يحظ بشيء من ذلك، بل وحتى الطبعة العربية منه لم تعر اهتماماً لما تقدم. وهذا رجاء بالاهتمام به فهو يصوِّر مرحلة من أهم مراحل الحياة على هذه الأرض، التي نعيش عليها معاً. ومن واجبنا رصد تاريخها وجغرافيتها.

ولا شك في أن لوريمر قد قام بجهد كبير لا ينكر في سبيل رصد الحياة في المنطقة التي كتب عنها، ولم يترك شيئاً يمكن السؤال عنه إلا تطرق إليه، ولئن شابت بعض المعلومات التي كتبها شوائب تخالف كثيراً ما نعتقده فإن ذلك ليس بغريب فهو سياسي بريطاني يكتب وفي ذهنه مصالح دولته، ولكنه أنتج شيئاً مفيداً حقاً.

****

رجال لن ينساهم الوطن:
محمد جاسم المضف [1]

تنبهت إلى القيمة الثقافية التي يمثلها محمد جاسم المضف عندما قرأت أوراق الأستاذ أحمد البشر الرومي الذي كان يتبادل معه الكثير من الرسائل، ويبثه الكثير من مكنون نفسه، وبالمثل، فإنك تحس في رسائل هذا الرجل أنه لا يترك أمرًا من أمور حياته دون أن يطلع صاحبه عليه. وكان إضافة إلى ذلك يسرد في رسائله شيئًا من أخبار الكويت إذا كان أحمد البشر في خارجها. ومن يَطّلعُ على كتابنا: «أحمد البشر الرومي.. قراءة في أوراقه الخاصة» يجد أنه قد ذكر محمد المضف مرات عديدة بلغت اثنتين وثلاثين مرة.. ورسائل هذا الرجل تدل دلالة واضحة على ما يتمتع به من معرفة، وما له من إلمام بتاريخ الكويت، ودراية بأمورها المختلفة من سياسية واجتماعية وغير ذلك.

وُلد محمد جاسم المضف في منطقة الشرق من العاصمة سنة ١٩٠٧م، وتلقى دروسه في المدارس الأهلية التي لم يكن في البلاد غيرها آنذاك. فتعلم القراءة والكتابة، وقرأ القرآن الكريم. وكان لديه طموح إلى التزود بالمعارف، ورغبة في الانفتاح على الثقافة فأكب على القراءة، وحرص على اقتناء الكتب، حتى صارت له مكتبة خاصة تضم عددًا كبيرًا منها. وكان يقضي غالب أوقات فراغه في مكتبته ليواصل القراءة. وهو في ذلك شبيه بصاحبه أحمد البشر الذي كان يمدُّه بالكتب التي يراها ملائمة، وفي مقابل ذلك فإن المضف لا يتأخر عن تزويد صاحبه

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١.

بما يعثر عليه من كتب مهمة وبخاصة حينما يكون في خارج البلاد حيث تتوافر المكتبات التي تبيع أحدث المطبوعات.

وكان له أصدقاء آخرون كثيرون، اشتُهر بينهم بأنه من أهل الرأي والمشورة، وأنه واسع الاطلاع على تاريخ الكويت، عارف بأهلها مطلع على أنساب عدد من أسرها، فهو بذلك مرجع مهم لكل ما مر بالبلاد من أحداث، وما فيها من أشخاص.

أما في مجال العمل، فكان في بداية أمره مشتغلًا بالغوص على اللؤلؤ أسوة بكثيرين من أبناء وطنه في تلك الفترة، ابتدأ أول الأمر غيصًا يغوص على لآلئ البحر، ثم صار نوخذًا على سفينة غوص. ثم مارس أنشطة تجارية متنوعة أكسبته حضورًا بين الشخصيات العاملة في المجال الاقتصادي وأبرزت اسمه بينهم.

كان كثيرًا ما يُدّعى للمشاركة في المجالس الحكومية وفي اللجان التي يجري تشكيلها في البلاد لدراسة ومتابعة القضايا التي تهم المواطنين. وكان مديراً لدائرة الصحة العامة منذ سنة ١٩٤٤م حتى سنة ١٩٤٥م، وانتخب عضواً في مجلس المعارف في سنة ١٩٥١م، وقد بذل جهداً كبيراً في مختلف الأعمال التي يشارك فيها، مما اكسبه تقدير الناس وليس بغريب أن يفوز مثل هذا الرجل بالمحبة والتقدير فقد كان حميد السيرة، متدينًا لا يحب الظهور.

امتدت يد الغدر إليه في اليوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٨٤م حين كان في قبرص فلقي مصرعه مأسوفاً عليه، وكان لهذا الحادث أثر كبير في الكويت لمكانة الرجل من جهة، ولأنه من أبناء الوطن المخلصين من جهة أخرى. وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد، ومهما كان التذكار مؤلماً فإن التاريخ يقتضي ذلك.

- كان محمد جاسم المضف عضواً في لجنة تحقيق الجنسية التي نشأت في سنة ١٩٦٠م.

رجال لن ينساهم الوطن:
محمد جاسم المضف [1]

تنبهت إلى القيمة الثقافية التي يمثلها محمد جاسم المضف عندما قرأت أوراق الأستاذ أحمد البشر الرومي الذي كان يتبادل معه الكثير من الرسائل، ويبثه الكثير من مكنون نفسه، وبالمثل، فإنك تحس في رسائل هذا الرجل أنه لا يترك أمرًا من أمور حياته دون أن يطلع صاحبه عليه. وكان إضافة إلى ذلك يسرد في رسائله شيئًا من أخبار الكويت إذا كان أحمد البشر في خارجها. ومن يَطّلعُ على كتابنا: «أحمد البشر الرومي.. قراءة في أوراقه الخاصة» يجد أنه قد ذكر محمد المضف مرات عديدة بلغت اثنتين وثلاثين مرة.. ورسائل هذا الرجل تدل دلالة واضحة على ما يتمتع به من معرفة، وما له من إلمام بتاريخ الكويت، ودراية بأمورها المختلفة من سياسية واجتماعية وغير ذلك.

وُلد محمد جاسم المضف في منطقة الشرق من العاصمة سنة ١٩٠٧م، وتلقى دروسه في المدارس الأهلية التي لم يكن في البلاد غيرها آنذاك. فتعلم القراءة والكتابة، وقرأ القرآن الكريم. وكان لديه طموح إلى التزود بالمعارف، ورغبة في الانفتاح على الثقافة فأكب على القراءة، وحرص على اقتناء الكتب، حتى صارت له مكتبة خاصة تضم عددًا كبيرًا منها. وكان يقضي غالب أوقات فراغه في مكتبته ليواصل القراءة. وهو في ذلك شبيه بصاحبه أحمد البشر الذي كان يمدُّه بالكتب التي يراها ملائمة، وفي مقابل ذلك فإن المضف لا يتأخر عن تزويد صاحبه

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١.

بما يعثر عليه من كتب مهمة وبخاصة حينما يكون في خارج البلاد حيث تتوافر المكتبات التي تبيع أحدث المطبوعات.

وكان له أصدقاء آخرون كثيرون، اشتُهر بينهم بأنه من أهل الرأي والمشورة، وأنه واسع الاطلاع على تاريخ الكويت، عارف بأهلها مطلع على أنساب عدد من أسرها، فهو بذلك مرجع مهم لكل ما مر بالبلاد من أحداث، وما فيها من أشخاص.

أما في مجال العمل، فكان في بداية أمره مشتغلًا بالغوص على اللؤلؤ أسوة بكثيرين من أبناء وطنه في تلك الفترة، ابتدأ أول الأمر غيصًا يغوص على لآلئ البحر، ثم صار نوخذًا على سفينة غوص. ثم مارس أنشطة تجارية متنوعة أكسبته حضورًا بين الشخصيات العاملة في المجال الاقتصادي وأبرزت اسمه بينهم.

كان كثيرًا ما يُدْعى للمشاركة في المجالس الحكومية وفي اللجان التي يجري تشكيلها في البلاد لدراسة ومتابعة القضايا التي تهم المواطنين. وكان مديراً لدائرة الصحة العامة منذ سنة ١٩٤٤م حتى سنة ١٩٤٥م، وانتخب عضواً في مجلس المعارف في سنة ١٩٥١م، وقد بذل جهداً كبيراً في مختلف الأعمال التي يشارك فيها، مما اكسبه تقدير الناس وليس بغريب أن يفوز مثل هذا الرجل بالمحبة والتقدير فقد كان حميد السيرة، متدينًا لا يحب الظهور.

امتدت يد الغدر إليه في اليوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٨٤م حين كان في قبرص فلقي مصرعه مأسوفاً عليه، وكان لهذا الحادث أثر كبير في الكويت لمكانة الرجل من جهة، ولأنه من أبناء الوطن المخلصين من جهة أخرى. وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد، ومهما كان التذكار مؤلماً فإن التاريخ يقتضي ذلك.

- كان محمد جاسم المضف عضواً في لجنة تحقيق الجنسية التي نشأت في سنة ١٩٦٠م.

وعندما انتهى عمل اللجنة تلقى رسالة شكر من سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح بصفته رئيساً للشرطة والأمن العام، وكان مما جاء في الرسالة: «إن المهمة التي أوكلت إليكم لهي مهمة جليلة وشاقة، وبتجردكم المطلق في تأدية الأمانة حققتم لوطنكم أسمى الغايات والأهداف».

- في سنة ١٩٥١م جرت في الكويت انتخابات تم بموجبها اختيار أعضاء مجالس بعض الدوائر الحكومية، وقد فاز محمد جاسم المضف بعضوية مجلس المعارف في تلك الانتخابات، وكان معه في المجلس المذكور السادة مشعان الخضير، وخالد الزيد الخالد، وسليمان العدساني، وسيد علي سيد سليمان، وسلطان الكليب، وأحمد البشر الرومي، وعبدالله العلي الصانع وآخـرون.. وكان رئيس المجلس هو الشيخ عبدالله الجابر الصباح.

- ولم يكن أبو مهلهل يقبل القيام بأي عمل يرى أنه يمكن أن يكون منشغلاً عنه بغيره من الأعمال ففي اليوم الثاني عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٠م أرسل إليه رئيس دائرة الشؤون الاجتماعية والعمل بصفته رئيساً للجنة المختارين رسالة يعلمه فيها بأن انتخابات منطقة الدعية لاختيار مختارها قد أسفرت عن فوزه فيها وأن جميع المشاركين في تلك الانتخابات قد أجمعوا على اختياره. وقد رد على هذه الرسالة برسالة أخرى شكر فيها رئيس الدائرة المذكورة وقال إنه: «ليؤسفني كثيرًا الاعتذار عن قبول هذه الوظيفة نظراً لصعوبة التوفيق بين مهام وظيفتي وأعمالي الحالية، وما تتطلبه وظيفة المختار من جهد وتفرغ في سبيل النهوض بأعباء هذه الأمانة الغالية».

ومن الجدير بالذكر أن اختيار المختارين حاليًا يتم عن طريق لجنة المختارين التي يرأسها وزير الداخلية.

- سبق لنا التنوية إلى أن أحمد البشر الرومي كان كثير الذكر لصاحبه محمد جاسم المضف - وكان يتبادل معه الرسائل بكثرة، إضافة إلى الحديث عنه في أوراقه الخاصة - ومما ورد في هذه الأوراق قوله:

- في اليوم الثاني عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٤٩م اشترى محمد بن جاسم (المضف) بيت علي النجدي بقيمة ستة آلاف وسبعمائة ربيه من حمد الصالح الحميضي.

- وفي يوم السبت السابع والعشرين من شهر يوليه لسنة ١٩٦٣م، ذكر التقاءه به في القاهرة مع صديق ثالث لهما هو علي المناعي، يقول البشر: «فارتبطت معهما ببعض المواعيد، وقد زرتهما بعد الظهر، وبقيت معهما حيث قضينا السهرة في مطعم كازينو النهر.

- كان ذلك اللقاء عند توقفه في القاهرة يوم سافر إلى اليمن في مهمة رسمية وقد التقى بهذين الرجلين في رحلة عودته.

- في اليوم التاسع من شهر ديسمبر لسنة ١٩٦٩م سافر أحمد البشر الرومي مع صديقه إلى لبنان، وكان الرومي قد عاد من رحلة علاجه في اليوم الثالث من شهر أكتوبر للسنة ذاتها.

- وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو لسنة ١٩٧٨م ذكر البشر مكالمة هاتفية جرت مع عدد من الأصدقاء وكان سعيداً حين اتصل بالسيد صفوت كمال فوجد صاحبه محمد المضف عنده فاطمأن عليه وهذا الحديث يدل على متابعة المضف للمسائل الثقافية التي كان يضطلع بها صفوت كمال. وقد بدا من صيغة كلام البشر أنه كان سعيداً جداً بمخاطبة صاحبه.

ومن علامات اهتمام أحمد البشر بصديقه أنه كان دائم السؤال عنه، تلقى مكالمة هاتفية من صديق الطرفين السيد علي المناعي، وكان وهو في لندن مشغول البال على صاحبه محمد المضف، ولم يُنسه العلاج الذي كان يتلقاه هناك عن الاستفسار عنه والاطمئنان عليه، يقول: «وسألت علي المناع عن سفر محمد بن

جاسم (المضف)، فقال: ليس له نية هذه السنة في السفر إلى اليونان، وسيسافر إلى مصر، ويقضي شهر رمضان فيها».

أما المواضع الأخرى التي جرى فيها ذكر المضف، فقد كانت تحتوي - على الأغلب - على إشارات إلى رسائل متبادلة بين الرجلين. ذكر في بعضها أنه كان يشرح له فيها أحواله الصحية وظروف علاجه وينقل له أقوال الأطباء، وكلها تدل على العلاقة الحميمة بينهما، وعلى تعلُّق أحدهما بالآخر، ولاغرو في ذلك فإن ما بينهما من الصداقة عميق وقديم.

وكان أبو مهلهل على علاقة طيبة بالشاعر الشعبي الشهير فهد بورسلي وعندما كان الشاعر مريضًا فإنه توجّه إلى صديقه يشرح له حالته السيئة فيقول إنه:

في قلعة ما يقبل النوم طَرْفي
من طاح راح ولا لقا من يناجي
يابو مهلهل خَزْن الجرح مخفي
ماظن باجي لي من العمر باجي

والقصيدة في ثلاثة وعشرين بيتًا.

ضجت الكويت للحادث المروَّع الذي حدث في مدينة ليماسول القبرصية وأودى بحياة رجل من رجالها هو المرحوم محمد جاسم المضف الذي تعرض لاعتداء غاشم قام به أحد الأوغاد حين أطلق رصاصتين على هذا الرجل المخلص الوفي فارداه قتيلاً. واهتم سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء آنذاك الشيخ سعدالعبدالله السالم الصباح بالأمر، وأمر بايفاد بعثة أمنية كويتية إلى قبرص للاطلاع على الموضوع ومتابعة التحقيق فيه. وقد تم تخصيص طائرة خاصة لهذا الغرض، غادرت فوراً وعلى متنها إضافة إلى البعثة عدد من أفراد عائلة المغدور.

وتحدثت الصحف الكويتية كثيراً عن هذا الموضوع الذي كان له وقع سيئ على الجميع. ولأول وهلة فقد استبعد ذوو القتيل أن يكون وراء ارتكاب الجريمة أية دوافع سياسية لأنه رجل مسالم لا يخوض في أمور من هذا النوع، وهو قد كان في تلك البلاد في رحلة صيفية معتادة يقضيها مع زوجته هناك. وكان حريصًا على ممارسة المشي يوميًّا، ومن هنا ترصّد له القاتل.

كان رد الفعل كبيراً وكتبت عدة مقالات تؤبن الرجل الذي أحبه الناس، وكان من ضمن من كتب في هذا المجال الأديب المرحوم عبدالرزاق البصير الذي كان له مقال بعنوان «في وداع الصديق المرحوم أبي مهلهل» وهذا هو نص المقال:

«أيها الصديق العزيز.. لست أدري كيف أصف مشاعر الحزن والألم عندما بلغني نبأ اغتيالك. فإنه حزن غريب حقًا يملأ النفس بالأسى ذلك أن طريقة فقدك لم تكن متوقعة لأي إنسان لقيك وسمع منك وتحدث إليك، فقد كنت وقور النفس، نقي الضمير لا تتحدث إلى أحد الا فيما يشيع السرور في نفسه.

وقد كنت تكره تسليط الأضواء أشد الكره، فإنك لو أردت الشهرة لما عزت عليك إذ إن لك معرفة واسعة بالتاريخ بصورة عامة وبتاريخ الكويت بصورة خاصة، وكانت لك تجربة واسعة في شؤون البحر، تستطيع أن تتحدث عن ذلك كله في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة. مما يجعلك محجة يرجع إليها الباحثون في كثير من الأمور لكن طبيعتك المتواضعة وخلقك الحميد كانا يمنعانك عن ذلك، وإن لك مكتبة عامرة تنفق فيها كثيرًا من نهارك وليلك تلقى فيها الأدباء والشعراء والعلماء، القدماء منهم والمحدثين، ولكنك كنت تُؤْثِر ثلاثة من الشعراء أعظم الإيثار، فقد كنت تؤثر أبا الطيب وأبا العلاء وابن الرومي، وكنت تروي كثيرًا من النوادر، ولكنك كنت تروي أكثر ما ترويه من آثار هؤلاء الشعراء الثلاثة، واني لأتصور أن روح أحمد البشر قد فرحت بلقائك أعظم الفرح، فلتهنأ روحك بلقاء

روحه، فقد كان بينكما من الود والصداقة أعظم ما يكون بين الأقرباء، لا يستطيع بعد الشقة أن يفصل أحدكما عن الآخر، فقد كان أحدكما يتصل بالآخر يستمع منه ويتحدث إليه، إذ إن أخوتكما كانت أخوة خالصة لا أخوة منفعة، يمتد عمرها إلى ما يقارب النصف قرن من الزمن فقد وجدت المرحوم أحمد البشر لا يشتري كتابًا من نسختين أو ثلاث إلا ويعطيك إحداهما لانه كان مدركًا بما يميل إليه ذوقك السليم، وكنت أنت لا تشتري كتابًا إلا من نسختين أو ثلاث لتعطي أخاك أحمد البشر إحداهما لانك عارف بما يميل إليه ذوقه السليم، وليس شيء أسعد إلى كل منكما من أن يضمكما مجلس واحد، وأن لكما أصدقاء أدباء يسعدون بلقائكما ولكني لا أريد أن أزيد حزنهم بذكر أسمائهم، وأنا أرثيك، لقد اتصل بي أحدهم وأخذ كل منا يعزي الآخر بقلب مكلوم ودموع مسفوحة، ولك صديق حميم شاء الله ألا يشهد تشييع جنازتك لأنه في سفر بعيد، وقد كنت أتردد في الاتصال به ولكنني علمت بأن نبأ فقدك لامس قلبه فامتلأت نفسه بالحزن العميق عليك فلم أجد بدًّا من الاتصال به ولاتسل عما حدث له من أسى بليغ. ومما يزيد في حزن ذلك الصديق العزيز ألا يكون معنا في وداعك الأخير. أيها الصديق العزيز دعني أتمثل بهذين البيتين اللذين قالهما ابن الرومي وهو من أحب الشعراء إلى نفسك إذ إنهما يعبران أصدق تعبير عما يجيش في نفوس أصدقائك:

شجًا أن أرومَ الصبر عنك فيلتوي
عليَّ ولُؤمٌ أن يساعدني الصبرُ

فيا حَزَنِي أن لا سُلوٌ يطيعني
ويا سوءتا من سلوتي إنها غدرُ

فرحمك الله وطيب ثراك».

وعندما نتحدث عن أبي مهلهل فلابد أن نتحدث عن أكبر أبنائه المرحوم مهلهل المضف، وهو رجل دبلوماسي وتربوي، كان قد تلقى تعليمه في إحدى

المدارس الأهلية، وتعلم فيها لمدة سنتين درس خلالهما القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم.

وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بالمدرسة الأحمدية، ثم انتقل إلى المدرسة الشرقية بعد سنة واحدة لأن هذه المدرسة الجديدة كانت الأقرب إلى مسكن أسرته، وقد التحق الأستاذ مهلهل بالمدرسة المباركية في سنة ١٩٤٢م، وتخرج فيها في سنة ١٩٤٥م.

واصل دراسته بعد ذلك في القاهرة حيث أكمل الدراسة الثانوية، ثم ابتعث إلى لندن لدراسة التربية البدنية لمدة ثلاث سنوات عاد بعدها إلى وطنه ليعمل في خدمة التربية فصار مدرساً في ثانوية الشويخ ثم انتقل إلى توجيه التربية البدنية بعد سنة واحدة من عمله في التدريس.

واستمر في العمل التربوي حتى سنة ١٩٦١م واكتسب سمعة واسعة بفضل الجهود التي كان يبذلها في عمله، وبفضل العلاقات الطيبة التي كان يقيمها مع زملائه.

بعد هذه المرحلة التحق ببعثة أرسلت إلى بريطانيا للحصول على دورة في الأعمال الدبلوماسية هناك تمهيداً للانتقال إلى وزارة الخارجية والعمل في السلك الدبلوماسي. وكانت بداية عمله في الخارج في سفارة الكويت بلبنان حيث كان قائمًا بالأعمال فيها، ثم ترقى إلى رتبة سفير، وكان أول سفير للكويت في الباكستان وكان قرار تعيينه في اليوم العشرين من شهر يوليه لسنة ١٩٦٥م، وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر مايو لسنة ١٩٦٧م تم اختياره مندوبًا للكويت في الأمم المتحدة وبقي في هذا المنصب حتى اليوم الخامس عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٧١م، وفي اليوم الثامن من شهر سبتمبر للسنة ذاتها أصبح سفيراً للكويت بالمغرب، ولم يكن هذا آخر المطاف، فقد عمل في كل من اليونان وإسبانيا.

وبعد هذا التجوال استقال من العمل في سنة ١٩٧٩م، وسرعان ما أدركه مرض أقعده، ثم توفيّ في اليوم الخامس من شهر أكتوبر لسنة ١٩٩٩م، وكانت وفاته في لندن حيث كان يجري علاجه.

عندما يستعيد المرء تلك الأيام، وذكرى أولئك الرجال فإنه يشعر بالخسارة الفادحة لخسراننا إياهم. كم نحن في حاجة إلى أناس مثل محمد جاسم المضف، ومهلهل محمد المضف ليكونوا معنا في هذه الأيام التي اضطرب ميزانها، وأصبحنا نبحث فيها عن أهل الرأي الذين تهدأ بهم الأمور فلا نجدهم. رحم الله هذا الرجل الفاضل الشهيد ورحم ولده، وعوضنا وأسرتهما خيراً إنه سميع مجيب.

****

ملحاق خير

يعلم الجميع أن الصلات بين الدول مهمة جدًّا، وأنه لا يمكن أن يترسخ استقلال أي دولة إلا من خلال علاقاتها المتينة مع غيرها من الدول. ولا ينسق تلك الصلات إلا وزارات الخارجية التي ترعى العلاقات مع كافة البلدان وتسعى إلى تمتينها، وتتيح الفرص أمام كافة المعنيين إلى تبادل المصالح والمنافع مع الخارج، وكذلك تنسيق المواقف، وكسب الأصدقاء. وقد حرصت الكويت على إنشاء جهاز وزارة الخارجية منذ الاستقلال، بل في وقت مبكر منه.

كانت أول أمرها دائرة تسمى دائرة الخارجية ولما تحوَّلت الدوائر الحكومية الكويتية إلى وزارات صارت هذه الدائرة وزارة كغيرها، ونمت حتى صارت تضم عددًا من الدوائر المهمة التي تسهم في إدارة عمل هذا الجهاز الوليد، مما أعطاه دفعة قوية إلى الأمام وأسرع في إبراز نتائج عمله، وقد احتوى الجهاز على الإدارة السياسية، والإدارة الاقتصادية، وإدارة الشؤون القنصلية والإدارية، وإدارة الشؤون القانونية والمؤتمرات والهيئات الدولية، وإدارة الصحافة والثقافة، وإدارة المراسم، وكان من أهم ما سعت إليه وزارة الخارجية منذ نشأتها متابعة الانضمام إلى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، وعدد من المنظمات الكبرى، وإقامة العلاقات الديبلوماسية مع الدول، فتم في السادس عشر من شهر يوليو لسنة ١٩٦١، وتم انضمام الكويت إلى جامعة الدول العربية، ووقع الأمير اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية في الثاني عشر من شهر أغسطس

لسنة ١٩٦١، وحضرت الدورة التي عقدت في دمشق في الرابع والعشرين من شهر يونيو لسنة ١٩٦١. وكانت الكويت قد انضمت إلى الاتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية في الرابع والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩٥٩، وعقد المؤتمر الرابع لهذا الاتحاد في الكويت في شهر يناير ١٩٦٢، وحضرت اجتماع مديري الطيران المدني ومديري مؤسسات النقل الجوي في البلاد العربية في بيروت في شهر أغسطس لسنة ١٩٦١. وانضمت إلى اتفاقية اتحاد البريد العربي وذلك في السادس والعشرين من شهر يونيو لسنة ١٩٦١. وانضمت كذلك إلى المؤسسة المالية العربية للإنماء الاقتصادي في السابع عشر من شهر أبريل لسنة ١٩٦١، وفي خلال فترة قليلة جدًّا لا تزيد على خمس سنوات انضمت الكويت إلى ثلاث وعشرين منظمة عالمية، من أهمها الأمم المتحدة والمنظمات المنبثقة عنها كصندوق النقد الدولي وبنك الإنشاء والتعمير ومنظمة الأغذية والزراعة.

وهكذا بذلت وزارة الخارجية جهودًا حثيثة أدت إلى بروز الكويت في المحافل الدولية، وكوَّنت علاقات قوية مع عدد كبير من الدول.

****

عاشقة الكويت أم سعود فيوليت ديكسون [1]

هذه امرأة بريطانية الجنسية كويتية الهوى، عاشت في الكويت مدة طويلة، ولدت في اليوم الثالث من شهر سبتمبر لسنة ١٨٩٦م، وتزوجت في سنة ١٩١٩م من هارولد ديكسون، الذي حضر إلى الكويت للعمل معتمداً بريطانيًّا بها وأحضر زوجته معه، ذلك في سنة ١٩٢٩م، ومنذ هذا التاريخ وأم سعود مولعة بالكويت وأهلها؛ خاضت بحارها وزارت جزرها، واستمتعت في أوقات الربيع بجمال برِّها.

وإذا كانت علاقتها بالكويت قد بدأت تتكون منذ عرفت الكولونيل ديكسون، فإنها قد كتبت لحظات التعارف بينهما كما يلي: «في خريف سنة ١٩١٩م كنت أعمل في بنك شركة كوكس في كانبيير بمرسليا، عندما دخل الكابتن اتش. آر. بي. ديكسون الضابط بفرقة الخيالة بجيش الهند، ليسأل عما إذا كانت هناك رسائل له.

وقد أخبرني أنه قد وصل من لندن بالقطار، وسوف يلتحق بسفينة تعيده إلى الخليج العربي عن طريق الهند. وحيث إنه لم يكن له أي رسائل فقد قضى بعض الوقت يتبادل الحدث معي وسألني عن اسمي.

لقد شدني الاهتمام الذي أبداه الضابط الشاب الوسيم، ولكنني وهو يغادر البنك كنت أعتقد أنني لن أراه بعد ذلك. ولكم أن تتخيلوا دهشتي حينما تلقيت منه برقية بعث بها إليَّ من بورسعيد بعد أسبوع من ذلك اللقاء يطلبني فيها للزواج والالتحاق به في الخليج العربي. إنه لمن الصعب تخيل أن يكون داخل المصرف

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٨.

العملي وغير الرومنتيكي على الإطلاق، مكانًا للقاء يؤدي بشابة انجليزية إلى الارتحال إلى الشرق والتوطن هناك لمدة ٤٥ عامًا. ولكن هذا ما حدث، ففي ذلك الجو العملي، قابلت زوج المستقبل الذي كان لي أن أقاسمه حبه للعرب وشبه الجزيرة العربية طيلة حياتنا الزوجية.

لقد كان عليَّ أن أصنع قرارًا هائلًا. وكان ترددي طبيعيًّا، ولكنه لم يدم طويلًا. فبعد قليل من التفكير العاطفي وبعض الاستشارة لأصدقاء عطوفين في مرسيليا، قررت أن ألقي بثقلي إلى جانب خطيبي الوسيم، فأبرقت له (نعم) ودام زواجنا تسعة وثلاثين عامًا، لم أجد خلالها ما يدعوني للندم على قراري.

(كتابها: أربعون عامًا في الكويت ١٩٢٩ - ١٩٦٩م، تقديم وتعليق ومراجعة الأستاذ سيف مرزوق الشملان).

هكذا تكونت أسرة ديكسون، وكان مجيؤها إلى الكويت نهائيًّا، فقد قضى الزوج نحبه في الكويت ودُفن فيها، وبقيت أم سعود بعده.

أما الزوجة فقد كانت مقيمة في بيتها المعروف إلى اليوم باسم بيت ديكسون، ولكنها مرضت في شهر أبريل لسنة ١٩٩٠م، ثم ساءت صحتها فنقلت إلى مستشفى الأحمدي، وجاء الغزو العراقي وهي طريحة الفراش في ذلك المستشفى، وقد نقلتها السفارة البريطانية إلى لندن لاستكمال العلاج في اليوم الثاني والعشرين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٩٠م، وهناك توفيت في اليوم الرابع من شهر يناير لسنة ١٩٩١م.

وأما الزوج فإنه عند تقاعده عن العمل بصفته معتمدًا سياسيًّا لبريطانيا في الكويت في سنة ١٩٣٦م بعد بلوغه السن القانونية، مكث في الكويت حتى وفاته في سنة ١٩٥٩م، وكان خلال فترة تقاعده يعمل لدى شركة نفط الكويت بوظيفة مستشار، وكان تعيينه بأمر من الشيخ أحمد الجابر الصباح، وقد استمر في عمله هذا إلى حين وفاته، حيث دفن في مدينة الأحمدي حيث كان يعمل.

كانت أمنية أم سعود تتمنى أن تموت وتدفن في الكويت، ولكن إرادة الله سبحانه شاءت غير ذلك فدفنت في اليوم الخامس عشر من شهر يناير لسنة ١٩٩١م في بريطانيا.

كانت فيوليت ديكسون نعم العون لزوجها في عمله وفي هواياته، وحبه للتنقل وغرامه بالبادية وأهلها ولذلك فقد شاركته في كل رحلاته، وذهبت معه إلى كل مكان قصده، فقد كانت حاسة البحث والاستكشاف قوية لديها، وهي بذلك مقاربة لزوجها الذي لم يترك فرصة من فرص الاستفادة الثقافية والسياسية إلا انتهزها ولم يدع مجالاً من مجالات البحث حتى في الآثار التي كان له دور في متابعة البحث عنها في عدد من المواضع في الكويت، وكان لكثرة اهتمامه بهذا الفرع من فروع المعرفة يرسل ما يعثر عليه إلى المتحف البريطاني في لندن حتى يتأكد من القيمة الأثرية لما يجده في تربة البلاد.

كان هارولد ديكسون قد ألَّف كتابين كبيرين عن تجاربه الحياتية وعن المنطقة التي أحبها وعاش فيها، وهما كتاب «الكويت وجاراتها» وكتاب «عرب الصحراء» وعلى الرغم مما تجد عليه فيهما من ملاحظات إلا أنهما مهمان في بابهما، وما الملاحظات الا بسبب استمرار اغترابه عن اللغة والعادات على الرغم من أنه أمضى وقتًا طويلاً جدًّا في الكويت.

استعان هذا الرجل بزوجته كثيراً في كتابة بعض الفصول المهمة ونشرها في كتابه «الكويت وجاراتها» وسوف نجد أن هذه الفصول تتواءم مع هوايات أم سعود، وتتماشى مع رغبتها المعرفية في فرع مهم من فروعها، فهي تهتم بالمسائل الاجتماعية، وتصر على معرفة عادات الناس وتقاليدهم، وبحكم اتصالها بهؤلاء فقد عرفت الكثير من ذلك، كما عرفت الكثير مما يتعلق بالبيئة برًّا وبحرًا، فكتبت عن عادات الزواج في الكويت، وعن الاستعداد لرحلات السفر وعن الطيور

المهاجرة، وعن بعض الجزر، وعن الصحراء وملاحظاتها فيها، وعن أمور كثيرة كان يستهويها البحث فيها والكتابة عنها.

في الفصل السادس عشر من كتاب زوجها «الكويت وجاراتها» كتبت تحت عنوان «عرس في الكويت» تصف حفلة من حفلات الزواج التي أقيمت في أمسية أحد أيام شهر يناير لسنة ١٩٣٩م كان الوصف دقيقًا، ومتابعة ما جرى في الاحتفال كانت متابعة تدل على قوة الملاحظة، وشدة الاهتمام وفي موضع آخر من الكتاب نشر ديكسون لزوجته مقالًا آخر تحت عنوان «التحضير للسفر»، وكان الحدث الذي كتبت عنه قد بدأ في شهر سبتمبر لسنة ١٩٤٠م وبدأت بقولها: «لقد وضعت اللمسات الأخيرة على «البغلة»، التي يملكها النوخذة الثري عبدالوهاب القطامي الزايد، قبل أن تغادر الميناء اليوم مع ارتفاع المدّ.

وطيلة الأسبوعين الماضيين كانت الأيدي مشغولة بالعمل فيها فقد كانت بحاجة إلى شراع جديد، ولذلك كان ما يزيد على ثلاثين رجلًا يخيطون قطع القماش ببعضها في الطريق. ثم وصفت باقي الأعمال التي اقتضتها عملية إعداد السفينة للإبحار، متابعة سيرها حتى تخرج من مياه الكويت في طريق سفرها. وقد ذكرت تعلقها بالسفينة، وترقبها لعودتها إلى البحر ثانية، لقد كانت ترى العاملين في السفينة عن قرب حتى عرفتهم، تقول: «وتظهر في الميناء مشاعر الود عندما يعودون من رحلاتهم الطويلة، ويتكرر ذلك سنة بعد سنة.. ولربما لن تعود (بغلة) عبدالوهاب، وهذه هي رحلة الوداع، فكلما هبّت العواصف في الخريف والشتاء أشعر بقلق نحوهم»، ثم تضيف: «مرت سنة من الزمان، وعادت (بغلة) عبدالوهاب سالمة إلى الكويت في أوائل الصيف، أما عبدالوهاب فأصبح يملك اليوم أكبر (بوم) في البلاد، يستطيع حمل خمسة آلاف وخمسة أكياس».

تستمر في الحديث عن الموضوع الذي اختارت الحديث عنه، فلا تترك أمرًا له علاقة بذلك إلا ذكرته، وهذا الذي اخترناه من حديثها يدل على طريقتها في الكتابة، ويدل على مدى تتبعها للقضايا التي تكتب عنها.

ولم يكتف ديكسون بنشر هذه المقالة لها بل نشر مقالة أخرى تعتبر ملحقًا بها، وهي تحت عنوان: «وضع السفينة في المرسى» وهي هنا تستعرض ما تراه وهي واقفة أمام مايسمى اليوم (بيت ديكسون) حيث مقر المعتمدية البريطانية في الكويت، فتصف لنا حركة المرسى المواجه لبيتها دون أن تنسى شيئًا من المشهد العام الذي تراه.

ولكن مقالها المهم هو الذي جاء تحت عنوان «جزيرة العصافير» وكان لها فيه حديث عن زيارة قامت بها إلى جزيرة عوهة، وقد رتب لها هذه الزيارة السيد إبراهيم بوراشد الذي كان مسؤولًا عن المنارة التي تضيء للسفن في جزيرة مسكان، كانت رحلة ممتعة، وصفت فيها الطيور التي شاهدتها، ومرت بمجاثم هذه الطيور، ولم تكتف بالنظر إلى بيضها بل إنها أخذت مقاس كل بيضة.

تصف قدومها مع مرافقتها إلى عوهة فتقول: «ولما اقتربنا من الشاطئ طار رف من الطيور كان يحط هناك، وإن صدق ظني فإن معظم تلك الطيور هي من نوع خطاف البحر والنورس الذي تبينت منه اثنين من النوع الكبير ذي رؤوس وأجنحة سوداء ورمادية تميل إلى السواد»، ثم تمضي في وصف الطيور وكيف كانت تطير في مجموعات، ثم تحوم في الجو لتعود مرة أخرى إلى الجزيرة.

هذا ويظهر من مقالها أنها كانت مستمتعة جدًّا برحلتها ورفقة مضيفها وزوجته.

وفي مقال لاحق تحت عنوان «الطيور التي تهاجر عبر الكويت»، تحدثت أم سعود كثيراً وبالتفاصيل مع ذكر التواريخ المحددة عن أنواع الطيور عند مرورها بالكويت، وكان المقال راصدًا جيدًا لهذه الأنواع وواصفًا لها.

واذا كان هارولد ديكسون يتمثل كثيراً بقول القائل «إذا كنت جاراً لهم جَارِهم وإن كنت في دارِهم دارِهم» فإن زوجته كانت حريصة على تطبيق هذا القول وقد

كتبت مقالًا ضمن المقالات التي جاءت في كتاب «الكويت وجيرانها» وكان هذه المرة بعنوان «ضب للغداء» ذكرت أنها في شهر يونيو لسنة ١٩٤٣م لبت دعوة شابين مخيمين في منطقة الظهر مع زوجها لزيارتهما، وصفت وصفًا دقيقاً المكان وكيف كانت هذه الأسرة ترتب أمورها، وكيف أعدت القهوة، وكيف جرت إحدى الحوادث هنا فشارك فيها ديكسون حين ندَّ أحد الجمال وانطلق جنوبًا، وهنا ظهر الضب فقد أهدى الراعي إلى أحد الأبناء الصغار ضبًّا وصفته فيوليت ديكسون وصفاً دقيقًا، ثم ذكرت اتفاق الأسرة على ذبحه وشيه، وكان من النوع الأنثى، وفي بطنها بعض البيض قَلَتْهُ زوجة أحد المضيفين، ثم جهز الشواء للأكل، تقول أم سعود: «وأكلت لقمة أو لقمتين، فكانت جيدة في الواقع، مع أن لها طعماً كطعم الجراد، ولكن مزيدًا من الملح عليها يحسن حالها قليلاً».

لم يكن هذا الذي سقناه هنا هو كل جهدها في مجال تسجيل ملاحظاتها وذكرياتها، فهي إلى جانب ذلك مؤلفة، وقد صدر لها كتابان مهمان أحدهما هو «أربعون عامًا في الكويت»، والثاني هو: «الزهور البرية في الكويت والبحرين».

أما الكتاب الأول فهي تتناول فيه ذكرياتها منذ سنة ١٩٢٩م حين جاءت إلى الكويت، حتى سنة ١٩٦٩م حين ألَّفت هذا الكتاب.

بل هي تبدأ قبل ذلك حين تتحدث عن بلاد ما بين النهرين والهند وبوشهر منذ سنة ١٩٢٠م حتى سنة ١٩٢٩م وهي السنة التي انتقلت فيها إلى الكويت، وتأتي إلى الحديث عن مرحلة الكويت في الجزء الثاني ذاكرة أوضاع العمل في مقر المعتمد البريطاني، ثم علاقاتهما مع الناس، فالحديث عن الأزمة الاقتصادية التي أعقبها ظهور النفط، مع حديث مطول عن الحرب العالمية الثانية التي كان لها تأثيرها في الكويت، ثم تحدثت عن رحلاتها في الكويت والمملكة العربية السعودية، منهية الكتاب بخمسة ملاحق متنوعة. ولقد كانت عناية الأستاذ سيف مرزوق الشملان

بالكتاب في طبعته العربية كبيرةً، وكانت مقدمته الضافية التي افتتح بها الكتاب ذات فائدة كبرى حيث تحدث عن المؤلفة وعن زوجها الكولونيل هارولد ديكسون، وكان حديثه عن أم سعود ومقتنياتها من الصور مفصلة وجميلة، وقد تحدث عنها حديث الصديق الذي يعرف الشيء الكثير عن صديقه، ولذا فلن نجد من يكتب بهذه الروح الفياضة بالمحبة والمعرفة مثله.

والواضح أن هذه المرأة الحصيفة كانت تفتح عينيها لكل ما نشاهده، ثم تقوم بكتابته على الورق، ولذا فقد جمعت أكبر قدر من المعلومات عن الكويت منذ فترة قدومها إليها في سنة ١٩٢٩م. وصفت الأوضاع الاجتماعية والأسواق والناس. تحدثت عن ساحل البحر المواجه لمسكنها، وذكرت السفن العابرة والمغادرة والقادمة واصفة النشاط البحري بدقة عجيبة.

كما وصفت السوق ومشترياتها منه قائلة: «وقد كنا أيضًا مهتمين بجمع بعض من السلع الشرقية الأخرى والتي يمكن أن تباع في الكويت وقد كانت السجاجيد كثيرة جداً وعلى طول السنين امتلكنا وبثمن معتدل بعضاً من الأنماط القديمة الجميلة التي كانت ملونة بألوان هادئة من أصباغ النباتات، وكان هناك بائع سجاد إيراني تعود على المجيء إلى بيتنا وقتما كان يتوافر لديه شيء يشعر بأنه ربما يستهوينا، وبالإضافة إلى السجاجيد كان يبيع الخزف الصيني وكل أنواع الأواني النحاسية والسلع المستعملة التي كان يعلم أنها تلقى الرغبة من الزائرين يأتون أحيانًا مع السفن التجارية أو البحرية التي تمر بالكويت. ومن بين الأشياء الثمينة التي اشتريناها في ذلك الوقت أربعة نماذج رائعة من صناديق المهر المصقولة بالنحاس المصنوعة بالهند والتي تعرف الآن باسم الصناديق الكويتية.

وقد دفعنا ٧٥ روبية لكل صندوق من الصناديق الكبيرة. وبمرور السنين وشراء الإنجليز والأمريكيين كل النماذج المتوافرة أصبح من الصعب أكثر فأكثر

العثور على واحد من هذه الصناديق، وبالتالي ارتفعت أسعارها. وفي عام ١٩٦٤م زار الكويت أحد كبار رجال البترول الأمريكيين وأعجب بصناديقي إعجابًا شديدًا إلى حد أنه طلب مني أن أبيعه واحدًا منها حيث لم يكن يوجد أي منها في السوق، وقد طلب مني أن أحدد السعر الذي أريده وفي النهاية أعطاني ألف دولار ثمنًا له».

كما تحدثت أم سعود عن اللؤلؤ وتجارته التي كانت قائمة آنذاك فقالت: «في الثلاثينيات من هذا القرن كانت تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي قد تخطت قمة ازدهارها فعلًا، وكان الكثير من تجار اللؤلؤ لايزالون نشطين في الكويت. وكان هارولد باهتمامه بكل ما هو عربي يحب التحدث إلى تجار اللؤلؤ وكانوا غالبًا ما يأتون إلى منزلنا حاملين عينات من مخزونهم. وقد جمع لي حبة حبة عقدًا متدرجًا من لآلئ الخليج الأصلية التي اختارها ونسقها بمشورة تجار اللؤلؤ الذين كانوا يزورونه».

ووصفت فيوليت ديكسون الصحراء الكويتية في ذلك الوقت قائلة: «لقد أدركت بعد اليوم الأول الطويل حسب ظني، الذي قضيناه في جولة الصحراء كضيوف على الشيخ نفسه، أن الصحراء ليست كما كنت أتخيلها سهلًا رمليًا منبسطًا ولكنها حديقة حيوان طبيعية مفتوحة بديعة تضم طرائد وغزلانًا، وتغطيها الزهور بعد سقوط المطر كما قيل لي. وتنتشر فيها برك الأمطار في المنخفضات».

كل ما تقدم هنا ما هو إلا اختيارات يسيرة وموجزة لبعض ملاحظاتها سقناها على سبيل المثال بيانًا لجهودها الطيبة في التسجيل والتوثيق.

وأما الكتاب الثاني فهو دليل ناصع على مدى اهتمامها بالبيئة، وقد تحدثنا عن كتابتها عن الطيور المارة بالكويت، وها هي تتحدث في كتابها هذا عن الزهور البرية وكانت البلاد في وقت الربيع مزدهرة بالزهور المتنوعة مما لفت نظر فيوليت ديكسون إلى تسجيلها وجمع البيانات عنها وتضمينها كتابها الذي أطلقت عليه اسم: «الزهور البرية في الكويت والبحرين».

تحدثت هذه السيدة عن اهتمامها بالزهور للأستاذ رضا الفيلي في مقابلة تلفزيونية معه، وقد ذكرت أن البداية كانت بعد قيامها بالتخييم في منطقة عريفجان حيث اكتشفت جمال الربيع وبهجة الزهور إثر نزول الأمطار، تقول دون أن نغير شيئًا من أسلوبها في الحديث: «هذا الوقت كان أكثر الأوقات مطرًا في الكويت، وفيه عشب كثير، واحنا نروح في الربيع إلى عريفجان، وفي هذا المكان يخيّم دائما الشيخ عبدالله السالم والشيخ عبدالله الأحمد والشيخ صباح الناصر. وكانت راعية البيت التي نسكن معها أنا وأولادي تعرف أسامي العشب كلها بالعربي، وأنا أجمعه وأرسله إلى لندن حيث «كيوغاردن» وهم يعطوني الاسم اللاتيني لكل عشبة من العشب الذي أرسله لهم».

تقول: «واحد منهم ما عرفوه في البداية، ثم بعد بضع سنين حطوا له اسم ديكسون، ذلك الخزامي (الخنين الزين).. بعد ذلك فكرت في نشر الكتاب، فجاء هذا الذي تسأل عنه».

كان آخر حديثها معبراً عن الامتنان لتمكنها من البقاء في الكويت التي أحبتها، وفي بيتها الذي عاشت فيه ردحًا من الزمن، وعندما سألها الأستاذ رضا الفيلي قائلًا: هل عندك شيء تريدين قوله ؟ ردّت بطريقتها الخاصة: «والله ما أدري.. ولكن أنا ودي أقول أنا ممنونة وايد من حضرة الأمير الشيخ عبدالله السالم شيخ الكويت حتى يخليني في بيتي، ويخليني أقعد في بلادكم».

وهنا تنتهي سيرة امرأة عشقت الكويت فحقّ لها أن نذكرها.

****

شاعر لا ينساه الوطن:
الشاعر مرشد بن سعد البذال [1]

سعدت بمعرفة هذا الشاعر المبدع منذ سنة ١٩٦٢م حينما كنت أعمل في وزارة الإرشاد والأنباء (الإعلام حاليًّا) واستمرت علاقتي به فيما بعد ذلك إلى حين وفاته، وكانت تعجبني أخلاقه السامية وعفته وطيبة نفسه، ويعجبني منه شعره الغزير الذي يمتاز بالقوة والتعبير الصادق عن النفس، كما يتناول عدداً كبيراً من الأغراض الشعرية ولكنه يتميز عن غيره من الشعراء في ناحيتين مهمتين، إحداهما أنه لا يتكلف التعبير الشعري تكلفًا ولكنه يأتي بما عنده على سجيته دون أن تحسَّ بمعاناته اللفظية، مع أنك تحس بمعاناة الشاعر النفسية التي دفعت به إلى قول هذه الأشعار التي أبدع فيها فصارت صورة صادقة عن حياة الشاعر وتقلباتها من راحة وتعب وحزن وسرور وهدوء واضطراب، حتى أنك لو قرأت قصيدة من قصائده لاستطعت أن تعرف الشاعر وكأنك تعيش معه. أما الناحية الثانية التي ذكرنا أنه يتميز بها فهي أنه يبتعد عن الهجاء فليس في ديوانه قصيدة يهجو بها أحداً من الناس، وهذا في حد ذاته تعبير عن النفس الطيبة التي يتمتع بها ودليل على أنه صديق الجميع فليس له عداوات مع أحد تضطره إلى استخدام شعره في الانتقام.

هذا ويمكننا أن نضيف إلى ملامح شعر هذا الشاعر المجيد ملمحاً آخر مهمًّا وهو إبداعه في شعر الرثاء فله في هذا الفن قصائد مثيرة للأشجان، تدمع العين

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١٥م.

وتعتصر القلب، كتلك القصيدة الرائعة التي قالها في رثاء ولده عبدالله الذي توفي في سنة ١٩٦٦م.

وقد جاءت قصيدة جميلة معبرة تعبيرا واضحا عن فجيعته، واستخدم لها قافية غريبة تشعر القارئ بوقفات الحزن التي وقفها الشاعر وهو يكتب القصيدة.

وهو بعد هذا شاعر قوي الصلة بالشعراء من معاصريه، وكان معروفًا بأنه شاعر القلطة (المحاورة) وهي غرض من أغراض الشعر النبطي الذي يفترض في الشاعر قوة الشاعرية وحضور البديهة. وكان مشاركًا في كافة المناسبات الوطنية يقول فيها قصائده ويستثير همم مواطنيه ويدعوهم إلى العمل على رفعة الوطن وإلى التكاتف والتآزر.

وهو بعد ذلك شاعر كثير الترحال يفد على الملوك والأمراء بناء على دعوة منهم ويلقي بين أيديهم قصائده التي تنال الإعجاب تسبقه إليهم سمعته الطيبة، وجودة شعره وتمكنه من فنه.

ألقى قصائده بين يدي الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود مراراً، وبين يدي حاكم البحرين السابق الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وكذلك بين يدي الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر الأسبق وعدد آخر من الأمراء والشيوخ.

مرشد بن سعد البذال، شاعر كويتي من شعراء النبط المشهورين، له باع طويل في هذا الفن، كما أن له إنتاجاً شعريّاً غزيراً طبع منه عدة دواوين وهو شعر جميل رائق تطرق فيه الشاعر إلى موضوعات عدة.

ولد الشاعر في وطنه الكويت في سنة ١٩١٠، وتعلّم في الكتّاب عند الملا زكريا بن محمد زكريا والد الشاعر الأديب الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري فأخذ قسطاً من التعليم، ومضى بعد ذلك إلى ممارسة العمل كما تقتضي ظروف الحياة

آنذاك فاشتغل بالغوص، وبالبيع والشراء، ولكنه لم يجد الاستقرار إلا عندما انتظم موظفًا لدى الحكومة، وقد بدأ يقول الشعر منذ نعومة أظفاره، وكان في الثامنة من عمره عندما أخذ ينشد أولى قصائده، وكانت له صداقات مع عدد كبير من شعراء عصره في الكويت وخارجها، وله معهم مراسلات شعرية كثيرة، وعلى الرغم من أنه تطرق إلى جميع أغراض الشعر إلا أن شعر الحكمة والنصائح قد غلب عليه في أخريات أيامه. وقد نال هذا الشاعر احترام الناس وتقديرهم لما يتمتع به من خلق كريم ونفس رضية. وقد كان حزن هؤلاء كبيراً عليه عندما انتقل إلى رحمة الله، في السابع والعشرين من شهر إبريل لسنة ١٩٩٠م.

وكان للبيئة أثرها في شعره، فهو ابن البر والبحر، ولذلك فإن ذكرهما يتردد في ثنايا قصائده، وبين يدي الآن الجزء الثاني من ديوانه، وهو الذي طبعته مطبعة حكومة الكويت في سنة ١٩٦٧م، بضبط وشرح عبدالله ناصر الصانع، وهو بما تضمن من قصائد نموذج جلي لشعر مرشد البذال ففيه كافة أغراض الشعر التي طرقها، وفيه إشارات إلى محاوراته مع الشعراء، وذكر عدد منهم، ولقد لفت نظري قصيدة غزلية وجهها إلى المحبين ينصحهم فيها بنصائح تجعلهم لو اتبعوها يتجنبون المخاطر التي يتعرض لها العشاق، ولكن من يقرأ القصيدة يجد أثر البحر واضحًا فيها فهو يقول:

خلّ الهوى يا اللي عليك الهوى دار
عاكس هواك ودار بالوجه شلّي
ما عاد تاصل لو تخاير تخايار
سفينتك ما عاد تقدر تعلّي

ثم يمضي في حديثه إلى نهاية القصيدة شارحًا وضعه الذي أوصله إلى الحب وصدّ الحبيب. وهنا نجده يستعمل كلمات منها: الهوى شلّي أي أنه قوي سريع، وكلمة تخاير: تغيير اتجاه السفينة، وكلمة تعلّي ومعناها: الاتجاه إلى الشمال.

فهذه ألفاظ بحرية تجدها في أكثر من موضع في شعره وكلها تدل على البيئة البحرية التي عاش فيها فترة من حياته وتأثرت بلغتها لغته الشعرية. وفيما يتعلق بالبيئة البرية له قصائد منها قصيدة بعنوان فراق الأحبة ومما جاء فيها وصفه لحظة الرحيل:

وقفت أنا من ضيقة البال كنّي
أونس بكبدي مثل رتق السماليل
أيامي اللي بالطّرب وهقنّي
تغيرن عنّي وراحت معاجيل
عقب القراح العذب يا ما سقنّي
ذوب الغزالة عقب نقع الثهاليل

وفي هذه القصيدة حديث عن النجوم التي تبدو جلية في سماء البادية وقت صحو الجو:

أنا غدت لي طلعه سهيل جني
شوف التويبع يا بعد طلعة سهيل
أنا إذا شفت النجوم اظهرنّ
كني غليث شاف مزن هماليل

وفي قصيدة اخرى يذكر ساعة الرحيل فيقول:

نوّوا على الشدة رجال مشاميت
من علم طرقي من البعد لافي
يقول أنا بالعلم للناس شحّيت
واليوم شدواله ترى الخير ضافي
وديان يرعنّ العشاير بهن هيت
وسم تدفق نابع له خرافي

الصبح يمشن الظعاين تفاخيت

أول ظعاينهم يتل الخلاف

إذا افرشوا لو صحت بالصوت واوميت

ما يسمعونه من صريخ الظلاف

فها هو مرشد البذّال يتحدث عن هذا الموقف كما تحدث عن مثيله الشعراء القدامى فيقول: إن هؤلاء القوم نووا على الارتحال (الشّدّة) ملحين على ذلك بسبب علم أبلغهم به عابر طريق إليهم (طرقي) بأن الخير عميم في المكان الذي وصفه لهم، قائلا: أنه خصهم بهذا الخير الذي لم يبلغه أحد غيرهم إذ بخل به على الآخرين (شحّيت). وقد استمر الرجل في وصف المكان المقصود فقال إنه عبارة عن وديان ترعى بها أنعام العشائر، وتجد فيه المرعى الخصب نتيجة للمطر الذي هطل في وقت الوسم ثم تتابع في فصل الخريف (خرافي).

ثم يصف الإبل وهي تسير متتابعة مجموعة بعد أخرى (تفاخيت) يجر أولها أخرها اليه. وكان للقوم المغادرين ضجيج حتى أنك لو صحت بعالي صوتك أو أشرت لم يسمعك أحد ولم يلتفت إليك بسبب الأصوات المحيطة من كل جانب وبخاصة أصوات صرير أخشاب الهوادج (الظلاف). أليس هذا المنظر الأخير والضجة المصاحبة له من الأمور التي يمكن مقارنتها بقول الشاعر الجاهلي الحارث بن حلّزة:

اجمعوا أمرهم عشاءً فلما

أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن تصـ

ـهالِ خيلٍ، خلال ذاك رغاء

بلى إن الشبه لقريب، وإن مرشد البذال لمن أولئك الشعراء وإن تأخر به العهد أو قال شعره على المنوال النبطي.

ومما ساد بيئته وبخاصة في أيام شبابه القنص ومنه الصيد بواسطة الطيور. وفي إحدى قصائده يعتذر من طيوره لأنه لم يستطع الخروج بها إلى الصيد كالمعتاد لسبب قاله في شعره:

يا طيور اللي تحرى سامحنّي

لين نجم سهيل يظهر من مغيبه

قبل يكمل ريشكم ماتقلني

سامح عنكن وصدتنا غصيبه

وجميل هذا الاعتذار، ولكنه لم يكن كل ما قاله عن القنص.

وهذه قصيدة من قصائد مرشد البذال الجميلة قالها في الغزل، ولك أن تعجب مما فيها من معان وأساليب، ما حرص عليه الشاعر من التعبير فيها عن صادق إحساسه تجاه من يحب دون الانتقاص من قدر نفسه، ودون تذلل مكروه، فهو على الرغم من أنه مغلوب على أمره تجاه المحبوب (عليّ من كون الحبيب غليبه) إلا أنه يقول: «من عافنا عفناه»، ومع ذلك فإن المعاني الحلوة التي اشتملت عليها القصيدة تشد الأنظار إلى هذا الشاعر المجيد، الذي دل شعره على ما يتمتع به من روح عالية، ونفس كريمة وشعر فياض بالعزة والكرامة، مع امتزاج بالعاطفة الجياشة التي تنم عنها هذه القصيدة التي أشرنا إليها.

ولئن سبق لي عرض هذه القصيدة في مكان آخر منذ عدة سنوات إلا أنني أرى أن إعادة الحديث عنها لا ينقص من قيمتها بل يزيد إذ هي من عيون الشعر النبطي.

يقول البذال:

اليوم يا حمدان ما من سعة بال
واللي يجيك من السوالف غصيبه

ماعاد أبي كثر السوالف والأقوال
عليّ من كون الحبيب غليبه

غرو بقلبي له محل ومنزال
أحب من حبّه وأعادي حريبه

ياليتني ماجيت ناس على الفال
أوحيت علم بينهم ينحكي به

أنا أشهد إنه حط بالقلب ولوال
علم على من تكرهه يندعي به

قالوا عشيرك يوم قفيت ما سال
تغيرت دعواه عقب المغيبه

في هذه الفقرة من القصيدة يوجه الشاعر حديثه إلى أحد أقاربه وهو «حمدان» قائلاً له: إنني اليوم لا أشعر براحة البال، ولا سعة الصدر وليست عندي الرغبة في الحديث معك، وما تسمعه الآن من الأحاديث إنما يخرج بعد محاولة مني شديدة، وإثر اغتصاب للبوح بما في نفسي. لم أعد أريد كثرة الأحاديث ولا ترديد الأقوال، فإنني مغلوب على أمري نتيجة لتسلط المحبوب الذي انتصر علي في حربه التي كان سلاحه فيها: الجفاء إنه جميل في عز الشباب له محل ومنزل في قلبي، أحب من أحب، وأعادي من عادى.

ويقول: ياليتني لم - آت عن غير قصد - أولئك الذين جلسوا يتسامرون فسمعت منهم حديثًا يتحدثون به، وهذا الحديث قد بلبل فكري، وأثار في قلبي الاضطراب، وهو خبر يدعي بما في فحواه على من تكره فماذا قالوا؟ لاشك في

أنهم يريدون إثارتي بقولهم: إن معاشرك لم يسأل عنك عندما ذهبت مغادراً، لقد تغيرت نيته عليك بعد غيبتك، وزال إحساس الرغبة فيك من قبله.

ويقول البذال في الفقرة الثانية من قصيدته:

أنا عشيري مايطالع بالازوال
إن غبت يلقى واحد يلتهي به

حلفت ما يصبر على الخشر رجّال
إلا الذي ما له جدود عريبة

والله لا بدل حاله اليوم في حال
اختار راي صامل ينعدي به

إما يجي ويبطلن كل الاقوال
واللي مشكّ منه يخلي شعيبه

ولاّ يروح وكل نفس على فال
عيبه مصد، وعيبنا مايعيبه

انا احسب اني كاسب خزنة هلال
واثري حضوضًا ذبني في جليبه

ما ني يا سيد العماهيج زمال
أنا من اللي يدركون الكسيبه

يواصل الشاعر قائلاً: ولقد سمعتهم يقولون إن عشيرك لا يهتم بالأشخاص ولا يرتبط بشخصك، فهو إن غبت ارتبط بغيرك يتلهى به إلى أن تعود، وهذا أمر سيئ في حقي وحق من أحب، وقد حلفت أنه لا يمكن أن يصبر الرجل الشريف على هذه المشاركة الباطلة، بل إنه لا يقبل هذه المشاركة من له أصول عربية يفخر بها، وينتسب إليها. وقد أقسمت أنني سوف أسعى إلى تبديل حاله اليوم بحال آخر، وعليه أن يختار رأيًا خالصًا مؤكداً يعتد به: إما أن يأتي إلي فيبطل تلك الأقوال التي سمعتها من أولئك الناس، أو أن يذهب إلى حال سبيله، وأن يترك كل

منا صاحبه الذي يشك فيه، كي يذهب إلى حيث يريد، فيمضي كل منا في طريق، يصد عني عيبه، وليس عليه تبعة ما بي من عيوب، لقد كنت معتزاً به، وكنت أظن أنني امتلكت خزانة أموال هلال المطيري الشهير بغناه، فإذا بي أتهاوى في بئره التي حفرها لي بما عمل في غيبتي.

إني أتوجه إليه قائلًا:

على الرغم مما تتمتع به من جمال، فإن جمالك وقامتك الرائعة لا تثنيني عن أن أقول لك:

إنني لست في مؤخرة القوم، ولست من الذين يقبلون الإهانة، بل إنني ممن يبحثون عن الأمور العالية ويكسبون في دنياهم العزة والكرامة.

أما الفقرة الثالثة فيقول فيها:

من عافنا عفناه يا سمح الاقبال
حتى رضيع الدّيد ينسى حليبه
وليا تغير صاحبي مثله أمثال
من شام له خلي فهو من نصيبه
والله ما ارضى بالجفا والتمهزال
مادام ما حطت عليّ النصيبه
وخذ الخبر يا العذب من غير مرسال
عليك ستر الله ولا من غصيبه
من واحد يافي كلامه ليا قال
والله ما زورك لو ظعونك قريبه
لو انت يا المجمول في في وظلال
وانا بشمس، الشمس عندي حبيبه

من قبلنا راعي المثل يا الغضي قال
ترى مجفية الضعاين تعيبه

ها هو الشاعر وقد قرّ في ذهنه بعض ما قال الناس عن محبوبه، وأصبح عنده بعض اليقين بصدق كلامهم، يعبر عن هذا الإحساس الذي يجمع بين المرارة والاعتزاز بالنفس، وعدم الرضوخ، فيقول: من تركنا وانصرف قلبه عنّا تركناه لما يريد، وحتى الطفل الرضيع يمكن أن ينسى حليبه الذي تعود عليه، فكيف لا أستطيع أنا النسيان يا ذا الوجه الذي تملؤه السماحة، وإذا تغير صاحبي فلي مثله أصحاب كثيرون، وأي منهم رأى له صاحبًا غيري فهذا نصيبه المقدر له.

إنني لا أرضى بالجفاء، ولا أن أوضع في موضع الهزل مادمت حيًّا لم توضع على قبري (النصيبة) التي هي علامة كل قبر. وخذ مني القول المؤكد - أيها العذب - بصورة مباشرة مني إليك، ومن دون رسول يبلغك به: إن نفسي قانعة، وكل ما أريد أن أقوله لك هو: اذهب بستر الله عليك، فلا نية لي في إجبارك على فعل ما لا تريد (ما من غصيبه). خذ هذا الكلام من واحد يفي بقوله، ويحقق وعده، وعلى هذا فإنني أقسم إنني سوف لا أزورك مهما كنت قريبًا مني في السكن، ولو كنت أيها الجميل في ظل ظليل، وأنا في الشمس فإنني لا أترك الشمس الحارة لأستظل بالظل الذي تستظل به فالشمس في هذه الحالة حبيبة عندي أقدمها في المنزلة على الظل الذي يجمعني بك إذا كنت لا تريد هذا الاجتماع.

في نهاية القصيدة تأتي هذه الفقرة التي يقول فيها الشاعر مرشد البذال:

اللي مضى يكفي ومن دل ما عال
ومن عال رايه ما حد يقتدي به
الناس ما هم يا اريش العين بعدال
والبيض فيهن زين وابهن مصيبه

أحد عسل، وحد على الكبد ملال

وحد على ما قيل حمى صليبه

وحد زراجه نورها يشعل اشعال

وحد ظلام الليل، ما ينسري به

الفرق يا المجمول في طيب المال

ولاّ ردي المال وش ينبغي به

ما ني بهدم قلّبه كل دلال

أخاف أطيح بمن غبا الناس عيبه

ترى ردي الجنس لو هو من الشال

ليا صار جنسه خارب وش نبي به

ما ينفعك في تايه الراي عذال

واللي يتيه الدرب لا تعتني به

ولا شدة إلا لها الرب حلال

واللي يدبّره الولي نرتضي به

يقول الشاعر:

إن الذي مضى من علاقتنا، ومما حدث بيننا، إضافة إلى حديثي الذي سمعته مني كلها كافية لإعطائك الخبر اليقين بأن ما ذهب لا يرجع. وأني قد دللتك على الطريق ومن دل إنسانًا فقد أرشده، وليس في ذلك جور ولا تعد، لأن الشخص الذي يتعدى ويجور على الناس لا ينظر إليه بمنظار التقدير ولا يقتدي برأيه أحد.

ثم إنك - يا جميل العينين - ينبغي أن تعلم أن النساء لسن سواء، وأنهن غير متعادلات وحتى الجميلات من النساء فيهن الفتاة المعجبة الرائعة وفيهن، من هي كالمصيبة سوءاً وضرراً، والناس فيهم من هو كالعسل حلو لطيف المعشر ومنهم من هو كالرمل الحارق على كبدك (الملة)، كما أن منهم من هو كالحمى القاسية. والناس فيهم - كذلك - من هو كالليلة المقمرة يشع نورها إشعاعًا بهيجًا، ومنهم

من هو كظلام الليل الذي لا يستطيع الساري أن يسير فيه لشدة ظلمته. إن الفرق - أيها الجميل - في الأصل (طيب المال)، فإذا كان الأصل طيبًا طابت الفروع، واشتدت رغبة الناس في ذلك المال،إذا كان رديئًا عزف عنه الجميع، لست كالملابس المعروضة للبيع، يُقلِّها الدلالون (السماسرة) لأن ذلك قد يعرضني للوقوع فيما فيه عيب خفي على الناس، واعلم أن رديء الجنس ولو كان من الشال وهو القماش الصوفي المشهور بجودته فإننا لا نريده إن كان جنسه فاسداً.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن في كل ما تقدم في الأبيات الثلاثة التي تمثل البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الفقرة إنما هو تعريض بالمحبوب، ونعت له بصورة غير مباشرة بأنه من نوع غير ملائم لرغبة الشاعر.

ثم يقول: لا ينفعك الاستماع إلى العذال إذا كانوا قد تاهوا عن الطريق السليم، فالذي يتيه عن طريقه ينبغي ألاّ يجد عندك العناية.

ويختم الشاعر القصيدة بقوله: لا شدة إلا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي يحل عقدتها، وما يدبره لنا - عز وجل - نرتضي به ونقبله.

لقد طوفنا مع الشاعر مرشد البذال في قصيدته هذه، فرأينا فيها حسن تناوله لموضوع الغزل، وصدقه فيه، ومرت بنا اللمحات الإنسانية الجميلة التي اشتملت عليها الأبيات، وشاهدنا اهتمامه بالحكم وضرب الأمثال، وفوق هذا كله عزة نفسه التي عبّر عنها أصدق تعبير.

فهو يبين منذ البداية لحمدان أنه غير قادر على الحديث معه، وأن ما يخرج منه من أقوال إنما يخرج بصعوبة شديدة وذلك بسبب ما حل به جراء ما لقيه من محبوبه. ذلك الجميل الذي له في قلبه منزلة عالية، ولكنه عرف أخيراً أنه غير مصافٍ له، وأنه لم يحفظ غيبته حين غاب، وهذا ما سمعه من بعض الأصحاب

الذين مر بهم وهم يتغامزون بهذا الحديث، وهنا يقسم أنه سوف لا يعود إلى هذا المحبوب الغادر، وانه لن تقبل نفسه أن يكون شريكًا لغيره فيه. وأنه سوف يضع حدًّا لهذا الأمر، فعلى المحبوب أن يختار بين الاثنين، ويقول:إنني كنت أظن نفسي قد امتلكت كنزاً ثميناً بمعرفتي بهذا المحبوب وعلاقتي معه، ولكنني اكتشفت الآن أنني أجهل ما يدور حولي. ومع هذا العنف في ردة فعله نراه وهو يوجه كلامه إلى محبوبه يقول له : ياسيد العماهيج، كما أنه في الوقت الذي يقول له فيه: من عافنا عفناه يقول: يا سمح الاقبال. وعندما كان يهدده بالانفصال النهائي، ويقول له: مثلك كثيرون، وإنني لا أرضى الجفاء والهزل بي، نراه يردد : عليك ستر الله وما من غصيبه، ويقول: يا المجمول، ويقول: يا اريش العين، وكل هذه العبارات تدل على أنه لم يستطع أن يتخلص من هواه، وأن ما يردده من تهديد، ومن إشارات حول الانفصال إنما هي بسبب شعوره بالكرامة المجروحة نتيجة للخيانة، ولذلك نجده يكثر من ضرب الأمثال، والتشبيهات، ثم نراه يختم قوله ببيت يعبر عن الشدة التي يعانيها، والتي يلجأ بسببها إلى الله سبحانه مؤملًا أن يفرجها عنه:

ولا شـدة إلا لـهـا الـرب حـلاّل

والـلـي يـدبّـره الـولـي نـرتـضـي بـه

هذه هي القصيدة.. إنك تجد فيها روحًا تفيض بالأحاسيس الصادقة، وشعرًا يعبر عن تجربة دفعت صاحبها إلى أن يبدع.

هذا هو الشاعر مرشد البذال الذي تجد في شعره الإجادة، والدلالة الصادقة على ما في نفسه، مما يشعرك بأنه يتمتع بإحساس رائع وتعبير واضح عن خلجات نفسه، مع وضوح في العبارة، وسهولة في الصياغة الشعرية.

(كتابنا: دروس في اللهجة الكويتية من خلال الشعر النبطي).

****

رجال لا ينساهم الوطن

ثنيان ثنيان الغانم (الجزء الأول) [1]

أنجبت الكويت العديد من الرجال الأوفياء، الذين سعوا إلى خدمتها وخدمة أبنائها. وكان هؤلاء الذين نشير إليهم هنا يتمتعون بمحبة الناس، وبنظرتهم التي يملؤها التقدير والاحترام. وكانوا يعملون في مجالات مختلفة منها المجال البحري الذي رفع اسم الكويت عاليًا منذ بداية تأسيسها بصفتها دولة ذات نظام معروف، وكانت سفن هؤلاء الرجال وهي تنتقل بين الموانئ البعيدة تنقل معها اسم الوطن وتنقل معها صورة من صور الحياة فيه ممثلة بالرجال الذين يقودون تلك السفن ويعملون على متونها. ولقد كانت التجارة التي يتداولها أصحاب هذه السفن وسيلة من وسائل العيش في الكويت القديمة، وكان رجالها يقودون الكثير من الأعمال التي تكفل تقدم البلاد ورقيها. وكان كثيرون منهم ممن كتب الله على يديهم الخير ووفقهم إلى ذلك، فعرفوا بما قدموا من أعمال في كافة السُّبل ومنهم هذا الذي نتحدث عنه اليوم.

المرحوم ثنيان ثنيان الغانم، رجل من رجال الكويت البارزين. ولم يكن تجار الكويت في الماضي متكالبين على جمع الثروة واكتنازها، بل كانوا يهتمون بأمرين هما: استثمار ما لديهم من أموال في مشروعات تعود على الوطن بالخير، والقيام بدعم الأعمال الخيرية ومساعدة المحتاجين.

عندما قررت بلدية الكويت افتتاح شارع فهد السالم ووضعت الأنظمة الكفيلة بإنشائه على أفضل صورة ممكنة، بادر ثنيان الغانم بإنشاء هذا المبنى الذي أصبح

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٢.

من أشهر مباني الكويت في ذلك الزمن، وكانت تستغله دائرة المطبوعات والنشر آنذاك في وضع الصور الإعلامية عن الكويت وتعتبره دليلًا على التقدم. وهذا المبنى لايزال قائمًا في مدخل الشارع المذكور من ناحيته الغربية.

لقد صار هذا المبنى رمزًا لفترة وسط الخمسينيات وما بعدها إلى أوائل الستينيات من القرن الماضي، ودلّ على أن التاجر الكويتي يقدم لوطنه نماذج يستفيد منها شخصيًّا، ولكنها تشكل مظهرًا من المظاهر الحضارية التي يحتفظ الناس بذكراها. وهذا بالإضافة إلى أعماله الخيرية الأخرى التي ظهرت حتى بعد وفاته مثل المركز الطبي الكبير الذي أنشئ فيما بعد مجاورًا للمستشفى الأميري وأطلق عليه اسم «مركز ثنيان الغانم لأمراض الجهاز الهضمي» وهو مبنى كلفته مليون وسبعمائة ألف دينار، ويتكون من سرداب وثلاث أدوار، تم افتتاحه في سنة ١٩٨٨م ولايزال يقدم خدماته، لكل من يتقدم بطلب العلاج فيه.

عندما فكرت في الكتابة عن هذا الرجل خطر ببالي أن الشخص الذي يمكن أن يمدني بالمعلومات الكافية هو الأخ المهندس عبدالرحمن خالد الغنيم. وذلك لعلاقة والده المرحوم خالد بثنيان الغانم، وهي علاقة توطدت بحكم عمل خالد في إدارة تجارة ثنيان، إدارة دفعت بها إلى التوسع في كثير من الاتجاهات، والتعامل مع عدد من البلدان منها روسيا وفرنسا وأوروبا عامة إضافة إلى الهند وشرقي أفريقيا. وباقي دول آسيا. وقد وجدتُ أبا هيثم كما هي عادته حريصًا على تزويدي بالمعلومات كما فعل من قبل في موضوعات أخرى، والحق يقال إنه يمتلك أرشيفًا جيدًا يضم كل ما مرّ به من مسائل تحتاج إلى جمع وتوثيق حتى إذا احتاج إلى شيء منها وجده بمنتهى السهولة. وقد أمدني إضافة إلى المعلومات بعدد من الصور النادرة التي سوف يراها القارئ مع هذا المقال وهي تعبر عن ملامح من حياة ثنيان الغانم في داخل الكويت وفي خارجها.

يقول أبو هيثم:

ولد المرحوم ثنيان الغانم في سنة ١٨٩٦م قرب فريج الشيوخ، في الموقع الذي تحتله اليوم وزارة التخطيط وهو موقع يطلق عليه - أحياناً - حي الوسط لأنه يقع بين حيي الشرق والقبلة. واسم والده ثنيان الغانم الذي توفي قبل ولادة ابنه فسمي الابن باسم أبيه، ولذا فإننا نلاحظ أن اسمه صار مكرراً. وله أخوان أكبرهما محمد، يليه يوسف وهو الأوسط بين الإخوة، وله أخت تزوجت جاسم الشاهين الغانم وأنجبت منه سليمان ويعقوب ومنيرة.

كانت وفاة الوالد سبباً لانتقال والدتهم بهم إلى بيت أهلها في حي القبلة، وقامت بتربيتهم بين أخوالهم أحمد الصقر وصقر الصقر وحمد الصقر، وقد تعلموا من الأخوال فنون البحر، وسرعان ما صار محمد ثنيان الغانم نوخذة، وكذلك يوسف. وأما ثنيان فقد تعلم التجارة من أخواله -أيضًا - وحين استقلوا بمسكنهم صار الأخوان محمد وثنيان يزاولان التجارة عن طريق امتلاك الأبوام، ولكنهما انفصلا بعد ذلك تجاريًّا وصار لكل منهما تجارته الخاصة، وابتنى ثنيان عدداً من السفن التي صارت مشهورة إلى اليوم ويكفي أن نذكر منها: بومي المهلب وفتح الخير.

وكان اختياره لخالد الصالح الغنيم للعمل معه اختياراً في محله، فقد كان عمله مفيداً لتجارة ثنيان الغانم، وسبباً من أسباب نموها وتشعبه، وكان الرجل يعتبر خالداً بمثابة الابن، وكان أبناؤه يعتبرونه أخا لهم .

كان ثنيان الغانم كثير الترحال فزار عدداً من الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا، وكان يحب السفر إلى مصر ويرتاح هناك لوجود علاقات له مع عدد كبير من أبناء مصر ومنهم أدباء وشعراء كان يحرص على لقائهم والسماع منهم لحبه للشعر والأدب، وكان يقضي صيفه باستمرار في مصايف لبنان، وفي الكويت

كان مجلسه عامراً يستقبل الجميع في ديوانه وفي مجلس بالقرب من بيته، وفي مكتبه في سوق التجار.

وبالجملة فقد كان محبوباً بين الناس يقدرون له هذه الشخصية النبيلة ويحترمون آراءه ويستشيره الكثيرون في أمورهم فيجدون عنده التوجيه الصائب.

وقد توفي - مأسوفاً عليه - في سنة ١٩٦٧م. رحمه الله وأثابه.

هذه هي مجموعة المعلومات التي وفرها الأخ المهندس عبدالرحمن خالد الغنيم مستعيناً بالسيد صقر ثنيان الغانم فلهما الشكر على ما قدَّما.

كانت لثنيان الغانم مبادراته في إنشاء السفن الشراعية الكبيرة فكان يقترح على صناع هذا النوع من السفن حمولات معينة يطلب منهم إنجاز السفينة بحيث تستطيع حملها، ومن ذلك سفينتان كبيرتان دعا إلى إنشائهما وأصبح لهما صيت في عالم البحر خلال تلك الفترة وكانتا محط الأنظار في الموانئ إذا رستا فيها.

منهما: المهلب، وهو بوم سفّار، كانا يعبر البحار للتجارة بين الكويت وعدد من الدول منها الهند وما جاورها من بلاد، صنع هذا البوم في سنة ١٩٣٧م، بيد الاستاذ المعروف محمد بن عبدالله، وقد قام البوم بأولى رحلاته إثر حفل كبير أقيم بمناسبة إنزاله إلى البحر، وكانت تلك الرحلة إلى الهند.

قام المهلب بعد ذلك بعدة رحلات وحل في عدد من الموانئ في المحيط الهندي والخليج العربي. وظل يمارس دوره هذا دون توقف حتى تغيرت الحال، وتوقف البحارة عن الإبحار، فلم يعد المهلب يمارس دوره السابق، لذا حوله صاحباه إلى تذكار أقاماه بجوار سكنهما، أمام مدرسة عمر بن الخطاب، وحين كانت سنة ١٩٦٠م طلب الشيخ عبدالله الجابر الصباح من السيد ثنيان الغانم أن يبيع المهلب لكي تحتفظ به دائرة المعارف تذكاراً لأيام السفر التي كانت من أهم الأيام في حياة

الكويتيين، وعندها تبرّع السيد ثنيان بالبوم، لكي يُنقل إلى حيث تريد دائرة المعارف. وقد كان موقعه الأول بعد انتقاله إلى هذه الدائرة هو مدرسة ثانوية الشويخ حيث أعد له موقع ملائم، ثم أقيم له موقع آخر يليق به ضمن متحف الكويت الوطني الجديد الواقع على ساحل البحر في حي القبلة. وصار مزاراً للناس ينظرون إليه بإعجاب، ويتذكرون من خلاله أيام آبائهم وأجدادهم، إلى أن جاء الغزو العراقي الغاشم، فهاله أن يجد هذه الصورة الباهرة لماضي الكويت، وتحرك الحقد في نفوس الغزاة، فأحرقوا البوم بكامله.

وبعد اندحار العدو، بُني المهلب من جديد بأمر من الشيخ جابر الأحمد أمير دولة الكويت السابق، فعاد هذا الأثر البديع إلى المنصة التي كان واقفاً عليها من قبل.

والسفينة الثانية هي البوم «فتح الخير» الذي استعادته الكويت بعد غياب طويل في الخارج، واحتفت بعودته احتفاء كبيراً، وإنشاء هذا البوم الكبير لا يدل فقط على اهتمام ثنيان الغانم ببناء السفن، ولكنه يدل على تشجيعه لمن يحس فيه القدرة على العمل المتقن إذ إن حكاية بناء البوم «فتح الخير» تدل على ما يتمتع به صاحبنا من حسّ صادق ورغبة في تشجيع العاملين الذين تبدو عليهم مخايل الذكاء والقدرة على الإجادة.

****

رجال لا ينساهم الوطن

ثنيان ثنيان الغانم (الجزء الثاني) [١]

هذا هو الأخ الدكتور يعقوب يوسف الحجي يصف لنا كيف بدأ العمل في هذا البوم (فتح الخير) فيقول: «في حوالي شهر أبريل من عام ١٩٣٨م طلب التاجر ثنيان الغانم من صانع السفن علي عبدالله عبدالرسول أن يصنع له سفينة شراعية من نوع البوم السفار. ولكن هذا الصانع الذي لم يكن قد بلغ الأربعين عاماً من عمره آنذاك تردد في قبول هذا العرض، فهو لم يسبق له أن صنع سفينة من هذا النوع. ولكن ثنيان ردّ عليه قائلاً بأنه يستطيع ذلك، وسوف يوصي هو الأستاذ أحمد بن سلمان - أحد كبار صُنّاع السفن في الكويت وهو الذي درّب الشاب علي عبدالرسول على فنون صناعة السفن الشراعية - بأن يمرّ عليه من حين لآخر لملاحظته وإبداء الرأي، فقبل الشاب علي بهذا العرض وبدأ في جمع عدد من القلاليف. كما تسلم مبلغاً من المال لبدء العمل. وفي اليوم التالي أخذ التاجر ثنيان الغانم إلى عمارة التاجر حمد الصقر المطلة على البحر في الحي القبلي من المدينة، وأطلعه على الأخشاب اللازمة لصنع هذه السفينة، ثم تركه وشأنه.

في البدء مدّ الأستاذ علي عبدالرسول خشبة القاعدة على الأرض، ولكن العمارة لم تسع هذه القاعدة فاضطر إلى مدّها جهة الشمال الغربي، ثم بدأ العمل في تثبيت العمود الأمامي والخلفي للسفينة في قاعدة السفينة. ولما كان حجم

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٩.

السفينة المطلوب بناؤها ضخماً نسبياً - اضطر القلاليف إلى مدّ الأخشاب التي تسند السفينة خارج أسوار العمارة، وبدأ تركيب ألواح السفينة السبعة الأولى. ولما كان الأستاذ علي عبدالرسول قد سمع عن مجموعة من الأخشاب الجيدة من نوع المنطيج عند النوخذة جاسم محمد العماني، نصح التاجر ثنيان بشراء هذه الأخشاب واستخدامها في بناء أسفل هذه السفينة، فوافقه ثنيان على طلبه، وتم شراء هذه الألواح واستخدمت في بناء أسفل السفينة. ولما اكتمل بناء الألواح السبعة الأولى على جانبي القاعدة، بدأ تركيب الأضلاع الداخلية للسفينة، وهذه عملية هندسية تحتاج إلى الكثير من الخبرة والمهارة. وكان العديد من نواخذة الكويت يأتون إلى موقع العمل لرؤية السفينة، وحدث أن شاهدها بعضهم فلم يعجبه ميلان عمود السفينة الخلفي، حيث بدا أكثر ميلاناً من المعتاد، ولكن ثنيان ردّ عليهم قائلاً: «اصبروا وسوف ترون السفينة بعد أن يتم صنعها». لقد كان ثنيان على ثقة بهذا الشاب الذي لم يسبق أن كلفه أحد ببناء سفينة من هذا النوع. كما مرّ على السفينة الأستاذ أحمد بن سلمان وأبدى إعجابه بها. واكتمل جسد السفينة وبدأ تركيب سطح السفينة السفلي ثم العلوي، وأخذ القلاليف يعدون «آلة» السفينة من صواري وفرامن وغيرها. وبعد شهرين من العمل اليومي المتصل أصبحت السفينة جاهزة للإنزال إلى البحر لأول مرة».

أما ما أشرنا إليه في موضع آخر عن رحلات ثنيان ثنيان الغانم وهي كثيرة يصعب الإلمام بها فإن من أهمها زياراته لمصر وهي زيارات تركت أثرًا كبيراً ولذلك فسوف نشير إليها هنا. فمن ذلك أنه زار مصر في سنة ١٩٥٣م، فحل بالقاهرة وزار بيت الكويت، ثم انتقل إلى الإسكندرية، وهناك تصادف حضوره مع وصول الشيخ عبدالله السالم الصباح من أوروبا، فكان ثنيان الغانم ضمن مستقبليه على متن الباخرة، الأمر الذي يدل على مدى العلاقة التي تربط بين الرجلين وتدل في الوقت نفسه على تقدير صاحبنا لأمير بلاده.

ولم تكن هذه هي أول زيارة لذلك البلد العربي، بل لقد سبقتها زيارات كان خلالها محل اهتمام من أبناء الكويت، كما كان له أصدقاء من المصريين يحرص على لقائهم.

في شهر يونيه لسنة ١٩٤٧م. وصل إلى مصر مع بعض أولاده لكي ينتقل بهم إلى مقر دراستهم في الإسكندرية ثم ليقضي شهر رمضان هناك.

وفي يوم الخميس الثامن عشر من شهر سبتمبر للعام نفسه كان يتصدر مائدة احتفال أقامها بيت الكويت لتكريم وتوديع أعضاء البعثة التعليمية المتوجهة إلى الكويت.

وكان قد حضر قبل ذلك حفل سمر لطلاب البعثة الكويتية بالقاهرة في اليوم السادس في سبتمبر، وحضر هذا الحفل معه عدد آخر من أبناء البلاد الموجودين هناك.

وتعبيراً عن مشاركته مشاعر المودة لأعضاء البعثة الكويتية في مصر فإنه أقام حفلة غداء في جزيرة الشاي بحدائق الحيوان خلال شهر أغسطس لسنة ١٩٤٨م، دعا إليها عدداً من المسؤولين وأبناء الكويت الموجودين هناك.

وكان يتردد- دائماً- على بيت الكويت بالقاهرة كلما كان هناك، ويشارك في الأنشطة المتاحة ويحضر الحفلات، بل ويقدم الجوائز مثل ذلك الذي حدث في شهر يناير لسنة ١٩٤٩م حين حضر احتفال أبناء الكويت بالقاهرة بمناسبة المولد النبوي الشريف، وشاهد التمثيلية التي قدموها، وعبر عن إعجابه بذلك حين قدم للمشاركين في التمثيلية هدايا قيمة.

هذه نماذج لما يحدث في زياراته إلى مصر ولكنه في أحيان كثيرة يزور لبنان وله فيها مجالس عامرة بالأصحاب ويزور أوروبا كما ذكرنا في بداية حديثنا.

ثنيان ثنيان الغانم رجل مجرب وصاحب رأي، يبدي رأيه حين يطلب منه ذلك، ويبادر إلى التعبير عنه إذا وجد للمبادرة جدوى وله من ذلك موقفان هما:

- في شهر سبتمبر لسنة ١٩٤٨م نشرت جريدة المصري القاهرية خبراً ملفقاً وردها من العراق يقول إن الكويت صارت واسطة لتهريب اليهود والسلاح إلى فلسطين، وهذه الأخبار العارية من الصحة غير مستغرب أن ترد من العراق الذي يناصب الكويت العداء باستمرار، وكان لهذا الخبرأثره في إثارة ثنيان الغانم الذي يأبى أن يمس وطنه بسوء فكتب رداً على ذلك ثم نشره في كل من مجلة البعثة وجريدة المصري، وهذا نصه.

«قرأنا هذا الخبر ببالغ الدهشة، واذا كان هناك من يلام فهو الذي أرسل إليكم هذا الخبر المثير، وإنه ليسوؤنا حقًّا أن يصدر من جارتنا الكبيرة «العراق» الذي تربطنا بها روابط لا تنفصم عراها. والكويت بعد هذا جارة لبلد عربي آخر هو المملكة العربية السعودية، فلو فرضنا جدلاً أن هناك محاولة لتصدير السلاح لليهود فإنه لا بد أن يمر في طريقه بهذين البلدين، أما إذا ذهب بحرًا فإنه لا بد أن يمر بمصر. وكلنا يعلم أن بلاد الجامعة تفحص كل ما يصدّر إلى هذه البلاد بدقة. ولا يستطيع أحد أن يثبت أن شيئًا من هذا قد حدث في يوم من الأيام. أما ان تكون الكويت مركزاً لتهريب اليهود الهاربين من العراق وإيران فيكفي لنفيه أن الكويت منعت منذ عام دخول اليهود إليها، بل نفت اليهود الموجودين فيها. وإن قلة الأنفس في الكويت تجعلنا نطمئن إلى أن القادمين إليها يُعرَفون بسرعة، ومداخلها المحدودة تجعل من السهل القبض على كل غير مرغوب فيه».

- أما الموقف الثاني فهو في ردوده على مجلة البعثة التي تقدمت إليه بعدد من الأسئلة. وكان السؤال الأول هو: ما أهم ما أعجبك في مصر، وتحب أن يكون للكويت نصيب منه فرد قائلاً:

«أعجبت بمدينة مصر وثقافتها ومناظرها الطبيعية، ومشروعات ريها التي لم أجد لها مثيلًا في جميع الأقطار التي زرتها. كما أعجبت بتلك المدارس البحرية التي زرتها حيث تدرس العلوم الكافية لتخريج الفنيين في قيادة السفن. وأعجبت بآثار مصر العظيمة التي يقصدها السواح من كل صوب، والتي نظمت في متاحف يعجز الإنسان عن وصفها. وأعجبني التقدم الرياضي، وتشجيع الحكومة له، وتنظيم شؤون العمال على اختلافها، أما ما أحب أن يكون للكويت نصيب منه فهو:

١ - التعليم من جميع نواحيه، وأتمنى أن تفتح مدارس بحرية على نظام المدارس التي ذكرتها، وبالأخص وأن الكويت بحسب مركزها وموقعها الجغرافي أمة بحرية لها مستقبل عظيم في هذا المضمار، وأرجو إرسال بعثة للالتحاق بهذه المدارس ليكونوا نواة لفتح هذه المدرسة.

٢ - تشجيع الرياضة، والاهتمام بها، لخلق جيل قوي فالعقل السليم في الجسم السليم.

٣ - إنشاء هيئات للسهر على شؤون العمال ورعاية أمورهم.

ونلاحظ في إجابته على هذا السؤال مدى إحاطته بما في مصر من مظاهر الحياة، ونلاحظ -أيضًا- أنه حين كان يشاهد تلك المظاهر فإنه كان يتخيّل تطبيق بعضها في وطنه، ولذلك جاءت إجابته على القسم الثاني من السؤال، أما ما نود الإشارة إليه فإن بعض اقتراحاته قد تم العمل بها فيما مر من سنوات لاحقة، ومن المؤكد أنه سعد بذلك».

وكان السؤال الثاني هو:

- ما هي أهم نواحي النقص الحيوية في الكويت؟

وقد رد على هذا السؤال بقوله:

١ - الماء، والماء، والماء.

٢ - الاعتناء بالنظافة العامة وإزالة المستقعات التي تجد فيها المكروبات خير مرتع تعيش فيه.

٣ - عدم وجود فرقة منظمة لإطفاء الحرائق التي لا تزال تفتك بالبيوت والسفن والأخشاب.

٤ - تكملة المستشفيات وفتح أخرى، وإحضار أطباء فنيين أخصائيين.

أما السؤال الثالث، فكان:

- ما رأيكم في التعاون بين مصر والكويت، وهل يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال؟

فرد بقوله: لا يمكن الآن الاستغناء عن التعاون الثقافي مع مصر، وإنني أرحب بهذا التعاون، وأعده ضرورياً لصالح الكويت.

وجاء السؤال الرابع ليقول:

- من الملاحظ أن الكويتي إذا كان في خارج بلاده كثير الحنين إليها مهما نجحت أعماله، فما السر في ذلك؟

ولم يرد ثنيان الغانم على هذا السؤال بل اعتبره غير مناسب، وكان السؤال الخامس وهو الأخير يقول:

- ما هي أمانيكم للبعثة الكويتية بمصر؟

وهنا قال: إن آمالنا عظيمة في أبنائنا أفراد البعثة الكويتية بمصر. وفي نجاحها للغرض الذي أرسلت من أجله. وأتمنى لهم من صميم قلبي التوفيق والنجاح ليعودوا إلى الكويت حاملين مشاعل العلم لينيروا للكويتيين الطريق القويم. كما أرجو من حكومة الكويت ومجلس معارفها العمل بكل ما أوتوا من قوة لتشجيع مثل هذه البعثات. وبما أن الشيء بالشيء يذكر فقد أعجبني نظام بيت الكويت بمصر ونشاط أفراد بعثتنا وجدّهم. كما لا يفوتني أن أنوه بنشاط الأستاذ عبدالعزيز حسين وسهره على مصلحة الطلبة في جميع النواحي سواء أكانت العلمية أو الثقافية أو الصحية.

وللقارئ بعد ذلك أن يتخيل شخصية الرجل من واقع إجاباته على هذه الأسئلة فهو كما يتبين لنا منه إنسان مدرك لكثير من الأمور يحاول معرفة كل شيء يقع عليه بصره، ويأمل في الاستفادة من كل ذلك، كما يأمل أن يحقق وطنه الكثير من الإنجازات الشبيهة بما يراه. ومن حسن حظنا أن كثيراً من الأمور التي كانت بالنسبة له أمنيات قد تحققت مع مضي الوقت لأن الكويت - وقتها - كانت تتوق إلى التقدم وإلى مجاراة كل جديد مفيد في الدنيا المحيطة بها، ولأنها كانت تضم رجالاً يعملون، ويبذلون كل ما يستطيعون من جهد في سبيل المشاركة في التنمية والرقي للوطن. وإذا كنا قد رأينا جانباً من حياة ثنيان الغانم وأعماله فهناك رجال كثيرون من أهل الكويت كانوا معه على هذا المنوال، وكانوا لا يترددون في تقديم ما تريده الكويت منهم. ولذا فقد تجاوب الشيخ أحمد الجابر الصباح معهم إيماناً منه بإخلاصهم ووفائهم مما جعل البلاد تتقدم تقدماً واضحاً في فترة قصيرة امتدت من سنة ١٩٢١ م حتى سنة ١٩٥٠ م، وقد كانت الأعمال والمنجزات التي تمت في هذه الفترة موضع إعجاب من الجميع، وكانت من أسس التقدم الحالي لوطننا.

****

ملحق خير

تحدثنا كثيرًا عن المرحوم ثنيان ثنيان الغانم، وقد أوردنا كل ما يتعلق بحياته الخاصة، أعماله التجارية والاجتماعية، ونوهنا إلى ما له من اهتمام كبير بالبحر والسفن الشراعية التي كان يهتم بإنجازها بواسطة من يثق بهم من (القلاليف) الذين تخصصوا في هذا العمل المهم وبرعوا فيه، وكانت أفكاره واقتراحاته عليهم في أثناء تنفيذ أي بوم يُوكل إليهم عمله ذات فائدة كبرى تُؤدي في النتيجة إلى إنجاز (بوم) متقن يشار إليه بالبنان كما حصل مع المهلب وفتح الخير، ولهذه الخاصية التي تميز بها ثنيان الغانم فإننا نجد أخاه في فترة اشتراكه التجاري معه يترك له هذا الأمر مطمئنًا إلى الخبرة التي يتمتع بها أخوه ثنيان، وإلى الذوق الجميل الذي يوحي إليه بتوجيهات سليمة للعاملين في بناء أي بوم يكلفهم به.

وغني عن البيان أن نذكر مدى تقدم صناعة السفن في الكويت في الفترة التي أنشأ فيها أبوامه الخاصة، إذ صار في الكويت عدد كبير من الورش الخاصة بهذا الأمر، يخدمها عدد كبير من القلاليف والمعاونين والعمال واكتسب البوم الكويتي على أيدي هؤلاء سمعة تجاوزت البلاد إلى كافة الموانئ التي تصل إليها رحلات السفر الكويتية فترى البوم في سواحل شرقي أفريقيا، وفي البحر الأحمر، وفي الهند والباكستان وسيلان وغيرها من الأماكن وكان شكل البوم الكويتي معروفًا لدى كل العاملين في هذه الموانئ لما يتمتع به من شكل جميل ومزايا كثيرة تدفع به إلى مقدمة السفن الشراعية، وزاد في ذلك ما كان يتمتع به البحارة الكويتيون من سمعة طيبة وعلاقات ممتازة مع الناس في تلك المناطق.

ولقد مضى زمن طويل والبوم يستعمل في رحلاته إلى السفر عبر تلك البلدان وسيلته البدائية (الشراع) الذي كان الهواء يملؤه فيندفع البوم بذلك إلى سبيله، ولا شك في أن السفر بهذه الوسيلة كان سببًا من أسباب بطء الحركة، والتأخر في الوصول إلى الهدف ومثل ذلك في موعد العودة إلى الوطن، وازدادت حاجة السوق الكويتي إلى المواد المختلفة التي منها ما هو للاستهلاك المحلي ومنها ما هو للتصدير عن طريق تجارة (الترانزيت) التي تميز بها السوق في تلك الأثناء فصارت الكويت بذلك سوقًا للمنطقة بأجمعها، وكان هذا الأمر يقتضي مضاعفة أعداد السفن العاملة في نقل البضائع مع ما يتطلبه ذلك من توافر عمالة كبيرة، ولم يكن بالإمكان إنجاز العدد المطلوب من السفن بالسرعة المأمولة، كما لم يكن بالإمكان توافر العمالة التي تقوم بخدمة هذه السفن وخدمة التجارة التي تقوم بها. وقد فكر عدد من ملاك السفن في هذا الموضوع المهم وقلبوا وجوه الرأي فيه فاهتدوا إلى حل يسير، ولكنه يقتضي منهم مجازفة فيما سوف يكون لو نجح سبب كبير من أسباب حل مشكلة النقص الذي أشرنا إليه.

كان ذلك في سنة ١٩٤٨م، وكانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت، وازدادت الحركة التجارية في المنطقة كلها ومنها الكويت. وكان من أوائل المفكرين الذين أمضوا وقتًا في البحث عن الحل المطلوب دون الحاجة إلى زيادة السفن أو العاملين عليها هو الحاج ثنيان الغانم، الذي وجد أن البوم الذي يقوم برحلة سفر واحدة في السنة يكون بمثابة بومين اثنين لو تضاعفت سرعته وقام برحلتين في السنة، ووجد صاحبنا أن ذلك إنما يتم عندما توضع في البوم محركات آلية تكفل له السرعة في الوصول إلى حيث يريد ثم العودة سالمًا، وهذا هو ما حدث في السنة التي أشرنا إليها وهي سنة ١٩٤٨م، ففي اليوم الأول من شهر يوليو لهذه السنة احتفت مجلة البعثة بمشروع ثنيان الغانم الخاص بتحويل البوم الشراعي إلى بوم (آلي)، وقد أشارت هذه المجلة إلى أن من أحلام الناس تحويل سفن الكويت إلى

بواخر وذلك بعد النجاح الكبير للبوم الشراعي، وقالت: «وقد بدأ هذا الحلم يتحقق في صورة أولية، إذ أخذ بعض أرباب السفن الشراعية يبنون سفنًا في حجمها إلا أنها تسير بالمحركات الآلية، ولعلها تكون بداية طيبة لمشروعات أوسع».

وتعليقًا على الصورتين اللتين نشرتهما (البعثة) مع حديثها هذا، قالت: «وفي أعلى الصفحة صورة سفينة شراعية من نوع (البوم) الشائع استعماله، وتحتها صورة سفينة آلية حديثة على وشك الانتهاء، بناها الحاج ثنيان الغانم، ونجح في تجربتها نجاحًا مرضياً».

وهكذا نرى الرجل يقدم مبادرة من مبادراته المفيدة له ولوطنه، وقد صارت سفن الكويت من نوع (البوم) تسير بالآلة منذ ذلك التاريخ، حتى توقف العمل في رحلات السفر بحكم تطور وسائل النقل البحري، وازدياد حركة وصول ومغادرة البواخر الكبيرة إلى البلاد مغنية عن تلك الرحلات الشراعية والآلية التي استفادت منها البلاد ردحًا من الزمن.

****

من آمال الشباب الكويتي [1]

هذه ملاحظات جمعتها من المجلد الخاص لسنة ١٩٥٠م من مجلة «البعثة» المعروفة. وهي ملاحظات تعبر عن رؤية أبناء الكويت الدارسين في مصر خلال تلك السنين لمستقبل وطنهم، وتنم عن آمالهم التي عبروا عنها من خلال مجلتهم.

لقد كتب هؤلاء الأعزاء خمس ملاحظات تتعلق بالنظرة المستقبلية للكويت، وقد جاءت هذه الملاحظات الخمس تحت عنوان الكويت في سنة ١٩٦٠م، فهم بذلك ينظرون إلى ما وراء الزمن، ويريدون أن يبدوا تصورهم لوطنهم بعد عشر سنوات من كتابة تلك الملاحظات التي كتبوها بأسلوب يدل على محبة الوطن والوفاء له.

تتناول الكلمات الخمس المتضمنة للملاحظات عددًا من الأمور التي كانت تلامس أنفس أولئك الذين كتبوها، وفي الكلمة الأولى حديث عن الكويت في سنة ١٩٦٠م فيما يتعلق بالتمريض والمرور، وهنا نطرح ما ورد فيها مع الحديث عما حدث في السنة المذكورة، ومدى مطابقة الآمال للوقائع.

تقول الكلمة الأولى تحت عنوان «الكويت عام ١٩٦٠م» ما يلي:

- نشرت جريدة «أنباء الخليج» الصباحية هذا الخبر في أنبائها تحت عنوان «ملائكة الرحمة»: «لقد كان الأمس يومًا من الأيام المعدودة في حياة الكويت السنوية

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٥.

فقد تخرجت الدفعة الخامسة الكبرى، من فتيات الكويت من معهد «التمريض والأمومة» ولقد كانت هذه الدفعة، من أكبر الدفعات وأحسنها من حيث الدراسة والتمرين حسب تقرير الأساتذة المنتدبين.

هذا وإن المسؤولين في مديرية الصحة قد صرحوا بأن مستشفيات ومستوصفات الإمارة ما زالت بأشد الحاجة لخريجات هذا المعهد، وهناك فكرة لديهم لتوسيعه بحيث يسع أكبر عدد ممكن من الطالبات.

- جاء في تقرير إدارة الشرطة السنوي وصفًا إجماليًا عن حالة الأمن والنظام والهدوء السائدة في البلد، ونقتطف منه بعض الفقرات الخاصة بالطرق ونظام المرور.

«يلاحظ أنه في هذه السنوات الأخيرة، قد قلت حوادث الاصطدامات التي تسبب خسائر فادحة في الأرواح والأموال والسبب في ذلك يرجع إلى السياسة الحازمة التي اتخذتها الإدارة عند منح رخص قيادة السيارات، وكذلك مشاركتها إدارة البلدية في توسيع أرصفة الشوارع وتخطيطها وتنظيمها وتقسيمها وعدم السماح للجمهور إلا بالسير على الأرصفة ولا ننسى الأهمية العظمى التي جنتها حركة المرور من عمل الأنوار الكهربائية الأوتوماتيكية في تقاطع الشوارع والميادين المهمة فكان لها الفضل الأكبر في تنظيم حركة مرور السيارات».

وفيما يتعلق بموضوع التمريض فإن تحقيق الأمر تجاوز السنة المستهدفة ليصل إلى سنة ١٩٦٢م، ولا بأس من الحديث عن هذه المسألة تفصيلاً.

فالواقع أن دائرة الصحة العامة أحست منذ نشأت في سنة ١٩٣٦م بحاجة العمل في المجال الصحي إلى عدد كبير من الممرضات. فهي ترى فيهن الساعد اليمين للطبيب والعين الساهرة على المريض، وبدون وجود الممرضة يكون العمل ناقصًا لا يؤدي إلى ماتتوخاه هذه الدائرة من نتائج تدفع غائلة الأمراض وتشيع الصحة في كل مكان.

لذا فإنها كانت تضع نصب عينيها البحث عن وسيلة يتحقق بها حصول الجسم الطبي على حاجته من هذه الأيدي الرحيمة، ولم تجد - بعد بحث - إلا أن تقوم بإنشاء معهد يخرج الممرضات تابع لها، وبين عينيها في الكويت. فكان لها ما أرادت، إذ قامت في سنة ١٩٦٢م بدعوة الدكتورة سعاد حسين إلى الكويت لتولي هذه المهمة، وكانت يومها عميدة كلية التمريض بجامعة الإسكندرية. وقد حضرت إلى الكويت وباشرت بوضع اللبنات الأولى لإنشاء معهد الكويت للتمريض، وصارت مديرة له فترة طويلة من الزمن.

تم افتتاح هذا الصرح الحيوي في اليوم السابع والعشرين من شهر أكتوبر لسنة ١٩٦٢م، وتم افتتاحه في مبنى تابع لمستشفى الصباح كان مخصصًا لنادي الأطباء، وقد احتفت وزارة الصحة العامة كثيرًا بهذا المعهد، وقدمت له كافة المساعدات التي تؤدي إلى نجاحه، مذللة كل الصعاب، مقدمة كل الإغراءات التي تدفع الطالبات إلى الإقبال على الدراسة فيه. وعلى العمل فيما بعد تخرجهن في المجالات المختلفة التي تقع تحت مسؤولية الوزارة.

كان المعهد في بداية أمره لايفرق في القبول بين الطالبات، فقد كان يقبل الطالبة الكويتية، كما يقبل غير الكويتية، بل لقد زادت في بعض السنوات أعداد غير الكويتيات على زميلاتهن من بنات الكويت، ونظرًا للنجاح الذي شهده معهد التمريض، فقد قامت وزارة الصحة بافتتاح فرع منه لتخريج الممرضين، وقد نجحت هذه التجربة نجاحًا كبيرًا دلت عليها كثرة الأعداد من الطلاب الكويتيين الذين صاروا يتقدمون سنويًّا إلى الدراسة في المعهد، فتزداد أعداد الخريجين سنة بعد أخرى.

ولم يكن القبول في معهد التمريض قاصرًا على طالب الالتحاق من الكويت بل كان يستقبل أعدادًا من دول الجوار بناء على رغبة بعض هذه الدول، وفوق ذلك

فإن وزارة الصحة العامة كانت تقدم الكثير من المنح الدراسية لطالبات عدد من الدول غيرها.

مما يسعد وزارة الصحة العامة أن أول ثلاث خريجات من الحاصلات على بكالوريوس التمريض في الخليج كله كن من الكويتيات خريجات معهد التمريض، كانت وزارة التربية قد أرسلتهن لإكمال دراستهن في الخارج وهن: شيخة عيسى المذن، وعواطف عبدالله القطان، وعايشة صالح السعدون وكان ذلك في سنة ١٩٦٩م وقد تخرجن في المعهد العالي للتمريض في جامعة القاهرة. بل لقد حصلت شيخة عيسى المذن على أول ماجستير في التمريض تحصل عليه واحدة من بنات الخليج، وذلك في سنة ١٩٧٩م من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا سجل معهد التمريض في الكويت أولويات في مجال العمل بالتمريض وفي مجال الحصول على الدراسات العليا فيه. ولايزال هذا المعهد منذ تأسيسه في سنة ١٩٦٢م، يوالي عمله المهم ويمد الجهات الطبية في البلاد بحاجتها من المرضين والممرضات.

اما الجزء الآخر من مضمون الكلمة وهو الخاص بمسألة المرور فقد وجدنا في سنة ١٩٦٠م إشارة إلى عمل جديد قامت به الدائرة المختصة، ودل على أن ما ورد في التطلعات المنشورة في البعثة قد سبق الزمن بدليل أن رئاسة الشرطة والأمن العام قد رأت في سنة ١٩٦٠م أنه ينبغي تغيير لوحات أرقام السيارات المعمول بها آنذاك.

وجدير بالذكر أن التفكير باستحداث اللوحات الخاصة بأرقام السيارات إنما هو دليل على استتباب العمل في هذا القطاع المهم، وتأكيد على تحقيق الأمل المنشود المنوه عنه في الكلمة التي نقلناها عن مجلة البعثة.

وكان الموضوع الثاني مما توقعه كاتب هذه الفقرات عن بلدية الكويت في سنة ١٩٦٠م، وقد ورد فيه ما يلي: استطاع أحد محرري جريدة «الكويت» اليومية أن

يحصل على حديث شامل من حضرة مديرة بلدية الكويت، وها نحن أولاء نلخص هذا الحديث:

ابتدأ حضرته بالكلام عما يلاقيه من صعوبات ناشئة عما وجده من ضيق الشوارع التي فتحت في السنوات الماضية مما اضطر البلدية إلى وضع مشروعات جديدة لتوسيعها مرة أخرى، وأشار إلى ما لاحظه من قلة الميادين وسوء تنظيم الأسواق، مما لم يعد يتحمل الضغط المتزايد من السكان والسيارات ووسائل النقل المختلفة.

ثم أطلع حضرته المحرر على إحصائيات ورسوم بيانية تدل على النقص المتوالي في حوادث الحريق بسبب اتباع الوسائل الحديثة في مكافحة الحرائق والوقاية منها.

وكان أمجدُ عملٍ قامت به البلدية في السنوات الأخيرة هو تجميل المدينة بغرس عدد كبير من الأشجار في الشوارع العامة والميادين الكبيرة مما كان له أثر كبير في إكساب المدينة رونقاً أخّاذا. كما ساعد على تخفيف وطأة الحر الشديد وأصبحت المدينة بعد هذه الإصلاحات حية تنبض بالشباب والمرح بعد أن كانت صحراء ميتة قاحلة».

وبالطبع فإننا لا نحتاج إلى القول إن جريدة الكويت اليومية المشار إليها لم تصدر في سنة ١٩٦٠م، بل صدرت جريدة «الكويت اليوم» الرسمية الأسبوعية منذ سنة ١٩٥٤م، كما صدرت جريدة «الرأي العام» الأهلية في اليوم السادس عشر من شهر أبريل لسنة ١٩٦١م.

أما من حيث أعمال بلدية الكويت فقد كانت في هذه السنة وما حولها كثيرة تفوق تصورات الكاتب الذي حصر توقعاته في تنظيم الشوارع والأسواق وتشجير

الطرقات والمطافي، في الوقت الذي قدمت البلدية فيه أكثر إنجازاتها، بل إن مجلة البعثة نفسها قد نشرت في شهر أبريل لسنة ١٩٤٧م. خبراً عن قرب افتتاح الشارع الجديدة (شارع عبدالله السالم) وقدمت له وصفًا كاملًا من واقع البيانات التي وردت إليها من بلدية الكويت، ونحن نسوق خبر هذا الشارع بصفته دليلًا على أن أعمال البلدية كانت قد بدأت في الاتساع منذ سنة ١٩٤٧م، وأن هذا الشارع كان في سنة ١٩٥٠م وهو سنة نشر التوقعات قائمًا عامرًا مليئاً بالحركة والنشاط التجاري، وبذلك نرى أن تحرك بلدية الكويت على كافة الأصعدة كان أكبر من الآمال التي عقدها عليها كاتب الملاحظات.

أما ما يتعلق بالاطفاء فقد كان الوضع غير ملائم في سنة ١٩٥٠م ولكن سنة ١٩٥٤م هي البداية لكي تحضر بلدية الكويت سيارة خاصة له بعد أن كان الاعتماد على الوسائل البدائية، واستمر التطور كما توقع الكاتب إذ تم الاتساع في تقديم هذه الخدمة المهمة، ولم تأت سنة ١٩٦٤م حتى صارت في البلاد مراكز متعددة لهذا الغرض وصل عددها إلى اثني عشر مركزاً موزعة على مختلف المواقع في البلاد.

وأما ما يتعلق بالزراعة والتشجير فقد تطور الأمر بالنسبة إليهما، وانتقلت في الفترة المشار إليها مسؤولية هذين العملين إلى دائرة الاشغال العامة التي استحدثت قسما اسمته: قسم الزراعة تولى العناية بكل ما يتعلق بهذا الأمر مما أحال خيال الكاتب إلى حقيقة.

ويكفينا للدلالة على ما تحقق في مجال الزراعة أنه في اليوم التاسع من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦١م انضمت الكويت إلى منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة، ولو لم تكن قد تقدمت في هذا المجال لما كان بالإمكان تقدمها بطلب الانضمام إلى هذه المنظمة الدولية.

وأما ما كتبه الكاتب بعد ذلك عن توقعه للكويت في سنة ١٩٦٠، وهو ما ورد في كلمته الثالثة ففيه: «لقد ألقى الدكتور السويسري الكبير مساء أمس محاضرة في قاعة البلدية للاجتماع والتمثيل. حضرها جمهور كبير من أفراد الشعب، ومن طلبة المدارس ومدرسيها، ولقد كانت محاضرة الدكتور السويسري. الذي انتدبته مديرية الصحة بالكويت ليفتش على مستشفياتها ومستوصفاتها ويبدي رأيه في نظام وسير عملها عن أثر الغبار على الصحة العامة في الكويت أتعلمون ماذا طالب به الدكتور الكبير في أثناء محاضرته؟ لقد طلب من مديرية الصحة أن توجه عنايتها إلى تعبيد الشوارع والميادين بالأسفلت ورش الطرق وتنظيفها دائمًا وعدم السماح بكنسها في أثناء وجود الحركة فيها أثناء الليل وأوائل النهار لأن ذلك مما يثير الغبار المضر للصحة والناقل لكثير من الجراثيم والمكروبات والعدوى بالكثير من الأمراض.

ولقد أخبره أحد المستمعين أن تعبيد الطرق من شؤون البلدية وليس الصحة!.. فكان رده: إن الوقاية خير من العلاج ومتى توقينا الغبار فقد قَلَّت أمراض العيون والأمراض الصدرية والتنفسية والحنجرية. فيمكننا أن نقلل من عدد أسرّة السل في مستشفيات الكويت، وأن يحافظ أهل الكويت على صحة وجمال عيونهم المصابة بالمرض».

اتخذ الكاتب موضوع الصحة العامة ليكون سبيلًا إلى الحديث عن ضرورة الوقاية من الأمراض عن طريق تلافي آثار الغبار التي تثيره الأتربة في الشوارع، وكان توقعه هو الدعوة التي تبناها الطبيب الزائر وهي ضرورة تعبيد الشوارع والواقع أن الشوارع قد بدأ تعبيدها في بداية الخمسينيات ونهاية الأربعينيات،

ولم تأت سنة ١٩٦٠م وهي السنة المستهدفة حتى كان أغلب شوارع المدينة معبدة محققة للآمال التي تخيلها الكاتب في سنة ١٩٥٠م، وكانت إشارته إلى مستشفيات الكويت ومستوصفاتها في محلها، حيث أنشأت دائرة الصحة المدرسية، وأنشئ في سنة ١٩٥٢م. مصح الأمراض الصدرية، وقسم الأسنان، وافتتح في سنة ١٩٥٣م مصح الأمراض الصدرية للنساء، ولم تأت سنة ١٩٦٠م حتى تم إنشاء عدد من المراكز الطبية العلاجية والوقائية في طول البلاد وعرضها.

ولم تخرج الفقرة الرابعة في فقرات التطلع إلى سنة ١٩٦٠م التي أشرنا إليها عن موضوع الصحة العامة، فقد تحدث كاتبها فيها عن اهتمام دائرة الصحة العامة بالرعاية الصحية في القرى الكويتية التي كانت متناثرة يصعب تقديم الخدمات إليها بسبب سوء المواصلات، ولكن الوضع اختلف فيما بعد وبخاصة منذ بداية الخمسينيات، وحتى لا نستبق أقوال الكاتب فإننا نثبتها فيما يلي:

«لقد كانت القرية في الكويت وبخاصة في الفترة الأخيرة الماضية، مهملة غاية الإهمال، ومع أن التحسن قد أدخل على جميع مناحي الحياة في مدينة الكويت إلا أن نصيب قراها كان النسيان الشديد، ولكن صحة الكويت كانت السابقة إلى الاهتمام بالحالة الصحية في القرى. فنجد الآن في كل قرية مركزاً صحيًا صغيرًا نظيفًا ونجد في كل يوم يمر على القرية، طبيب الشؤون الريفية بصحة الكويت يصاحبه أحد ممرضيه فيكشف على مرضى القرية المتجمعين أمام المركز الصحي، ويصرف لهم الأدوية ويأمر لهم بالعلاج، ويفتش القرية تفتيشًا صحيًا سريعًا ثم ينتقل بسيارته الخاصة إلى قرية أخرى، وهكذا يقضي اليوم متنقلًا من قرية لأخرى، فكان من جراء ذلك أن ارتفع مستوى القرية الصحي، وقل الذباب، واختفت

القذارة من شوارع القرى، وأصبحنا لا نجد العيون المريضة ولا الأمراض المعدية المتفشية بين القرويين. لأن المريض بمرض خطر معد، أو الذي لا يمكن علاجه خلال ٤٨ ساعة ينقل في الحال إلى المستشفى الرئيسي في المدينة».

وفي الواقع أن القرية الكويتية لم تكن مهملة على الصورة التي أشار إليها كاتب الملاحظة، بل لقد كانت دائرة الصحة العامة مهتمة بها منذ أن نشأت، فكانت ترسل عيادة متنقلة تدور بكل معداتها مع طبيب وممرض لمعالجة من يحتاج إلى علاج من سكان القرى إلى أن جاء وقت نشأت فيه المستوصفات هناك فصار الأهالي يجدون حاجتهم من العلاج في مواقع سكنهم. ثم إن طبيعة هذه القرى قد تغيرت في سنة ١٩٦٠م فأصبحت مدنًا عامرة تطورت بعد ذلك إلى أوضاعها التي هي عليها اليوم.

تحدث الكاتب أخيرًا عن شرطة الكويت بحسب الوضع الذي توقعه لها في سنة ١٩٦٠م، وهو بسبب وجوده في مصر فقد كان يطلق على الشرطة اسم البوليس كما سوف نرى، وهذه التسمية لم تعد مستعملة في مصر إذ تم إلغاؤها وإبدالها بكلمة: الشرطة، منذ سنة ١٩٥٨م حين تمت الوحدة بين مصر وسورية فكان هذا الأمر من آثارها. يقول الكاتب متوقعًا زيارة عدد من الصحفيين للكويت في السنة التي اختارها وهي سنة ١٩٦٠م: «زار الكويت في الأسبوع الماضي وفد من الصحفيين وهذا مقتطف مما نشروه في صحفهم العديدة. إنه ليوم مشهود، وذلك هو اليوم الذي زرنا فيه بوليس الكويت. فالبوليس الكويتي مزود بالاسلحة الجديدة السريعة الطلقات والتي هي من أحدث ما أنتجته مصانع الغرب والكويت.

إن البوليس الكويتي قد وصل إلى مصاف البوليس العالمي في حسن النظام وكفاءة الأفراد. لقد لفت نظري وحاز إعجابي دقة ونظام البوليس الكويتي في

جميع أقسامه ومراكزه التي زرناها في العاصمة والقرى.. دعانا رئيس البوليس الشاب إلى جولة تفتيشية في سيارته. وكم أدهشتنا براعة رجل البوليس في الكويت وقدرته على اكتشاف الجرائم والتغلب على العقبات التي تعترض سبيله بيسر وسكينة. هذا وقد أطلعنا جناب الرئيس على المحاضر والبلاغات فكانت كلها منتهية كالآتي:

تمكن البوليس بعد التحريات الواسعة النطاق من وضع يده على الجاني.

هذا ومما هو جدير بالذكر أن جميع ضباط ومدربي البوليس من الكويتيين».

وهذا الذي تخيله الكاتب عن شرطة الكويت في سنة ١٩٦٠م لم يكن بعيدًا عن الواقع، فقد شهد قطاع الأمن تطورًا كبيرًا في هذه السنة، وتعددت مراكز الشرطة وعمّت البلاد كلها، وكثر أعداد الرجال العاملين فيها وكانت جهودهم بارزة، والواقع أن النظام الأمني في الكويت كان ممتازاً قبل ذلك بسنين عديدة، فمنذ أيام الشيخ مبارك الصباح الذي حكم البلاد من سنة ١٨٩٦م حتى سنة ١٩١٥م، فكان الأمن في الكويت آنذاك مضرب الأمثال، وقد روى تاريخ تلك الفترة الكثير من الأحداث التي استطاع النظام الأمني الكويتي السيطرة عليها أو اكتشافها قبل أن تتحول إلى حدث، ولذا فإنه ليس من المستغرب أن تتطابق آمال كاتب مجلة البعثة مع واقع شرطة الكويت.

وبعد فإن هذه الفقرات الخمس التي قدمناها انما تدل على أن أبناء الكويت في تلك الفترة كانوا يتطلعون بكل الأمل إلى مستقبل وطنهم، ويعيشون وهم على مبعدة منه وكأنهم لم يغادروه، وهذه الأفكار التي ساقها كاتبها استباقًا لسنة ١٩٦٠م إنما هي دليل على كل ذلك.

ومما تجدر بنا الإشارة إليه هنا أن مجلة البعثة كانت كثيرة التطلعات إلى المستقبل، وكأنها تسعى إلى حفز نفوس أبناء الكويت، وإشعال الرغبة إلى التقدم فيهم والعمل لما فيه مصلحة الوطن مثلما رأينا في الكتابات التي استعرضناها معًا في هذا المقال، ومثل ما رأينا فيها منذ صدرت لها أعداد سنة ١٩٤٨م حيث قامت بنشر برامج متوقعة لإذاعة الكويت التي لم تكن قد نشأت آنذاك إذ من المعروف أن هذه الإذاعة إنما تم افتتاحها رسميًّا في اليوم الثاني من شهر فبراير لسنة ١٩٥٢م، ولكن مجلة البعثة استمرت في نشر برامج لإذاعة متوهمة، ولم تتوقف عن نشر هذه البرامج حتى بدأ صوت إذاعة الكويت يصل إلى الأسماع، وكانت المجلة تضع تعبيرًا منها عن الأمل بيتًا من الشعر يقول:

منًى إن تكن حقًّا تكن أطيب المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وصدقت البعثة حين تحققت المنى.

****

المكان في شعر الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين [1]

المكان جزء من البيئة التي يعيش فيها الأديب بصورة عامة والشاعر بصورة خاصة، ولذا فقد وجدنا له دورًا مهمًّا في الأدب في مصادره المختلفة عربية كانت أو أجنبية، وقد تحدث كثير من النقاد عن الدور الذي برز للمكان في كثير من الأعمال الأدبية والأشعار، وعلّلوا ذلك بالارتباط العاطفي الذي يحس به الأديب والشاعر تجاه الأرض التي يعيش عليها، ويرافق فيها أصدقاءه الذين يمضي معهم فترة من الزمن، وكذلك أهله المقيمين معه على ثراها، وألف عدد من قدماء الأدباء العرب كتبًا في هذا الخصوص تحت مسميات عدة منها كتاب «الحنين إلى الأوطان».

ولذا فلا عجب أن تجد شاعرًا كويتيًّا يتأثر تأثرًا كبيرًا بالمكان الذي عاش فيه، ثم يذكر هذا المكان في شعره، وصفًا له أو حنينًا إليه، أو استذكارًا لمن عاش معه فيه ومن هؤلاء الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين الذي تجد في شعره اهتمامًا بذكر المواطن التي عاش فيها، ونرى في هذا الشعر صورة جميلة لذكرياته في تلك المواطن لقد كانت له علاقات كثيرة وطيبة مع عدد كبير من أبناء البلاد بسبب رغبته في الاتصال بالناس، وارتباطه بأبناء الفريج الذي عاش فيه، وبسبب الأعمال التي قام بها، وبخاصة في رحلات السفر التي تجمع في اليوم الواحد عددًا من الرفاق لا ينتهي أمد الرحلة إلا وقد صاروا إخونًا متآلفين.

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٢.

ولد الشاعر عبداللطيف الديين في القسم الشرقي من العاصمة في فريج المسعوسي، وذلك في شهر يونيه لسنة ١٩٢٠م، ثم انتقل بانتقال أسرته إلى القسم القبلي، وقد حلّت الأسرة في فريج الزنطة المتاخم لفريج الشاوي، يقول عن هذه الفترة: «ثم انتقلت مع والدي إلى محلة القبلة في الزنطة، والزنطة (بكسر الزاي) اسم آبار مياه يملكها ناصر البسام، وهي بالتحديد الساحة المقابلة لقصر العدل الحالي، درست في مدرسة ملا محمد بن ملا أحمد الحرمي، وقد تمكنت من قراءة القرآن الكريم، ثم تحولت إلى المدرسة المباركية، وتعلمت فيها ما كان متوافرًا آنذاك، ثم تركت الدراسة أنا ومجموعة من الزملاء والأتراب، ولكن أغلبهم عاد إلى الدراسة مرة أخرى بعد مجيء أول بعثة للتدريس من الخارج، ولم يحصل لي شرف العودة لظروف خاصة بي: خضت معركة الحياة مبكرًا برًّا وبحرًا كما هي حال رجال الكويت لكسب المعيشة، وعلى الرغم من هذه المشاغل فقد كنت مولعًا بسماع وحفظ الشعر النبطي، وكنت حافظًا لعدد من قصائد الشعر الفصيح الذي تلقيته في المدرسة، ومن بعض الكتب التي وجدتها في بيت أخوالي الجراح».

طور هذا الشاعر نفسه بالقراءة ومجالسة أهل العلم وعدد من الشعراء الذين سبقوه إلى هذا الميدان، وبعد برهة أصبح ذلك الشاعر المبتدئ شاعرًا متقدمًا يشار إليه بالبنان وأصبح ينظم الشعر النبطي وينظم الشعر الفصيح، وطبع له ديوانان أحدهما اشتمل على المجموعة النبطية وضم الآخر مجموعة الفصحى، وقدّم للأول منهما بمقدمة مفيدة شرح فيها ظروفه وبداية حياته، مع ذكر بدايته مع الشعر.

من قصائده النبطية الجميلة هذه القصيدة الغزلية التي أنشدها في سنة ١٩٧٠م، وبدأها ببداية عجيبة، فهو قد رأى الكثير من الشعراء يتحدثون في مطالع قصائدهم عن إرسال رسائلهم إلى من يحبون ذاكرين وصف الناقة التي يمتطيها المرسل، وقد استبدل الديين الناقة بشيء حديث هو السيارة، فهو يريد أن يرسل

رسالته بهذه الواسطة دون غيرها ليكون ذلك أسرع في الوصول، وفي بداية هذه القصيدة نراه يتحدث عن السيارة التي كان يطلق عليها اسم (الموتر):

له هيكل من صافي الصلب مصبوب
يطوي الوطا لي فرّحرش الدواليب
به سايق كنه على الكشن مصلوب
كلما وطا البنزين سوّى الاعاجيب

ولعبداللطيف الديين نظرات مدهشة في الحياة وفي الناس، فهو قوي الإحساس بما حوله فتراه معبرًا أصدق تعبير عما يحس به، ولعل أبياته التي سوف نقدمها له من أدل شعره على ذلك فهي أبيات قصيرة ولكنها تشرح معنى كبيرًا لا يجيد التعبير عنه بهذا الإيجاز والإتقان إلا شاعر ماهر، فهو يصف في هذه الأبيات الرجل الناكر للجميل الذي يدعي على الرغم من ذلك معرفته بكل شيء، وقيامه بما يجب عليه تجاه الناس، ويردد دائمًا ما يوحي للسامع أنه من الإخلاص والصدق بمكان ولكنه - في الحقيقة - بعيد عن ذلك، ولذا فالشاعر يحذر الناس من الاغترار به، ويقول إن الحر لا يصاد في كل مرة، ومن جرب الوقوع في الشرك فإنه لا يعود إليه مرة أخرى، وهذا الحر هو من يصعب على الناس جره إلى المشكلات حيث إنه لا يرقد عما يدور حوله من أحداث، أما المذفري (ناكر الجميل) فاتركه بخيره وشره، فهو معتاد على الكذب، يتكسب بما اعتاد عليه من هذا الكذب، يوحي للناس دائمًا أنه حريص على مصالحهم محب لهم لكي يستفيد منهم قبل أن يفيدهم كما يدعي وهذا المذفري يسرد عليك كثيرًا من الكلام، ويعطيك بأقواله الكثير من الآمال حتى لكأنه وصل إلى المجرة؛ حتى يحصل منك على حاجته ثم تراه بعد ذلك صادًّا عنك كأنه لم يعرفك، ثم يطلب الشاعر من الشخص الذي يوجه إليه كلامه هذا، أن يخبر المذفري بأن يبتعد عن أعماله هذه، وأن يستمع إلى هذا الإنذار، فلا يفتر بصحو السماء، فينام في بطون الأودية عرضة لتغير الجو عليه، وهطول الأمطار التي هي ما سوف يتعرض

له من كشف لأستاره من قبل هذا الشاعر الذي ينظم شعره على جميع الأوزان، المتفنن المتقن لشعره.

الحر ما ينصاد في كل مرَّه
لو انصاد مرَّه ما بعدها بينصاد
ولا ظنتي يسهل على الناس جرَّه
ما هوب عن ما دار حوله ابرقَّاد
والمذفري خله ابخيره وشرَّه
رزقه من لسانه على الكذب معتاد
مشرد حكي يوصلك حتى المجرَّه
إلحاجته ويصد إن نال ما راد
جاه النذير أو خبَّره لا يغرَّه
صحو السما وينام ببطن الأوهاد
من ناظمٍ للشعر لله درَّه
ينظم على كل الطواريق واستاد

وإذا أردنا الحديث عن هذا الشاعر، وطبيعة شعره وما يتميز به من ميزات فإن المقام يطول بنا، لذا نعود إلى موضوعنا الذي أشرنا إليه في العنوان وهو شعره في المكان. والواقع أنه لم يتحدث عن المكان فحسب، بل تحدث عن أهل المكان الذين وجدهم لا ينفصلون عن مكانهم.

ومن ذلك أنه عندما انتقل من سكنه في فريج الزنطة من منطقة القبلة، وحل في منطقة الفيحاء، ثم في ضاحية عبدالله السالم، كان يتردد على الفريج القديم، ويتذكر أيامه الخوالي فيه، ويقف على أطلاله مبديًا أسفه لما تغير منه.

وبعد عشر سنين مرَّ بداره القديمة في العاصمة، وقد هاله ما رآها عليه، فأخذ يندب الدار وينوح على حالها ويرد على عذوله الذي أخذ عليه هذا الموقف

وطلب منه الكف عن النحيب، فهو يتذكر الزمان، الذي تزامن مع شبابه وفتوته، ويتذكر أصحابه في ذلك المحفل الذي يلقاهم فيه فيقول:

اللوم يا عاذلي ما يحل لي مشكل
هل يا ترى بالعذل تنحل الإشكالي
إلى من طرالي زمان فاتني سلسل
دمعي على الخدّ يا مشاكي همالي
عصر الشاب الذي قفًا ولي بدل
ملاعب الشوق يوم الوقت يزهالي
قف يا نديمي على أطلالها وامهل
دعني أردد بها شعري وموّالي
دعني أناجي صدى مغنى حبيب حل
في ضامري وقام زوله دوم يبرالي
يا طال مازرتها يوم ان لي محفل
إلى من لفيته ثقيل الهم ينجالي
من خلة حسبهم من زارهم ما مل
من كل شهم محله المنزل العالي

وفي قصيدة أخرى وقف على أطلال الحي القديم متذكرًا أولئك الرجال الذين عاش معهم فترة من الزمن، وهم كما وصفهم رجال ذوو شهامة يساعدون المحتاج، ويقفون مع المظلوم حتى تنتهي ظلامته، ولكنهم اليوم غير الأمس.

وان جاه شاكي الحال ما داخله زوم
يلقاه بالترحاب ويقضي لزومه
اضحت مساكنهم بها يصفر البوم
واستخشنت من عقب ذيك النعومه
يا ملعب ما داج به قط مذموم
ولا دنست مغناه دبكة وسومه

مريت من بعد العصر قبل كم يوم
ويلاه من بلواه تدمي كلومه
امبعثر الحيطان والسقف مهدوم
يبكي زمان فات ويندب اقرومه

ولم تكن المسألة عنده مسألة مكان فحسب، فهو كما رأينا يخص أهل المكان بالذكر والوصف إضافة إلى ذلك فهو لا يفرق بين أصحابه أبناء الفريج فكلهم في نظره سواسية ما دام يعيش معهم ويأنس إليهم ويجالسهم، وذلك فإننا نراه يقول:

أسائل الدار هل فيها بقالي
من الخلان من يبرد لظاها
تمخلت ما بقا فيها نديم
إلى من أسعرت كبدي طفاها

كما نراه يرثي أحد أصدقائه في الحي وهو المرحوم سالم مسعود المشعوف الرقدان، وقد تحدث عن مجيئه إلى المجلس المعتاد الذي كان يجلس فيه مع أصحابه ولما وجد الجالسين يتساءلون والدموع متحجرة في أعينهم سألهم عن الخبر، فعلم منهم بوفاة صديقه يقول:

يوم الأحد مرّيت كجاري العاد
في مجلس انا وصحبي نروده
والا الربع ما بين مخبر ونشاد
والكل دمعه حاير في اخدوده
قلت الخبر؟ قالوا نخبرك يا واد
مات «السلم» واحنا لموته شهوده
قلت الخبر ذا صح؟ قالوا لي أوكاد
قلت اسمعوا والدمع عيني تجوده

يا مجلس ضميتنا جمع وأفراد
مدها لنا وفي كل يوم نعوده
عقب «السلم» ما لذ لي فيك مقعاد
لو كنت مثل الروض تزهى وروده

إضافة إلى كل ذلك نراه حريصًا على التعبير الانتقادي عن كل ما يراه غير ملائم في البلاد، ومما جاء في شعره حديثه عن المجاري في وقت بداية العمل بهذا المرفق، إذ لم تكن التنظيمات ولا الاستعدادات كافية، ولكن الناس يريدون الراحة، ويرفضون أن يكدرهم أمر كهذا الأمر الذي ينبغي أن ينال الاهتمام، وفي ذلك يقول:

بيننا وقسم المجاري
دايم لحساب جاري
كلّما قلنا خلصنا
ومن الاعيبه ملصنا
جاء تنظيم ورعصنا
وغيروا كل المجاري
والعجب فيه انتغزل
ونفتخر في كل محفل
كنه تاويل منزل
أو صحيح من البخاري
انجرفنا ما درينا
وطارت الثروة من ايدينا
والملّا يضحك علينا
واحنا كِلْمتنا ما كاري

ومما هو متعلق بالمكان قصيدته عن لجنة الكشف التي كانت تقوم بمعاينة البيوت التي تحتاج إلى تثمين، وكان رأيه سيئًا في هذه اللجنة التي كان الحديث عنها كثيرًا بين الناس فيما يتعلق بالمساواة وعدم تفضيل مواطن على الآخر، وهي قصيدة تحتوي على عبارات قاسية بحق هذه اللجنة التي لا ندري الآن عن أعمالها شيئًا لأن الأجهزة المختصة لم تحتفظ ببيانات كاملة عن أعمالها، فذهبت الأعمال أدراج الرياح وبقي الحديث الدارج:

جار الزمان وبدّل الكيف تنغيض

وَقَعْ على وكر الشياهين شرياض

ومنها قوله:

حطوا لنا لجنة على الكشف تخصيص

وقالوا لنا ذي تنصف العام والخاص

واللي يبي التثمين غال يبي رخيص

لكن ترى اللجنة لها رايها الخاص

صرنا مع اللجنة مثل بالع الشيص

لو يدفعه في ماي ما نال مخلاص

بعد هذا لا بد أن نذكر أن ديوان الشعر النبطي الخاص بالشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين يضم قصائد ذات موضوعات متعددة ولكننا اخترنا من تلك القصائد ما هو متعلق بعنوان مقالنا هذا، ولذلك فقد اقتصرنا في الحديث هنا على ما نظمه الشاعر حول المكان، وحول بعض الأشخاص المرتبطين به. وقد آن لنا أن نلقي نظرة على ديوانه الذي يضم شعره الذي كتبه بالفصحى، وقد وجدنا فيه عددًا من القصائد التي يتحدث فيها الشاعر عن الأمكنة التي شهدها في بداية حياته، وهو يفضلها على ما يراه من مظاهر جديدة، ولا يلام في ذلك فإن ذهنه

ارتبط بالمكان القديم الذي عاش فيه طفلاً ثم شابًّا وأخيرًا وجده يتغير ويلبس لباسًا غير لباسه القديم:

لكنني مغري بسابق عهدها

بالرغم من عبثي به وجماحي

أيام أخطر في مغانيها التي

كانت مراتع غدوتي ورواحي

ملهاي في عصر الطفولة والصِّبا

ومناط آمالي بها ونجاحي

لم انس (وطيتها) ورمل (نفودها)

وملاعبي ما بينها ومراحي

ارتاح من ممشاي في ساحاتها

واعدّ ذلك نزهتي وفلاحي

ثم ها هو يتكلم عن الكويت بعامة مشيرًا إلى تاريخها بقوله:

إذا النسيم سرى من حول كاظمة

روى الحديث بنشر عن روابيها

وإن جرت نسمة من نحو ساحلها

روت لنا ذكريات عن جواريها

أيام كان سبيل البحر موردها

وسورها حاميًا من شر غازيها

لكنه يطلق آهات عالية معبرة عن حسرته عندما شاهد الآلات تهدم سوق الخضرة القديم الذي كان يمتد من براحة بن بحر غربًا إلى ساحة الصرافين شرقًا بموازاة سوق الغربللي، وكان ذلك السوق رمزًا تراثيًّا للكويت القديمة يقبل عليه الكثيرون لما فيه من بضائع متنوعة ولما له من دلالة على الماضي، وقد كان لا بد من أن يتغير به الحال لأن مبانيه الطينية بدأت في الانهيار، مع مضي الزمن، والذين

بكوا هذا السوق لم يكونوا يظنون أنه سوف يعود إليهم بصورة جديدة جميلة، بل ظنوا أنه سوف يزال دون أن يحل محله مبنى مماثل. وهذا الظن هو الذي دفع الشاعر عبداللطيف عبدالرزاق الديين إلى رثاء سوق الخضرة:

أطلقت آهاتي بسوق الخضرة
مصحوبة مني بسائل دمعتي
لهفي وهل يجدي عليك تلهفي
أو زفرتي الحرى وصادق لوعتي
اسفي على عصر مضى لك مشرق
يتجوّل الرواد فيك ببهجة

ثم يقول:

يتزاحمون على الشراء بهمة
مثل ازدحام النحل وسط خلية
ولهم ضجيج لا يمل سماعه
كضجيج طير قد لجا في السدرة
كل إلى ما يشتهيه مشمر
هذا يبيع وذا يفوز بسلعة
وبك الأحبة يلتقون فإن همُ
فقدوا اخاهم يسالون بلهفة
حيث الأولى حفظوا مقامك بينهم
ورأوك ركنا لاقتصاد البلدة
واليوم غادرك الزمان محطمًا
بعد الشموخ لقد دهيت بنكسة
قد كنت قلبًا للمدينة نابضًا
واليوم أضحى قلبها كالجثة

أما قصيدته التي جعل عنوانها «ذكريات الصبا» فقد جاءت قصيدة جامعة للحديث عن الأماكن الكويتية التي عاش فيها الشاعر، وكانت معبرة عن إحساسه بالمكان وشدة توقه إلى زمانه الماضي حين كان ذلك المكان عامرًا بمن كان فيه من الأهل والأصحاب ومن أبناء الكويت بعامة.

بدأها بقوله إنه يرفض اللوم في حبه لتلك الأماكن التي تحدث عنها مرارًا، بما فيها من مناظر كانت تجلب له المسرّة وبما بها من أصحاب وأحباب كانوا يعيشون أسرة واحدة يعين بعضهم بعضًا، ويتمتعون بأفضل السجايا، ثم تحدث عن الكويت في الربيع وفي الصيف وعن الوطية ذات الموقع المطل على البحر، وعن الجسرة التي كان نساء الحي يغسلن فيها الملابس، وهي الواقعة أمام مجلس الأمة على البحر مباشرة، وقد تم ردم الموقع الذي كان يعج بالنساء والأطفال في موسم الصيف، ثم يكمل قائلاً:

سقيًا لعهد الصِّبا والأنس ما بقيت
ذكراه عالقة فينا تباريـنا
عصر إذا ذكرت أيامه خفقت
منا القلوب فياسوها تاسّينا

ثم يقول:

لقد رمتنا النوى في كل ناحية
ولم نكن هدفًا يومًا لرامينا
رمت بنا عن مغانينا وأنديـة
كانت لنا فاستراح اليوم شانينا

أما قصيدته «نداء العاصمة» فكانت تعبيرًا عن تشوقه للزمان وللمكان في وقت واحد، واحتوت كذلك على بيان أسفه لمفارقة الناس الذين عاشرهم في العاصمة التي تحدث عنها في قصيدته هذه:

ملاعب أترابي وملهى طفولتي
فما زال قلبي في هواها متيما
منازل لا ينفك في القلب ذكرها
وقد صار ماضيها حديثًا مُرجَّما

ثم ينتهي إلى الحديث عن وضع العاصمة حاليًا، فهو لا يرى فيها إلا الحطام، وإلا بعض المعالم التي لا تكاد تبين وضعها في السابق:

تعيش بصمت موحش فكأنها
تقيم على الماضين بالصمت ماتما
تنادي وأصداء النداء ركامها
تناجي أميرًا بالمكارم قد سما

وهنا يوجه النداء إلى أمير البلاد آملاً منه أن ينقذ العاصمة من حالها، ويعيد إليها حيويتها المفقودة.

عبداللطيف عبدالرزاق الديين الشاعر الذي عبَّر بشعره النبطي والفصيح عن حبه للمكان، وتغنى به في أيام طفولته وشبابه، كان لا ينقطع - يومًا - عن زيارة تلك المغاني التي شهدها ولقي فيها أهله وصحبه وكان لا ينقطع عن الاتصال بمن بقي من هؤلاء إلى أن وافته المنية رحمه الله في اليوم الحادي والثلاثين من شهر يوليه لسنة ١٩٩٩م.

هذا، ولحبه الشديد للمواطن التي شهدت له تلك الأيام فإنه قام برسم خريطة دقيقة الصنع للعاصمة وما فيها من فرجان ومواقع متعددة، هي الدليل الوحيد الباقي لدينا لتلك الأماكن، وقد بذل فيها جهدًا كبيرًا، آملاً ألا يضيع من الزمن.

لقد كنت يا عبداللطيف محبًّا لوطنك وأهلك وأصدقائك وفيًّا لكل هؤلاء، ولذا يحق لك أن تعيش في الأذهان رمزًا من الرموز الوطنية الكريمة.

****

الماء والابتزاز [1]

لا أدري لمَ يُلحّ عليّ موضوع إسالة مياه شط العرب - كثيراً - في هذه الأيام. وأظن أن السبب في ذلك بعض ماسمعت من بعض أبناء البلاد الذين لم يقتنعوا بما حدث في سنة ١٩٥٧م حين رفضت الكويت الشروط العراقية التي تم وضعها في مقابل إسالة المياه إلى الكويت. والواقع أن المجلس الأعلى لإدارة شؤون البلاد الذي اتخذ هذا القرار ثم رفعه إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح كان على حق في ذلك وهو ما سوف يتضح فيما سوف يأتي من حديث.

إن المشكلات المثارة علينا من قبل العراق كثيرة، بل هم يضعون كل مشكلاتهم على عاتقنا وكأننا السبب في كل ما يحدث لهم وإلى اليوم نجد أعداداً منهم يتحدثون في الفضائيات أحاديث معادية لنا، والحق أنهم قد تأثروا جداً بفكرة الضم التي ابتدعها لهم ملكهم غازي فساروا عليها وأصبحت عنوانًا في أدبياتهم، ولقد خرجت إلى الوجود عدة كتب تؤيد وجهة النظر هذه، وعلى الرغم من أن بعض هذه الكتب قد نشر في تسعينيات القرن الماضي إلا أنها كانت عنصر تأييد لما جرى إبان الحكومات الملكية التي لا تعترف بها الحكومات اللاحقة، ولكن ما دام الأمر متعلقًا بالكويت فلا مانع عندهم من التأييد.

ضمن المحاولات التي كانت تهدف إلى طمس الحقائق أصدرت دار الرافد للنشر والتوزيع في لندن، وهي دار عراقية حكومية مغلفة بغلاف تجاري في سنة

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٩.

١٩٩٧م كتابًا من تاليف شخص اسمه نصيِّف الجبوري تحت عنوان «البركان المؤجل – أزمة الحدود العراقية الكويتية – جذور المشكلة وآفاق المستقبل «وهو عنوان يحمل تهديداً، وما علينا إلا انتظار البركان.

ومن ضمن الفقرات التي تلفت النظر في الكتاب قوله: «إنما بدأ (الكويت) يرفض حتى المشاريع الإنسانية التي تخدم بلده كي يبقى بعيدًا عن العراق، لقد كان واقعًا تحت تأثير الادعاءات البريطانية التي أقنعته بأن هذه المشاريع ليست إلا حيلًا عراقية للسيطرة على الكويت في المدى القريب، ومن الضرورة الاستعانة هنا ببعض الأمثلة ولعل أبرزها مشرع مد المياه العذبة من شط العرب إلى الكويت».

وقد استعمل المؤلف عبارة المشاريع الإنسانية التي تخدم بلده (الكويت) ولم يستطع أن يذكر إلا مسألة المياه المردود عليها، أما المسائل الأخرى، فلم تكن إلا طلب الأراضي، وعدم الموافقة على تحديد الحدود، ثم الحث على الانضمام إلى الاتحاد الهاشمي الذي تم بين العراق والأردن تحت هدف معلن هو الحصول على الأموال التي تسيِّر هذا الاتحاد من الكويت، لا رغبة فيها ولا في الاتحاد معها. ويبدو أن المؤلف – على عكس ما هو متوقع – يؤيد ذلك الاتحاد الذي وقف ضده كل الشارع العربي من خليجه إلى محيطه، ولكنه الآن يلومنا لعدم انضمامنا إليه.

ثم نراه ينسب رفض الكويت قبول المياه المشروطة بشروط مذلة مؤثرة على الأراضي الكويتية واستقلال البلاد إلى البريطانيين حتى يوحي بأن إرادة الكويت كانت مسلوبة، وهذا غير صريح إذ إن الفترة التي يتحدث عنها هي فترة الاحتلال البريطاني للعراق، بينما الكويت خالية من الاحتلال، وقد أثبتت الوثائق وقوف البريطانيين مع العراق ضد الكويت في كثير من المناسبات على عكس ما يدعيه الجبوري، ولعل الذي دفع الملك غازي إلى ما كان يعتزم القيام به أنه اطّلع على تلك التوصية التي كتبها الرائد هيربرت يونج القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني

في بغداد إلى حكومته في صيف ١٩٣٠م والتي تنص صراحة على أن تهدف بريطانيا إلى أن يبتلع العراق الكويت تدريجيًّا. فهذا هو موقف البريطانيين الذين زعم المؤلف أنهم يوجهون أمير الكويت للعمل ضد العراق بينما الواقع هو أنهم يمارسون هذا الدور لصالح العراق كما بدا لنا هنا.

ويقول فاول – المقيم السياسي في الخليج: «إن خبرتي كمقيم سياسي في السنوات الأربع الأخيرة عن اتجاهات الضباط البريطانيين الذين يعملون في الجمارك العراقية، أو إدارات الشرطة العراقية تعطيني انطباعًا واضحًا أنه – فيما يختص بالكويت – فإن هؤلاء الضباط بعيدون كل البعد عن النزاهة والتجرد، فهم – في الواقع – يبدون لي أنهم أكثر عراقية من العراقيين، وإذا كان لابد أن يتخذ قرار ما حول مسألة كويتية – عراقية من قبل ضابط بريطاني يعمل في العراق وآخر عراقي الجنسية يعمل في الحكومة العراقية فإن شيخ الكويت سوف يحصل على ربع الصفقة من العراقي، ولا يحصل على أي شيء من الضابط البريطاني العامل في العراق».

وهكذا نرى في أي صف يقف البريطانيون. وهذا غير ما سوف نشير إليه في موضوعات أخرى سوف يراها القارئ فيما بعد. لقد كان للكويت رأيها المستقل وكانت ترفض ما يأتيها به البريطانيون إن كان مخالفًا لمصلحتها وهكذا كان. وقد أثبتت الأيام صحة وجهة النظر الكويتية وكشفت الأحداث عن أمور كثيرة كانت حكومة الكويت تخشاها فيما لو قبلت الابتزاز العراقي المدعوم ببريطانيا.

كان الحديث عن تصور لنقل الماء بوساطة الأنابيب من العراق إلى الكويت حديثًا شائعًا منذ شهر أكتوبر لسنة ١٩٣٨م. ثم عاد الحديث عن هذا المشروع في شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٨م، حين عرضت شركة بريطانية اسمها (سانديكا) على الشيخ أحمد الجابر الصباح مشروعًا يقتضي إنشاء خط أنابيب من موضع يقع

على شط العرب يبلغ طوله ١٧٦ كيلو مترًا، وكلفته مليون وخمسمائة وأربعون ألف جنيه استرليني. ولم يهتم الشيخ أحمد بهذا العرض، ولم يتم بحثه. وقد توقف في هذه الأثناء الحديث عن ضخ المياه العذبة إلى الكويت بسبب الشكوك التي تحيط بالمطالب العراقية والخشية من استغلال حاجة البلاد المائية لفرض طلبات معينة ترفضها حكومة الكويت ويرفضها الشعب الكويتي كذلك. وعندما جاءت سنة ١٩٥٢م زار الشيخ عبدالله السالم الصباح بغداد فعرضت عليه الحكومة العراقية مرة أخرى تزويد الكويت بالماء، وعندما عاد طلب من الجانب البريطاني الذي كان يتولى الأمور الخارجية للبلاد الاتصال بالجانب العراقي والبحث في الموضوع، وتقول إحدى الوثائق البريطانية: إنه على الرغم من أن البريطانيين كانوا يخشون أن يؤدي هذا المشروع إلى تصاعد النفوذ العراقي في الكويت إلا أنهم بحثوا الأمر مع العراقيين على أن يكون ذلك مربوطًا بتخطيط الحدود بين البلدين، ولم يصل البريطانيون إلى نتيجة لأن المفاوضات طالت، وفي سنة ١٩٥٥م أدخل العراق عنصرًا جديدًا وهو أن العراق يريد أن يوسع حدوده بحرًا وبرًّا بعمق أربعة كيلو مترات بالإضافة إلى جزيرة وربة، ذلك العرض الذي قدّم إلى الشيخ عبدالله السالم في بغداد إبان سنة ١٩٥٢م كان عرضًا مغلفًا باللؤم، ولم تظهر نتيجة هذا اللؤم إلا بعد مضي عدد من السنين كما رأينا، فهم لم يذكروا له موضوع الأراضي آنذاك.

جاءت بعد ذلك مجموعة من المقترحات والمشروعات التي ظاهرها أن الجانب العراقي يريد أن يقدم الماء إلى الكويت وباطنها الطمع الشديد بالأراضي الكويتية مما يجعل حكومة الكويت في خشية دائمًا فيما إذا تحقق الحلم وجاء ماء شط العرب إلى الكويت أنه سوف يكون أداة ابتزاز دائمة ليس في الموضوعات المطروحة مسبقًا والتي عرفنا شيئًا منها، بل إن الأطماع سوف تكون أكبر بدليل أنهم زادوا في طلباتهم خلال المناقشات الطويلة التي بدأت في سنة ١٩٣٨م و١٩٤٨م وما بعدهما.

إلى هنا (سبتمبر ١٩٥٥م) كان الحديث منصبًّا على أن يقدم العراق الماء في مقابل استئجار بعض الأراضي الحدودية في أم قصر ووربة وما حولها، وكان هذا الأمر يلاقي مواجهة كبيرة معاكسة من الحكومة الكويتية ومن الأهالي.

وفي شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٥م قدمت إلى الحكومة الكويت مذكرة تناولت آخر ما تفتقت عنه أذهان حكومة العراق رابطة بين تقديم المياه الذي يفترض أن يكون أمرًا انسانيًّا بحتًا بموضوع الاستيلاء على أم قصر ووربة وما حولها تحت اسم الاستئجار طويل المدى بمبلغ سنوي مقداره دينار عراقي واحد (بابلاش) وتضمن العرض ما يلي «تحدد المادة الأولى المنطقة المؤجرة، وتحدد الإيجار السنوي بقيمة دينار عراقي واحد طوال مدة الاتفاقية (المادة الثامنة)، ينبغي تخطيط الحدود في هذه المنطقة فور توقيع الاتفاقية، وذلك وفقًا لتعريف سنة ١٩٣٢ (المادة الثانية)، تحتفظ الكويت بالسيادة على هذه المنطقة، في حين أن العراق يتولى مسؤولية الأمن العام وتطبيق العدالة (المادة العاشرة)، تحتفظ الكويت بحقها في كافة الموارد المعدنية في البر، وفي مياه المنطقة المؤجرة (المادة الحادية عشرة)، وأضيفت مادة جديدة (المادة ١٣) لضمان عدم تأثير شغل العراق للمنطقة المؤجرة في الترسيم النهائي للحدود البحرية».

لم يعد هذا العرض سرًّا بل تداوله الناس جميعًا باستنكار شديد لما فيه من مهانة وإذلال للوطن والمواطنين، ومن هنا التقى عدد من المعارضين بالشيخ فهد السالم الصباح الذي كان رئيس دائرة الأشغال العامة ومجلس الإنشاء آنذاك وقد كان موقف الشيخ فهد مؤيدًا لرأي المعارضة بعد أن اقتنع نهائيًّا بوجهة النظر المخالفة.

عند بروز موقف الشيخ فهد من مشروع الاتفاق الابتزازي قام الوكيل السياسي البريطاني في الكويت السيد (بل) بزيارة هذا المسؤول الكويتي الكبير في اليوم

الخامس عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٥٥م بعد أن أحس بضغط المعارضة المتسعة، وكانت زيارته تهدف إلى إقناعه بأن مشروع خط أنابيب المياه سيكون مفيدًا جدًّا للكويت، في حين أن سيئات التأجير وأخطاره ستكون، بالمقارنة، من دون أهمية. لكن الشيخ فهد خالفه في الرأي. وقال إن الكويت، إذ قبلت باتفاقية شط العرب، فستكون ملزمة أخلاقيًّا بقبول اتفاقية أم قصر، التي سينجم عنها وجود «غير مستحب» لقاعدة بحرية عراقية «في الجوار». وكان الشيخ مقتنعًا بأن تطوير مرفأ كبير في أم قصر سيقضي على حركة التبادل التجاري عبر مرفأ الكويت لأن جزءًا كبيرًا من التجارة العراقية والتجارة السورية، اللتين كانتا تتدفقان عبره في ذلك الحين، سيتحول إلى مرفأ أم قصر. وكان الشيخ على ثقة بأن مسودة اتفاقية التأجير، كما هي عليه، ستمنح العراقيين الحق في عدم الإذن لشركة بترول الكويت بالتنقيب عن النفط في كافة أنحاء جزيرة وربة وفي المجرى المائي، متذرعين بأن ذلك سوف «يعرقل العمل في المنشآت»، أو «الملاحة» في المجرى المائي.

وقد اقتنع بل، بعد حديثه العقيم مع الشيخ فهد، أن فريقًا من التجار الكويتيين النافذين حملوا الشيخ على اتخاذ هذا الموقف المعارض، وأن الحاكم، الذي كان قد وافق على المشروعين، سيفكر مليًا الآن، قبل أن يوافق على أي مسودة جديدة، بسبب هذه المعارضة.

هنا جُنَّ جنون رئيس وزراء العراق - آنذاك - نوري السعيد وفقد صبره فأقدم على زيارة الكويت خلال شهر سبتمبر من سنة ١٩٥٥م لبحث موضوع مشروع أنابيب المياه مع الشيخ فهد، ولكنه فشل في ذلك.

تحدث نوري السعيد عندما عاد إلى بلده خائبًا إثر محادثته مع الشيخ فهد، فقال: «إن الشيخ فهد قد أبى أن يفهم هذه الحقائق البسيطة جدًّا» وما كانت هذه الحقائق التي أشار إليها نوري السعيد إلا أنه أكد للشيخ أن الميناء المنتظر قيامه

ليس ميناء حربيًّا، وأن الممر المطلوب إنما هو لنقل النفط العراقي إلى الخارج، وهو بذلك يطمس الحقائق إذ إن الاعتراف بأن الاستعمال المنتظر للميناء كان تجاريًّا بحتًا من أهم ما كانت الكويت تعترض عليه، كما أن استئجار الأراضي الواسعة أمر غير موافق عليه لما فيه من إنقاص لحرية الكويت واستقلالها.

ولما كان البريطانيون العاملون في العراق يتعصبون لكل ما هو عراقي، فقد جاء الرفض الكويتي الذي تلقوه على لسان الشيخ فهد السالم صاعقة على رؤوسهم جعلت أحدهم يخرج من طوره فيلقي كلامًا يدل على السفه والحقد، ذلك هو جورج سميثورست رئيس قسم المياه وتصريفها دائرة الأشغال العامة ببغداد، الذي زرع الشك في موقف الشيخ مدعيًا أنه يتوقع إحراز منفعة من إنشاء معامل لتقطير المياه. وقد رد عليه الوكيل السياسي البريطاني في الكويت بأن تقطير المياه في الكويت كان مصلحة خاضعة لإدارة الحكومة، وقال: «من الصعب أن نرى كيف يمكن أن تكون للشيخ فهد أي مصلحة مالية في الأمر» وهكذا جاء الرد البريطاني على بريطانيي العراق، وظهرت ساحة الشيخ. والعجيب أن بغداد قد استبقت قرار الكويت بشأن الاتفاقية المقترحة، وكأنها ملكت القرار الكويتي بيدها فتصرفت منذ سنة ١٩٥٤م، وقامت باتخاذ إجراءات تتعلق بالمنطقة، وتعاقدت مع شركة بريطانية اسمها «كوداند براندر» وهي مؤسسة استشارية بريطانية وذلك لوضع الخطط الخاصة بالمشروع. وللأسف أن الجانب البريطاني الذي ذكرنا أنه عراقي الهوى قدم دعمًا للحكومة العراقية بهذا الخصوص مما دعا نوري السعيد إلى مناشدة السفير البريطاني القيام باقناع الشيخ عبدالله السالم بأن يتخذ، بأسرع ما يمكن، قرارًا مناسبًا فيما يتعلق بهذا الموضوع.

واستمرت الزيارات المتبادلة وقام عدد من المسؤولين البريطانيين بالعمل على تسويق المشروعات العراقية، ولكن ما قدموه لم يكن مقنعًا لأنه في النهاية لا يفيد

الكويت في شيء، وبخاصة وأن العراق منذ بداية الحديث عن موضوع المياه في سنة ١٩٣٨م وهو يقدم المتناقضات من الأفكار والمطالبات، وكلها صارت لتضاربها، ولما فيها من دلائل على الطمع في الأراضي الكويتية، مع عدم الثقة في أن الجانب العراقي سوف يفي بوعده فيما يتعلق بإمداد الكويت بالمياه العذبة. أضف إلى ذلك أن الحكومة العراقية التي كانت تقول إن هذا الميناء الذي سوف يكون جزءًا كبيرًا منه على الأراضي الكويتية لن يكون من أجل الاستعمال العسكري بل هو للاستعمال التجاري السلمي، قد تغير في اليوم الثالث والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٥٥م حين أبلغ نوري السعيد أحد المسؤولين البريطانيين في العراق أن حكومته لا تنوي إطلاقًا تطوير ميناء أم قصر لاستخدامه في زمن السلم، لأن ذلك سوف يؤثر سلبًا على البصرة، وهي مخرج العراق الرئيسي إلى الخليج، بل إن الهدف من إقامته هو استخدامه في زمن الحرب، فانظر إلى التناقض كيف يكون، ونوري السعيد الذي أضاف إلى كلامه هنا أن المشروع قابل للتأجيل لمدة سنتين. هو الذي أبدى رغبته في حل الموضوع بأسرع وقت حتى إنه أرسل ولده إلى الكويت من أجل التمني على الشيخ عبدالله السالم سرعة البت.

وهنا جاء الاجتماع الذي دعا إليه الشيخ عبدالله السالم أهل الكويت للاطلاع على آرائهم بشأن هذا الموضوع، وقد قام بتوزيع الدعوات المرحوم عبداللطيف ابراهيم النصف، واختار المجتمعون الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ليكون رئيس الاجتماع، وكانت الدعوة في اليوم العشرين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٥٥م، والجلسة في اليوم الثاني والعشرين منه، بمدرسة صلاح الدين.

وكانت خلاصة المراسلات البريطانية تركز على موقف الشيخ بعد هذا الاجتماع وما جاء فيها: «ولكن الشيخ عبدالله السالم وبعد ان استطلع آراء أبرز أفراد أسرة الصباح، وأعيان البلاد وبسبب معارضة أغلبية الكويتيين له، أبلغ الوكيل

في ١٨ كانون ثاني / يناير ١٩٥٦م، أنه لا يستطيع قبول مشروع مياه شط العرب، بسبب معارضة أغلبية الكويتيين له، أما هو، شخصيًا، فكان يشعر أن وضع الكويت تحت رحمة العراق، حين يصبح مصدرًا لتزويدها بالمياه، سيكون خطيئة كبيرة. وعمد إلى تذكير المندوب البريطاني بثورة رشيد عالي الكيلاني التي استهدفت الوصي على العرش العراقي، والبريطانيين سنة ١٩٤١، وأبلغه بأن لا أحد يستطيع الوثوق بالعراق، وبعدم وجود ضمانة من الحكومة البريطانية بأنها تستطيع حماية إمدادات المياه من شط العرب، وتأمين استمرارها لأجل غير مسمى، وبأنه نقص المياه في بلده، مشكلة يمكن عوضًا عن ذلك أن تحل بطريقة أكثر وثوقًا، وهي إنشاء عدد من معامل تقطير المياه.

وقد جُنّ جُنون بعض البريطانيين الذين أشرنا إلى تنبيهم للمواقف العراقية، ونسبوا هذا الموقف إلى أنور السادات الأمين العام للمؤتمر الإسلامي آنذاك وكان قد زار الكويت في الشهر الذي تم فيه الاجتماع، وتم الربط بين الزيارة والموقف الكويتي دون مبرر، وقد جاء تعليق سياسي على هذا الادعاء ورد فيه: «ورغم تشديد ريتشز على النفوذ المصري في الكويت، فإن من المتوجب أن نتذكر أن الشيخ فهد، يدعمه صباح السالم والشيخ جابر العلي، كان يقوم بحملة ضد هذه الخطة منذ أن طُرحت، وفضلًا عن ذلك ليس هناك أي دليل على أن المصريين تمكنوا من اختراق الدائرة الداخلية للبلاط الكويتي، والتأثير في صانعي قراره».

بعد هذا حدث ما يلي:

أولًا: اتجهت العراق إلى اتخاذ وسائل مختلفة مؤداها الرغبة في السيطرة على الكويت ومنطقة الخليج، فعمدت إلى إرسال وفود مختلفة وعرضت عروضًا تجارية وتعليمية كثيرة وحاولت أن تستقطب الجماهير عن طريق وسائل إعلامها، مما يدل على أن الرغبة في الاستحواذ على المنطقة هي الأمر الأساسي أما مسألة المياه ومسألة أم قصر فهما جزآن من عملية الاستحواذ.

ثانيًا: عادت مسألة إسالة مياه شط العرب إلى البحث عن الأطراف الثلاثة: الكويت والعراق وبريطانيا، وقد جاءت رواية موثقة لما حدث من الجانب الكويتي وفيها: «وأخيرًا في اليوم التاسع من شهر مارس لسنة ١٩٥٧م، قرر المجلس الأعلى الكويتي، ألا يمضي في مشروعي المياه وخط أنابيب النفط الذي كان اقتراحًا مصاحبًا له حتى تُحلّ مشكلة تخطيط الحدود وهي المشكلة التي أبى الجانب العراقي بحثها في كافة مراحل المفاوضات السابقة على هذا القرار.

كما نضيف أنه ومع ذلك فلم تقطع الكويت الطريق على هذا المشروع إذ في اليوم الخامس عشر من شهر يناير لسنة ١٩٧٩م صرح وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء الأستاذ عبدالله حسين قائلًا: «إن الاتصالات الكويتية العراقية بشأن إسالة مياه شط العرب للكويت تسير على أحسن وجه» ويبدو أنها كانت تسير من الجانب الكويتي فقط فالجانب العراقي متفرغ لوضع العراقيل.

وسوف يجد القارئ تفصيلًا كاملًا مليئًا بالوثائق التي تدعم كل كلمة فيه، وذلك ضمن كتاب: «حرب تحرير الكويت، جذورها ومقوماتها» للدكتور حبيب الرحمن. فلا داعي للاستمرار في بقية الحديث لأنه أمر يطول بنا لو أردنا الخوض فيه.

لقد كان التعنت العراقي واضحًا، وكانت الطلبات لا تنتهي والأفكار المطروحة من هذا الجانب تتغير يومًا بعد يوم. ولم يكن التعنت قاصرًا عليهم، بل إن البريطانيين كانوا أكثر تعنتًا، وتبنيًا للأفكار العراقية بغض النظر عن مصالح الكويت. وكان السفير البريطاني في بغداد مايكل رايت بمثابة رئيس وزراء للعراق يقدم الأفكار من عنده ويصر عليها ويفترض أن الكويت ينبغي أن تخضع لإرادته. هذا في الوقت الذي كان فيه تحت الحماية البريطانية وكان ينبغي عليه أن يلحظ ما يخصها بعين الرعاية والتفهم. ولكن الميول البريطانية كانت لا تدل إلا على الأخذ بوجهات نظر العراق المتغيرة ووضع اللوم على الكويت كما صرح بذلك رايت حين قال: إن الكويتيين كانوا دائمًا يغيّرون آراءهم، أو يخترعون أمورًا أخرى».

وهذا غير صحيح ألبتة. وما أشرنا إليه فيما سبق يؤكد ما أشرنا إليه هنا.

هكذا نرى الأمر على حقيقته، وهو أمر فيه الرد القاطع على المتباكين في هذه الأيام على عدم تنفيذ الاتفاقية الخاصة بإسالة المياه من شط العرب التي كان من المحقق أن تجني على الكويت جناية كبرى فهي:

١ - سوف تقتطع مساحة كبيرة من ترابنا الوطني وتجعله في فم العراق. ولن يفيدنا الرد بان هذه الأرض إنما هي على سبيل الإيجار، لأن استعادتها من المستحيلات، وليس الإيجار الذي نتحدث عنه لمساحة تقارب ٢٠ ٪ من البلاد إلا دينارًا واحدًا لا أثر له إلا على الورق.

٢ - سوف يكون ميناء أم قصر ضربة قاضية لميناء الكويت وتجارتها وسوف لا نستفيد منه بحال من الأحوال.

٣ - سوف يقطع الماء المسال عن الكويت عند أقل نزوة من أي حاكم عراقي، وتبقى بدون ماء وبدون استعدادات توفر لنا الماء بطرقنا الخاصة.

ويبقى الآن سؤال كبير هو: أين ماء شط العرب الآن؟ ها نحن نرى العراق يمتص من ماء الكويت قبل الغزو وبعده، وبعد تحرير العراق كانت المياه الكويتية تستنزف ويرسل بها إلى العراق، الذي لم يعد يستفيد من شط العرب ولا من رافديه لغلبة الملوحة على المياه من جهة، ولكثرة الجثث البشرية والحيوانية التي رميت في دجلة وغيرها منذ فترة حتى صدرت الفتاوى بحرمة استعمال ماء هذا النهر.

رحم الله أولئك الرجال الذين وقفوا في وجه تيار جارف كانت بريطانيا تقوده من أجل أن نفقد حريتنا واستقلالنا إلى الأبد.

****

إسالة المياه العذبة إلى الكويت
في تقرير قديم ١٩٥٤م [١]

منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي وحكومة الكويت تضع نصب عينيها مسألة إسالة المياه العذبة لما لهذا العمل من أهمية، ولصعوبة الحصول على المياة من المصادر التقليدية فهي لا تكفي لتغطية الحاجة المتزايدة من المياه بسبب تنامي أعداد السكان واتساع الرقعة المعمورة من البلاد، كان الشيخ عبدالله السالم - شخصيًّا - مهتمًّا بهذا الآمر، وكان مجلس الإنشاء ينفذ رغبته بكل ما يستطيع من جهد، وفي لحظة من لحظات الأمل خطا هذا المجلس خطوة في سبيل إعداد الظروف للبدء بالمشروع، فكلف مؤسسة من أهم المؤسسات الهندسية البريطانية بإعداد الدراسة التي بموجبها يمكن أن يتم التنفيذ.

هذه المؤسسة هي شركة الكسندر جب وشركاه في لندن، وهذا الرجل من المشاهير في مجال الدراسات الهندسية والتصميمات حتى لقد ألف عنه جود فري هاريسون في سنة ١٩٥٠م كتابًا سماه: «الكسندر جب، قصة مهندس»، وقد بقيت هذه الشركة في عملها ببريطانيا حتى سنة ٢٠٠١م، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة بعد أن صممت العديد من الجسور والمباني في بلدها الأم منذ سنة ١٩٣٦.

بطبيعة الحال فقد كان التقرير الذي أعده الكسندر جب للكويت بخصوص إسالة المياه تقريرًا جيداً حافلًا بكل ما يحتاج إليه منفذ المشروع، وكان -أيضًا -

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٢٦.

مكلفًا لأن المؤسسة التي أعدته من أكبر المؤسسات الهندسية في العالم آنذاك، وهذا في حد ذاته يدل على مدى جدية الكويت في متابعة موضوع الإسالة وعلى أنها لا يمكن أن تتردد في متابعة مشروعها هذا إلا إذا جاءت الإعاقة من الجهة المقابلة التي لم يكن مستغربًا منها ذلك.

أتم جب تقريره في شهر يونية لسنة ١٩٥٤، تحت عنوان «سمو حاكم الكويت، تجهيز المياه للكويت» وأسماه «التقرير المؤقت عن مشروع شط العرب».

وقدمه بموجب رسالة وجهها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح في اليوم الأول من شهر يولية لسنة ١٩٥٤م وهذا هو نص التقرير:

١ - «تسلمنا من جانب كبير مهندسي دائرة الاشغال العامة نيابة عن مجلس الإنشاء رسالة رقم د. ب/٧٩٢/٢/٦ بتاريخ ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٥٤ وقد خولنا فيها أن نقوم كمستشارين فنيين، بتحضير تقرير وافٍ عن مشروع تزويد المياه من شط العرب طبقًا للتعليمات والشروط الواردة في رسالتنا بتاريخ ٣ كانون الاول سنة ١٩٥٣.

٢ - لنا الآن ياصاحب السمو مزيد الشرف في أن نضع بين أيديكم تقريرًا تمهيديًّا آملين أن يسهل هذا مسألة النظر في ذلك القسم من المشروع الذي يؤثر على المفاوضات مع الحكومة العراقية للحصول على امتياز لجر الماء من شط العرب.

٣ - إن شروطنا المعنية تتطلب التحري حول إمكانية تزويد المياه من شط العرب على أن تكون كمية المياة الواصلة إلى الكويت بمقدار سبعين مليون غالون يوميًّا لاستعمال المدينة المحلي ولري المناطق الصالحة لإنتاج محصولات معينة.

إن تطور الحاجة إلى المياه في المدينة وفي مناطق الري تدعو إلى بناء المشروع على خطوتين رئيسيتين. ولقد تم الاتفاق بعد مباشرتنا للعمل على أن تدرس مقادير السعة على أساس ٢٥ مليون غالون يوميًّا كخطوة أولى و ٧٥ مليون غالون كخطوة نهائية.

٤ - وبالاضافة إلى شروطنا المقدمة تعهدنا أن نقوم بتزويد نصيحة عامة عن إمكانية بناء قناة رئيسية كمشروع أوسع طويل الأمد.

٥ - وفي مجرى البحوث والتحريات قام بزيارة الكويت والعراق المستر ت . ا . ل. ياتون (ب. ع. M.I.C.E,M.ASCE) وهو أحد الشركاء في هذه المؤسسة والمستر ت . ج . بدونجتون (ب. غ A.M.I.C.E.,A.M.I.W.E) رئيس دائرة تزويد المياه في الشركة، هذا وتقوم جماعات استكشافية تحت إرشاد المستر أ. ج. بيرستون (M.SC.,A.M.I.C.E) بالعمل في الكويت ومنطقة البصرة في العراق منذ منتصف شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٤.

وبالإضافة إلى دراسة طبيعة الأرض الجغرافية تم البحث حول تحليل المياه والتربة والتحريات الزراعية بخصوص التربة والمحاصيل ودراسة ضافية لطبيعة شط العرب براً وبحراً كما جرت أيضًا مباحثات مع مختلف السلطات المحلية التي يعنيها الأمر.

٦ - ولقد قدمت هيئات رسمية كثيرة وغيرها مساعدات كبيرة لنا خلال البحوث التي قمنا بها ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نتقدم إليها بالامتنان العميق والشكر الوافر، ونود أن نخص بالذكر مجلس الإنشاء في الكويت فنشكر كبير المهندسين في دائرة الأشغال العامة السيد مجد الدين جبري الذي لم يكتف بتزويدنا بكثير من المعدات التي نحتاجها في مجرى أعمالنا فحسب بل قام بتقديم مساعدات كبيرة خلال المباحثات بشرح الأوجه الفنية من المشروع التي استلزمت توضيحاً.

ولقد قام مختبر الأبحاث في حكومة الكويت على تسهيل السبل لنا في الحصول على مدلولات الأحوال الجوية وعلى طرق الاستفادة من المواد المحلية. ولقد أفدنا من الخبرة التي توصلت إليها شركة نفط الكويت وفي التجارب التي

قامت بها لمثل هذا العمل والصعاب التي اعترضت سبيل وقاية خطوط الأنابيب، ولقد قام المسؤولون في هذه الشركة نيابة عنا بتحليل نماذج المياه تحليلاً كيماوياً في مختبراتهم.

كما قام المدير العام للموانئ والملاحة في الحكومة العراقية باطلاعنا على المعلومات المتعلقة بمجرى النهر والحالة العامة لانسياب الماء في شط العرب وميناء البصرة، كما ونشيد بموقف شركة نفط البصرة التي بادرت في الدخول معنا بمحادثات حول مشاريعها واقتراحاتها الخاصة التي يمكن أن تحدث تأثيراً على المشروع المنوي العمل فيه.

٧ - تسهيلاً للرجوع إلى المعلومات الواردة في هذا التقرير قمنا بوضع ملخص للنتائج والتوصيات التي توصلنا إليها في الفقرات التابعة كما أرفقنا نتائج تحريات حتى الآن على شكل ملاحق كما يلي:

ملحق رقم ١: شروط الاتفاقية.

ملحق رقم ٢: شط العرب وأمكنة المواقع المحددة لسحب الماء.

ملحق رقم ٣: أسس التخطيط.

ملحق رقم ٤: أبنية آلات التزويد ومحطات ضخ الماء.

ملحق رقم ٥: خطوط أنابيب الماء والغاز.

ملحق رقم ٦: القناة.

ملحق رقم ٧: الري.

ملحق رقم ٨: صورة عامة.

٨ – مرفق مع هذا التقرير الرسوم الستة التالية:

رسم رقم ١: خريطة موضحة – خطوط الأنابيب.

رسم رقم ٢: خريطة موضحة – القناة.

رسم رقم ٣: مواجهة النهر في شط العرب من البصرة.

رسم رقم ٤: قسم الرسوم البيانية.

رسم رقم ٥: مجرى خطوط الأنابيب – قطاع طولي صفحة أولى.

رسم رقم ٦: مجرى خطوط الأنابيب – قطاع طولي صفحة ثانية.

٩ – استنتاجات وتوصيات.

تتلخص استنتاجاتنا وتوصياتنا بخصوص ذلك القسم من المشروع الذي بحثناه في هذا القرار التمهيدي بما يلي:

أ) يجب أن تعقد الاتفاقية مع الحكومة العراقية بقدر الإمكان، على أساس تزويد ٨٠ مليون غالون من الماء يومياً من شط العرب وذلك ليضمن وصول ٧٥ مليون غالون إلى الكويت ومما لا مفر منه في أي مشروع لتزويد المياه أن شطراً منها لابد وأن يكون عرضة للضياع، وتؤلف هذه الكمية المستمدة قرابة ٤٪ من الحد الأدنى للمياه الجارية في شط العرب.

ب) إن أنسب المناطق لإقامة أبنية المشروع تقع في أراض يشغل معظمها سلاح الطيران الملكي البريطاني على كلا جانبي الرميلة (انظر رسم رقم ٣)، ويمكن الاستفادة من الأراضي المهملة الواقعة على مقربة من هناك باستعمالها كمستودع دائم للخزن كما ويحتاج إليها كقاعدة مؤقتة لبناء المشروع. ويمكن تجهيز

خط حديدي يتصل مع خط مارقيل – البصرة الفرعي. هذا وسيكون من الضروري إيجاد دارين أو ثلاث لإيواء المسؤولين الرئيسيين في إدارة أبنية آلات التزويد ومحطة ضخ الماء.

ج) لقد توصلنا بعد دراسة الموقف من جميع وجوهه إلى أن استعمال الأنابيب لإسالة المياه خير من استعمال الأقنية المكشوفة وذلك نظرًا لوجود ارتفاع في أرض المنطقة ما بين شط العرب والكويت. هذا وإن التكاليف السنوية لإدارة مشروع تستعمل فيه القنوات المكشوفة تزيد كثيرًا عن تكاليف مشروع تستعمل فيه الأنابيب، وبالطبع فإن ذلك غير مستحسن من ناحية اقتصادية. أضف إلى ذلك الصعوبات الناتجة عن تراكم كثبان الرمال التي تذروها الرياح في الأقنية المكشوفة وكمية المياه المتبخرة من جراء الحر الشديد.

د) إن الأنابيب من ذات قطر ٤٣ بوصة (إنشًا) أقل تكلفة من غيرها للاستعمال في المرحلة الأولى من المشروع حيث يجري إسالة ٢٥ مليونًا من الغالونات يوميًا. ونوصي بأن تكون هذه الأنابيب من الصلب مبطنة من الداخل وذات مناعة ضد التآكل من الخارج. ويجب اتخاذ أكثر الطرق مباشرة كما هو مبين في الرسم رقم (١) وذلك يعني بعد ١٣٢ كيلو مترًا وهي المسافة ما بين منشآت التزويد وموقع خزان الماء الذي نعتقد أنه من المستحسن إقامته على منخفض طفيف في المطلاع، أما في المرحلة النهائية من المشروع حيث تجري إسالة ٧٥ مليونًا من الغالونات يوميًا فيجب إضافة أنابيب من ذات قطر ٤٣ بوصة (أنشًا).

هـ) نظرًا لارتفاع مستوى سطح الأرض الواقعة بين العراق والكويت والضياع المتسبب عن احتكاك الماء بالأنابيب فإنه من الضروري إقامة منشآت ضخمة لدفع الماء. ولقد وجدنا بعد دراسة مستفيضة أن أنسب الأمور هو إقامة محطة لضخ الماء في منطقة التزويد قادرة على رفع الماء إلى محطة تجميع تقام داخل حدود

الكويت على مسافة ٦٤ كيلو مترًا مع امتداد خط الأنابيب. وتقوم محطة التجميع هذه برفع الماء إلى خزان التوزيع في المطلاع الذي يستوعب كمية ٥٠٠ مليون غالون من الماء ويقع على مسافة ٤٠ كيلو مترًا من مدينة الكويت.

سيجري تسيير الآلات الدافعة بواسطة محركات بخارية يستعمل فيها الغاز لغلي المراجل أو محركات غازية ويخضع ذلك لنتيجة مناقصات تنفذ بضمانات ثابتة. هذا وستكون كل وحدة من وحدات الآلات الدافعة ذات حجم موحد. ويقدر مجموع القوة المستهلكة في جميع أجزاء المشروع بما يقارب قوة ٣٥ ألف حصان بما في ذلك القوة المتطلبة للمحطات الاحتياطية التي تضمن استمرار سيلان المياه.

و) لما كان من الضروري تكرير مياه شط العرب، ولربما يقرر إجراء فصل عنصر الكلس منها للاستعمال المنزلي فإنه من الأهمية بمكان أن تقام منشآت نموذجية في منطقة التزويد لاختيار أنسب وسائل التكرير وأقلها كلفة في أسرع وقت ممكن، وقد أدخل في مجموع التكاليف المقدرة للمشروع مبلغ سبعمائة ألف ربية (سبعة لكّات) للإنفاق على هذا القسم وإدارته.

ز) إننا نوصي باستعمال غاز الاستصباح بصورته الطبيعية، في جميع نواحي المشروع المتطلبة للقوى ولذلك يجب وضع خط أنابيب من الصلب ذي قطر ستة بوصات (إنشات) توصل ما بين آبار الزيت في البرقان وموقع منشآت التزويد وذلك يعني مسافة تقارب ٢٢٠ كيلو مترًا، وفي الإمكان استعمال هذا الخط من الأنابيب خلال عملية الإنشاء لإسالة المياه المكررة في المعمل النموذجي إلى أي مكان تدعو الحاجة إليها.

تتوقف مدة الوقت اللازم لإتمام القسم الأول من المشروع على مقدار سرعة تسليم المحركات والآلات الدافعة للمياه، لذلك فإن من الضروري جدًّا الوصول إلى قرار نهائي بخصوص هذا المشروع وتجهيز بنود الاتفاقيات المعروضة والحصول

على الطلبات وإتمام عقد الاتفاقيات خلال مدة ستة إلى ثمانية أشهر. ومن ثم فإن العمل الحقيقي لبناء المشروع يستغرق ما بين ٣٦ و٤٢ شهرًا. وذلك يعني أن مجموع المدة المطلوبة هو بين ٤٤ إلى ٥٠ شهرًا، وللحصول على كمية ملائمة من الأنابيب ودفعًا لأي تأخير قد يحدث خلال العمل في بناء المشروع فإن من المفضل عقد الاتفاقيات لتزويد الأنابيب في الوقت نفسه الذي تجري فيه عملية تركيب الآلات الدافعة، ونقترح أن يقسم العمل في البناء إلى قسمين رئيسيين يتفرعان إلى أجزاء تسهيلًا لعقد اتفاقيات صغيرة على أساس المناقصات.

يشمل القسم الرئيسي إتمام العمل من منطقة التزويد في شط العرب إلى محطة التوزيع وتبلغ المسافة بينهما ما يقارب ٦٤ كيلو مترًا ومن الضروري أن تزود المواد اللازمة للقسم من المشروع بشحنها عن طريق ميناء البصرة. وأما الأنابيب والمواد اللازمة للقسم الآخر والأكبر من المشروع الواقع ما بين محطة التوزيع والكويت فيجب شحنها إلى ميناء الكويت.

ح) تقدر التكاليف لإتمام المرحلة الأولى من المشروع (حيث يجري تزويد ٢٥ مليون غالون يوميًّا) من منطقة التزويد إلى الخزان مبلغ ١,٢٠٠ لكًّا من الربيات ولا يشمل ذلك تكاليف انشاء الخزان. وأما تكاليف بقية المسافة إلى الكويت ويشمل ذلك إنشاء الخزان فتقدر ما بين ٦٠٠ و ٦٦٠ لكًّا مما يجعل المجموع الكلي بصورة مبدئية، ما بين ١,٨٠٠ و ١,٨٦٠ لكًّا من الربيات وأما تكاليف العمل في المرحلة النهائية للمشروع حيث يجري تزويد ٧٥ مليون غالون يوميًّا من منطقة التزويد إلى الخزان فستبلغ ١٤٥٠ لكًّا أخرى. هذا وسنقوم في تقريرنا النهائي المقبل بسرد تفاصيل مجموع التكاليف بما في ذلك نفقات تتمة العمل ما بين الخزان والكويت.

(اللّك يعادل: مائة ألف ربية)

لقد بينا تقديرنا للتكاليف على إحصاءات تكاليف مشاريع مماثلة أنشئت خلال السنوات القليلة الماضية في بلدان مجاورة. وتشمل الأرقام المدرجة أعلاه تكاليف إقامة المشروع مستثنى من ذلك ثمن الأرض المقام عليها ورسوم الميناء والجمارك والنفقات الاحتياطية في الكويت.

ط) يتضمن تقريرنا الزراعي معاينة الأرض الواقعة ما بين الجهراء والكويت حيث جرى تحليل لنماذج التربة واختبار المياه بترشيحها ودراسة للأحوال الجوية ومدى تأثيرها في الري. ولقد توصلنا إثر البحوث الدقيقة التي قمنا بها إلى أن هنالك منطقة واسعة حول الصليبية ذات تربة صالحة للري وسنقوم في تقريرنا النهائي بتقديم الإرشادات المتعلقة بالتنظيم الزراعي خصوصًا تحديد أنواع الغلال والمزروعات الدورية ووسائل حماية المزروعات ومتطلبات الماء وطرق الري وتربية المواشي للاستفادة منها زراعياً.

لقد دلت التجارب على أن البلدان التي أدخلت نظام الري لأول مرة في ربوعها قد حصلت على نتائج باهرة باختبار المشروع النموذجي في بادئ الأمر، ولذلك فإننا ننصح بكل إخلاص أن يقوم برنامج الري على أساس نظام نموذجي تحدد له مبدئياً مساحة لا تتجاوز ٥٠٠ فدان (٢٠٠ هكتار) ومن ثم يجري بالتدريج توسيعها بحيث تضم في النهاية جميع المناطق القابلة للري.

وستكفي لري مثل هذا المشروع النموذجي كمية تتراوح بين مليون ومليوني غالون يوميًّا.

ي) بما أن الماء سواء أكان للاستعمال المنزلي أو للري من الحاجيات التي تأخذ بضع سنين لكي يزداد الطلب عليها فإننا نعتبر أن هنالك عدة فوائد قيمة في تبني مشروع قادر على تزويد كمية أقل من ٢٥ مليون غالون يوميًّا. فلو افترض أن كمية ١٣ مليون غالون يوميًّا، ستكون كافية لمدة بضع سنين فإنه من الممكن عندئذٍ

توفير مبلغ ما يقارب ٣٠٠ لك من الروبيات كما ستقل المدة المتطلبة لانهاء المشروع بما يقارب الستة أشهر. إن مجموع تكاليف المشروع العام لن تزيد عن تكاليف هذا الاقتراح البديل إذ من الممكن تزويد هذه الكمية المخفضة بواسطة أنابيب قطرها ٣٤ بوصة (إنشًا) بدلًا من أنابيب قطرها ٤٣ بوصة (إنشًا).

أما العقبة الرئيسية فهي أنه لربما ازداد الطلب على الماء بصورة سريعة وعندها يغدو من الضروري وضع خط آخر من الأنابيب بعد مدة قصيرة من إتمام بناء الخط الأول.

لهذا فإننا ننصح بأن يؤخذ الاقتراح البديل هذا بعين التمحيص والاهتمام قبل اتخاذ قرار نهائي بشان الخطوة الأخرى من المشروع.

ك) ولسنا في هذا المجال بحاجة إلى الكلام عن ضرورية تأمين وصول الماء بصورة مستمرة في مثل هذا المشروع فلذلك اقترحنا إقامة محطات احتياطية بجانب محطات الضخ تأمينًا لاستمرار سيلان المياه في حالة حصول أي خلل طارئ ونصحنا كذلك باتخاذ إجراءات خاصة لحفظ الأنابيب داخلها وخارجها من الصدأ، ولقد بنينا هذه المقترحات على ما استنتجناه وغيرنا في حقل فن تصميم منشآت تزويد الماء الكبرى وبنائها، لا ريب في أن من الممكن تقليل المصروفات باستحضار معدات أقل جودة والاكتفاء بعمل أقل إتقانا والاستغناء عن المحطات الاحتياطية. وعلى الرغم من أن مشروعًا رخيصًا يقوم على تزويد الماء بصورة مقبولة لمدة عدة سنوات إلا أنه من المحتمل حدوث خلل يسبب إعاقة استمرار تزويد الماء ويجلب مشاق ومتاعب إلى سكان الكويت وبالإضافة إلى ذلك فإن حدوث مثل ذلك سينزل كارثة كبرى بالمزروعات في الأراضي المروية، لذلك فنأمل أن تؤخذ اقتراحاتنا وتوصياتنا بعين الاعتبار.

إن الماء لمن أهم لوازم الحياة للإنسان ولذلك فإنه من الضرورة بمكان تجهيز جميع المشروعات المتعلقة بتوريده بكل بعد نظر وحكمة وتزويدها بأجود المعدات والعمل المتقن.

١٠ - سرد هذا التقرير التمهيدي تفاصيل مراحل العمل حتى بداية إقامة خزان مياه النهر في المطلاع. سوف تعتبر الملاحق من رقم ١ إلى ملحق رقم ٦ جزءاً من التقرير النهائي.

وسيجري في التقرير النهائي البحث بالتفصيل عن جميع ما ورد في الملحقين رقم ٧ ورقم ٨ حيث جرى البحث بصورة عامة في المشروع وخطط الري والخطوات المتعلقة ببناء الخزان في المطلاع وصهاريج التوزيع في الكويت. سوف نوفي بتقديمنا التقرير النهائي عن المشروع جميع بنود الاتفاقية المتعلقة بذلك.

هذا ونود يا صاحب السمو المعظم أن نظهر استعدادنا لتقديم، أي نصح أو مساعدة فيما يتعلق بأي بند من البنود الواردة في هذا التقرير التمهيدي.

ولنا الشرف يا صاحب السمو المعظم أن نكون في خدمتكم وطاعتكم.

عن السير الكسندر جب وشركاه.

(signed : T. AL. PATON)

هل يستطيع أحد أن يدعي عدم اهتمام حكومة الكويت بموضوع إسالة المياه، كما ذكر صاحب كتاب «البركان المؤجل» الذي أشرنا إليه في المقال السابق؟.

الواقع أن الكويت بذلت من الجهود، وأرسلت من الوفود، وأنفقت الكثير من الأموال في سبيل الحصول على نقطة ماء من شط العرب، ولكن دون جدوى.

****

المياه المسالة في وثيقة أخرى [1]

لم تنقطع الكويت عن متابعة موضوع إسالة المياه من شط العرب إليها. وكانت تسعى بكل ثقة إلى تنفيذ هذا المشروع الحيوي المهم لها، دون النظر إلى المعوقات التي ظهرت خلال السنين التي استغرقها الحديث مع الطرف الآخر، ودون النظر إلى ما قد يأتي من هذه المعوقات مستقبلًا.

في سنة ١٩٦٣ م كانت وزارة الكهرباء والماء معنية بهذا الأمر، تكبُّ على دراسته، ومحاولة تهيئة الأجواء المناسبة بغض النظر عن المتاعب، والمبالغ التي تصرف في هذا السبيل. ومن يطلع على الأوراق الخاصة بموضوع الإسالة يرى فيها أن حكومة الكويت كانت شبه مطمئنة إلى إمكان تحقيق هذا الأمل ولم تكن مترددة في الإقدام على تنفيذ المشروع حين يقوم الطرف الثاني بخطوته الدالة على الموافقة.

وزير الكهرباء والماء في هذه الفترة التي نشير إليها هو المرحوم الشيخ جابر العلي السالم الصباح، وقد قام بتكليف أحد كبار موظفي وزارته بإعداد تقرير يحمل كل ما يتعلق بهذا الموضوع تمهيدًا لمتابعته من جديد بعد طول توقف. وكان هذا الموظف الكبير هو الأستاذ عبدالمحسن القطان الذي كان وكيلًا مساعدًا في تلك الوزارة، وقد عين بوظيفته هذه في اليوم الثلاثين من شهر يوليو لسنة ١٩٦٢م، وكان مشهودًا له بالاستقامة، وحسن الأداء، وله علاقات متينة مع كثير من أبناء

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/٣.

البلاد، وهو محبوب بينهم، ولئن كان تعيينه بمنصبه الذي ذكرنا في هذا التاريخ فان تعيينه في الوزارة كان سابقًا على ذلك بفترة أكسبته خبرة كبيرة في مجال عمله. ولذا فان الشيخ جابر العلي كان على ثقة من أنه كلّف الرجل المناسب بالقيام بعمل مهم قد يكون عند تحقيقه من أهم أعمال وزارته.

ولقد كان الرجل صادقًا مع نفسه فقد أبان في مقدمة تقريره ما ذكره للوزير حين كلّفه بهذا الأمر وهو أن أقصى ما يمكنه عمله في هذه المرحلة هو إعطاء فكرة عامة تتناول مختلف الجوانب. اما التقرير الفني الدقيق الذي يتناول كامل تقديرات تكاليف العمل فذلك متروك لذوي الاختصاص. وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٣ م قدم عبدالمحسن القطان تقريره إلى وزير الكهرباء والماء. وهذا عرض للتقرير منذ بدايته بعد أن تجاوزنا الورقات الثلاث الأولى التي تضم قائمة بالمحتويات ثم المقدمة.

دخل الأستاذ عبدالمحسن القطان على موضوع التقرير بادئًا بلمحة تاريخية أشار فيها إلى بدء العمل في إنتاج أول مقطرة للمياه في الكويت، وتناول مسالة توقف جلب المياه من شط العرب بحرًا منذ سنة ١٩٥٣ م، ذاكرًا أن إنتاج المياه من المقطرات في سنة ١٩٦٠ م، وصل إلى ستة ملايين جالون، أضيفت إليها المياه التي تم إنتاجها من حقل الروضتين في سنة ١٩٦٢ م، وهي قد تصل عند الحاجة إلى خمسة ملايين جالون، هذا بالإضافة إلى مشروعات أخرى جرى العمل على إنجازها في تلك الفترة وكلها تهدف إلى زيادة إنتاج المياه.

وذكر أن هذه الزيادة الكبيرة في المياه المنتجة سوف لا تكون كافية إذا وزعت المياه على المواطنين في مساكنهم مباشرة، ولن تكون كافية للاستعمال الزراعي، مما يدعو إلى البحث عن مصادر أخرى.

ولذا كان التفكير في جلب مياه شط العرب واردًا في هذه الفترة، وما قبلها. وألمح هنا إلى أن كمية المياه المطلوبة للكويت عن طريق الإسالة لا تتعدى نسبة ٥٪ من المياه التي تصب في الخليج وتذهب هدرًا، وهي نسبة ضئيلة جدًّا ولا تؤثر في حاجة العراق من المياه.

واستعرض تقرير السير الكسندر جب الذي عرضناه في مقال سابق، ذاكرًا أن هناك شركة أخرى هي شركة دورش - كيرمان الألمانية قدمت تقريرًا عن المشروع في سنة ١٩٥٧م ، وذكرت أن كلفة جلب مائة مليون جالون من المياه يقدر بتسعة وعشرين مليون دينار.

بعد هذا نقدم باقي مذكرة الأستاذ القطان وهذا الجزء يبدأ بالحديث عن الاحتياطات الواجب اتخاذها لتأمين حد أدنى من المياه ضمن حدود دولة الكويت لمواجهة أي وضع قد يهدد انسياب المياه من شط العرب.

تقول المذكرة:

إن أهم وأخطر سؤال يراود المواطن في الكويت هو أنه على الرغم من أن إمكانية قطع هذه المياه لأي سبب من الأسباب وتحت كل الظروف عمل لا يمكن أن يقدم عليه أحد، إذ إن هناك دومًا الرابطة القومية بين البلدين والحد الأدنى من المسؤولية الوطنية والدولية التي لا بد أن تتوافر لدى أي مسؤول في العراق تجاه هذا العمل الخطير. إلا أن ظروفًا غير منتظرة وغير متوقعة قد تطرأ وتخرج الأمر من أيدي المسؤولين وتهدد بالتالي بقطع المياه عن الكويت.

وعليه، فلا بد من ضمان وجود حد أدنى من المياه العذبة داخل الدولة تلجأ إليها إذا ما واجهتها ظروف كالتي ذكرت، وإن وجود احتياطي كامل غير عملي إذ لو وجدالاحتياطي الكامل لانتفت الغاية من جلب المياه.

كما أن احتياطي الطوارئ يفرض أن انقطاع المياه (إن حدث لا سمح الله) سيكون انقطاعًا مؤقتًا لعدة أيام وربما لعدة أشهر على أكثر تقدير.

وإيجاد هذا الاحتياطي الدائم يمكن أن يعتمد على:

أولًا: زيادة كميات المياه المنتجة من محطات التقطير، وذلك باستهلاك إحدى محطتي التقطير «أ» و «ب» في الشويخ وإنتاج كل منها حاليًا مليون جالون يوميًا واستبدالها بوحدة أخرى تنتج ٤ ملايين جالون بدل المليون.

والوحدة الجديدة التي ستنتج الأربعة ملايين جالون ستحتاج إلى نفس كمية البخار التي تستهلكها الوحدة المستبدلة ولا تحتاج إلى مكان إضافي، وبذلك تكون كميات المياه المقطرة التي ستؤمن بعد إنجاز هذا المشروع:

الشويخ ١١,٠٠٠,٠٠٠ جالون يوميًا.

الشعيبة ٣,٠٠٠,٠٠٠ جالون يوميًا.

١٤,٠٠٠,٠٠٠ جالون يوميًا.

كما يمكن زيادة إنتاج المياه في محطات الشويخ والشعيبة عدة ملايين جالون أخرى غير المقررة حاليًا اذا ما دعت الحاجة لذلك.

ثانيا: قدّم خبراء التنقيب عن المياه الجوفية الذين يعملون في وزارة الكهرباء والماء تقريرًا أوليًا عن كمية المياه الإضافية التي يمكن وجودها في منطقة الروضتين وأم العيش وكلفة ذلك، بالإضافة إلى تقدير المدة وأكبر كمية يمكن ضخها من المناطق المذكورة أثناء الأزمة:

١ - يمكن خزن حوالي ١٥ بليون جالون في منطقة الروضتين وثلاثة بلايين جالون في منطقة أم العيش خلال عام أو أكثر بعد إضافة الأجهزة والأعمال الفنية الخاصة بذلك وحسب الكميات الفائضة من المياه المجلوبة من شط العرب.

٢ - كلفة الترتيبات الفنية وكذلك شبكات التوزيع والكهرباء والضخ وغير ذلك قدرت بحدود سبعمائة ألف دينار على أساس خزن الكمية خلال عدة أعوام، وترتفع الكلفة بعض الشيء إذا ما خزنت جميع الكمية خلال عام واحد.

٣ - في حالة الطوارئ يمكن ضخ كمية من المياه تقارب الثلاثين مليون جالون يوميًا لمدة عام على الأقل (على أساس أن تكون المياه قد تم تخزينها بالفعل).

إن هذه البيانات الأولية تحتاج إلى دراسة أكثر دقة وتفصيلًا، وعلينا أن نأخذ منها رقمًا متحفظًا. ويمكن اعتبار ضخ حوالي العشرين مليون جالون رقمًا مضمونًا ومعقولًا يمكن الاعتماد عليه. وإن خزن هذه الكميات الكبيرة في منطقتي الروضتين وأم العيش سوف يساعد على المحافظة على المخزون الحالي ويضاعف المدة التي يمكن فيها الاستفادة من هذه الكمية، وبذلك تكون لدى دولة الكويت كمية من المياه العذبة تبلغ حوالي ٣٤,٠٠٠,٠٠٠ جالون يوميًا متوافرة ومضمونة لمواجهة أي ظرف مهما كان صعبًا ولمدة لا تقل عن العام، كما يمكن إضافة مليوني جالون على الأقل من المياه الصليبية لهذه المياه دون أن يؤثر في عذوبتها.

الخطوط المقترح اتخاذها لجلب مياه شط العرب:

في حالة الموافقة على جلب مياه شط العرب بعد دراسة البيانات والمعلومات الواردة في هذا التقرير لا بد من اتخاذ بعض الخطوات الأساسية والمهمة قبل المباشرة بالتنفيذ. وهذه الخطوات المقترحة هي:

أولًا - توقيع اتفاقية مع حكومة الجمهورية العراقية تتضمن الآتي:

أ - تحديد كمية المياه التي ستضخها الكويت في المرحلة الأولى وكذلك في المراحل المقبلة والزمن الذي سيستمر فيه هذا الضخ (غير محدود).

ب – حق استعمال الأراضي في موقع الضخ وسير الأنابيب ضمن حدود العراق.

جـ – الإعفاء من كافة الرسوم والجمارك على البضائع والمعدات والآلات المستوردة. وكذلك إعفاء الذين سيعملون بالمشروع من غير العراقيين من الضرائب.

د – ضمان حق التنقل من الكويت للموقع لإدارة مكائن الكهرباء والضخ وغيرها. وكذلك حرية السير على محاذاة خط المياه لصيانته ومراقبته.

هـ – التكفل بالحراسة الكاملة للمشروع.

و – أية أمور أخرى يرى المسؤولون إضافتها.

ثانيًا – وإذا ما تم الاتفاق على هذه الأمور ووقعت اتفاقية بذلك وجب الانتقال إلى مرحلة التنفيذ على الأسس التالية:

أ – تؤلف هيئة مستقلة تسمى بهيئة مشروع شط العرب يترأسها وزير الكهرباء والماء وتقدم تقاريرها لرئيس مجلس الوزراء. على أن تضم بعض المهندسين المتخصصين وبعض كبار الموظفين وكذلك عددًا من الموظفين المهتمين بالأمر. ويعين للمشروع مدير عام تنفيذي، ويجب أن توضع أجهزة الدولة الفنية وخاصة أجهزة وزارة الكهرباء والماء تحت تصرف هذه الهيئة للاستفادة منها على أوسع مدى.

ب – تقوم الهيئة المقترحة أو أية جهة متخصصة أخرى بتحضير شروط عامة وبيانات أساسية عن المشروع تتضمن الآتي:

١ – كمية المياه المقترح جلبها.

٢ – التسهيلات الفنية والإدارية المحلية.

٣ – المنشآت الموجودة والواجب الاستفادة منها للمشروع.

٤ – المسافة وطبيعة الأرض.

٥ – أية أمور أخرى فنية أو مالية أو غير ذلك ترى ضرورة ذكرها لتسهيل مهمة الخبراء.

ويختار عدد من الخبراء العالميين ويطلب منهم بعد تزويدهم بالبيانات المذكورة أن يقدموا خلال مدة محددة تقاريرهم التي يجب أن تتضمن الآتي:

١ – أنسب الطرق لجلب المياه (أنابيب فولاذية.. أو أنابيب أسمنت.. أو قناة)

٢ – اختيار المكان المناسب لضخ المياه.

٣ – محطات الضخ والكهرباء والخزانات اللازمة ومواقعها وطاقاتها.

٤ – كلفة المشروع التقديرية.

٥ – المدة المقدرة لإنجازه.

٦ – أية أمور أخرى يقترحونها.

٧ – الرسوم التي يطلبونها لقاء القيام بالأعمال الاستشارية للمشروع.

وتقوم الهيئة المقترحة بدراسة كافة التوصيات والمشروعات، وتختار الأنسب منها من جميع النواحي.

وأجد أنه من الواجب أن أسجل هنا أنه ليس من السهل في هذه المرحلة وفي ضوء المعلومات والبيانات المتوافرة أن أقدم تقريرًا يبين الكلفة بدقة أو يعطي حلًا فنيًّا نهائيًّا قد تظهر الدراسة المتخصصة والشاملة عدم ملاءمته. لذلك يجب

أن يترك ذلك للخبراء المتخصصين المتفرغين. والغاية الأساسية من هذا التقرير محاولة إلقاء الضوء على مختلف الجوانب المتعلقة بهذا المشروع الكبير والحيوي للكويت وأهلها.

وبعد فهذه بعض التعليقات على ما فات في هذا المقال من حديث تضمن الجزء الأكبر منه تقرير الأستاذ عبدالمحسن القطان المرفوع إلى الشيخ جابر العلي السالم الصباح:

أولًا – كان تحليله لتقرير الكسندر جب تحليلًا جيدًا، ولما كانت المدة الفاصلة بين التقريرين تصل إلى تسع سنوات فإن هناك أمورًا كثيرة قد طرأت تجعل من المناسب أن يبحثها الفنيون فيكون عملهم هذا بمثابة تحديث للتقرير الأول، ومن أجل ذلك قال الأستاذ القطان أن الظروف قد تبدلت تبدلًا كبيرًا منذ أن وضع التقرير المذكور بحيث أصبح لازمًا إعادة النظر في كثير من الأسس والاقتراحات التي أخذت بعين الاعتبار في ذلك الحين، وأورد من ملاحظاته ما يلي:

١ – اقترح التقرير جلب الغاز اللازم للوقود من حقل برقان الذي يبعد عن محطة الضخ حوالي ٢٢٠ ك.م وقد أصبح الغاز الآن متوافرًا في حقل نفط الروضتين الذي يبعد أقل من ٩٠ كيلو مترًا عن محطة الضخ المقترحة (٤) الأمر الذي سيختصر الكلفة والزمن معاً.

٢ – كانت منطقة شمال الكويت في ذلك الحين منطقة غير معمرة ولا توجد فيها طرق أو خدمات، ولكن الآن بعد إنجاز الطريق الجديدة أصبح التنقل أسهل وأسرع، وهذا سيساعد على خفض الكلفة.

٣ – اكتشاف المياه العذبة في منطقة الروضتين ووجود المنشآت هناك، إذ يمكن استعمال الخزان الأرضي الكبير ومحطة الضخ لضخ جزء من المياه المقترح

جلبها في المرحلة الأولى، وكذلك استعمال الأنابيب نفسها من الروضتين للكويت لجلب أقصى طاقتها، كما أن هناك عدة خطوط أسست من منطقة الصليبية لمدينة الكويت يمكن استعمالها لجلب قسم كبير من المياه المقترح جلبها وبالتالي خصم كلفتها.

٤ – حين وضع التقرير لم تكن لدى دولة الكويت أجهزة فنية وإدارية كبيرة ومدربة، وقد أصبح الآن لدى الحكومة وخصوصًا وزارة الكهرباء والماء مهندسون وموظفون إداريون وماليون قادرون على تحمل مسؤولياتهم بكل كفاءة.. وإن كان لابد من الاستعانة بالخبرة العالمية لوضع المواصفات الفنية الأساسية.

٥ – أصبحت لدى الكويت سمعة عالمية ممتازة بالنسبة للتعامل معها، وعليه فإن التنافس على أشده بين الشركات والمؤسسات العالمية لأخذ أعمال في الكويت، وهذا يخفض الكلفة بشكل كبير وأكيد.

٦ – حين حضر التقرير المذكور لم تكن لدى الكويت أية كمية تذكر من المياه العذبة داخل حدودها الأمر الذي كان سيعرض أهلها لأعظم المخاطر في حالة انقطاع المياه لأي سبب كان. أما الآن فبوجود محطات التقطير ومياه الروضتين التي تؤمن حدًّا أدنى يمكن اللجوء إليه في حالة وقوع الأزمة (لا سمح الله) وأصبح لدى الكويت ضمان داخلي كبير يمكن الاعتماد عليه.

٧ – المدة التي حددها التقرير بـ ٤٦ – ٥٦ شهرًا والتي اعتبرها في ذلك الحين ضرورية لإنجاز المشروع تعتبر الآن مدة طويلة، وفي مقدور الكويت جلب هذه المياه في حوالي (٤٠) شهرًا اعتبارًا من تاريخ الموافقة على المباشرة بالتنفيذ.

ثانيًا – كان فيما نقلناه عن التقرير ما يدل على الاطمئنان إلى أن المياه العذبة اذا بدأ انسيابها من شط العرب إلى الكويت فإنه لن يحدث ما يمنع استمرار ذلك،

وقد ذكر أن الرابطة القومية بين البلدين والحد الأدنى من المسؤولية الوطنية والدولية التي لا بد أن تتوافر لدى أي مسؤول عراقي تجاه هذا الأمر الخطير تمنع ذلك إلا أنه تحدث أمور غير منتظرة.. وقد حدثت الأمور ونزلت الإرادة العراقية لدى المسؤولين هناك عن الحد الأدنى بل وصل الأمر إلى غزو الكويت ومحاولة محوها. فلم يغن هذا التفاؤل شيئًا. أضف إلى ذلك أن المياه لم تعد صالحة للاستهلاك الآدمي، وأن أهل العراق أنفسهم لا يستفيدون منها وبخاصة في المنطقة التي كان من المؤمل سحب المياه منها.

ثالثًا: حاول التقرير أن يخفف من المخاوف التي كانت تملأ أحاسيس الناس في الكويت ضد الإقدام على تنفيذ هذا المشروع فذكر من ذلك أن وجود المياه المكررة من مياه البحر سوف تبعد المخاطر المتوقعة في حالة انقطاع المياه المجلوبة من شط العرب، فإن محطات التقطير احتياطي مهم في مثل هذه الظروف، وما الذي يجعلنا نعتمد على أمر نحن في شك منه. بحيث نلتزم وجود المقطرات تشغيلًا وتحديثًا وصيانة، حتى لنبذل عليها من الأموال ما نبذله في حالة عدم إقدامنا على مشروع الإسالة، أليس هذا هو الخطأ بعينه؟

هنا تنتهي المقالات الثلاث المتعلقة بإسالة المياه.. وآمل أن يكون هذا الموضوع بعيدًا عن أن نعود إليه لا استذكاراً للتاريخ الذي مر بنا، ولا فتحًا لآمال خادعة تجرنا في المستقبل إلى بذل جهود وأموال ثم لا نحصل بعد ذلك على شيء، إنّ التجارب التي مرت قد علمتنا الكثير من الدروس، فلن نحتاج إلى دروس جديدة؟.

****

ملحاق خير

لماذا نذهب بعيدًا، فلدينا الدليل القاطع على اهتمام دولة الكويت بموضوع الإسالة، وقد ارتبطت مع العراق باتفاق رسمي موثق صادق عليه أمير البلاد ورئيس وزرائها بموجب القانون رقم ٩ لسنة ١٩٦٤م.

ومن نصوص هذا القانون: «ووفق على الاتفاقية المعقودة بين حكومة الكويت وحكومة الجمهورية العراقية بشأن تزويد الكويت بالمياه العذبة، والموقع عليها في بغداد في ٢٨ رمضان سنة ١٣٨٣هـ، الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٦٤».

وهذا القانون بتوقيع الشيخ عبدالله السالم الصباح، والشيخ صباح السالم الصباح، وقد نشر هو والاتفاقية في الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» في عددها رقم ٤٦٨، من السنة العاشرة لصدورها.

كان الاتفاق موقعًا من قبل سمو أميرنا الحالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، يقابله من الجانب العراقي نظيره - آنذاك - صبحي عبدالحميد ممثلًا لحكومته. ويتكون من خمس عشرة مادة. وقد تحدث عن المشروع، وطريقة العمل وحقوق وواجبات الطرفين، كما تحدث عن الأراضي وسبل استخداماتها وملكيتها، وكذلك تمديدات الأنابيب والعمالة، إضافة إلى أمور أخرى لها أهميتها فيما يتعلق بهذا المشروع المهم.

كان التوقيع على ذلك الاتفاق في عهد حكم عبدالسلام عارف الذي سقطت طائرته ومات فيها فورًا، وقد تولى الحكم من بعده أخوه عبدالرحمن عارف في

سنة ١٩٦٦م، ولم يلبث حزب البعث أن استولى على الحكم في اليوم السابع عشر من شهر يوليه لسنة ١٩٦٨م مبتدئًا مرحلة جديدة للعراق كلها معاناة ومصائب تكبدها الشعب العراقي، وعانت منها الكويت بخاصة بعد تولي صدام حسين الحكم، وإدارته سياسة العنف والعنجهية.

وعلى الرغم من توقيع الاتفاقية، وإحاطتها بالرسميات، لم يكن الناس على ثقة من تنفيذ العراق لها، أو احترام توقيعه عليها. وذلك لكثرة ما مر من معوقات شرحنا الكثير منها فيما سبق، وهناك الكثير مما لم نذكر له شرحًا لأن المدى طويل، والحديث في هذا الأمر لا نهاية له، ولقد كانت الأحداث التي مرت في العراق بعد توقيع الاتفاق كثيرة ومؤثرة بحيث كانت الحكومة الكويتية تجد حرجًا في إثارة الموضوع في ظل الظروف غير المواتية فتم السكوت عن الأمر حتي نسي الاتفاق، ولم يعد أحد يذكره حتى اليوم.

وفي إيجاز شديد لما حدث بعد ذلك نجد ما يلي:

١ - صدر قرار وزير الكهرباء والماء بإنشاء لجنة سميت لجنة تنمية مصادر المياه، وهي اللجنة التي من المفترض أن يكون لها دور في أثناء تنفيذ الاتفاق.

٢ - احتفت الصحف بالتوقيع على الاتفاق، ثم التصديق عليه، ونشرت مجلة العربي، وجريدة الهدف وجريدة الرسالة وجريدة الرأي العام مقالات عبرت عن هذا الاحتفاء.

٣ - حتى اليوم الثامن من شهر سبتمبر لسنة ١٩٨٦ م كان وزير الكهرباء والماء محمد عبدالمحسن الرفاعي يصرح بأن مشروع إيصال مياه شط العرب في طريقه إلى التنفيذ، فالكويت لا تزال تأمل.

٤ - ولكن المهندس الرفاعي يصرح بعد ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر لسنة ١٩٨٦م بأنه لا يزال يأمل برد (من العراق) علي جر مياه شط العرب أوائل العام المقبل، وكأنهم لم يوقعوا على الاتفاق.

٥ - في اليوم الرابع والعشرين من شهر إبريل لسنة ١٩٨٨ م قررت الكويت تخصيص اعتماد مالي بمبلغ ٣٤٠ ألف دينار كويتي لدراسات الجدوى الاقتصادية، وهذا يعكس الجدية الكويتية تجاه المشروع.

٦ - في اليوم السابع من شهر مارس لسنة ١٩٨٩م جاء دور المرحوم الدكتور حمود الرقبة . وزير الكهرباء والماء آنذاك ليشارك في هذا العمل الذي لم تنقطع الكويت أبداً عن متابعته فأعلن أن مشروع جلب مياه شط العرب إلى الكويت سوف ينفذ خلال ٤ سنوات وأنه في ذلك الوقت يستعد للسفر إلى بغداد من أجل هذه الغاية.

٧ - واستمرت المفاوضات، وتمخضت عن اتفاقات تعتبر من قبيل التهدئة وصرف النظر لأنها لا تنفذ، ففي الزيارة المشار إليها، التي تمت في اليوم الثالث عشر من شهر مارس لسنة ١٩٨٩م أعلن الوزير الرقبة عن اتفاق جديد حول جلب المياه.

٨ - وفي هذا الوقت شكل الوزير الكويتي لجنة تحت مسمى لجنة إسالة مياه شط العرب برئاسة المهندس عبدالله المنيس الوكيل المساعد في وزارة الكهرباء والماء على أمل أن تتحقق الوعود، ولكن شيئاً لم يتحقق.

٩ - في اليوم الثلاثين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٨٩م كانت الميزانية المطلوبة لتنفيذ المشروع جاهزة ومعتمدة وكانت آمال الدكتور حمود الرقبة كبيرة بحيث صار يطرح تصورات حول التنفيذ. وأبلغ الصحافة الكويتية بأن مناقصة مشروع جلب مياه شط العرب سوف تطرح في العام المقبل.

والقارئ يعرف جيدًا ما حدث في السنة التي يشير إليها الوزير مما يؤكد ما أشرنا إليه من قبل عن الاتفاقات التي يوقعها ذلك الجانب من حيث أنها اتفاقات تهدئة وتخدير إلى أن تتم الوثبة على الكويت في سنة ١٩٩٠م، وهي السنة التي قدرت الكويت فيها موعد إعلان مناقصة جلب المياه.

فانظر بعد ذلك وفكّر في هذه العلاقات التي نبنيها بحسن نية مع من لا يعرف حسن النية البته. وليتأكد الجميع من أن الكويت كانت مهتمة جداً بالحصول على المياه، ولم تترك وسيلة إلا واتبعتها من أجل تحقيق هذه الغاية، ولكن دون جدوى.

****

رجال لا ينساهم الوطن:
سلطان إبراهيم الكليب[1]

مر بنا كثيرًا ذكر المرحوم سلطان إبراهيم الكليب، كان ذلك في عدد من المقالات السابق نشرها في «الوطن» تحت عنوان «أيام من تاريخ الكويت»، ذلك لأن هذا الرجل خلق نشيطًا ساعيًا إلى خدمة وطنه، متفانيًا في أداء ما يراه واجبًا عليه تجاه المواطنين، ولذا فإن المرات التي ذكرناه فيها - وهي كثيرة - كانت تدل على حركته التي لا تهدأ والإنتاج الذي لا يتوقف، لا يريد من ورائه مصلحة شخصية بقدر ما يريد أن يؤدي خدمته لبلاده وأهلها، تراه في الأعمال التي وكلت إليه مخلصا وفيًا يؤديها بأمانة وصدق. وتراه في المشروعات الاجتماعية يساهم في إقامتها ويدعو لها. ولذا فقد كانت له مكانة في نفوس المواطنين جميعًا، وأصبح اسمه يتردد على كل لسان، وأعماله البارزة خير دليل على كل ذلك وبخاصة إذا أضفنا إليها تحليه بالأخلاق الحسنة، وحسن الصلة بالناس والحرص على دينه، وعلى العادات الطيبة التي ورثها من آبائه السابقين.

ولد سلطان الكليب في الحي القبلي من العاصمة في سنة ١٨٨٩م، ودرس في الكتاتيب القائمة في زمنه القراءة والكتابة والقرآن الكريم، واعتمد على نفسه بالقراءة والاطلاع، ولكنه - أيضًا - تلقى دروسًا في اللغة والعلوم والحساب في الهند وفي البحرين.

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/١٠.

وقد نشأ كريمًا سخيًّا يبذل ما يستطيع لكل محتاج، وكان مشهورًا بالنخوة في مساعي الخير، حريصًا على العمل المشترك الذي يتصدى لمحاربة الجهل والمرض، ومكافحة الخرافات والدجل، وكان دائم الدعوة إلى فهم الدين الإسلامي الحنيف على أصوله.

لم يتردد إلى التقدم للتطوع في العمل ممرضًا في الجمعية الخيرية التي أنشأها المرحوم فرحان الخالد في سنة ١٩١٣م وكانت قد أحضرت طبيبًا وأعدت عيادة كانت في حاجة إلى ممرض فتقدم إليها راضيًا بهذا العمل متطوعًا فيه.

وعند إنشاء المدرسة النظامية الثانية في الكويت في سنة ١٩٢٠م، وهي المدرسة الأحمدية كان من المساهمين في تأسيسها، ومشرفًا على بنائها، وعضوًا في مجلس إدارتها، وكان معه من الأعضاء مشاري الكليب، ومشعان خالد الخضير، وعبدالرحمن النقيب، وسيد علي سيد سليمان،

وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

هذا وقد دفعته وطنيته إلى الاشتراك في معركة الجهراء في سنة ١٩٢٠م، إذ لم يتردد في خوض غمار تلك الحرب في سبيل وطنه الذي يستحق التضحية من أجله.

وفي سنة ١٩٢٢م تنادى عدد من أبناء البلاد كان منهم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، وعبدالحميد الصانع، وسلطان الكليب، إلى العمل على إنشاء مكتبة عامة تتيح للشباب والأدباء وطلبة العلم مجالًا للاطلاع، ومكانًا للبحث وقد تحققت فكرة هؤلاء الرجال فتم افتتاح المكتبة، وكان لسلطان الكليب دور في سرعة التنفيذ لما عرفت عنه من قدرة على المتابعة، وإخلاص في أداء الأعمال التي يتعهد بالقيام بها. وقد تجاوب الأهالي مع هذه المكتبة لثقتهم الكبيرة بالمؤسسين فانهالت عليها الكتب والمجلات والتبرعات.

وقد صارت هذه المكتبة هي الأساس للمكتبات العامة التي قامت دائرة معارف الكويت - فيما بعد - بتعميمها في البلاد.

وكان له دور في ترميم عدد من المساجد قبل أن يتم إنشاء دائرة الأوقاف العامة، وقد بذل جهدًا فرديًّا كبيرًا في سبيل هذه الغاية النبيلة.

عين في اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٣٣م مديرًا لشركة كهرباء الكويت، وسعى - آنذاك - إلى أن يستفيد أكبر قدر من المواطنين من هذه الخدمة الجديدة عليهم، كما سوف يأتي.

تم اختياره عضوًا في مجلس المعارف في سنة ١٩٣٦م وهو أول مجلس لهذه الدائرة. ثم تم اختياره مرة أخرى في دورة جديدة ابتداء من سنة ١٩٥١م.

وابتداء من اليوم التاسع عشر من شهر يونية لسنة ١٩٣٧م تم اختياره عضوًا في المجلس البلدي. ثم صار عضوًا في المجلس التشريعي في سنة ١٩٣٨م،

وفي شهر اكتوبر لسنة ١٩٣٩م صار مديراً لبلدية الكويت، وكانت أعماله فيها معروفة يتحدث عنها الناس، ويتذكرونه بها. وقد استمر في عمله هذا حتى شهر ديسمبر لسنة ١٩٤٢م.

في الفترة السابقة على عمله مديرًا لبلدية الكويت كان مديرًا لدائرة الاشغال العامة منذ اليوم الثامن عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٣٨م حتى اليوم الثاني عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٣٨م .

ولكنه عاد مديرًا لهذه الدائرة مرة أخرى في سنة ١٩٥١م وبقي بها حتى سنة ١٩٥٢م.

كان له اهتمام بموضوع الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وكان اول من دعا الى ذلك، ولهذا الأمر قصة رواها الأستاذ عبدالله خالد الحاتم في كتابه «من هنا بدأت الكويت» وهذا طرف من تلك القصة، يقول:

في سنة ١٩٣٥ م كانت الكويت تحتفل بيوم جلوس ملك الانجليز للصداقة التي تربط البلدين، ثم اتبعت ذلك بالاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وقد أثار هذا الأمر ثائرة الناس في ذلك الوقت، قائلين إن من يرانا على هذه الحال يظن أنه لا تاريخ لنا، ولا مناسبات مهمة ينبغي علينا الاحتفال بها.

وقد قام عدد من وجهاء البلاد بحركة قصد منها اتخاذ موقف من هذه الأعياد التي لا علاقة لها بتاريخ البلاد ولا بدينها. وأدت هذ الحركة إلى خروج فكرة الاحتفال بيوم المولد النبوي الشريف، واعتبار هذا اليوم عيدًا في الكويت، ولم تعترض الحكومة على هذا الرأي بل ربما شجعته بدليل سرعة تطبيقها له.

في عصر اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول لسنة ١٣٥٤ هـ الموافق لليوم الرابع عشر من شهر يونيو لسنة ١٩٣٥ م أقيمت أول حفلة من نوعها إحياء لذكرى مولد الرسول الكريم في مسجد السوق، ألقيت فيها الخطب المناسبة، وكان أول المتحدثين هو سلطان الكليب منظم الحفل والمشرف عليه، ولا غرو في ذلك فهو من أبرز الدعاة إلى الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة. لقد كانت الغيرة على التاريخ الإسلامي والدين الحنيف سببًا دعا إلى قيام هذا الحفل منذ ذلك اليوم ولا تزال وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية تحتفي به كل سنة.

ويبدو أن الأستاذ عبدالله الحاتم كان على صلة جيدة بسلطان الكليب أو أنه - على الاقل - معجب به وبأعماله النبيلة، فذكره عندما تحدث عن مجلس من مجالس الكويت هو مجلس السيد خلف النقيب، لقد تحدث تحت هذا العنوان عن رواد هذا المجلس وهم من علية القوم، ومن كبار الضيوف الزائرين للبلاد، وقد قال عندما تحدث عن صاحبنا باعتباره أحد حضور مجلس النقيب : «والإنساني الكبير: سلطان الكليب، أبو الفقراء، ونصير المشروعات المفيدة».

نعود هنا إلى حديثنا السابق عن المدرسة الأحمدية وكانت هذه المدرسة قد نشأت في سنة ١٩٢٠م، وكان سبب نشأتها أن المدرسة الأولى وهي المدرسة المباركية لم تعد كافية. وكانت الرغبة شديدة في قيام مدرسة تتلافى النقص في نواحي التعليم هناك، وتعين المدرسة المباركية على أداء مهمتها نظرًا إلى أن أعداد الطلاب بدأت تتزايد والحاجة إلى مقاعد دراسية إضافية أضحت ضرورة ملحة.

وقد اجتمع نفر من أبناء الكويت في ديوان السيد خلف النقيب واتفقوا على إنشاء المدرسة الأحمدية، وفي تلك الليلة التي تم فيها الاجتماع استطاع الحاضرون جمع مبلغ لا بأس به، يقول الشيخ عبدالله النوري: «وفي اليوم التالي قام ذو الهمة التي لا تفل المرحوم سلطان الإبراهيم الكليب بعزمه ونشاطه المعهودين بحث الناس على المساهمة في هذا المشروع، فجمع مبلغًا أكثر مما جمع في تلك الليلة».

في اليوم الأول من شهر إبريل لسنة ١٩٣٤م بدأ إيصال التيار الكهربائي في الكويت إلى المنازل والمحلات التجارية، وذلك ما قامت به شركة أهلية تولت إنتاج الكهرباء وتوزيعها في البلاد، واستمرت هذه الشركة في عملها حتى أمَّمتها الحكومة في شهر يوليو سنة ١٩٥١ م، وأنشات دائرة الكهرباء العامة بدلًا منها.

قامت الشركة المذكورة بجهود كبيرة لإيصال التيار الكهربائي إلى كل مكان، ولكن الإمكانات المتوافرة لها كانت قليلة مما دفع الحكومة الكويتية إلى اتخاذ خطوة التأميم.

في سنة ١٩٣٦م كان مدير الشركة هو سلطان إبراهيم الكليب الذي أدارها بجد واجتهاد، واهتم بأن تؤدي الغرض من إنشائها مهما صادف من عقبات. وشهدت في عهده تقدمًا ملموسًا إلا أن هذا المرفق المهم يحتاج إلى رأسمال كبير وحكومة تقوم به وبخاصة وأن البلاد لم يكن بها كهرباء قبل إنشاء الشركة.

من الدلائل على محبة الناس لسلطان الكليب هذه القصيدة التي نظمها شاعر الكويت صقر الشبيب متحدثاً فيها عن مزايا صاحبنا معدداً أفعاله الكريمة، وهي مكونة من ستين بيتاً تمنى له فيها طول العمر، وشكره على إحسانه الذي لم يتوقف طيلة حياته، وذكر أن الكويت تفخر بسلطان إذا فخرت البلدان الأخرى بمحسنيها. وقال: إنه هيهات أن نلقى مثل هذا الرجل المصلح، الذي سوف يذكر بما هو أهل له من الفضل والعمل الطيب عند الله وعند الناس أجمعين. ثم يكرر الشكر له، ويقول إنه لو كان الأمر باختياره لوهب ما بقي من عمره لسلطان.

ونظراً لطول القصيدة فإننا نكتفي منها بالأبيات التالية:

ألا لَيْتَ سُلْطَاناً سَلَاطِينُ بَيْنَنَا
لكَيْما يَعُمَّ العَطْفُ منّا ذَوي الفَقْرِ
ولكنّه يَا للمُصِيبَةِ واحدٌ
وعدُّ ذَوي الإقْلَالِ فَاتَ يَدَ الحَصْرِ
وأي فتًى فينا سِوَاهُ قد انْبَرَى
لمسح دُمُوع البائسينَ التي تَجْري
فإن فَخَرَتْ بالمحسنينَ ديَارُهم
تَحلّتْ بسُلطَان الكُوَيْت حُلَى الفَخْر
لقدْ قلَّ أهلُ العَطف بيْنَ مَعَاشري
ومَا قَلَّ أصْحابُ الوَجَاهَةِ واليُسْر
كانَّ قُلُوبَ الكُلِّ منْهُمْ تَكَوّنَت
تجَاهَ صَنِيع البؤس من أصلَب الصَّخْر
فَلا رَحْمَةٌ منْهُمْ ولا رَافَةٌ بَمنْ
رَمَتْهُمْ يَدُ الإفلاس بالنُّوَب الغُبْر
إذَا لَم يَجدُ الجدُّ منْ عَزْم قَائم
ببَذْل مَسَاع مثْل مَسْعَاته غُرِّ

وهَيْهَاتَ أن نَلْقى كَسُلطانَ منْ فَتًى
لإصلاح حَالٍ أفسدَتها يَدُ الدَهْر
سَيُذْكَرُ سُلْطَانٌ بَمَا هُوَ أهْلُهُ
لَدَى اللّه والأبرار منْ طيِّب الذِّكر
وأشْكُرُه مَهْمَا جَرَىَ ذكْرُ مُحْسن
منَ النّاس في نَظم المقَال أو النَّثر
ولَوْ كُنْتُ مُخْتَاراً وَهَبْتُ لعُمْره
بَقيّةَ مَا أوتيتُ منْ مُدّة العُمْر
ليبْقَى طَويلاً مَنْ تَردُّ جُهُودُه
كَسيرَ قُلوب البَائسينَ إلى جَبْر

وأخيراً حُمّ القضاء، ودنت ساعة رحيل هذا الرجل الكريم الوفي لوطنه، فانتقل إلى رحمة الله بعد جهاد كبير في سبيل خدمة الكويت وأهل الكويت لم يتردد يوماً عن العمل في أي مجال يطلب منه المبادرة إلى عمل شيء يفيد الناس، أو يرفع عنهم أذى، أو يُعلي من سمعة وطنه الذي يحبه ويتمنى له دوام الازدهار ويبذل الكثير في سبيل تحقيق ما يتمناه له.

توفي سلطان إبراهيم الكليب مأسوفاً عليه، وعلى أخلاقه الطيبة، وجهوده النافعة، وقد ذكر أحمد البشر الرومي في أوراقه الخاصة عند اليوم التاسع عشر من شهر أغسطس لسنة ١٩٥٢م ما يلي: «البارحة حوالي الساعة السابعة توفي سلطان إبراهيم الكليب، وقد ذهبنا إلى ديوانهم لتعزيتهم صباح هذا اليوم، وقد عطل المجلس جلسته هذا اليوم».

وكتبت مجلة «البعثة» تأبيناً له بقلم شخص رمز إلى اسمه بحرفين هما (ع. ف) نورده كما نشر وسيلاحظ القارئ اختلافاً في تاريخ الوفاة عن اليوم

الذي ذكره البشر، ولما كان هذا الأخير يكتب الأحداث يوماً فيوماً، فإن ترجيح التاريخ الذي ذكر أقرب إلى الصواب، وبخاصة أن مقال التأبين قد نشر في شهر نوفمبر، وذلك بعد مرور شهور على الوفاة. ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقدم ما تضمنه النعي كاملًا ففيه وصف لأعمال الفقيد، وتفجع لفقده، يقول:

«في اليوم السادس والعشرين من شهر أغسطس الماضي رُزِئت الكويت بفقد رجل من رجالها المخلصين وعلم من أعلامها البارزين هو المرحوم سلطان ابراهيم الكليب ذلك الرجل الذي وهب حياته وماله في سبيل خدمة وطنه فقد كان رحمه الله شعلة ملتهبة من النشاط والحيوية على الرغم من تقدمه في العمر.

لقد تولى الفقيد إدارة البلدية منذ ثماني سنوات تقريبًا فكان مثالًا طيبًا للإدارة النزيهة والإخلاص في العمل حتى أصبحت البلدية في عهده دائرة نشيطة يفخر بها كل كويتي واستمر جاهدًا في تنفيذ المشروعات الإصلاحية حتى أصبح اسم دائرة البلدية مقرونًا باسم سلطان.

ومما يروى عن إخلاصه في عمله أنه في أيام الشتاء عندما تهطل الأمطار في منتصف الليل يهب من فراشه ويحمل المجرف على كتفه ويذهب حيث يعمل العمال يفتح المجاري لمساعدتهم، وحينما تراه بين هؤلاء العمال وثيابه مبللة ورجلاه غائصتان في الوحل لا يمكن أن تصدق أن هذا الرجل هو مدير البلدية، حيث لا فرق بينه وبين أي عامل بسيط.

والسرُّ الذي جعل هذا الرجل محبوبًا من الجميع هو تواضعه وإخلاصه في عمله وصراحته فقد كان رجلًا لا يعرف التملق والمداهنة.

والكل يعرف أن المداهنة والتملق في الوقت الحاضر أصبحت وسيلة لكثير من المآرب والمنافع الشخصية ولهذا السبب بالذات فقدت البلدية سلطانًا.

والفقيد يؤمن حقَّ الإيمان بأن مركزه كمدير للبلدية يحتم عليه أن يندمج مع جميع طبقات الشعب لا فرق بين غني وفقير، يستمع إلى شكواهم ويعمل على تنفيذها ولا يتردد في رفع هذه الشكاوى إلى ولاة الأمور.

لقد ظل الفقيد مدة من الزمن بعيدًا عن جميع الدوائر في قت كانت البلاد في حاجة ماسة إلى مجهوداته، وعندما أجريت الانتخابات العامة كان اسمه في أعلى قائمة المرشحين لعضوية مجلس المعارف، وهكذا استبشر الكل بعودته، فدائرة المعارف كانت بحاجة إلى أمثاله من الرجال المخلصين.

ولكن - ما أمَرّ هذه الكلمة - امتدت إليه يد المنون فانتقل إلى رحمة ربه، فانطوت صفحة رجل من رجال الكويت المخصلين الذين أفنوا العمر كفاحًا في سبيل إسعاد وطنهم.

والآن وقد غبت عنا إلى الأبد وتركت أصدقاءك ومحبيك يذرفون الدمع أسًى ولوعة على فراقك الذي لا لقاء بعده، نم هادئًا مطمئنًا في مثواك الطاهر، فقد حققت أعمالًا لا تنسى، تخلد اسمك أبد الدهر يرددها أصدقاؤك من حين لآخر، فتكون لهم خير عون على تحمل فراقك الأليم.

«رحمك الله يا سلطان وألهم أهلك ومحبيك الصبر والسلوان».

وهكذا عبَّر كاتب النعي عن مشاعر الناس تجاه هذا الرجل المخلص الذي لايزال اسمه يتردد بيننا إلى اليوم عندما يُذكر المخلصون، وليس لنا بعد ذلك إلا الدعاء له، والأمل في رجل بل في رجال يسيرون بسيرته ويعملون بالأسلوب الذي كان يزاول عمله بموجبه.

****

ملحاق خير

عبدالله سلطان الكليب هو الابن الوحيد لوالده، وقد نشأ على طريقة الوالد من حب للعمل العام، ومساعدة الناس، ورغبة شديدة في عمل الخير. ولد في سنة ١٩٢٥م، ودرس في المدارس الأهلية في الكويت، ثم انتقل إلى البحرين حيث درس في مدرسة العريِّض، ثم أكمل دراسته في الكويت مرة أخرى في المدرستين الأحمدية والمباركية، ودرس دورسًا خارج المدرسة في اللغة الإنجليزية وأتقنها.

اشترك في رحلات الغوص أسوة بزملائه شباب تلك الأيام الذين كانوا يعتبرون الدخول إلى هذا المعترك دليلًا من أدلة الرجولة وتخطي سن المراهقة، ثم عمل في التجارة البحرية، وعندما نشأت شركة نفط الكويت التحق بها، وصار أحد موظفيها فترة إلى أن استقال منها وتفرغ للتجارة الحرة.

وفي سنة ١٩٥٢م قام بالاشتراك مع عدد من رجال الكويت بتأسيس جمعية إسلامية ذات نفع عام هي جمعية الإرشاد الإسلامي، وكان عضوًا بارزًا فيها، يشترك في كافة أنشطتها ويدعو إلى الانضمام إليها لما يعرف لها من الجدوى الدينية والاجتماعية التي تعود على الوطن بالخير. وقد عرفته في هذه الجمعية في فترة نشأتها، وكنت أشاهد جده في العمل الإرشادي التطوعي، وفي العمل الخيري.

ولم يكن نشاطه في المجالات التي ذكرناها قاصرًا على العمل في الكويت، بل كان يعمل للخارج أينما دعت الحاجة إلى دعم أبناء المسلمين في أي مكان، وفي فترة الصراع بين الفلسطينيين والبريطانيين، كان عبدالله الكليب عضوًا في لجنة

شعبية نشطت في جميع التبرعات دعما للموقف الفلسطيني في الصراع المذكور، وكانت تلك اللجنة ترسل إلى هناك ما تحصل عليه من أموال، وتقوم في أحيان كثيرة بشراء السلاح وإرساله إلى المحاربين.

كان عمله الأبرز فيما بعد في الحكومة، إذ صار في سنة ١٩٦٤م وكيلًا لوزارة البريد والبرق والهاتف، وقد بذل جهده في هذا العمل الذي كان جديداً عليه إذ لم تكن له خبرة في الأعمال الحكومية، ولا في المسائل التي تقع تحت مسؤولية تلك الوزارة، ولكنه قام بعمله خير قيام، واستوعب سريعًا متطلبات العمل وسار به سيراً حثيثًا إلى أن انتقل في فترة عمله الأخيرة في الحكومة إلى العمل في مجلس الوزراء، حيث أمضى مدة يسيرة في هذا العمل، قدم استقالته بعدها وتفرغ لعمله الخاص.

توفي عبدالله سلطان الكليب - مأسوفًا عليه - في سنة ١٩٩٠ م، رحمة الله.

****

اللهجة الكويتية في كتاب قديم [1]

للهجة الكويتية صلتها الوثيقة بأمها اللغة العرية الفصحى، ولا شك في أن الناس في الكويت قد توارثوا اللغة من آبائهم وأجدادهم، ومع مضي الزمن دخلت بعض التحويرات على الكلمات المنطوقة فنشأت اللهجة التي هي لغة الحياة اليومية التي نستعملها في مخاطباتنا.

مرت فترة من الزمن كان الناس هنا يظنون أن البون شاسع بين الفصحى واللهجة العامية الدارجة، وأن كلًّا منهما مستقل بذاته، إلى أن بدأ التعليم يأخذ مساره في الكويت وانتشر عدد المتعلمين والمثقفين والمطلعين على أسرار اللغة الفصحى، ومن هنا بدأت المقارنات، إذ تبين لهؤلاء أن اللهجة إنما هي نقل عن الفصحى، أو على الأقل تحوير لبعض ألفاظها، وكان عدد من أبناء الكويت يتداولون في مجالسهم كثيرًا من الكلمات المتشابهة، وترى أحدهم يأتي إلى الديوانية وهو سعيد لكي يبلغ رفاقه باكتشاف من هذه الاكتشافات، واستمر الأمر على هذه الحال إلى أن صار كل شيء واضحًا، وتجلّت للجميع الصورة الحقيقية للهجة الكويتية وذلك عند مقارنتها مع ما جاء في معاجم اللغة الفصحى من ألفاظ.

كانت لنا جلسة في ديوانية الثلاثاء حين دخل علينا المرحوم خالد راشد بورسلي، وهو قد اعتاد زيارتنا تكرمًا منه، ونحن نستفيد كثيراً من معلوماته الغزيرة، كان في ذلك اليوم سعيداً فقد اكتشف اكتشافًا جديداً إذ علم أن أحد

---

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ١٧/١٠/٢٠٠٧.

الألفاظ الكويتية ذو أصل عربي فصيح، وكان يظنه لفظًا من اختراع اللهجة لا غير. وعندما لاحظت سروره أحببت أن أزيده سروراً فقمت بجمع بعض الألفاظ من كتاب لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور وهو كتاب شهير كبير الحجم، فانتقيت منه ألفاظًا جاءت في نحو أربع صفحات، ثم صارت هذه الصفحات الأربع هي نواة كتابي: «ألفاظ اللهجة الكويتية في كتاب لسان العرب لابن منظور».

وخالد راشد بورسلي من رجال الكويت الذين أسهموا في مجالات النهضة المتعددة في بداية تطلع البلاد إلى الرقي، تلقى دراسته في مدارس الكويت مثل المدرستين المباركية والأحمدية، وأقبل على القراءة والاطلاع، وحفظ الكثير من الأشعار سواء أكان منها ما هو بالفصحى أم باللهجة الدارجة، وهو يروي عدداً كبيراً من القصائد، والكثير من الأخبار المتعلقة بالتاريخ، وبخاصة ما يتعلق منها بتاريخ الكويت. ولا غرو في ذلك فقد نشأ أبو راشد في بيئة تحب الشعر، وتنشده، وشاعر الكويت الشعبي فهد بورسلي من إنتاج هذه البيئة، وهو شاعر معروف، له شعر جيد حواه ديوانه المطبوع، تردده ألسنة الناس في كل حين، كما أن والده راشد بن ناصر بورسلي كان من أوائل الذين خرجوا للدراسة العالية في خارج الكويت وذلك في سنة ١٨٨٨م، حين رحل إلى مصر لكي يتلقى دراسته في الأزهر الشريف بالقاهرة، فلا عجب حين نرى من خالد راشد بورسلي اهتمامًا زائدًا بالثقافة وجمع المعلومات والرغبة الشديدة في اغتراف المعرفة.

وكتاب «لسان العرب» الذي أشرنا إليه قبل قليل وذكرنا أنه من مؤلفات الإمام العلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، هو كنز مهم من كنوز اللغة العربية، يجد فيه القارئ إلى جانب معاني الكلمات العديد من الفوائد في اللغة والأدب والشعر والأخبار، وعلى رأس كل ذلك تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وذكر عدد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكتاب مطبوع في عدة طبعات منها طبعة بيروت التي جاءت في خمسة عشر مجلداً، وقد انتهى المؤلف من تأليف كتابه هذا في سنة ٦٨٩هـ التي توافق سنة ١٢٩٠م.

ومما ورد في هذا الكتاب القيم مما يشير إلى ألفاظ اللهجة الكويتية ما يلي:

في مادة (عمى): «ولقيته صكّة عُميّ... أي في أشد الهاجرة حرًّا... وقيل عمي رجل من عدوان، وكان يُفتي في الحج، فأقبل معتمرًا، ومعه ركب حتى نزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحَرّ، فقال عمي: من جاءت عليه هذه الساعة من غد وهو حرام لم يقض عمرته، فهو حرام إلى قابل، فوثب الناس يضربون حتى وافوا البيت وبينهم وبينه من ذلك الموضع ليلتان جوادان فضرب مثلًا.. وفي الحديث: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة نصف النهار إذا قام قائم الظهيرة «صكة عمي» وهذا المثل معروف ومستعمل في اللهجة الكويتية بلفظه، لا ينفي ذلك أن عددًا من أهل الكويت نسيه اليوم ولم يعد يستعمله، أو أن عددًا من المحدثين منهم لم يسمع به نتيجة إهماله ممن سبقهم.

وقولهم خطر على بالي الذي بيّنه ابن منظور بقوله: «يقال خطر ببالي أو على بالي إذا وقع ذلك في بالك ووهمك» وقولهم في اللهجة: فلان ما يترس عيني أي لا يعجبني وهو قول شبيه بما ذكره صاحب اللسان في مادة (ملأ) وهو: «فلان أملأ لعيني من فلان»، وقولهم حلا الشي في عيني، وفي اللسان: «حلا بقلبي وعيني»، وكذلك قولهم: «فلان طلع من طوره»، أي خرج عن حد المعقول (مادة طور) وقولهم: «أنا خلي بريء» بمعنى البراءة من الشيء أو من الشخص، ذكره ابن منظور بقوله: «أنا بريء منه وخلي منه» وقولهم فنيت الأسرة الفلانية ولم يبق منهم شباب الضو (أي النار) وهذا الاستعمال مذكور في لسان العرب كما يلي: «ما بالدار نافخ ضرمة نار» ويقال في الفصحى: خطِّئ عنك السوء: إذا دعوا أن يدفع عنه السوء، وهذه العبارة تقال في اللهجة لمن اجتاز إحدى المخاطر بسلام فيقال له: خطاك السو، وردها: خطاك اللاش وتعني الدعاء له بألا يؤذيه شيء.

ومن الأمثال العربية، ذكر ابن منظور قولهم: «أدق من خيط باطل» وهو إما الهباء الذي يكون مع ضوء الشمس يدخل من الكوة في الجدار، أو الخيط الذي

تغزله العنكبوت، كما ذكر ذلك الميداني في كتابه «مجمع الأمثال»، وفي الكويت يقال: فلان خيط باطل أي رخو، كسول لا يستفاد منه.

ومن الأمثال قولهم: عوير وزوير والمنكسر اللي ما فيه خير، وهو في اللسان بلفظ: كسير وعوير وكل غير خير، أي ما بقى إلا ضعاف القوم.

ومن أجلِّ مظاهر العلاقة المتينة بين الفصحى ولهجة أبناء الكويت ما نجده في الشعر النبطي الكويتي من صلة قوية باللغة الأم سواء أكان ذلك من حيث الكلمات ومعانيها أو من حيث الأسلوب والنواحي البلاغية المرتبطة به، فمن ذلك قول الشاعر حمود الناصر البدر:

عفرا من العفر الثلاث أولت لي
أعفر لو ان العسجدي به بروق
ما قصرت بالعون جت به وجت لي
قالت تَعَرْفَه؟ قلت فَضْحكْ وعوقي

وفي لسان العرب مادة (عفر) يقول ابن منظور: «والعفر من ليالي الشهر: السابعة والثامنة والتاسعة، وذلك لبياض القمر» والشاعر يقول ان ليلة من هذه الليالي الثلاث العفر أولت لي أي أعادت وأحضرت (وهذه أيضًا من الكلمات الفصحى المعروفة في اللهجة) حبيبًا فيه من شبه هؤلاء العفر وهو يجمع في اللون بين البياض والحمرة ولذلك سماه عسجديًا أي ذهبيًّا به من لون البرق، وهناك كلمات كثيرة تتطابق فيها اللغة الفصحى مع لهجة أبناء الكويت تطابقا تامًا.

أما الكتاب الثاني الذي قمت بدراسته أخيرًا واستخلصت منه ما يطابق اللهجة الكويتية من ألفاظ اللغة الفصحى، فهو كتاب «إصلاح المنطق» من تأليف العلّامة يعقوب ابن السكيت، وهو كتاب من أهم الكتب في مجاله، أثنى عليه عدد من العلماء القدامى، وتحدثوا عنه وعن مؤلفه، وقد نشرت دار المعارف بمصر هذا

الكتاب في سنة ١٩٨٧ بتحقيق العالمين الكبيرين أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، وكان أولهما قد عثر على هذا الكتاب القيم في سنة ١٩٤٧م، أما المؤلف فقد ولد في أواخر القرن الثاني الهجري، وتوفي في سنة ٢٤٤هـ، تاركًا عددًا لا بأس به من المؤلفات في اللغة والشعر.

الشيخ أحمد محمد شاكر من كبار علماء الأمة نشأ في بيت علم، ألف كثيرًا وحقق عددًا من كتب التراث، وهو شقيق شيخنا الأستاذ محمود محمد شاكر. وأما الأستاذ عبدالسلام هارون فهو شيخي الذي تلقيت عليه العلم في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وله تحقيقات وكتب كثيرة يصعب حصرها، وقد كان من أساتذة جامعة الكويت عند نشأتها، تخرج على يديه عدد كبير من الطلاب والطلبة من أبناء الكويت.

أما فيما يتعلق بما ورد في كتاب «إصلاح المنطق» مما يأتي عادة في اللهجة الكويتية فإننا نستثني هنا ما ورد في كتاب «لسان العرب» وهي ألفاظ أشرنا إليها أو إلى بعضها ولكننا نضع أمام القارئ بعض الألفاظ والاستعمالات اللغوية التي انفرد بها ومن ذلك:

١ – نقل ابن السكيت عن الفراء قوله: «يقال تقصصت أثره» وهي عبارة تستعمل اللهجة الكويتية شبيها لها، ولكن بنطقٍ آخر فيقال: استقصيت أثره بالمعنى نفسه. ويقال في وضع آخر: استقصيت ساحل البحر أبحث عن شيء ضائع أي سرت في بحثي مستقصيًا أثر هذا الشيء على طول ساحل البحر.

٢ – ومن إشاراته في هذا المجال قوله: «وتقول هذه عجوز، ولا تقل: عجوزة».

وفي اللهجة يستعمل هذا اللفظ وفقًا للفصحى فلا يقال: عجوزة أبدًا.

٣ – ومن الألفاظ المستعملة في اللهجة قولهم: خرجت أترمي، أي أصطاد بواسطة الرمي، ولكن ابن السكيت فَصّل فقال: «وتقول: خرجت أترمي، إذا جعلت

ترمي في الأغراض، وفي أصول الشجر، وخرجت أرتمي، إذا رميت القنص»، وقد جاءت اللهجة على استعمال لفظ واحد لكل ذلك فقيل: أترمي.

٤ – ويقول ابن السكيت: «ويقال: ما رأيت له أثرًا ولا عثيرًا» أي أن المقصود قد فقد فقدانًا تامًا فلم يعثر عليه. وحورت اللهجة في هذا القول قليلًا فقيل: ما له أثر ولا عميثر.

٥ – يقول: «ويقال: جاءنا فلان فلم يأتنا بهلة ولا بلة، فالهلة من الفرح والاستهلال، والبلة من البلل والخير».

وفي اللهجة قول يكاد يكون مطابقًا لهذا حيث يقال: «جاء فلان لا جاته (جاءته) هلة ولا أرض مبتلة» والتماثل في الصيغتين واضح جدًا.

٦ – وذكر لفظ (الشاوي) فقال: «ويقولون: هذا رجل شاوي، إذا كان صاحب شاء».

وفي اللهجة يطلق اللفظ على راعي الغنم من شاءٍ ومعزٍ دون تحديد، وفي الكويت – قديمًا – ينتشر بين المنازل المختلفة (الفرجان) عدد من الرعاة يخرجون بالأغنام إلى خارج سور الكويت لتمكينها من الرعي، ومن الفرجان المعروفة: فريج الشاوي في الحي القبلي.

٧ – ومن الألفاظ التي أوردها المؤلف ما يطلق عليه في اللهجة (الحاشي) وهو صغير الإبل، حيث يقول: «والحواشي: صغار الإبل».

٨ – وأورد ابن سكيت العبارة التالية قائلًا: «ويقال: أوشاه يوشيه، إذا استحثه بكلاب أو محجن».

وفي اللهجة تطلق هذه العبارة عند استحثاث الشخص وإثارته لدفعه على مهاجمة شخص آخر، ويقال: يؤشي بينهم أي يثير بعضهم على بعض.

٩ - ويقال عندنا في وصف الشخص غير المنتبه إلى أموره: هذا الرجل أعمى القلب.

وفي «الإصلاح» قوله: «ورجل عمى القلب».

١٠ - وتستعمل اللهجة لفظ أجنبنا بمعنى اتجهنا إلى الجنوب، وأشملنا بمعنى اتجهنا إلى الشمال. ونص ابن السكيت على ذلك بقوله: «ويقال: قد أجنبنا وأشملنا». وشبيه بذلك قولهم: ساحلنا أي سرنا بالقرب من الساحل. ونص ابن السكيت على ذلك بقوله: «وقد ساحلوا إذا أخذوا على الساحل».

وبخلاف هذا في الفصحى ما جاء في كتاب «المشوف المُعلم»: للعكبري «ويا من بأصحابك، خذ بهم يمنة، ولا يقال: تيامن بهم» بينما تنطق اللهجة بلفظ تيامن خلافًا لذلك.

١١ - وجاء في «الإصلاح»: فلان عسر بمعنى أنه مشاكس صعب الانقياد، وفي اللهجة يقال فلان عسر، وفلان فيه عسارة.

١٢ - وفي مادة شبب جاء قوله: «شب لون المرأة خمار أسود، إذا لبسته فحسنها، وزاد في بياضها».

وفي اللهجة يقال: هذا الثوب شاب على تلك المرأة إذا كان مبديًا لجمالها.

١٣ - يقال تخطيت القوم إذا اجتزتهم، وهذا الأسلوب دارج في اللهجة.

١٤ - ومن الاستعمالات الدالة على التبكير في عمل شيء أو في ملاقاة شخص أو ما شابه ذلك قولهم: «أتيته على ريق نفسي» وتستعمل اللهجة هذا الأسلوب فيقال: زرت صديقي على الريق، أو خرجت من بيتي على الريق أي في وقت مبكر، وتنطق اللهجة هذه القاف جيمًا، فيقال: الريج.

١٥ - المشهور في الفصحى لفظ الزيارة، وقد ورد في ذلك قولهم: الزوارة، وهو ما جاء في اللهجة.

١٦ - من أوصاف الجميلات في القصص الشعبي الكويتي قولهم: فتاة غضة بضة. ذكر ذلك ابن السكيت ونقل عنه العكبري مبينًا اختلاف العرب في تشكيل هذه العبارة. ولكنه ذكر منذ البداية: غضة بضة.

١٧ - يقال في اللهجة فلان لغوة أي كثير اللغو في الكلام. ويقال: كف اللغا أي اترك اللغو. ونقل العكبري عن ابن السكيت قوله: «ويقال اللغو واللغا» كما نقل قول العجاج: عن اللغا ورفث التكلم.

وهكذا نرى أن استعمال لفظ (اللغا) وارد في الفصحى وفي اللهجة الدارجة.

١٨ - من الألفاظ الدارجة في اللهجة قولهم: شرعت الباب.

وفي الفصحى كما نقل العكبري عن ابن السكيت يقال: «أشرعت بابًا إلى الطريق» أي فتحته في النطقين الفصيح وغيره.

١٩ - وفي اللهجة يقال: رجل مصدور، أي يشتكي مرضًا في صدره.

وفي الفصحى نجد الاستعمال نفسه.

٢٠ - وجاء في كتاب «المشوق المعلم» نقلًا عن ابن السكيت قوله: «والهدم: الثوب الخلق المرقع» وتسمى اللهجة الملابس بعامة: الهدوم، يقول أحدهم: لبست هدومي أي ملابسي.

هذه ملاحظات سريعة حول ألفاظ اللهجة الكويتية المتطابقة مع اللغة الفصحى، ولئن كان العدد الذي قدمناه منها هنا قليلًا فإن سوف نجد على الحقيقة وبخاصة في الكتابين اللذين ذكرناهما شيئًا كثيرًا.

إن اللهجة الكويتية صورة من صور الفصحى تكاد تكون متكاملة وليس فيها إلا العدد القليل من الكلمات الأجنبية وهي تلك التي وردت مع بعض الآلات أو أنواع

الاستعمالات الجديدة لآلات قديمة. وهنا نكرر الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بلهجة البلاد وعدم تضييعها فهي رمز من رموز الوطن وهي فرع من شجرة باسقة ضاربة بجذورها في الأعماق وهي فرع من اللغة الأم: لغة القرآن الكريم.

ولعل مما يشعرنا بالضيق الشديد ما نسمعه في هذه الأيام من بعض الشباب من تغيير في استعمالات الألفاظ، أو استعمال عبارات لا معنى لها ولا علاقة لها باللهجة. وفي كل يوم تلج على المحادثات التي تدور بين الناس ألفاظ دخيلة لا هي عربية فصيحة ولا هي من الألفاظ التي استعملها الآباء في أحاديثهم، ومن نماذج الألفاظ التي لا معنى لها، وهي للأسف الشديد تنطلق من أفواه مذيعين ومذيعات يطلون علينا من الأجهزة مرئية ومسموعة فتقرع آذاننا ألفاظهم الدخيلة التي لا تدري من أين استوردوها. هذه النماذج نسوقها هنا مع اعتذارنا للقارئ الكريم الذي سوف يجد فيها امتهانًا للهجته ولهجة آبائه، ولأسلوب الحديث المتعارف عليه بيننا:

– تلقت المذيعة مكالمة من طفل، ثم سألته عن سنه فقال لها سبع سنوات، وهنا ردت بكلمة لا تعرف إن كانت دعاء له أو عليه إذ قالت: العمر كله، العمر كله إن شاء الله. وما سمعنا بهذا قبل أن تنطق بهذا المذيعة العبقرية التي صارت تخترع لنا لهجة جديدة.

– ويقول بعض المذيعين، وللأسف فقد انتشرت في الشارع عبارتهم: ينعاد عليك، وهي عبارة لا تليق بالخالق عز وجل الذي يعيد علينا الأيام، فالقول في هذه الحالة عندما يطلب مثل هذا المطلب: أعاده الله عليك.

– وكذلك عبارة رمضان كريم وقد صارت تستعمل بدل العبارة المتداولة: مبارك عليكم الشهر، فما هو العيب في عبارتنا حتى نهجرها، ونقلد الآخرين باستعمال عباراتهم الخاصة.

- ومما يتحفنا به المذيعون عند طرح سؤال من الأسئلة على الجمهور قولهم: السؤال يقول، وكأن السؤال كائن حي يتكلم، والأجدر بهم أن يقولوا: السؤال هو كذا..

- اختلط الصواب بالخطأ في العبارات التي نسمعها فعندما ينطق أحدهم بكلمة يرى أنه أخطأ بإيرادها وأراد أن يصححها فإنه يقول: أو، وعلى سبيل المثال فإنه عندما يذكر اسم زيد من الناس ثم يتبين له أن الشخص الذي يريد ذكره هو أحمد فإنه يقول: زيد أو أحمد وهنا ساوى بين الاثنين فلا نعرف من يقصد منهما، وكان ينبغي أن يقول زيد فإذا أحس بأنه مخطئ قال: بل أحمد.

هذا بالإضافة إلى أمور كثيرة تبتغي ملاحظتها.

وهناك ما يجب الالتفات إليه في الإعلانات التجارية سواء منها ما كان في الصحف أو التلفزيون أو ما كان معلقًا على المحلات، وكلها تتطلب من الجهات المسؤولة بكافة مستوياتها الاهتمام باللهجة وباللغة وبالذوق العام. وبعض المحلات تتخذ أسماء تشمئز منها النفوس، وتنفر منها الأذواق، كأن يسمى مطعم باسم قاتلتين مشهورتين محكوم عليهما بالإعدام وكأن وزارة التجارة والصناعة تريد إحياء ذكرهما، بل وتكريمهما وهذا غيض من فيض.

وأخيرًا فإننا لا بد أن نهتم بلغتنا الأم ثم بلهجتنا وأن نحرص على أي شيء نفيس لدينا.

****

ملحاق خير

تحدثنا في مقالاتنا المتتابعة في جريدة «الوطن» عن الأستاذ الفنان أيوب حسين الأيوب، قدمنا شيئًا من ذكرياته، وشيئًا من سيرته الذاتية كما قدمنا له عدداً كبيرًا من اللوحات التي أبدعها فمثّلت البيئة الكويتية أصدق تمثيل، وأقربه إلى الحقيقة. والواقع أن لوحات هذا الفنان قد صارت تشد إليها أبناء البلاد، وتشحذ هممهم بالدعوة إلى حفظ ماضي الكويت الاجتماعي بخاصة، وصارت سجلًّا لما لا نراه الآن وما لم نحصل له على صور فوتوغرافية.

الأستاذ أيوب رجل متعدد المواهب، له من المؤلفات المتنوعة الموضوعات ما يدل على بعض ما لديه من اهتمامات تغذيها مواهبه المبهرة. ومن ذلك أنه اهتم باللهجة الكويتية اهتمامًا كبيراً، وأمضى مدة ثماني سنوات وهو يجمع ما تناثر من كلماتها، ثم يقوم بتسجيل معانيها وطرق استعمالاتها حتى إذا تم له ذلك قام بإصدار كتابه الضخم «من كلمات أهل الديرة» ضم فيه عشرين وستمائة وألف كلمة، ولم يمنعه هذا الجهد الكبير من التواضع المعهود فيه فكتب تحت العنوان «ألفاظ كويتية مختارة».

طبع كتابه هذا في سنة ١٩٩٧م، في ثلاث وثلاثين وستمائة صفحة، وكان من صفاته ما يلي:

- حرص المؤلف على أن يجعل ترتيب الألفاظ بحسب الترتيب القاموسي المعروف، فكان عمله متسقًا مع حروف الهجاء بادئًا بالكلمات التي أوّلها ألف ومنتهيًا بالكلمات التي أولها ياء. مقسمًا الكتاب على الحروف ذاكرًا عدد الكلمات مع كل حرف.

- يهتم الأستاذ أيوب حسين بذكر الأصول العربية لكلمات اللهجة الكويتية التي تنتمي إلى أصول عربية، وبذلك يستطيع قارئ الكتاب أن يرجع بألفاظ اللهجة إلى اللغة الأم بسهولة.

- لم ينس الأستاذ أيوب حسين وهو يجمع كلمات اللهجة أن يرصد تلك الألفاظ التي عفا عليه الزمن ولم تعد تستعمل في هذه الأيام، وهذه ميزة من ميزات كتابه المهمة، فلولا هذا الرصد لضاعت هذه الألفاظ إلى غير رجعة ومن تلك الألفاظ قولهم (حمامان) كناية عن شدة الحر، وقولهم (امفردس)، بمعنى أنه ذو صحة جيدة، وقولهم (امقَصّر) وهو لباس يشبه القميص يلبس من الداخل تحت الدشداشة. وقولهم (خُوثه) بمعنى بطيء الفهم. وهكذا..

- لا ينسى أن بعض الألفاظ تتشابه معانيها، ولذا فهو حريص على رصد ذلك حتى يعرف القارئ المعاني التي يدل عليه اللفظ إن كان له أكثر من معنى. ومن ذلك أنه ذكر الخيط (المشريك) وهو المتداخل الذي يصعب حله، فأشار إلى أن هذا اللفظ قد جاء منه معنى آخر قريب الشبه بالمعنى الأول وهو لفظ (شرياكة) بمعنى مأساة معقدة ومتداخلة.

وهناك أمور كثيرة يستطيع القارئ ملاحظتها والاستفادة منها في الكتاب، كما أنه عندما ينهي القراءة فسوف يجد نفسه وقد خرج بحصيلة جيدة من المعلومات والأشعار، وذلك بالإضافة إلى معاني الألفاظ.

لقد سد الأستاذ أيوب حسين الأيوب ثغرة واسعة في مجال اللهجة الكويتية، وحفظ لنا ألفاظنا قبل أن تضيع على يد أبنائها الذين بدأوا في إهمالها، وإدخال ألفاظ غريبة عليها. وقد أحسن مؤلف هذا الكتاب القيم حين قام برصد اللهجة الكويتية حتى يقدمها بين أيدي مهمليها من أبنائها.

****

ملامح عن المجتمع الكويتي
في شعر عبدالله سنان محمد (1)

آن أن نحمي الحِمى والوطنَا
آن أن ندفعَ عنه الإحَنَا
آن أن نصمدَ صفًّا واحدًا
آن أن نقصي العدو الأرعنا

☆☆☆☆

يا حماةَ العرين، لقّنوا المعتدين
درسنا باليمين، ضاربة لن تلين

هذا هو مطلع النشيد الذي أطلقه الشاعر عبدالله سنان محمد في أعقاب ادعاءات عبدالكريم قاسم التي كانت تمس الكويت إثر استقلالها في سنة ١٩٦١م، وقد انتشر هذا النشيد انتشاراً واسعاً ولا يزال يردد إلى يومنا هذا لما فيه من روح وطنية وثابة ولجودته الفنية وتعبيره الصادق عن حب الوطن.

ولا عجب أن يصدر مثل هذا النشيد من عبدالله سنان فهو شاعر مطبوع، يحب وطنه، ويتتبع أحداثه ليعبر عنها شعراً رائقاً جميلاً، يحرص الناس على متابعته، حين كان ينشر في جرائد ومجلات تلك الأيام. ولهذا الشاعر شعر غزير متعدد الأغراض وكان حريصاً على شعره من حيث تنقيحه، وإعادة النظر فيه عدة مرات حتى تستوي له القصيدة على أفضل ما يكون، ومن حيث حرصه على جمع

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/٢٤.

كل ما يكتب، ولذا فقد استطعنا بفضله قراءة كافة أشعاره، وذلك بعد أن جمعها في دواوين مطبوعة أفضل طباعة، وميسرة في المكتبات لكل راغب في الاطلاع.

عرفت الأستاذ عبدالله سنان منذ بداية حياتي، فقد كنت أراه يتردد كثيراً على دكان خالي الشاعر ابراهيم الجراح في سوق الخضرة يقرأ عليه قصائده، ويأخذ رأيه في بعض ما يرد فيها، مستفيداً من خبرة الخال ودرايته بعلم العربية وبفنون الشعر، واستمرت معرفتي به فيما بعد إلى أن فارق دنيانا مأسوفًا عليه. وكان محبّاً للشاعر ابراهيم الجراح، واثقًا من أنه خير من يدله على الطريق الذي يريد سلوكه في عالم الشعر، ولذا فإنه عندما طبع ديوانه «نفحات الخليج» في سنة ١٩٦٤م حرص على أن يوجه إهداء الديوان إليه فقال: «إلى الذي فتح لي قلبه، وغمرني بعطفه، وأصبح لي معلماً وأستاذاً – إلى الذي أخذ بيدي إلى طريق الشعر، يوم أن كنت أتلمس طريقه، وغرس بذوره في نفسي يوم أن كنت أحاول الضرب على وتره، وأتلذذ بالتغني ببعض مقاطعه، ويوم أن كنت أجد الشوق الملح، والرغبة الصادقة، والشغف الزائد على نظم الشعر، والحداء به، والتنفيس به عمَّا يجيش في النفس وما يختلج في الخاطر، وما يعتمل في الفؤاد.

إلى الشيخ النبيل، والسيد الجليل، والأديب الفاضل، وإلى أستاذي ومعلمي أتقدم بهذه المجموعة الشعرية التي جمعتها في هذا الديوان.

إليه أقدم «نفحات الخليج»، وفاء، وتقديرًا، وإعجابًا:

وفاء لما له علي من دين كبير لا يقدر بثمن. وتقديرًا للروح العالية، والخلق العظيم اللذين يتمثل بهما، وإعجابًا بشخصيته، وبعلمه وأدبه.

راجيًا أن يتقبله بصدر رحب، وأن يعتبره محاولة من تلميذ يقدمها لأستاذه، وأرجو أن أكون بهذه المحاولة قد وفقت وحققت أمله، وظفرت بالنجاح الذي يطلبه أستاذ لتلميذه.

فإلى الأستاذ الكريم الشيخ إبراهيم سليمان الجراح أقدم عصارة فكري متمثلة في ديوان «نفحات» الخليج».

وكان رد الجراح على هذه اللفتة الكريمة التي تدل على الإخلاص والوفاء قصيدة جميلة أرسلها إلى الشاعر عبدالله سنان تقريضًا لديوانه وشكرًا له على الإهداء، وقد جاء فيها:

يا صاحبَ النفحاتِ الغُرِّ والأدبِ
أطربتني بثناء ليس من أربي

هتفت باسمي على رغمي فواخجلي
ممن تساءل عن شخصٍ هناك غبي

عفوًا أبا نفحات المسك إنك قد
أحرجتني بالذي نوّهتَ في الكتب

أهديتَ ديوانَك الغالي إليَّ فما
برحت منتجعا في رَوْضه الرَّحب

طبعته مرة أخرى وَجُديتَ به
مع الذي فيه من نبعٍ ومن غرب

بعثته كحبيبٍ حان موعدُهُ
فجاء يرفُلُ في أثوابه القُشُب

فما وجدتُ له شكرًا أفوه بهِ
إليكَ إلا بهذا النظم، من نشبي

نقّلتني فيه من جد إلى لعبِ
فَرحتُ أمرحُ بين الجدِّ واللعب

واعجبتني هنيهات لعبتُ بها
فها هي اليوم في كفيَّ تلعب بي

حتى شغفت بها حبًّا وهمتُ بها
فكدت ألثم ما في الطّرسِ من طربي

ثم قال عن القصائد الواردة في ديوان «نفحات الخليج»:

ما ينقضي عجب مما تُضاحكني
به نوادرها إلا إلى عجبِ

فمن نكاتٍ إلى هزل وسخريةٍ
ترى الثكالى بها تفترُّ عن شنب

ومن نصائحِ جدٍّ قد صرخت بها
كمنذر شامٍ زحف الجيش عن كثب

عش للكويت فأنت اليوم شاعرُها الـ
حاني عليها وحادي ركبها اللّجب

بل أنت غِرِّيدها الشادي وبلبلُها
فاصدح بما شئت يا قيثارةَ العرب

أبقِ اليَراعَ سنانًا في يديك لها
يا ابن الأسنّةِ في الإنسان والحسب

تفتحت بالبَها دهرًا وكنت لها
فيما تزاول عنها كالأب الحَدِب

وكلمة (غبي) في البيت الثاني فمعناها: مجهول

ويكفينا أن نعرف قوة العلاقة بين الرجلين فيما قدمنا من شعر.

أما عبدالله سنان محمد السّنان، فقد ولد في حوالي سنة ١٩١٧م، في فريج سعود الواقع في الجزء القبلي من العاصمة، ودرس كغيره من أولاد ذلك الزمان في الكتّاب، حيث تعلم القرآن الكريم، وتنقل في أكثر من كتاب كان منها مدرسة حمادة، ومدرسة العنجري، ثم درس في المدرسة الأحمدية وتخرج فيها.

في سنة ١٩٣٩م عمل مدرسًا في مدرسة عبدالعزيز حمادة، وهي المدرسة التي درس فيها في بداية حياته، ثم تحول إلى العمل في كتَّاب الملا محمد العلي، وعندما استأجرت دائرة معارف الكويت بيتًا لاستغلاله مدرسة في حولي كان عبدالله سنان مدرسًا وناظرًا ووكيلًا لهذه المدرسة، ولم يكن فيها غيره.

وعندما نشأت دائرة التموين في الكويت عمل فيها كاتبًا، ثم انتقل إلى الهند حيث عمل محاسبًا لدى أحد تجار الكويت المقيمين هناك هو المرحوم يوسف الصقر، وبقي هناك أربع سنين عاد بعدها إلى الوطن ليعمل بوظيفة إدارية في دائرة الصحة العامة. وكان آخر مطافه بالعمل في دائرة الاوقاف العامة حيث شغل فيها منصب مدير الشؤون الإدارية منذ سنة ١٩٥٣م حتى تقاعد في سنة ١٩٦٩م.

وقد حرص على ألا ينقطع عن الكتب فافتتح له مكتبة تجارية تحت اسم مكتبة القلم، كان يستقبل فيها محبي القراءة. ولم يكن غرضه التجارة بقدر ما كان همه الحرص على تشجيع الشباب على الاطلاع وتسهيل إيصال الكتب الجديدة إليهم.

وكان عضوًا في رابطة الأدباء في الكويت منذ سنة ١٩٦٥م، وأحد مؤسسيها، وقد مثلها في عدد كبير من المؤتمرات الأدبية في الخارج.

حظي عبدالله سنان محمد باهتمام خاص من الأدباء ولقي تكريمًا من وزارة التربية بإطلاق اسمه على إحدى مدارسها، ونشير هنا إلى واحد ممن اهتم بهذا الشاعر وهو الأستاذ فاضل خلف الأديب والشاعر الكويتي الشهير، وهو وإن لم يكن الوحيد في مجال الكتابة عن عبدالله سنان إلا أن كتابه جدير بالعرض في هذا المقال.

في سنة ٢٠٠٠م أصدر الأستاذ فاضل خلف كتابًا كرسه للحديث عن الشاعر عبدالله سنان، تحت عنوان: «عبدالله سنان، مغني الشعب، حياته وشعره»، بدأ

الكتاب بالحديث عن الشاعر من حيث هو حالة فريدة من بين الشعراء الذين عاصرهم، إذ كان اتجاهه إلى التغني بكثير من المسائل الاجتماعية، والوطنية، من الأمور التي ميزت شعره وشقّت له طريقًا خاصًا به.

ثم تحدث أبو محمد عن حياة الشاعر بتفصيل واسع إلى أن انتقل إلى الحديث عن قضاياه الاجتماعية والسياسية ذاكرًا دعوته إلى العلم والتعليم، ودعوته إلى الاهتمام بالأسرة، وشعره القومي، وإحساسه بالغربة والحنين إلى الوطن عندما كان يعمل في الخارج وأشياء كثيرة أخرى رأى مؤلف الكتاب أنها تؤلف عناصر شعر الشاعر وقد بلغت عشرة من العناصر المهمة.

وفي القسم الثاني والأخير تحدث الأستاذ فاضل خلف عن الاتجاهات الفنية في شعر عبدالله سنان، ذاكرًا مناهل فنه، وواقعيته، وشعر الأطفال الذي أبدعه، ثم مقومات الفن عنده، وقد مثل لكثير مما تحدث عنه بأشعار مختارة دلت على كل تفصيلات الأفكار التي عرضها الأستاذ فاضل وأيدت ما طرحه في الكتاب.

لقد بذل المؤلف جهدًا كبيرًا في تأليف كتابه هذا ودرس كافة جوانب حياة عبدالله سنان، ومزايا أشعاره وبين كم هو شاعر له خصوصيته التي عبر عنها شعره.

وقد أحسنت رابطة الأدباء في الكويت حين قامت بنشر هذا الكتاب القيم ضمن سلسلة كتاب الرابطة.

نشر الشاعر عبدالله سنان محمد ديوانه الأول في سنة ١٩٦٤، تحت اسم «نفحات الخليج» ثم وجد أن شعره أكثر من ذلك الذي نشره في الديوان المطبوع فصاغ مجموعته الشعرية في أربعة أجزاء أخذت اسم «نفحات الخليج» وأخذ كل ديوان منها اسماً فرعياً فكان الأول وهو المطبوع في سنة ١٩٦٤م تحت اسم البواكير، وقد تم طبعه مرة أخرى في سنة ١٩٨٣م، وهذه هي الطبعة الثانية له، أما

العنوان الفرعي الثاني فهو «الله والوطن» وقد تم طبعه لأول مرة في سنة ١٩٨٣م، وتم طبع الفرع الثالث من «نفحات الخليج» تحت اسم «الإنسان» وذلك في سنة ١٩٨٣م أيضًا.

وكان الفرع الرابع والأخير تحت عنوان «الشعر الضاحك» ويضم قصائد يدل عليها العنوان فهي مليئة بالمرح وإثارة الأنس ومداعبة الأصدقاء، ومجاراة بعض القصائد المشهورة، ولكن بأسلوب باسم، كتلك التي جارى فيها قصيدة امرئ القيس المعلقة الذائعة الصيت، فقلبها إلى حديث عن الأكل مثل قوله:

قِفا نبك من ذكرى خروفٍ ومنزلِ
لأهل الندى شرقي بيت ابن مندلي
خروفٌ تُكنّيه إذا ما رأيتَهُ
كما أوهمونا (بالخروف المسلسل)

وقد أنهى هذا الفرع من ديوانه بتجربة له هي مسرحية «عمر وسمر» وهي مسرحية شعرية، يبدو أنه كان يريد تكرارها فلم يمهله القدر حتى يستطيع تنفيذ رغبته.

وكان طبع هذا الجزء من «نفحات الخليج» في سنة ١٩٨٣م، وهكذا نرى أن الأجزاء الأربعة طبعت في وقت واحد، واستكملت فيه طباعتها في أناقة وعناية فائقة.

ومن كل ذلك يتبين لنا حرصه على شعره، وعنايته بنشره، وحفظه عن الضياع كما يتبين لنا من تقسيمه للأجزاء بحسب الموضوعات التي تطرق إليها مدى تنوع تلك الموضوعات، ومدى مشاركته في الحياة العامة حتى لقد تحدث في شعره عن كثير من الأمور اليومية التي يعيشها الناس إضافة إلى الموضوعات الرئيسة الأخرى.

ملامح المجتمع الكويتي بارزة في شعر شاعرنا لدرجة أنه يصح أن يطلق عليه بحق لقب مغني الشعب كما نعته الأستاذ فاضل خلف. ولقد أعدت قراءة الطبعة

القديمة من الديوان، والتي أطلق عليها فيما بعد اسم البواكير فوجدت فيها الكثير من القصائد التي تمس المجتمع الكويتي، وتعبر عن مدى ارتباط الشاعر بهذا المجتمع فلم يترك مجالًا إلا أورد عنه شيئًا من شعره، ولكننا في موقف يصعب علينا فيه إيراد كل ما نريد إيراده من ذلك، ومع ذلك فلا بأس من إشارات نجملها فيما يلي:

١ - وجدناه مشاركًا في المسائل العامة، ففي سنة ١٩٥١م حين جرت انتخابات مجالس الإدارات الحكومية أبدى سروره بذلك فقال قصيدة مطلعها:

هكذا بالعزائم الوثابه
نبلغ المجد بل نحل رحابه

وقد اعتبر هذا العمل خطوة مباركة تؤدي إلى خطوات أخرى في صالح الوطن.

٢ - عبّر عن حزنه الشديد بسبب إغلاق الأندية في الكويت إبان سنة ١٩٥٩م. ووجد في ذلك خطوة إلى الوراء، ونعى تلك الأندية في قصيدة قال فيها:

حدادًا حداداً على الأنديه
قفوا برهة واقرؤوا الأدعية
فقد أصبحت بعد عمرانها
تقيم العناكب في الأبنية

٣ - أما في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٦٢م، فقد تغنى عبدالله سنان بالدستور الذي اعتبره قمرًا طال انتظاره، فأطل بعد ظلمة:

طال احتباسك عنا أيها القمرُ
فما اخالك بعد اليوم تستترُ

٤ - وفي مجال آخر نراه يهتم بذكر أصدقائه من الشعراء وغيرهم، فها هو يشيد بشاعر الكويت صقر الشبيب، ويدعو إلى الاهتمام به في قصيدة تحت عنوان «اذكروه» يقول فيها:

اذكـروه قبل المماتِ اذكُروه

وأجِلُّوا مقامه وازفَعُوه

ومنها:

أذكروا البلبل المغرِّد في دوْ

حِ القوافي إذا شدَا واسمعوه

اذكروا شاعر الكويت وشادي

ـها وريشوا جناحه واطلقوه

ونراه يذكر الشاعر الكويتي البارز فهد العسكر، ويذكر اللقاءات التي تضمه به قائلًا:

هلّا وقفت سويعه في (الوطية)

فوق الرمال هناك قرب (الحظْرة)

هلّا سالت الساحل الرملي كم

جلس الرفاق بها لعقد الندوة

ثم يذكر أسفه لفقد هذا الشاعر، ويؤكد أن تلك الأماكن صارت تفتقده بعد وفاته، وأن أمواج البحر تبكي لفقده:

أنصت لتسمع قعقعات الموج فو

قَ الصخرِ كالبكّاء حول الميتِ

واعلم بان الموجَ ينعى شاعرًا

ويعيد ماضي الذكريات بزفرةِ

وممن ذكر الشاعر عبدالله سنان المرحوم الأستاذ عبدالعزيز عبدالله الصرعاوي، وذلك حين شاركه فرحته بزفافه، فأرسل إليه بخمسة أبيات تحت عنوان «قران سعيد» وفي ختامها قوله:

فَدمْ يا ابنَ عبدالله تكسُوكَ حلةُ

باسمى المزايا الطيبات تُنمَّقُ

ثم ها هو يعنى بالمظاهر الشاذة في المجتمع، يدعو إلى محاربتها، وإلى تقدم الشباب، وتوجيهه، فهو يدعو إلى محاربة تسكع الشباب حول المقاهي والمدارس.

ثم يحارب «الشباب المائع» في قصيدة تحت هذا العنوان وفيها:

أين أين المسؤول أين الزاجر؟

اين من يردع الشُّباب الحائر؟

شلة همُّها الميوعةُ والإغرا

ءُ تُعنى بزائفاتِ المظاهر

يضعون (البكلات) فوق رؤوسٍ

ليتها قدمت لقطع البَواتر

وإضافة إلى ذلك فإن له قصيدة عنوانها «النشء الجديد» يدعو فيها الشباب إلى التقدم، ومواصلة العمل لخدمة الوطن وبناء المستقبل، ويؤكد للنشء أن الأفئدة المحبة تحيط به وترجو له التوفيق والسداد الدائمين.

ولا ينسى الفتاة فيخصها بقصيدتين، يدعو فيهما إلى تحرير الفتيات، وفتح مجالات التعليم والعمل أمامهن.

وهناك سبع قصائد أخرى تنم عن إحساسه بكل ما يدور في مجتمعه، وتنبه إلى الأحداث التي تمر به مهما كانت صغيرة، فهو يقف أمام البعير الذي انقطع عن صحرائه، يتحدث إليه، ويستمع إلى حديثه الذي عبر عنه بالأصوات الحزينة التي يطلقها، وتحدث عن قصر بيان الذي بناه واستخدمه الشيخ أحمد الجابر الصباح، وذلك بعد أن رآه بنيانًا متداعيًا بعدما كان قصرًا شامخًا، وتحدث عن الروبية التي

كانت هي النقد المستعمل في الكويت، فودعها بأبيات قليلة ولكنها مؤثرة. وهناك قصيدته التي يدعو فيها سائقي السيارات إلى التمهل وعدم الطيش، ويعترض في قصيدته «الاستهتار بالطب» على الممارسات التي يشاهدها في بعض المراكز الطبية، ويدعو إلى تدارك الأمور فيها حرصًا على صحة الناس، وهكذا تمضي على هذا المنوال باقي القصائد السبع التي أشرنا إليها.

أجزاء ديوان «نفحات الخليج» مليئة بالأشعار المعبرة عن عصر الشاعر، وما كان فيه من مظاهر وأحداث، ولقد كان عبدالله سنان محمد مسجلًا جيدًا لذلك، فلم يترك حادثة إلا وأنشد فيها شعرًا، ولم يجد أمرًا مُخلًّا إلا تعرض له بالنقد، ولذا فقد نالت أشعاره محبة الناس ومتابعتهم فهي تعبير صادق عن كل ما يشعرون به.

توفي هذا الشاعر المعبِّر المنتج بعد أن ملأ دنيانا بقصائده الجميلة، وذلك في اليوم الرابع من شهر نوفمبر لسنة ١٩٨٤م - رحمه الله.

****

أبناء الكويت يكافحون المجاعة ١٨٦٨م[1]

موضوع هذه الحلقة من «الأزمنة والأمكنة» متشعب، له عدة مداخل ولكن ما يجمع بين كل هذه المداخل هو ما أطلق عليه الناس قديمًا اسم سنة الهيلق، ولم تكن هذه سنة واحدة بل ثلاث سنوات امتدت من سنة ١٨٦٨م حتى سنة ١٨٧١م، وقد حدثت في الكويت في هذه السنة مجاعة شديدة عانى الناس فيها الكثير من نقص الأغذية، ولم يجدوا طعم الراحة حتى كشف الله عنهم هذا الكرب.

لم تكن الكويت لتتعرض لمجاعات لأنها لا تعتمد على الزراعة في أمور التغذية ولكنها تعتمد على التجارة والنقل بوساطة السفن، وكان رزقها يأتيها من كل مكان بفضل من الله، ثم بسبب وجود ذلك الأسطول الكبير من السفن الشراعية التي تخترق البحار إلى عدة أماكن، وبسبب الرجال الذين كانوا يقودون كل ذلك.

ولم تكن المجاعة التي أشرنا إليها لتحدث لو كان الأمر قاصرًا على أهل البلاد، فإن لديهم في ذلك الوقت ما يكفيهم ولكن ما حدث إنما هو بسبب أفواج فارة من المجاعة في بلدها، قدمت إلى الكويت في وقت واحد فامتصت كامل المدخرات الغذائية التي كان الكويتيون قد ادخروها لحاجتهم.

يقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه صفحات من تاريخ الكويت عن الهيلق: «ليس لهذا الاسم أصل بالعربية، وإنما هو اصطلاحي، ومعناه أن خلقًا من أهل فارس أصابتهم مجاعة وجاء عدد كبير منهم إلى الكويت وسمّوا بهذا

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٠/٣١.

الاسم وهذه المجاعة حدثت سنة ١٢٨٥هـ وانتهت في سنة ١٢٨٨هـ، وقد استطرد الشيخ القناعي في وصف ما حدث لهؤلاء الفارين من خطر المجاعة في بلادهم معطيًا لهم العذر في مجيئهم إلى البلاد، ومن كلامه يتضح لنا أن العدد الذي قدم في هذه الفترة كبير جدًا بحيث أثر على المدخرات الموجودة في البلاد، يدل على ذلك أن مجاعة حدثت في الجوار في سنة ١٨٧٢م بعد سنة من انقشاع آثار سنة الهيلق، فانتقل كثير من المتضررين منها إلى الكويت ولكن الموجودات الغذائية لم تتأثر بقدومهم بل وجدوا هنا الراحة والاطمئنان وذلك - على ما يبدو - لأن العدد لم يكن بكثرة القادمين إلى البلاد في سنة الهيلق أو سنوات الهيلق التي أشرنا إليها هنا، وليس هذا فحسب، بل إن الكويت طالما استقبلت على مدى تاريخها القديم أعدادًا ممن تأثروا بمجاعات مشابهة أو ويلات مؤثرة فلم تتأثر بهذه أساليب الحياة، ولا طرق المعيشة فيها، ومن المجاعات التي جلبت أعدادًا من الناس الفارين من هولها ما حدث في سنة ١٧٢٣م وسنة ١٧٦٧م وسنة ١٨٣١م، وسنة ١٨٧٢، فنرى من هذه الحالات ما هو سابق لسنة الهيلق، وما هو لاحق لها، ولم تمر بالكويت خلال ذلك أزمة طعام إلا في السنوات الثلاث التي ذكرناها.

كان أمير الكويت في فترة (الهيلق) هو الشيخ عبدالله بن صباح بن جابر الذي تولى الحكم إثر وفاة أبيه في سنة ١٨٦٥م، وقد وصفت أيام والده بأنها كانت كلها هناء وسعة في المعيشة، ولم يحدث خلالها ما يكدر صفو الحياة، وتقدمت أحوال التجارة في عهده تقدمًا ملموسًا، حتى لقد عزم على وضع رسوم على البضائع الصادرة من الكويت، وهنا تقدم إليه عدد من التجار راجين منه عدم فرض هذه الرسوم لأنها تضر بحركة إعادة التصدير، وقالوا له: إذا كنت في حاجة إلى الأموال فليس عندنا شيء يعز عليك، وهذه العبارة دليل على أن إثارتهم لموضوع الرسوم لم تكن بسبب الشح، والرغبة في جمع الأموال، ولكن لأنهم وجدوها تضر بالحياة التي كانت ميسرة في أيامهم تلك.

كانت سمعة الشيخ صباح طيبة، وسيرته محمودة، وعاش مرضيًّا عنه من الجميع، وكانت الحياة الرخية والاستقرار اللذان سادا عصره بسبب ما امتاز به من كرم النفس، وسلامة النية.

عندما توفي هذا الرجل الكريم في سنة ١٨٦٥م، صار ابنه الشيخ عبدالله بن صباح هو الحاكم، وكان - أيضًا - حسن السيرة، دمث الأخلاق، هادئًا في طباعه، لا يتميز عن أهل البلاد في هيئة أو ملبس، تحفه القناعة والطيبة، وكان يمشي وحيدًا إلا ما ندر حين يتبعه خادم له، ولم يتعد على أحد، أو يكدر خاطر جليس من جلسائه بكلمة تسيء إليه، وبقي طوال حياته على ذلك المنوال فعاش محبوبًا إلى أن توفي في سنة ١٨٨١م.

وهذا الرجل هو أحد إخوة الشيخ مبارك الصباح الذي تولى حكم الكويت في سنة ١٨٨٦م واستمر في ذلك إلى سنة ١٩١٥.

أما فيما يتعلق بالمجاعة، قد أشار الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت إلى شيء مما حدث، منوهًا برجلين من رجال الكويت وقفا في وجه المحنة يساعدان الناس ويبعدان الشبح المزعج لهذه الكارثة القاسية، فقال: «وكان لرجلين من أفاضل الكويتيين ومثريهم أياد بيضاء في تلك الأزمنة الشديدة يوسف البدر ويوسف الصبيح، أما الأول فكان يفرج كربات المعوزين المحتاجين بما يبذله لهم من المال، وأما الثاني فاتخذ له بيتين أحدهما في الكويت والثاني في الزبير يأوي إليهما الفقراء، وقد كان يقوم في كليهما بما يحتاجه الأحياء منهم من طعام وكسوة، وبتجهيز من يتوفى إلى رحمة الله».

واهتمام يوسف الصبيح بافتتاح بيت في الزبير قد يدل على أن المجاعة قد استعرت هناك، وقد يدل على أنه حرص على نجدة أناس آخرين من المحتاجين في الوقت الذي يئن فيه الموجودون في البلاد من هول الكارثة فقام بما هو بمثابة

العلاج الوقائي لهذا الأمر، وكان علاجًا كريمًا أدى المقصود من عمله، واستحق فاعله الشكر والتقدير وخالص الدعاء.

أما الشيخ يوسف بن عيسى القناعي فقد أضاف إلى هذين الرجلين كلا من سالم بن سلطان وعبداللطيف العتيقي، وبيت ابن ابراهيم دون أن يذكر شخصًا من أهل هذا البيت بعينه.

وقد يتساءل القارئ عن موقف الحاكم من هذه الكارثة، والجواب أن مالية البلاد قليلة في ذلك الزمن قياسًا إلى ما كان يملكه بعض التجار، ولذا فقد كان من غير المستغرب أن يقوم هؤلاء بواجبهم تجاه ما حدث، وقد ذكر أن الشيخ مبارك الصباح حين تولى الحكم لم يجد في خزانة مالية البلاد غير سبعمائة ريال، إضافة إلى مبلغ موضوع في الهند على سبيل الأمانة، يعتبر احتياطيًا للبلاد وكان لا يزيد عن خمسة آلاف دينار بحساب اليوم.

ويجدر بنا أن نتحدث عن الرجلين البارزين في عملية الانقاذ التي مر بنا ذكرها، وهما: يوسف البدر، ويوسف الصبيح.

أما يوسف البدر المتوفى في سنة ١٨٧٩م فقد كان من تجار الكويت البارزين، وكان عمله مرتكزًا على أمرين هما التجارة بالخيل عن طريق تجميعها ثم تصديرها إلى الهند، والأمر الثاني هو الطواشة فقد كان من كبار العاملين في هذا المجال الذي كان من المجالات المهمة لتجار الكويت في وقته، وفيما بعد وقته بعدد من السنين، ومادام الغوص مستمرًا فإن المتجارة باللؤلؤ عن طريق متابعة السفن وهي في عرض البحر (الطواشة) مستمرة هي الأخرى.

ويوسف البدر هو الذي استقبل واستضاف العقيد لويس بيللي المقيم السياسي البريطاني في بوشهر عندما قدم إلى الكويت في طريقه إلى الرياض، وذلك في سنة ١٨٦٥م.

يحكي بيللي أنه بعد أن استعد لمغادرة الكويت مستكملاً رحلته إلى الرياض أوقفه الحاج يوسف البدر الذي وصفه بأنه تاجر الخيول العربية في بومبي، وقد طلب منه وهو في مجلس الشيخ التريث حتى تتوافر له الجمال الجيدة التي يمكنه السفر عليها، مع دليل عارف بالطرق.

وافق بيللي على الانتظار، وبقي أثناء هذه الفترة في ضيافة يوسف البدر، وقد كتب عن مدة بقائه عند مضيفه ما يلي:

«لقد كانت إقامتي في الكويت فرصة لدراسة الأحداث اليومية والعادات الخاصة وما تتميز به حياة شيخ عربي هو يوسف بن بدر، ولقد كنت طوال هذه الفترة أتلقى من كرم الضيافة صورًا لا يمكن أن تعادلها ضيافة أي نبيل إنجليزي.

لقد كان الشيخ يوسف بن بدر في الثانية والسبعين من العمر، وقد تزوج ستًا وعشرين مرة ولا تزال إحدى زوجاته تقيم معه في منزله بينما تقيم الأخريات مع مَن أنجبن في منازل متفرقة.

لقد لاحظت في أثناء إقامتي شدة احترام أبنائه له، وقد خصصوا في نفس الوقت جل وقتهم لي حتى أنني تمكنت من قضاء أسبوع معهم في إحدى القلاع حيث قمنا بالصيد بواسطة الصقور وركبنا الخيول العربية الأصيلة».

«إن القلعة المقصودة هي قلعة الجهراء وهي تقع في الشمال الغربي في خليج الكويت، ويقال أنها قلعة قديمة تناثرت صخورها في المناطق المحيطة بها».

ويستمر لويس بيللي قائلاً:

«وفي هذه القلعة يجمع يوسف بن بدر خيوله المستوردة من شمر وعنزة ونجد ويرعاها إلى أن يأتي موسم بيع الخيول فيرسلها في مجموعات إلى الهند «بومبي»

عن طريق الكويت ولقد استطعت الحصول على سلالة الخيول العربية التي يتاجر بها يوسف بن بدر وسوف أرفق هذه المعلومات مع تقريري.

وفي المساء يستقبل هذا الشيخ في مجلسه الزوار من العرب سواء أكانوا من المدينة أو الصحراء ويتجاذب معهم الأحاديث والموضوعات وتتوالى المناقشات.

إن الشيخ رغم تمسكه بدينه ومذهبه إلا أنه يبدو وكأنه قد قرأ الكتب الأخرى أو لديه إلمام بها، هذا إلى جانب أنه لا يؤول أو يناور في أحاديثه بل يسمي الأشياء بأسمائها.

تدور القهوة والشيشة في مجلس الشيخ ويشرب الجميع القهوة حتى أنني أعتقد الآن بأن نخاع العرب سيكون من القهوة، هذه العادة سوف تؤثر في مزاج الشيخ في الشهر القادم «رمضان» وذلك لامتناعه عن تناولها في النهار».

ولم يتوقف بيللي عند هذا الحد، إذْ استمر في وصف مجلس يوسف البدر، وعلاقته بالناس، وتجارته وأسلوب حياته مما يضيق المكان بذكره.

وأما يوسف الصبيح فقد كان تاجرًا واسع الثراء ولكنه لم يبخل بماله في سبيل الخير، ولم يقف مكتوف اليدين أمام مشكلة مادية تحدث أو أزمة يمكن أن يحلها المال، فكان يبادر دائمًا إلى تقديم ما لديه من إمكانات يفرج بها كربة مكروب ويقضي دين مدين، ويسد حاجة فقير مسكين.

في فترة حكم الشيخ عبدالله بن صباح قدم إلى الكويت شاعر من كبار شعراء عصره هو عبدالغفار بن عبدالواحد الأخرس وقد مدح الشيخ بقصيدة جيدة، تحدث فيها عنه وعن الأهالي وعن الكويت، وقد استهل قصيدته هذه بحديث عام إلى أن ذكر ركوبه السفينة التي أقلته إلى هنا:

تسير بنا بلج البحر فُلك
كمثل الطير خافقة الجناح

وما زلنا بها حتى حللنا
صباحًا في كويت آل الصباح

لدي قوم أعزّ الناس جارًا
وأندى بالنوال بطون راح

ثم يقول:

نزلت بهم على سعة ورحب
وأنس وابتهاج وانشراح

فقوم ساد عبدالله فيهم
فبالباس الشديد وبالسماح

وتحدث في شعره عن عدد من أهل الكويت الذين كان يرتاح إلى الحضور إليهم والإقامة عنهم، ومنهم أحد أفراد أسرة المخيزيم، ويوسف البدر، ويوسف الصبيح.

وفي رسالة شعرية أرسلها الأخرس إلى المخيزيم ذكر اليوسفين وفضلهما فقال:

إن الكويت حماها الله قد بلغت
باليوسفين مكان السبعة الشُهبِ

تا الله ما سمعتْ أذني ولا بصرتْ
عيني بعزِّهما في سائر العرب

فيوسف بن صبيح طيب عنصره
أذكى من المسك إن يعبق وإن يَطب

ويوسف البدر في سعد وفي شرف
بدر الأماجد لم يغرب ولم يَغب

وكانت علاقة الشاعر باليوسفين توبة فهو يتردد عليهما، ويراسلهما، ويطلب منهما ما يشاء، وهما لا يترددان في إكرامه، احتاج - مرة - إلى شيء من عطر (المسك) فكتب إلى يوسف الصبيح ثلاثة أبيات كان آخرها:

تطالبني نفسي بطيب وطيب

فقلت ابشري بالمسك وابن صبيح

وكان مرة بضيافة يوسف البدر في الكويت، وقد عزم على الرحيل إلى بلاده فكتب أبياتًا يستأذن بها من مضيفة، وفيها:

يا يوسف البدر الذي

يسمو على البدر المنيرِ

مالي بغيرك حاجة

كفنى الخطير عن الحقيرِ

وسواك يا مولاي لا

والله يخطر في ضميري

كان شعر الأخرس جميلاً، ولكنه استغرقه في المديح والتكسب، وديوانه الضخم الذي طبع في سنة ١٩٨٦م مليء بالقصائد التي من هذا النوع، ولكن الأخرس من الشعراء الذين وهبهم الله القدرة على الصياغة الجميلة وقد تسابق المغنون إلى الغناء بقصائده ومنها الصوت الكويتي المشهور الذي مطلعه:

جلا في الكاس جالية الهموم

وراح يميس بالقد القويم

كما أن قصيدته في مدح الشيخ عبدالله الصباح التي أشرنا إليها في المقام كانت من القصائد التي غناها الفنان محمد القبنجي.

وقد كانت وفاة الشاعر عبدالغفار الأخرس في سنة ١٨٧٤م رحم الله الجميع.

هذه الأعمال التي قام بها أولئك الرجال في تلك المناسبة البائسة كانت هي البذرة التي رعتها الكويت حتى خرجت منها شجرة باسقة وارفة الظلال تخطى الكثير من الآفاق، ونحن والحمدلله لا نزال نسير على هدى الآباء الذين لم يترددوا في أسوأ المواقف عن أداء الواجب الديني حيال المحتاجين الذين يوقعهم الزمن في كوارث أو تدفعهم الحاجة إلى خوض المصاعب.

وقد جاءت الأعمال الخيرية وبخاصة في مجال محاربة المجاعات على طريقين أحدهما شعبي يقوم به الأشخاص منفردين أو عن طريق مؤسسات خيرية معلنة، والآخر حكومي تقوم به الحكومة عن طريق إداراتها الرسمية المختلفة مثل بيت الزكاة.

وقد ظلت الكويت منذ أحست بوطأة المجاعة في القرن التاسع عشر، وهي تكافح المجاعات في كل مكان بتقديم ما تستطيع من مال وغذاء وأدوات لكي تسد حاجة المحتاجين، وقد تطورت الأعمال الكويتية في هذا المجال فصارت الحكومة لا تسمع بمكان تعرّض لهذا البلاء إلا وسارعت بإرسال كميات من المواد التي يحتاج إليها الجياع مساهمة منها في وضع حد لمشكلتهم، فتراها ترسل البعثات عن طريق جسور جوية محملة باللوازم، تواسي بها المنكوبين وتدفع عنها غائلة الجوع، وتداوي مرضاهم، وتطور الأمر في حالات عدة إلى قيام بعض الهيئات الشعبية وأخص بالذكر جمعية العون المباشر التي يديرها الأخ الدكتور عبدالرحمن السميط أمده الله بالصحة والعافية فإن هذه الجمعية لا تكتفي بتقديم المواد وإن كانت تقوم بذلك، إذ هي تقوم إلى جانب الإمداد بتهيئة السبل لتغيير ظروف المنكوبين، فهي تعلمهم وتدربهم وتعطيهم المواد التي يبدؤون بها حياة كريمة تقيهم ذل الحاجة، وتعنى بحفر الآبار ودعم الزراعة وتربية الماشية وتطوير أساليب الحياة هناك مما حول مجتمعات بائسة كثيرة في أفريقيا إلى مجتمعات منتجة.

وإلى يومنا هذا فإننا نشاهد أبناء الكويت يتسقطون أخبار الكوارث في كل مكان فيحزمون أمتعتهم متجهين إلى العمل من أجل التخفيف عن المصابين، ويشهد العالم على جهود هؤلاء الذين لم ينقطعوا عن عملهم هذا حتى في أسوأ الظروف التي مرت بنا، وذلك في أيام الغزو العراقي للكويت، إذ كانت إمدادات هذا الوطن في ذلك الوقت لا تنقطع عن ذوي الحاجة إننا نرى أعمال أبناء الكويت في عدد من الدول النائية، ونراها عندما تقع الكوارث الكبرى مثل ما حدث أيام كارثة تسونامي وغيرها، ولم تفضل الكويت بلدًا على آخر لأن القصد هو عمل الخير لا كسب السمعة ولا الرياء.

نأمل من الله سبحانه وتعالى أن يقينا الشرور وأن يجعل ما نقدمه درعًا تحمينا به منها إنه سميع مجيب.

****

المدارس شبه النظامية في الكويت ١٩١٩م - ١٩٤٦م[١]

قصة نشأة التعليم في الكويت، وحكاية تطوره إلى أن وصل إلى الطريق الحكومي المنظم في سنة ١٩٣٦ قصة جديرة بأن تروى. فهي تمثل كفاح شعب من أجل الرقي، واللحاق بمن سبقه من الدول، وبخاصة وأن الكويت بلد تجاري عريق، وأن سفنه الشراعية كانت تجوب البحار، وتوثق الصلات الكويتية بالدول التي تصل إليها. وفي الوقت نفسه فقد كان الكويتيون يطلعون على الصحف التي تأتيهم من الخارج فيرون مدى التقدم الذي تحظى به الدول الأخرى، ثم يتساءلون: أما آن لنا أن نتقدم مثلهم؟ من أجل ذلك بذل أبناء الكويت كل غالي ورخيص في سبيل التعليم، وأقبلوا على إنشاء المدارس وتطوير العمل بها حتى توج ذلك بافتتاح المدرسة المباركية.

يشهد التاريخ على الجهود التي بذلها رجال الكويت في سبيل إدخال التعليم النظامي، وفتح المجال أمام الأبناء من أجل التزود بالمعرفة، وفق ما تسير عليه المدارس النظامية في البلدان الأخرى، وقد كانت البداية في إنشاء المدرسة المباركية التي تم افتتاحها في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر لسنة ١٩١١، وتقاطر أبناء الكويت عليها من كل جهة يتلقون العلم على النمط الجديد الذي لم يبدأ العمل به إلا بعد إنشاء هذه المدرسة. وغنيٌّ عن البيان أن المدارس التي كان أبناء الكويت يتلقون العلم فيها إنما كانت كتاتيب يعتمد أكثرها على مدرس واحد، وتعنى بتدريس القرآن الكريم والقراءة والكتابة وشيء من الحساب.

[١] نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٧م.

وهذا القدر المحدود من العلوم المتوافرة أمام الطلاب في هذا النوع من المدارس، هو الذي دفع إلى التفكير في إنشاء المدرسة المباركية، نظراً إلى تطور الحياة في الكويت واتساع التجارة والرغبة في اللحاق بالركب العالمي.

وكانت نشأة «المباركية» سببًا في تطوير عمل عدد من الكتاتيب الأهلية التي بدأت منذ ذلك الوقت بإدخال مواد جديدة على المواد الدراسية القائمة، وأحضرت بعض المعلمين الذين يستطيعون القيام بالمهام التي بدأت تضطلع بها هذه الكتاتيب. وعلى سبيل المثال فقد افتتحت مدرسة ملا مرشد في سنة ١٩٢٦م، وفور افتتاحها سارع صاحبها الملا مرشد محمد السليمان بإدخال بعض المواد التي كانت منها مادة اللغة الإنجليزية، وكان يساعده فيها عدد من المدرسين. وكان منهج الصف الرابع وهو الأخير في هذه المدرسة يضم مواد: الخط وتحسينه، والفقه والتوحيد، واللغة العربية والقواعد، ومبادئ اللغة الانجليزية، ومسك الدفاتر، والسيرة النبوية والتاريخ.

وكانت المدرسة المباركية – أيضًا – سببًا في افتتاح عدد من المدارس التي حاولت أن تسير على منوالها، نظراً لعدم تمكن المدرسة الأولى من استيعاب جميع المتقدمين للدراسة من الطلاب. ونظراً لبعض الخلافات بين عدد من المدرسين بل قل لوجود نزعة استقلالية لديهم اندفعوا إلى افتتاح دور جديدة للدراسة، ولقد كانت هذه النزعة التي أشرنا إليها سبب خير للتعليم في الكويت إذ يسرت سبل الدراسة لعدد كبير من الأبناء في ذلك الوقت.

وكان من أبرز المدارس شبه النظامية التي برزت بعد نشأة المدرسة المباركية ثلاث مدارس سوف نقوم بعرض شيء من تاريخها هنا لما لها من دور في تقدم التعليم في البلاد، ولأن كل واحدة منها لها قصة تحكي نشأتها ومسيرتها، وحرص العاملين عليها في مجال نشر التعليم بين الناشئة من أبناء الكويت.

أول مدرسة من هذه المدارس الثلاث هي المدرسة العامرية التي بدأت العمل في سنة ١٩١٩م. وكان القائم على إنشائها الأستاذ عبدالملك الصالح يعاونه صديق له هو الشيخ أحمد الخميس الخلف. وكان هذان الرجلان من مدرسي المدرسة المباركية. وكان مدرسو هذه المدرسة في تلك الفترة قد طلبوا من ناظر مدرستهم زيادة رواتبهم، وعندما رفض تقديم الزيادة المطلوبة لهم خرج بعضهم من العمل في سلك التدريس بالمدرسة احتجاجًا على ذلك، ومن هؤلاء عبدالملك الصالح وأحمد الخميس اللذين شاركا في المطالبة في زيادة الراتب لمجرد مشاركة زملائهما دون أن يكونا مهتمين بذلك اهتمامًا كبيراً. إذن فقد ترك الرجلان العمل بالمدرسة المباركية، ولم ينقطعا عن مهنة التعليم، فأنشآ سويا: المدرسة العامرية.

تقع هذه المدرسة في وسط السوق بالقرب من المدخل الجنوبي لقيصرية المجل المعروفة إلى اليوم . ولما كان المقر أصلاً هو ديوان ابن عامر فقد سميت: المدرسة العامرية لذلك السبب.

بدأ العمل في هذه المدرسة سريعًا وبنشاط كبير، وقد استقبلت عدداً كبيراً من طلاب المدرسة المباركية وبتعاون الرجلين سارت المدرسة، وأضافت إلى عملها نشاطاً آخر حين افتتح بها صاحباها مكتبة لبيع الدفاتر واللوازم المدرسية، وكانت تتقاضى من كل طالب أربع ربيات شهريًّا أي ما يعادل ثلاثمائة فلس بنقد اليوم.

وعلى الرغم من الإقبال على هذه المدرسة من قبل الطلاب إلا أن عدد طلاب المدرسة المباركية كان كبيراً، وكان يقف وراءها عدد كبير من الداعمين ماديًا، والمؤيدين معنوياً، ولذا فقد كانت مسيرة المدرسة العامرية صعبة جداً، مما جعلها تعجز أحيانًا عن تأمين العدد الكافي من المدرسين لبعض المواد، وهذا هو الذي دعا الأستاذ عبدالملك الصالح إلى القيام – شخصياً – بتدريس اللغة الانجليزية لطلاب مدرسته، وعلى الرغم من حرص صاحبي المدرسة على الاستمرار في العمل، وأداء

الرسالة التي عنيا بأدائها في مجال التعليم إلا أن الأمر لم يجرِ كما يريدان بسبب الصعوبات التي أشرنا إليها، ولذلك فإن إدارة المدرسة الأحمدية الجديدة التي تم افتتاحها في سنة ١٩٢١م عندما عرضت على الرجلين الالتحاق بسلك التدريس بهذه المدرسة قبلاً، وأغلقا مدرستهما التي كانت أول مدرسة أهلية شبه نظامية في الكويت.

وعبدالملك الصالح هو الرجل التربوي المشهور بعلمه وفضله، تلقى العلم على أيدي عدد من العلماء، ودرس اللغة الانجليزية والحساب في الهند مع إجادته للغات هندية، وأثمر اتصاله بالعلماء حصوله على قدر وافر من المعارف في شتى فنونها، ومن ذلك حفظ الكثير من الأشعار ودرايته بالفلسفة. وحول هذا العلم كان له لقاء أسبوعي مع شاعر الكويت صقر الشبيب يتبادلان فيه معلوماتهما حول الأفكار الفلسفية التي يطلعان عليها، كان بدء عمله بالتدريس حين لقي الشيخ يوسف بن عيسى بعد عودته من الهند في سنة ١٩١٦م، فحثه الشيخ على العمل بالمدرسة المباركية، ومنذ ذلك الوقت كان اتصاله بالتعليم.

يعد عبدالملك الصالح من رجال الكويت الذين لهم حظوة عند الناس، وقد تأثر به أولاده فاتجه أكثرهم إلى مهنة التعليم ومنهم صالح عبدالملك الصالح وزير التربية الأسبق، وعبدالرحمن عبدالملك الذي أعتز بأنه كان أحد أساتذتي بمدرسة المثنى، وإبراهيم عبدالملك الذي أمضى حياته في التدريس.

وقد توفي والدهم عبدالملك الصالح في اليوم التاسع عشر من شهر فبراير لسنة ١٩٤٦م، وكانت لوفاته رنة أسى في الكويت، فرثاه عدد من الشعراء، وكتبت عنه مجلة البعثة تأبيناً اعترفت فيه بفضله وعلمه، وخدمته للوطن.

وكان ممن رثاه الشيخ الشاعر ابراهيم سليمان الجراح، وقد جاء من قصيدته قوله:

لله أي ثقافة أمليتها
حركت فيها بعد طول جمود
وفوائد في الدرس قد أبديتها
هي كاللآلئ في نحور الغيد
ومواهبٌ جُلّى قد استخدمْتها
في العلم لا في الدرهمِ المنقود
لو شئت أن تحوي الحطام مكاثراً
لوجدتَ بابًا ليس بالمسدود
لكن علمتَ بأنّ هذا زائلٌ
فالمالُ مهما جلّ للتبديد

أما الشيخ أحمد الخميس الخلف، فهو أحد علماء الكويت البارزين، درس على يدي خاله العلامة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان ثم انتقل إلى إحدى الدول المجاورة حيث تلقى العلم على أيدي علمائها مع متابعة جيدة من قبل خاله له.

زاول مهنة التدريس، ومهنة الإمامة والخطابة، وصار عضوًا في المجلس البلدي في سنة ١٩٣٨م، ثم اشتغل بالقضاء وتدرج فيه، كان اسمه عاليًا إبان حياته، وكان الناس يتوافدون إلى الصلاة خلفه في مسجد البدر.

وقد توفي في شهر يوليو لسنة ١٩٧٤م، وأسف الجميع لفراقه، وأطلق اسمه على إحدى المدارس الحكومية تخليداً لذكراه.

وتأتي بعد هذه المدرسة مدرسة أهلية تسير على النظام نفسه، مع مقدرة مالية أفضل واتجاه إلى تعليم الأيتام وأبناء الفقراء مجانًا. هذه المدرسة الجديدة هي مدرسة السعادة التي افتتحها وأنفق عليها المرحوم شملان بن علي آل سيف، وقد خصصها لتعليم الأيتام وأبناء الفقراء بدون مقابل مادي كما ذكرنا، وجعلها

فريدة في نوعها من حيث توجهها العام، وهي تضم بين جوانبها مائتي طالب، يقوم بتدريسهم ثمانية مدرسين. أما ناظر المدرسة فكان الشيخ أحمد خميس الخلف. وكانت هذه المدرسة محط الأنظار وقبلة للزائرين، وكان ضيوف الكويت يحرصون على الاطلاع على ما فيها من أنشطة ومنهم الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي الذي زارها عندما كان في الكويت، كما زارها آخرون غيره، وقد تم إغلاق هذه المدرسة في عام ١٩٣٤م نظرًا للظروف الخاصة التي مرت بصاحبها الذي أنفق عليها عشر سنوات كاملة إذ تم افتتاحها في عام ١٩٢٤م.

وشملان بن علي آل سيف أحد تجار اللؤلؤ الكويتيين المشهورين، وكانت له ثروة طائلة بذلها في سبيل العلم والعلماء، وكان بيته وديوانيته مقرًّا للقادمين من خارج الكويت من أجل نشر العلم، يكرمهم ويرعاهم.

شارك في الكثير من الأعمال التي كانت منها عضويته لمجلس الشورى في عام ١٩٢١م وكان ميلاده في عام ١٨٦٤ تقريبيًا، أما وفاته فكانت في اليوم السادس والعشرين من شهر فبراير لعام ١٩٤٥م. عن ثلاثة وثمانين عامًا. وقد سميت باسمه إحدى مدارس الكويت الحكومية تقديرًا لدوره في خدمة التعليم.

وقد أشاد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بالمدرسة وبصاحبها حين قدم له قصيدة معبرة كان فيها قوله:

أيــا مــن شــاد لــلأيــتــام دارا
حــبــاكَ الــلــهُ مــجــدًا واعــتــبــارا

وأولاك الجـلـيـل جـلـيـل فـضـلٍ
تـشـيـدُ بـه مـن الـعَـلـيـا مـنـارا

هذا وكان موقع مدرسة السعادة على ساحل البحر بجوار مسجد ابن خميس القائم حاليًا في شرقي العاصمة إلى الغرب من مبنى وزارة الصحة القديم.

ومن المدارس شبه النظامية التي نشأت في تلك الفترة مدرسة حمادة، وهي مدرسة أنشأها الشيخ عبدالعزيز حمادة الذي تمرس بالتدريس في مدرسة والده قبل أن يقوم بتأسيس مدرسته هذه بادئًا بموقع لها في فريج الشيوخ في وسط العاصمة الساحلي في عام ١٩٣٨ ثم انتقل إلى فريج سعود بمنطقة القبلة في عام ١٩٤٦ ويدرس الطالب في هذه المدرسة القرآن الكريم والقراءة والكتابة، والخط والحساب، واللغة الانجليزية.

وكان بها في سنة ١٩٣٥م ثلاثة فصول يدرس بها كل من ملا محمد ملا علي، وأحمد حمادة، ويوسف حمادة، أما الشيخ عبدالعزيز فكان مديرًا لها ومدرسًا بها.

والشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة من رجال الدين البارزين من أهل الكويت الذين عملوا في مجالات شتى منها التعليم والقضاء والوعظ والإرشاد ولد في سنة ١٨٩٦م وقد نشأ في بيئة تحتضن التعليم فوالده كان مشرفًا على مدرسة حمادة الأولى التي خرجت عددًا من أبناء البلاد وفي هذه المدرسة تعلم الشيخ عبدالعزيز ثم ارتحل للدراسة في إحدى الدول القريبة وتعلم على أيدي عدد من العلماء كان منهم في الكويت الشيخ عبدالله الخلف الدحيان. وقد اكتسب علمًا وافرًا ولا سيما وأنه كان كثير الاطلاع، لديه مكتبة كبيرة، ألحقت بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بعد وفاته بناء على عرض من ورثته.

توفي في اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر لسنة ١٩٦٢ وأطلق اسمه على إحدى مدارس الكويت اعترافا لما قدم في مجالي التعليم والوعظ.

ومن المدارس شبه النظامية مدرسة نشأت متأخرة قليلًا عن المدارس التي ذكرناها وقد جرى افتتاحها في اليوم السابع من شهر فبراير لسنة ١٩٣٩م تلك هي المدرسة الوطنية الجعفرية. وقد أنشئت هذه المدرسة من منطلق ديني باعتبار أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولم يكن الغرض من إنشائها ماديًّا، أو من

أجل مصلحة شخصية لمؤسسها وصاحب فكرة إنشائها الحاج أحمد محمد حسين نصرالله معرفي، وقد رحب الشيخ أحمد الجابر الصباح بقيام هذه المدرسة، وتبرع لها في يوم السابع والعشرين من شهر يناير لسنة ١٩٤٠م بمبلغ ألفي ربية، وكان هذا مبلغًا كبيرًا في ذلك الزمان. وكان الشيخ حريصًا على تلبية دعوة هيئة المدرسة لحضور حفل افتتاحها فأناب عنه الشيخ عبدالله الجابر الصباح الذي حضر سعيدًا بهذه المناسبة الوطنية، وكان الحفل كبيرًا ضم عددًا كبيرًا من الأهالي، ومن المهتمين بالتعليم، وتحدث فيه عدد من الخطباء والشعراء كان على رأسهم الشيخ عبدالله النوري، والشاعر العلّامة السيد ابراهيم جمال الدين.

اتخذت المدرسة لها موقعًا في منطقة الشرق على ساحل البحر في الموقع المقابل لوزارة التخطيط وتكون لها مجلس إدارة برئاسة السيد أحمد محمد حسين معرفي، وعضوية تسعة أشخاص آخرين، كما تكونت لها هيئة إشرافية مباشرة مكونة من عشرة أشخاص تم اختيارها بعناية فائقة.

ومن الملاحظ أن هذه المدرسة لم تكن تميز في العقيدة بين طلابها، ولا بين مدرسيها، بل كانت تضم الطالب الراغب في الدراسة، والمدرس المخلص المستعد للعطاء العلمي. وقد تنقلت المدرسة الوطنية – فيما بعد – بين عدة مواقع بحسب ظروف الأمكنة، وبحسب تزايد أعداد الطلاب. وكان عدد من الرجال الأوفياء يقومون – دائمًا – بالتبرع لها حتى تستمر في مسيرتها وتؤدي رسالتها العلمية التي أنشئت من أجلها، وذلك ما حافظ على استمرارها، وعلى مستواها، إذ إنها لاتزال إلى يومنا هذا تقوم بدورها في نشر العلم وتربية النشء وفق ما أراده لها منشئوها الأوائل دون تفرقة أو تعصب.

هذه بعض النماذج البارزة للمدارس شبه النظامية التي قاربت في نشأتها ظهور المدرسة المباركية التي كانت هي المدرسة النظامية الأولى في الكويت، وقيام

هذه المدارس في تلك الفترة بالذات دليل على الرغبة الأكيدة لدى أبناء الكويت في النهوض بمجتمعهم، وعلى الاهتمام بنشر العلم بين أبناء وطنهم، وكانت الظروف صعبة جدًّا لقيام مثل هذه المشروعات النافعة لولا الإخلاص الذي كان يتمتع به الآباء المؤسسون ولولا الرغبة الأكيدة من الأهالي في اللحاق بركب الأمم المتقدمة التي يرون – بحق – أنها لم تتقدم إلا بالعلم، ولذا أحاط أولياء الأمور هذه المدارس باهتمامهم حتى خرَّجت عددًا من المتعلمين على الرغم من قصر مدة بقاء بعضها في العمل. جزى الله خيرًا كل أولئك الرجال. وأسكنهم فسيح جناته.

****

الكويتيات يقتحمن مجال التعليم ١٩٤١م [1]

لم تتخلف المرأة الكويتية عن القيام بواجبها تجاه بنات وطنها، وبخاصة في مجال التعليم، فأنشأ عدد منهن كتاتيب للتدريس في وقت مبكر من تاريخ الكويت بلغت عشرة من الكتاتيب التي تدرس فيها البنات بهمة كويتيات قمن بهذه المهنة الشريفة، وذلك في سنة ١٩٣٥م.

أما بعد ذلك التاريخ فقد أخذت كتاتيب البنات تتزايد حتى أمكن رصد ثلاثة وخمسين منها، وهي بالطبع ليست كل ما نشأ في الكويت منها، وفي الدراسة الموضوعية التي أعدتها لجنة كتابة تاريخ التعليم عندنا ونشرته وزارة التربية، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ومركز البحوث والدراسات الكويتية حديث طويل على الكتاتيب التي كانت تعمل قبل وبعد قيام الحكومة بتبني النظام التعليمي الحديث.

وجاء في الدراسة ذكر عدد من أسماء صاحبات الكتاتيب الكويتيات اللاتي اضطلعن بمسؤولية تعليم الفتيات في تلك الفترة البعيدة، فقدمت ثلاثة وخمسين اسماً باعتبارها مجرد نماذج لهذا النوع من الكتاتيب ليقين اللجنة بأن الموجود كان أكثر من ذلك.

وأرى هنا أن من الضرورة بمكان أن أشير إلى مُدَرّستين لكل واحدة منهما كُتّابها الخاص، وهما من أقدم العاملات في هذا المجال، يقع الكُتّابان في فريج الشاوي ولذا فإن لي معرفة بأحوالهما، وقد يكون هناك ما هو أقدم منهما من

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٤م.

كتاتيب البنات إلا أن تحديد الوقت صعب لكني أعرف أن من سوف أذكرهما قديمتان في العمل جداً.

وهاتان هما:

أ - مطوعة أمينة سالم، أو أمينة بنت سليم وكان كُتّابها من أبرز كتاتيب البنات في جهة القبلة ومن أقدمها. وعندما كبرت في السن توقفت عن التدريس وأصبحت تقيم الموالد في مناسباتها، فهي تحتفل بالمولد النبوي وبالإسراء والمعراج، فيجتمع الناس لديها، وكانت محبوبة من أبناء الفريج يكنون لها مع الحب كل التقدير والاحترام، وأذكر أن الأطفال - وكنت أحدهم - يجتمعون للعب بالقرب من مقرها في المواسم التي تحييها بما يشبه الأعياد، وهي عادة درجنا عليها ما لبثت أن زالت كما زال الكثير من معالم تلك الأيام الجميلة.

ب - والمطوعة الثانية هي بدرية العتيقي، وكتّابها في الشارع الذي كنا نسكن فيه، وأنا أعتبر هذه المرأة بمثابة الأم لما كنت أجد عندها من الاهتمام والرعاية كلما ذهبت إلى بيتها بصبحة ولدها أخي بدر العتيقي، الذي كان زميلًا لي في المدرسة الأحمدية، وقد أتاحت لي هذه الفرصة -وأنا صغير- تعرف نظام مدرسة البنات الأهلية.

قد تكون هناك من هي أقدم من هاتين المربيتين الكريمتين - كما قلت آنفًا - ولكن لا مجال عندي للحديث عن أمر لا علم لي عنه على وجه اليقين، لأن الناس في ذلك الوقت المتقدم لم يكونوا يكتبون تاريخ الأعمال التي يقومون بها، وهذه مشكلة من المشاكل التي يعانيها من يكتب في الموضوعات التاريخية الخاصة بالكويت سواء أكانت سياسية أم اجتماعية، أم تعليمية.

وعندما بدأت مسيرة التعليم النظامي عندنا لم تتأخر ابنة الكويت عن القيام بواجبها فتقدمت لهذه المهمة، وعلى الرغم من صغر البادئات بالعمل منهن في ذلك

الوقت إلا أنهن قمن بالواجب، ومن أولئك ثلاث قمن بالالتحاق في سلك التعليم في وقت متقارب وكان ذلك في عام ١٩٤٤م وهن:

١ - الأستاذة سارة صالح التوحيد.

٢ - الأستاذة لطيفة محمد البراك.

٣ - الأستاذة فاطمة الصالح المطوع.

غير أن الاستاذة سارة صالح التوحيد قد سبقت زميلتيها بثلاث سنوات، ولكن المدرسات الثلاث يعتبرن دفعة واحدة قديمة، لم تسبقهن إلى العمل من الكويتيات غير مدرسة واحدة تم تعيينها قبل تعيين سارة التوحيد بثلاث سنوات، إذ كان ذلك في سنة ١٩٣٨.

بدأن في العمل عن غير خبرة في طرق التدريس ولا استعداد تربوي ملائم ولكنهن سرعان ما فهمن أساليب العمل وأدركن في وقت قياسي ما يجب عليهن عمله، فصرن من المربيات المتقنات اللاتي يفخر بهن تاريخ التعليم في الكويت ووصلن إلى مراتب النظارة بعد أن اجتزن تجربة التدريس بنجاح كبير وعوضن بسنوات الخبرة التي لحقت تاريخ تعيينهن ما كان ينقصهن لأنهن استفدن من الجو المدرسي ومن خبرة زميلاتهن اللاتي كن مدرسات لهن قبل أن يعملن بالتدريس وعندما تقاعدن عن العمل كن في قمة العطاء، لم يتأخرن عن بذل كل طاقاتهن في سبيل تقديم العلم لبناتهن الطالبات، وكن إلى جانب ذلك على مستوى عال من الإحساس بالمسؤولية التربوية ومن إدراك ما ينبغي أن تكون عليه المعلمة الناجحة ومع أن تعيينهن كان قبل أن يكملن دراستهم بسبب حاجة المدارس إلى أمثالهن، فإنهن في نهاية مدة العمل كن قد تفوقن على عدد كثير من زميلاتهن الجامعيات بسبب الإخلاص والخبرة المستفادة والاطلاع المستمر والاختلاط بذوات الخبرة من المدرسات الأخريات.

الأستاذة سارة صالح التوحيد من مواليد سنة ١٩٢٩م كانت أسرتها تسكن في منطقة قريبة من سكة عنزه بالعاصمة، فولدت هناك، ولكن هذه الأسرة انتقلت فيما بعد إلى منطقة أخرى هي: فريج الشاوي، وفي هذه المنطقة نشأت سارة التوحيد وترعرت وبدأت دراستها الأولية وكانت بقرب سكن أسرتها الجديد مدرسة أهلية للبنات هي مدرسة بدرية العتيقي التي سبق لنا الحديث عنها في هذا المقال وفي غيره، وقد درست سارة عند المطوعة بدرية القرآن الكريم والقراءة والكتابة، ثم انتقلت إلى الدراسة في المدرسة النظامية الأولى في الكويت آنذاك وهي مدرسة البنات الأميرية التي سميت - فيما بعد - بالمدرسة الوسطى للبنات، وهي في منطقة الوسط من العاصمة، ولذا سميت بهذا الاسم وكان مبناها آنذاك بالقرب من المدرسة المباركية، وقد استطاعت أن تستكمل دراستها في حدود الصفوف الموجودة في المدرسة، وكانت تلميذة مجدةً حريصة على الاستزادة من العلم، والمواظبة على حضور الدروس على الرغم من بعد المسافة ما بين مدرستها وسكنها فكانت تذهب إلى المدرسة وتعود منها صباحًا ثم تذهب إليها مرة أخرى في الفترة المسائية كما هو النظام المدرسي اليومي في ذلك الوقت.

ولما كان التعليم في البلاد في حاجة إلى مدرسات، وكانت هذه الفتاة النشيطة قد أظهرت تفوقًا في دراستها، فقد دعتها دائرة معارف الكويت إلى الانخراط في سلك التعليم فأصبحت مدرسة منذ العام الدراسي ١٩٤١م - ١٩٤٢م، وقد أبدت اهتمامًا بعملها هذا وذُكرتْ دائما بجدها واجتهادها وحرصها على مصلحة تلميذاتها، وكانت لها شخصية قوية تصل بها في بعض الأحيان إلى الحدّة إذا ما كان الأمر يتعلق بالقيم الفاضلة التي تحرص على غرسها في نفوس التلميذات.

كان أول مركز عمل لها هو المدرسة الوسطى التي كانت تتلقى دروسها فيها، فأصبحت تلميذة الأمس مدرسة اليوم، ثم انتقلت إلى إحدى مدارس منطقة القبلة،

ثم إلى مدرسة الزهراء ثم مدرسة غرناطة، وكان آخر مجال عمل لها في المحيط التربوي نظارة مدرسة حليمة السعدية.

لاتزال المدرسات اللاتي عملن معها، ولاتزال تلميذاتها يذكرن تلك المدرسة المخلصة، والناظرة الحازمة، ولا ينسون ما قدمت لعملها من خدمات جليلة.

ولقد كانت من زميلاتها في العمل المربيات: أنيسة جعفر «ماما أنيسة» وطيبة عيسى الرجيب، وطيبة داود الجراح وأخريات. كما كانت من تلميذاتها كل من الأستاذة سعاد الرفاعي، والسيدة سعاد الحميضي، والدكتورة نجيبة المضف والشيخة غنيمة عبدالله الجابر وغيرهن.

عانت سارة التوحيد في بداية عملها معاناة شديدة عندما اصطدمت بالمعارضة القوية لعملها، وذلك لأن المعترضين يرون أن عددًا من الرجال وبخاصة المفتشين يدخلون إلى مدارس البنات، وهذا يعرضهن إلى الانكشاف أمام الغرباء، وهم يقولون ذلك على الرغم من أن جميع المدرسات كن يلبسن العباءة، ويضعن غطاء للرأس والوجه. وقد قام والدها بمساعدتها ودعم موقفها حتى استمرت في العمل بفضل تشجيعه.

المربية الثانية من المربيات الثلاث اللاتي أشرنا إليهن منذ بداية هذا الحديث هي السيدة لطيفة محمد البراك، ولقد صارت من أشهر المربيات لأقدميتها في العمل وكثرة تلميذاتها، ولجدها واجتهادها طوال فترة عملها في سلك التدريس وفي النظارة.

ولدت لطيفة البراك في بيت المرحوم غنيم سليمان الغنيم وهو جدها لوالدتها وجدي لوالدي، ومعروف أنه يسكن في فريج الغنيم الواقع بالقرب من البحر عند الموقع الذي بني فيه بنك الكويت المركزي.

منذ صغرها وهي في جو التعليم فجدتها لوالدها هي المطوعة لولوة سيد أحمد الرفاعي، وكانت تتولى تدريس البنات في كتابها الواقع في منطقة الشرق، وهو يحتل جزءاً من البيت الذي تسكن فيه هذه الصغيرة مع جدتها وأمها وأبيها، والتحقت لطيفة فيما بعد بكتّاب المطوعة وضحة البلوشي، واستمرت بالدراسة في هذا الكتاب لمدة سنة كاملة، تم إلحاقها بعدها بمدرسة الوسطى عند افتتاحها في سنة ١٩٣٨م.

في السنة الدراسية ٤٣ - ١٩٤٤م تغير وضع هذه التلميذة فصارت مدرسة في المدرسة الشرقية القريبة من سكنها، وكانت هذه المدرسة في بدايتها في بيت مستأجر، وقد قامت دائرة معارف الكويت بتوسيع مساحة هذه المدرسة عن طريق استئجار بيت آخر ملاصق لها، وصارت المدرسة الجديدة مسؤولة عن إدارة المدرسة بعد أن قامت المعارف بتوسعتها بالإضافة إلى عملها بالتدريس.

ولم تلبث لطيفة محمد البراك فترة طويلة في المدرسة الشرقية حتى انتقلت المدرسة بكاملها إلى مبنى مدرسي آخر كان مستغلاً لتعليم البنين ومنذ ذلك الوقت ألغت دائرة معارف الكويت عقد استئجار البيتين إذ لم تعد لهما حاجة، واكتفت بالمبنى الحكومي.

واصلت السيدة لطيفة مسيرتها التربوية، ودخلت في مرحلة جديدة من مراحل عملها بانتقالها إلى روضة الجابرية الواقعة في منطقة القوع الشرقي، وكانت هذه المنطقة هي المنطقة التي يقع فيه سكنها بعد أن تزوجت من المرحوم العديل سليمان عبدالعزيز العمر، وانتقلت إلى بيت الزوجية، وقد بقيت في عملها هذا لمدة خمس سنين انتقلت بعدها إلى العمل في ديوان الوزارة بوظيفة مسجلة شؤون الطلبة، ولم تبق مدة طويلة في هذا العمل إذ سرعان ما أخذها الحنين إلى العمل المدرسي، فتم نقلها إلى المدرسة الشرقية فكانت وكيلة لها، ثم صارت

ناظرتها فيما بعد. وبانتقالها إلى السكن في منطقة النزهة، وإتمام بناء مدرسة النزهة الابتدائية، انتقلت لطيفة البراك لتكون ناظرة لهذه المدرسة الجديدة، وبعد خمس سنين من العمل هنا تقدمت بطلب للإحالة على التقاعد بعد أن أمضت نحو أربع وثلاثين سنة في خدمة التعليم.

ووفق على طلبها المذكور، وتقاعدت بالفعل، ولكنها لاتزال تتابع الأنشطة التربوية، وتتصل بزميلاتها من المدرسات، وتحضر المناسبات التي تقيمها بعض المؤسسات المهتمة بالتربية، وتحضر الكثير من الندوات والمحاضرات فهي حريصة على أن تعيش في الجو الذي كانت تعمل فيه، وهي تضن على خبراتها الكثيرة أن تتبخر إذا تقوقعت ولم تحاور أحداً حولها، وهذا هو ما يدفعها إلى مزيد من الاتصال بالناس وبخاصة العاملين في المجال التربوي.

كانت المربية لطيفة محمد البراك مهتمة بالتزود من المعلومات المتعلقة بمجال عملها، ولذلك فقد التحقت بدورة دراسية مدتها ثلاثة أشهر حول الإدارة المدرسية، عقدتها الجامعة الأمريكية في بيروت صيف سنة ١٩٦٥م، كما حضرت الكثير من اللقاءات التربوية التي تعقدها وزارة التربية من أجل تجديد معلومات العاملين والعاملات في الحقل التربوي ولم تكن هذه المربية تتخلف عن واحد من هذه اللقاءات.

وحول خبرتها في هذا المجال تقول:

لقد استفدت جداً من مهنة التعليم، وذلك في حياتي العملية، وعندما عملت في روضة الجابرية خاصة، وفي هذه الروضة كان عدد من الموجهين يحضرون إلينا من أجل إلقاء بعض التوجيهات على المدرسات على شكل دروس أو محاضرات فكنت أنا وناظرة الروضة أحضر هذه اللقاءات لما فيها من فوائد عن تربية الطفل وكيفية معاملته، وقد نفعتني هذه الدروس في تربية أولادي، كما نفعتني فيما بعد

عندما صرت ناظرة في مدرسة النزهة الابتدائية فكنت أحضر بعض الدروس العملية التي تأتي لتلقيها طالبات معهد المعلمات وكان لي من الخبرة ما يؤهلني لتوجيههن الوجهة الصالحة.

ولقد كنت أحرص على حضور الحلقات الدراسية، والتدريبية حتى تلك التخصصية منها لما أجده من فائدة تعود عليّ من حضورها، كما حصل عندما حضرت دورات التدريب على تدريس الرياضيات الحديثة في الكويت.

من ذكريات المربية لطيفة عن زميلاتها أنه كان منهن المدرسات سبيكة محمد صالح وسبيكة ناصر السعد، وشريفة الصالح المطوع، وعزيزة الصالح المطوع.

كما تتذكر من تلميذاتها الشيخة بدرية العبدالله الجابر الصباح، ومي الشيخ يوسف بن عيسى، ودلال خالد المطوع، وبدرية يوسف الغانم، وأعداد أخرى كثيرة يضيق المكان المخصص لنا عن ذكرها.

لقد قامت بأداء رسالتها في التعليم على خير وجه ولذا استحقت محبة الناس وتقديرهم.

وثالثة المدرسات هي المرحومة فاطمة الصالح المطوع، وهي ممن تعيّن في السنة الدراسية ٤٣-١٩٤٤م وصارت مشاركة في السبق لزميلتيها اللتين ذكرناهما، ولدت هذه المدرسة النشطة في سنة ١٩٣١م، في فريج القناعات الواقع في شرقي مسجد الدولة، وعندما حان وقت التحاقها بالمدرسة كانت أقرب مدرستين إلى سكنها هما مدرسة الشرقية الابتدائية للبنات، ومدرسة الوسطى، فتعلمت في كل من هاتين المدرستين ما أهلها إلى القيام بالتدريس فيما بعد، فدرست في المدرسة الوسطى، ثم صارت وكيلة لها، وعملت في مدرسة أشبيلية كذلك، وكانت هي المؤسسة لها، إذ إن المدرسة كانت جديدة لم تبدأ الدراسة بها آنذاك، وصارت بعد ذلك ناظرة لمدرسة الخالدية الابتدائية للبنات.

كانت زميلاتها يحافظن على صداقتها لطيبة نفسها وحرصها على مواصلة صداقتها لمن تعرف، ومن هؤلاء السيدة لطيفة محمد البراك، والسيدة سبيكة ناصر السعد، أما عن تلميذاتها فكان منهن السيدة نعيمة علي العبدالوهاب والسيدة مي الشيخ يوسف بن عيسى.

من أحوالها العامة أنها تزوجت من السيد زهير عبدالمنعم الزواوي، ولها منه ابنتان هما: ليلى وزهرة، وبسبب هذا الزواج سكنت في عُمَان منذ سنة ١٩٩٠م، وفي سنة ٢٠٠٤م توفيت في الكويت، رحمها الله تعالى.

هذه نماذج ثلاث من الرعيل الأول للمدرسات الكويتيات، عملن واجتهدن، وتركن آثارًا طيبة في مسيرة التربية في وطنهن الكويت، ولايزال ذكرهن ساريًا إلى اليوم، ولعل من الجدير بوزارة التربية أن تطلق أسماءهن على ثلاث مدارس من مدارسها، فهن أحق بذلك، وتاريخهن في الوزارة يؤكد هذه الأحقية، وألسنة طالباتهن تنادي بذلك، فهل تستجيب الفاضلة وزيرة التربية؟.

****

ملحاق خير

ذكرت في المقال رجلًا عزيزًا على نفسي هو الأخ الطيار بدر العتيقي. وهو أخ وصديق قديم عرفته في الفريج ورأيته معي في صف واحد بالمدرسة الأحمدية، وهو اليوم من المواظبين على صلاة يوم الجمعة في مسجد المطير بضاحية عبدالله السالم كما يفعل غيره من أبناء الفريج فتسعدني رؤياه. إن هذه الرؤية تذكرني بالأيام الماضية، وتؤكد بأن ما يبنى على المودة من العلاقات الإنسانية لا ينقطع.

ويسرني هنا أن أورد نص ما كتبه عنه الأستاذ مصطفى مراد المؤمن في كتابه: «تاريخ الطيران في الكويت»: «بدر العتيقي من مواليد الكويت عام ١٩٣٧م درس في مدرسة الملا مرشد ثم دخل المدارس النظامية كالأحمدية والقبلية وأثناء دراسته بثانوية الشويخ سمع بانشاء نادي ومدرسة الطيران في الكويت فأسرع بتسجيل اسمه كطالب طيار وطار بعد ذلك كمتدرب على طائرة من نوع «أوستر» عام ١٩٥٣ وفي عام ١٩٥٤م حصل بدر على إجازة طيار خاص. عُين بدر العتيقي في الجيش برتبة ملازم وسافر في بعثة إلى بريطانيا عام ١٩٥٥م حيث تدرب في مدرسة تدريب الطيران بمطار هامل على أنواع مختلفة من الطائرات مثل جب مون. واكسفورد، وقد حصل على إجازة طيار تجاري وإجازة الطيران الآلي عام ١٩٥٨م عاد بعدها إلى الكويت ورقي إلى رتبة ملازم أول وطار على طائرات من نوع دوف، هيرون.

عندما قررت الحكومة تزويد سلاح الطيران بطائرات عسكرية نفاثة من نوع «جت بروفست» أرسل بدر في بعثة إلى بريطانيا عام ١٩٦١م للتدريب على طائرات

من هذا النوع وقد طار بدر فيما بعد على طائرة «هوكر هنتر» وطائرة «لايتننج».

يشغل بدر فرج العتيقي الآن منصب قائد قوات الطيران والدفاع الجوي وهو برتبة عميد طيار وهو حاصل على أوسمة عسكرية عديدة أهمها وسام من الجمهورية العربية السورية».

بعد ذلك بفترة تقاعد أخي بدر، واتجه اتجاهات أخرى في الحياة، ولكنه لم ينقطع عن محبيه، ولم ينكفئ على نفسه بل هو دائمًا بين الأنظار بابتساماته الجميلة وروحه الإنسانية المحبة للخير وللناس.

****

الحوادث المؤرّخة في الكويت (الجزء الأول) [1]

لم تكن الكويت قد بدأت في إصدار شهادات الميلاد للمواليد في الوقت الذي سوف نتحدث عنه. ولم تبدأ دائرة الصحة العامة في صرف هذه الشهادات إلا في وقت متأخر، وأذكر أنني كنت أدرس في المعهد الديني سنة ١٩٥٧م حين صدر قرار بضرورة حصول كافة الطلاب على شهادات ميلاد إذ بدأ في ذلك الوقت إصدارها، وإلزام الطلاب بها. وحضرت مجموعة من العاملين في الدائرة المذكورة يعاونهم عدد من أساتذة المعهد، فأصدر هؤلاء شهادات لنا، وضعوا عليها أعمارنا جزافًا دون وجود من يقوم بتقدير السن كما هو جار اليوم، والعجيب أن أبناء المعهد الديني كلهم قد ولدوا في يوم واحد هو اليوم الثاني من شهر نوفمبر ولا يختلفون إلا في سنة الولادة، ونحمد الله أن ذلك لم يتكرر في الكويت بعد تلك السنة إذ صارت شهادات الميلاد تصرف فور ولادة الطفل، ومن فاتهم الحصول عليها فإنهم يعرضون على لجنة تقدير السن التي تضع لهم تاريخ الميلاد ثم تصرف لهم الشهادة.

قبل سنة ١٩٥٧م كان الناس يعرفون تاريخ مواليدهم بحسب الأحداث التي تحدث يوم الولادة أو في سنة الولادة. وسوف نستعرض هنا عدداً من الأحداث التي يؤرخ بها الناس أيام مواليدهم أو أية أمور أخرى يودون الاحتفاظ بتاريخها.

وقد حرص مؤرخونا الأوائل على كتابة شيء عن ذلك تحت عنوان «الحوادث

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢١.

التي يؤرخ بها الكويتيون» ومن ذلك أن يقال حدث ذلك في سنة الطاعون، وهي حادثة أليمة ألمت بالكويت، لا ينساها الناس طوال حياتهم حتى الذين لم يشهدوها فإنهم لكثرة ما سمعوا عنها أصبحوا يخشون تكرارها.

نزل هذا الوباء الشديد الوطأة نزولاً مخيفاً مصحوباً بالموت والدمار، وحتى اليوم فإن الناس لايكادون يذكرون اسمه حتى يستغفروا ويستعيذوا بالله منه لكثرة ما حدث فيه من الأذى ولكثرة ما مات بسببه من الناس حتى لتكاد البلاد تخلو من أهلها، ويبلغ من كثرة الموتى حدّاً جعل الكويت كلها مقبرة واحدة واسعة إذ لم يكن هناك مكان كافٍ للدفن ولم يكن هناك من يستطيع القيام بذلك لأنهم كلهم كانوا تحت وطأة هذا الوباء فكان أن تصرفوا بحسب ما يقدرون عليه لمواراة موتاهم.

تحدث مؤرخونا الأوائل عن هذا الوباء، وأجمعوا على أنه كان في سنة ١٢٤٧هـ التي توافق سنة ١٨٣١م، وقد ذكروا أغلب ما وصل إليهم من أخباره، وإن كان بعض تلك الأخبار لا يخلو من علامة التساؤل.

قال الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت»: «في سنة ١٢٤٧ أصيبت الكويت بطاعون عظيم قضى على كثير من أهلها حتى كادت تصبح قفراً يباباً».

وذكر الشيخ يوسف بن عيسى القناعي هذا الحدث الأليم في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت»، وكان حديثه مقاربًا لحديث الشيخ الرشيد. أما الأستاذ أحمد البشر الرومي، فأورد فصلًا من كتابه «مقالات عن الكويت»، تحت عنوان: «من تاريخ الأوبئة في الكويت»، ولم يكتف بما كتبه عن الطاعون الذي حل بالكويت في السنة التي ذكرناها بل تحدث عن أوبئة حدثت في دولة مجاورة ربما لأنه يظن أنها لابد وأن تكون قد أثّرت في الكويت آنذاك منها الطاعون الذي حل بالبصرة في سنة ١٦٣٥م، وهذا التاريخ قريب من تاريخ نشأة الكويت في سنة ١٦١٣م، ويبدو أنه لم يمتد إلينا، إذن لما كنا وجدنا أحدًا بعد ذلك التاريخ على هذه الأرض لأن عدد السكان كان قليلًا والبلاد في بداية نشأتها.

ولكن المؤرخ السعودي القديم محمد بن عمر الفاخري ذكر في كتابه «تاريخ الفاخري» حادثًا آخر فقال: «في أواخر رمضان من هذه السنة (هي سنة ١٢٣٦هـ وتوافق سنة ١٨٢٠م) وقع الطاعون بالبحرين فأفنى خلقاً كثيرًا، ثم بالقطيف ثم الأحساء، ثم وقع بالبادية، ثم وقع بساحل الكويت».

وقد أشار الأستاذ أحمد البشر إلى هذا الوباء على أنه ليس وباء الطاعون المعروف، ولكنه وباء الكوليرا، فقال: «وفي عام ١٢٣٦هـ-١٨٢٠م قدمت الهند للبحرين هدية من أفتك الهدايا إذا صح التعبير، هذه الهدية هي الكوليرا، وقد وزعتها البحرين على الدول المجاورة».

إذن فإن ما ذكره الفاخري لا علاقة له بالطاعون، وفي كتاب اسمه «مجموع في التاريخ النجدي» كتبه كل من الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى، والشيخ محمد بن عبدالله البسام، ورد ذكر حادث الطاعون هو أقدم من الوباء الذي اشتهر بعدما حل بالكويت سنة ١٨٣١م فكان هذا الذي ذكراه في سنة ١١٨٦هـ التي توافق سنة ١٧٧٢م.

وجاء في كتابهما عن السنة الهجرية المذكورة «وفي آخر هذه السنة وأول التي بعدها وقع الطاعون العظيم ببغداد والبصرة والزبير والكويت، وعم العراق، وهلك فيه خلائق كثيرة، ولم يبق من أهل البصرة إلا القليل».

وهكذا فإن هذا الوباء والذي جاء بعده إنما قدما إلينا من العراق وهذه هي الهدايا التي يقدمها إلينا دون غيرها. وليس من المعقول أن يكون ما حل بهم إنما هو من الكويت لأن سياق الخبر ينبئ بأن بدايته كانت في بغداد ثم انتشرت جنوباً، ومن جهة أخرى فإن القادمين من البصرة إلى الكويت كانوا كثيرين، ولا يستبعد أن يكون أحد الفارين من الطاعون كان يحمل الداء معه فنقله إلينا، وهكذا حدث في المرتين ١٧٧٢م و١٨٣١م.

هذا وتجدر بنا الإشارة إلى أن الشاعر النبطي الشهير محمد بن لعبون كان يعيش في الكويت خلال سنة ١٨٣١م، وأصيب بالوباء فمات ودفن بها، وكان قبره معروفًا إلى وقت قريب وهو في الزاوية الشمالية الشرقية خارج مبنى مجلس الأمة، وقد جاء في كتاب تاريخ ابن لعبون الذي ألفه والده عند ذكر تواجد الشاعر في الكويت: «ولم يزل هناك إلى أن توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧هـ، في الطاعون العظيم الذي عم العراق، والزبير، والكويت، هلكت فيه حمايل وقبايل، وخلت من أهلها منازل، وبقى الناس في بيوتهم صرعى لم يُدفنوا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

هذا وكان حاكم الكويت في تلك السنة هو الشيخ جابر بن عبدالله بن صباح الذي حكم في الفترة من سنة ١٨١٤م حتى سنة ١٨٥٩م. وكان سور الكويت الثاني قد بني في عهد والده الشيخ عبدالله بن صباح بن جابر، يدل عليه اليوم الموقع المعروف باسم دروازة العبدالرزاق، حيث كان موقع إحدى بوابات ذلك السور.

حتى وقت متأخر كان شبح هذا الوباء مخيماً على المنطقة، ولم تكن الكويت- في ذلك الوقت- في مأمن من الخطر، فحركة الانتقال منها وإليها مستمرة، وهذه الحركة هي التي تنقل العدوى من طرف إلى آخر فكانت البلاد تحتاط لذلك، ومن أهم وسائل الاحتياط ما يسمى (الكرنتينا) أي الحجر الصِّحِّي فكان القادمون إلى الكويت أو إلى غيرها من البلدان يخضعون إلى هذا النظام حيث يتم احتجازهم بضعة أيام يكونون فيها تحت المراقبة قبل السماح لهم بدخول البلاد.

وفي الثالث من شهر نوفمبر لسنة ١٩٢٢م، كتب الميجر مور الوكيل السياسي البريطاني في الكويت رسالة إلى الشيخ أحمد الجابر يبلغه عن بدء انتشار مرض الطاعون القاتل في الكويت حيث لاحظ الطبيب المشرف على الحجر الصحي وجود عدة حالات من المصابين بهذا المرض في مناطق مختلفة في البلاد مما

يستدعي سرعة التصرف، حتى لا يتفشى المرض فيهلك أعداداً كبيرة من السكان، وقد أشار في رسالته إلى أنه، حيث إن بعض المناطق المتاخمة لشط العرب لا تخضع لنظام الحجر الطبي فهي عرضة أكثر من غيرها لهذاالخطر الداهم.

ولذلك قال الوكيل السياسي: «وبالنظر إلى الخطر الناتج عن هذا الداء، فإني أقترح -جداً- على سعادتكم أن تمنعوا أبوام الماء من جلب عبرية (أي مسافرين) معهم، وتضعوا كرنتينا على غيرها من جميع السفن الواردة من شط العرب».

وفي السابع عشر من شهر ديسمبر لسنة ١٩٢٢م كتب الله أن يرفع هذاالمرض، فكتب الوكيل السياسي بذلك إلى الشيخ أحمد الجابر قائلاً: «خلصت المحمرة وعبادان من مرض الطاعون وعليه يرى الحكيم أن لا حاجة بعد في تحديد سعادتكم من جهة الكرنتينا على الآتين من شط العرب».

وقد كانت هذه صورة واضحة من صور العناية الصحية التي كان ينتهجها الشيخ أحمد الجابر حماية لشعبه من خطر الأمراض.

والحادث الثاني الذي ذكره المؤرخون هو ما حدث في سنة الهيلق، وقد ذكر الشيخ يوسف بن عيسى ذلك في كتابه «صفحات من تاريخ الكويت»، فقال: «ليس لهذا الاسم أصل في العربية، وإنما هو اصطلاحي، ومعناه أن خلقاً من أهل فارس أصابتهم مجاعة، وجاء عدد كبير منهم إلى الكويت، وسُمُّوا بهذا الاسم، وهذه المجاعة حدثت في سنة ١٢٨٥هـ وانتهت في سنة ١٢٨٨هـ» ويلاحظ هنا أن سبب المجاعة - آنذاك - كان خارجيًا إذ لو لم تفد هذه الأعداد الجائعة إلى الكويت لما نقصت الأغذية عن الناس، وفيما يتعلق بالتاريخ فإنه عند تحويل التاريخ الهجري إلى الميلادي يكون هذا الحدث قد امتد من سنة ١٨٦٨م حتى سنة ١٨٧١م.

وقد تحدثنا عن سنة الهيلق في مقالنا الذي سبق نشره في «الوطن» تحت عنوان: «رجال الكويت يكافحون المجاعة».

أما الحدث الثالث، فهو الذي جرى في سنة ١٢٨٨هـ التي توافق سنة ١٨٧١م، وهي السنة الأخيرة من سنوات (الهيلق، هذا الحدث هو ما أطلق عليه (سنة الطبعة)، يقول الشيخ يوسف بن عيسى عن هذه الحادثة إنها: «حدثت في سنة ١٢٨٨هـ، وهي غرق جملة من سفن الكويتيين بسبب طوفان عظيم حدث بين الهند ومسقط، ولم يسلم منه إلا النادر من السفن، وممن ذهبت سفنهم بيت إبراهيم والعصافير (آل عصفور) ونصف البدر، وابن صبيح، ومحمد الغانم».

وقد ورد ذكر (الطبعة) في بعض كتب التاريخ النجدية ومنها ما لا ينطبق على التاريخ المذكور في الكتب الكويتية كالذي ذكره إبراهيم بن عيسى في شهر ربيع الأول لسنة ١٢٦٧هـ التي توافق سنة ١٨٥٠م، حيث قال: «طبعت سفن كثيرة لأهل الكويت».

وكالذي ذكره محمد بن عمر الفاخري في تاريخه «وفيها هلك في بندر منبج (بومبي) نحو ألف وأربعمائة سفينة أكثرها خال من الحمل، منها لأهل البصرة والكويت نحو أربعين سفينة، وذكروا أن ذلك (وقع) في شدة الريح ويقصد بقوله وفيها: في سنة ١٢٧١هـ التي توافق سنة ١٨٥٣م.

وذكروا بعد ذلك سنة الرجبية، وهي تاريخ هطول أمطار غزيرة على البلاد، كانت لها آثارها السيئة على الناس والممتلكات، وصفها الشيخ يوسف بن عيسى القناعي بقوله: «الرجبية: وهي مطر عظيم وقع في شهر رجب لسنة ١٢٨٩هـ، وأضر بيوت الكويت، وكانت مع قوة المطر ريح عاصف، حتى طغى البحر، وارتطم كثير من السفن، ونتج عن ذلك ضرر عظيم».

وكان حديث الشيخ عبدالعزيز الرشيد عن هذه الحادثة مقاربًا لحديث الشيخ يوسف مع الأخذ بالاعتبار أن صدور كتاب الرشيد «تاريخ الكويت» كان يسبق صدور كتاب الشيخ يوسف بعشرين سنة، ومن الملاحظ أن الشيخ الرشيد وضع كلمة (هدامة) بين قوسين لكي يفيدنا بأن الرجبية هي هدامة، ولاحظ أنه كتبها بدون

(ال) التعريف لا كما يكتبه بعض الناس في هذه الأيام - خطأ - فيقول سنة الهدامة بينما المتعارف عليه منذ حدثت تلك الأمطار هو: سنة هدّامة بدون (آل).

وسنة ١٢٨٩ الهجرية توافق السنة الميلادية ١٨٧٢م، وكان ذلك في عهد الشيخ عبدالله بن صباح بن جابر الذي حكم الكويت منذ سنة ١٨٦٦م حتى سنة ١٨٩٢م.

ومن الأحداث المهمة التي دخلت إلى تاريخ الكويت ما تم في السنة التي أطلق عليها اسم: سنة هدامة - أيضًا - وهي السنة التي حدث فيها مطر غزير هدم عدداً كبيراً من المساكن وشرد عدداً من الأهلين، وبسبب كثرة ما هدم من المباني سميت السنة التي تم فيها ذلك الحدث بالاسم الذي ذكرناه تشبيهاً لها بهدامة الأولى، ولكثرة الألم الذي أصاب الناس من جراء الأمطار فقد ظلت ذكراها لا تزول وأصبح الأهالي يؤرخون بها فيقولون: فلان ولد في سنة هدّامة، وفلان سافر في سنة هدّامة وهكذا، وقد ميزوا بين الحادثتين فسموا الأولى: الرجبية..

فوجئت الكويت وهي تستقبل شهر رمضان لسنة ١٣٥٣هـ، وفي أول ليلة منه، وهي توافق اليوم الثامن من شهر ديسمبر لسنة ١٩٣٤م بأمطار غزيرة لم تشهد لها البلاد مثيلًا منذ سنوات بعيدة، وقد تركت هذه الأمطار آثارها على الناس نتيجة لتضرر مساكنهم وتعرضهم للمياه والبرد الشديد، واضطرارهم إلى التنقل من مكان إلى آخر من أجل البحث عن النجاة بأنفسهم مما قد يتعرضون له فيما لو سقطت الجدران عليهم، إضافة إلى المشكلات الأخرى التي نجمت عن انغلاق الطرق بالمياه والوحول، وتعرض بعض الأماكن إلى الانهيارات الأرضية التي تركت آثارها على طبيعة الحياة، فلم يعد في استطاعة المواطن أن يواصل العمل في مجال عمله، وباختصار فقد شلت الأمطار حركة البلاد لولا الاهتمام الذي أبداه الشيخ أحمد الجابر الصباح، وتكاتف عدد من المواطنين القادرين لما انتهت هذه الأزمة ولما زالت آثارها إلا بعد مضي زمن طويل.

من أهم ما جاء في وصف هذه الأمطار رسالة كتبها المرحوم مهلهل الحمد الخالد إلى والده الذي كان خارج البلاد في الليلة الثالثة لنزول الأمطار التي لم يدم هطولها على شدة غزارته أكثر من ليلة واحدة، وفي الرسالة حديث موسع عن المطر الذي ذكر كاتب الرسالة أنه أحدث نكبات ولكنه لم يحدث نقصًا في الأرواح، وقال إنه قد ابتدأ في تمام الساعة الحادية عشرة بسحب عظيمة ذات أمطار متباتلة مستمرة لم تتوقف إلا بعد أن استنفدت السحب ما فيها من مياه.

ثم ذكر أحوال الناس من المعارف والمجاورين، وما حدث لهم إثر ذلك الحادث الرهيب، وعدد الأماكن التي هدمت بسبب المطر سواء أكانت مساكن كاملة أو أجزاءً منها. وكان وصفه ذلك وصفًا دقيقاً بأسماء الأسر المتضررة، والآثار التي تركتها الأمطار على الطرق، ومما قال عن ذلك أن بعض أولادهم خرجوا بعد توقف المطر إلى منطقة الشعب ثم عادوا فقالوا لأهلهم من «الشِّعب إلى الديرة الأرض تغيرت علينا ما هي الأرض التي نعرفها». وذلك بسبب التشقق الذي حصل، وزوال بعض المعالم التي كان منها بعض الأشجار.

هبَّ الشيخ أحمد الجابر الصباح حاكم الكويت - آنذاك - فافتتح حملة تبرعات بدأها بخسمة آلاف ربية وهي مبلغ كبير في ذلك الزمان، أضيفت إليها المبالغ المخصصة للإعانات في الحالات المشابهة عند بلدية الكويت، إضافة إلى المساعدات العينية والمادية، وأعمال الإنقاذ التي قام بها عدد من الأهالي القادرين.

وفي منتصف ليلة يوم الإثنين الثلاثين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٥٤م هطلت أمطار غزيرة على الكويت كانت في تدفقها وشدة عصف الرياح معها شبيهة بالكارثتين السابقتين اللتين حدثتا في سنتي ١٨٧٢م و١٩٣٤م. وكانت من الكثافة بحيث عرضت الكثير من المباني للخطر، وكان الأفراد من الأهالي أشد تضرراً لأنهم فقدوا منازلهم ولوازمهم، وبقي عدد كبير منهم دون مأوى.

الحوادث المؤرّخة في الكويت (الجزء الثاني) [1]

كانت الظروف في الكويت مختلفة عما كانت عليه في المرتين السابقتين، ففي الكويت في وقت حدوث هدامة الثالثة، جهات حكومية منظمة ومشروعات إنشائية عديدة، ومالية جيدة بسبب ورود أموال النفط الذي كان تصديره قد بدأ في سنة ١٩٤٦م. وكانت المعدات المتوافرة لدى الحكومة من أجل الإنقاذ ومن أجل إصلاح ما فسد كثيرة، لذا فقد جندت الحكومة كل إمكاناتها لتدارك نتائج السيول من سحب للمياه وحفر للأنفاق، وإطعام للمنكوبين وإسكان لمن هدم بيته منهم. إضافة إلى ما قامت به من علاج شامل للمشكلة بحيث يتم تلافي آثارها السلبية التي أثرت على المتضررين، فانقطعوا عن أعمالهم وانقطع أبناؤهم عن الدراسة لأن المدارس قد تم تحويلها إلى مساكن مؤقتة لهؤلاء، تقدم لهم فيها كافة احتياجاتهم من مأكل وملبس وأغطية، وكانت الحكومة قد أعدت منازل كثيرة لكي تقوم بتوزيعها على ذوي الدخل المحدود فقامت بتوزيعها بصورة مؤقتة على عدد من هؤلاء المتضررين لتخفف عنهم حتى يتم ترميم مساكنهم المصابة من جراء الأمطار.

استمرت الأمطار في هطولها على البلاد مدة لا بأس بها، ولم تنقشع الغيوم إلا في صباح اليوم الثاني من شهر ديسمبر لسنة ١٩٥٤م، وقد تكونت لجنة فنية حكومية عهد إليها بدراسة المأساة، كتبت تقريراً حول ما حدث، وحول الإجراءات التي تم اتخاذها بشأن الإنقاذ وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه، وقد جاء في جزء من تقرير اللجنة المذكورة ما يلي: «قُسِّمت البلد إلى خمس مناطق، جاس

(1) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٨/١١/٢٠٠٧م.

خلالها المهندسون لهدم جميع البيوت المعرضة للسقوط، كما اتخذت الترتيبات اللازمة لتأمين استمرار الاسعافات اللازمة إلى القرى، وإلى جزيرة فيلكا، كما جُهز مستوصف متنقل لزيارة أماكن جماعات المنكوبين».

وهكذا نرى الفرق بين الأعمال التي اتخذت في الماضي والتي اتخذت في هدامة الثالثة. فقد كانت الأمور كما ذكرنا قد تطورت، وكانت إمكانات البلاد قد ازدادت ولذا فقد سهل على الحكومة القيام بكافة التدابير التي تكفل علاج الموقف بأسرع وقت ممكن.

وفوق ذلك فقد أنشأت حكومة الكويت جهازاً كاملاً منظمًا للإشراف على جميع أعمال الإنقاذ والإغاثة، بما في ذلك ترميم المباني التي تحتاج إلى ترميم، وإعادة بناء ما لاينفع معه الترميم لشدة تضرره، ودفع تعويضات لبعض المحتاجين، وبالجملة فإن هذه اللجنة كانت مسؤولة عن وضع البلسم على جراح المصابين وإعادة الحياة إلى ما كانت عليه قبل حدوث الكارثة.

وزيادة على ذلك فإن الأمر اقتضى إنشاء لجنة عليا مشرفة على كافة اللجان المكلفة بالعمل الخاص بالإنقاذ وإعادة ترتيب الأمور بغية عودتها إلى طبيعتها، فكانت هذه اللجنة العليا مكونة من عدد من رجال الكويت الذين نهضوا بالمهمة وأدوا دورهم بكل اهتمام، وقاموا برعاية المحتاجين والمتضررين دون تردد، وكان في هذه اللجنة كل من الشيخ جابر العلي الصباح، والشيخ خالد العبدالله السالم الصباح، والسادة: أحمد عبداللطيف، وعبداللطيف النصف، وخالد الزيد الخالد، وعبدالحميد الصانع، وسليمان خليفة الشاهين، وسليمان المسلم، وعبدالله الدخيل الشايع، ونصف اليوسف النصف، وأحمد سعود الخالد، وآخرون.

وقد اتخذت اللجنة العليا قرارات فورية بغية تخطي الكارثة التي كانت كبيرة بالنسبة للبلاد في ذلك الوقت، وقد قامت الكويت - وحدها - بكل أعمال الإغاثة

دون أن تحتاج إلى مساعدة من خارجها، في الوقت الذي لم يتقدم أحد ليعرض شيئًا من ذلك.

وانفرد الشيخ عبدالعزيز الرشيد بذكر حدث آخر مهم وهو حادث الدبا، والدّبا هو الجراد الصغير الذي لا يطير ولكنه شديد الحركة، وكان يأتي إلى البلاد بأعداد هائلة فيغطي مساحات من الأرض ويدخل إلى البيوت ويسقط في الآبار ويأكل الزروع. ونظرًا لكمياته الكبيرة فإن مكافحته تكون صعبة جداً، وإليك ما ذكره الرشيد عن هذا الحادث المزعج الذي تكرر بعد السنة التي ذكرها ولكنه توقف الآن بفضل من الله، ثم المكافحة القوية له قبل أن يصل إلينا. يقول الشيخ: «في سنة ١٣٠٧ هـ (وهي توافق سنة ١٨٩٩م) أرسل الله على أهل الكويت دبا عظيمًا أكل الزرع وأهلك الحرث والنسل وآذى الاطفال وامتلأت منه الآبار حتى أنتنت وأصيب الناس منه بما أقلق راحتهم وأطار النوم من أعينهم واستمرت شدته من اثني عشر رمضان إلى أربع وعشرين منه وقد قال المرحوم الشيخ خالد العدساني في تلك المصيبة.

الله اكبر كيف القُمّل الضُعَفَا
آذى الأنام ومنه الزرع قد تلفا
وصير الارضَ بيضًا لا نبات بها
كانه لم يكنْ فيها وما عَرَفا
قد جاء كالسيلِ يعدو ليس يمنعهُ
شيءٌ فما ملَّ من شيءٍ ولا وقفا
حتى أتانا فعمتنا بليتُهُ
وقد كسا الأرضَ ثوبًا منه مختلفا

هذا والدّبا حشرة معروفة منذ القدم، وصف الشاعر الجاهلي امرؤ القيس الخيل فذكر أنها تأتي جماعات متقاربة وسريعة الحركة فقال:

إذ هـي أرســـالٌ كـرجـل الـدَّبـا
أو كـقـطـا كـاظـمـة الـنـاهـل

ويتردد على الألسنة اسم: سنة الطفحة، وهي رمز لعمل قديم كان في الكويت، ودخل ضمن الأحداث التي كان الأقدمون يؤرخون بها مثل سنة هدّامة وغيرها.

وسنة الطفحة لا تدل على شيء كما يدل عليه عدد السنوات المذكورة في تاريخ الكويت، بل هي ذات دلالة على أمر مفرح، أسعد الناس وحرك الحياة الاقتصادية في البلاد بصورة إيجابية كانت لها آثارها الطيبة لعدة سنوات.

والطفحة لفظ وارد من الفصحى، حيث يقول العرب: «طفح الإناء والنهر: امتلأ» واللفظ في اللهجة يستعمل للمعنى نفسه، فيقال: الماية طفوح إذا كان ماء البحر عاليًا، ويقال: البحر طافح أي أن ماءه قد زاد عن المعدل، وقد استعمل هذا اللفظ عندنا للدلالة على الزيادة في كل شيء، مستمدين هذا المعنى عن الأصل العربي.

يطلق اسم سنة الطفحة على سنة ١٩١٣م وهي إحدى سنوات حكم الشيخ مبارك الصباح الذي حكم الكويت منذ سنة ١٨٩٦م حتى سنة ١٩١٥م. وكان رجلًا مهتمًّا بأمر الغوص والغواصين وكل ما يتعلق بهذا العمل لأنه رأى أن في الغوص منافع مادية واجتماعية كبيرة للكويت ولعدد كبير من أبناء جيرانها الذين يأتون إلى البلاد في الموسم لكي يشاركوا في هذه الرحلات الموسمية التي تهدف إلى التقاط المحار من قاع البحر، ثم البحث عن اللؤلؤ المخبوء في داخله، وبيعه بعد ذلك.

من المعروف أن العمل في مجال الغوص على المحار قد بدأ في الكويت منذ القديم، ولكنه تدرج ارتفاعًا بسبب النمو السكاني، والفوائد المادية التي عادت على البلاد وعلى أهلها منه. فأصبح مورداً أساسياً من موارد العيش للكثيرين من الأهالي، وصار موسمه من أهم المواسم في البلاد ينشغل به الجميع منذ أن يبدأ استعداد

السفن للرحيل، وأثناء وجود الغواصين في المغاصات، وعند العودة التي كانت تسمى (القفال) ولها يوم مشهود ومظاهر معروفة تشغل بها البلاد انشغالًا كبيرًا.

مع هذا التدرج الذي ذكرناه، ومع اهتمام الشيخ مبارك الصباح منذ تولى الحكم استمر نمو هذا العمل، وازداد عدد العاملين فيه، كما ازداد عدد السفن التي تتجه إلى الغوص سنة بعد أخرى حتى جاءت السنة المسماة «سنة الطفحة».

كان عدد سفن الغوص في هذه السنة زائدًا عن الحد، وقد تعدى العدد الذي كان يعمل في هذا المجال خلال السنين السابقة، وذلك لأن عدد السفن في سنة ١٩١٢م وهي السنة التي نتحدث عنها قد بلغ ثمانمائة واثنتي عشرة سفينة متعددة الأحجام، تحمل عددًا كبيرًا من العاملين الذين لم يكن عدد المتقدمين للغوص من الكويتيين كافيًا للعمل عليها، ففتحت للمحتاجين من دول الجوار مجال العمل الشريف، وكان المردود المادي لهذه السنة كبيراً جداً بمقياس تلك الأيام، إذ كان إيراد سنة الطفحة ستة ملايين روبية، وهذا مبلغ كبير بالنظر إلى مستوى المعيشة، وطبيعة الحال في الزمن الذي نتحدث عنه. لقد كانت (طفحة) بالفعل زادت فيها النتائج عن الحد المعتاد كما زاد عدد السفن والمشاركين في الرحلة، وعادت بفوائد جمة على البلاد.

وبعد هذا التاريخ بفترة، وبالتحديد في اليوم الرابع عشر من شهر يناير لسنة ١٩٢١م، جاء حدث جديد صار هو الآخر من الأحداث الذي يؤرخ بها وسُمِّيّ سنة البشوت، وفي ذلك اليوم أصدر الشيخ أحمد الجابر الصباح قراراً منع بموجبه لبس (البشت) وهو من الملابس التي لا يزال الكويتيون يتمسكون بها. وذلك لأنه كان مكلفًا ماديًّا، وكان الأهالي يحرصون على شرائه ولبسه مهما كانت حالتهم المادية، فلما وجد الشيخ أحمد الجابر مشقة ذلك على الفقراء أمر بالتوقف عن لبسه، وقد استجاب الناس لهذا الأمر، واستمروا على ذلك إلى أن وافق الشيخ على

العودة إلى ذلك اللباس الشعبي، فعاد الناس إلى ما كانوا عليه ولكن بصورة مختلفة إذ قل عدد لابسي البشت بعد أن تعودوا على عدم اقتنائه. وفي ذلك قال الشاعر إبراهيم الديحاني قصيدة تناول فيها موضوع منع لبس البشت، وتحسر على ذلك ولكنه قال في آخرها:

إن كان هذي هرجة الشيخ بو كاد ... ولزّم وحط المسالة في يقينه

ملزوم نتبع قبلته حق واسناد ... وما داس راسه شيخنا دايسينه

هكذا كنا نؤرخ لحياتنا، ولولاداتنا، وكان هذا سبب في حفظ تاريخ الأحداث الأصلية التي سُميّ بها ذلك التاريخ، والأحداث المستجدة المسماة عليها. ولقد بقيت الأمور على هذا الحال فوجدنا أهلينا يقولون سنة المجلس، وهي سنة ١٩٣٨م التي قام بها المجلس التشريعي، وكانت فيها بعض الأحداث المتعلقة بهذا المجلس. ويقولون سنة البطاقة عن سنة ١٩٤١م التي أنشأت فيها الحكومة دائرة التموين وبدأت بتوزيع المواد الغذائية والأقمشة على الناس بأسعار مقبولة أهم منها هو توفير السلع التي كادت أن تختفي بسبب الحرب العالمية الثانية. وقد صدرت لرب كل أسرة بطاقة فيها اسمه واسم من يعول، وما يحق له الحصول عليها من مواد، وقد استمر هذا الحال مدة سبع سنين، عادت الأمور بعدها إلى أوضاعها السابقة فألغي هذا المرفق لعدم الحاجة إليه.

ومما يؤرخ به من الحوادث بعض المعارك القديمة مثل سنة هدية التي حدثت في سنة ١٩١٠م، وسنة الجهراء، التي يقصد بها السنة التي حصلت فيها معركة الجهراء، وهي سنة ١٩٢٠م، وأشهر الحوادث في تاريخ الكويت على الإطلاق ما كان يطلق عليه «حرب الصريف» وقد حدثت في اليوم السابع عشر من شهر مارس لسنة ١٩٠١م، وذكرها مبسوط في كتب تاريخ الكويت وبخاصة كتاب الشيخ

عبدالعزيز الرشيد المعروف. ومما ورد فيما يتعلق بالتأريخ بهذه المعركة قول الشاعر فهد عبدالمحسن الفهد (الخشرم):

شاب راسي والظهر غاد هدف

ذا ونا مالود من عقب الصريف

(هدف: غير مستقيم، ذا ونا: هذا، وأنا، مالود: مولود).

أما في السنوات اللاحقة فان الجهود التي بذلها الأستاذ الدكتور صالح محمد العجيري قد كفتنا الحاجة إلى تسمية السنين لمعرفة التاريخ فهو - أمد الله في عمره - قد سهل لنا الأمور فصرنا بسببه نعرف حتى الموعد الذي تنبت فيه للنمل أجنحة، ونعرف متى تنتشر حشرة الأرضة، ومتى تتناسل الصراصير، ومتى يبدأ عبور الطيور المهاجرة بالكويت ومتى يثمر البمبر، وذلك بحسب تسلسل ذكرها هنا في أشهر: مايو وأكتوبر ومايو وأبريل.

جزاك الله خيراً يا أبا محمد.

****

معالـم

من المعالم المهمة التي كان ينبغي أن يؤرخ للحوادث بتاريخ إنشائها عدد مساجد الكويت. وهي معالم مهمة تدل على نشأة العاصمة وتطورها، كما أنها قديمة وتاريخ إنشائها معروف لدى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ونذكر هنا أربعة من المساجد التي كان ينبغي أن يكون إنشاؤها معلمًا من معالم تاريخ الكويت.

ولا شك في أن تحديد الولادات منسوبًا إلى هذه المعالم النيّرة أفضل من تحديدها منسوبًا إلى أحداث بعضها يذكّر بالوباء وبالموت. والمساجد التي نعنيها هي بحسب تاريخ الإنشاء:

١ - مسجد الحداد الذي تم إنشاؤه في سنة ١٧٧٦م وهو مسجد قائم حاليًا في شارع علي السالم بالقرب من مسجد السوق، وهذا الشارع هو موقع سور الكويت الأول.

٢ - مسجد سرحان، وقد تم بناؤه في سنة ١٧٨٤م، وسمي بهذا الاسم لأن إمامه عند نشأته كان اسمه سرحان. ولكن المسجد الآن يسمى مسجد ياسين، وهو الذي بناه، واسم هذا الرجل هو: ياسين القناعي. ويقع المسجد في شارع علي السالم بالقرب من بنك الكويت المركزي.

٣ - مسجد السوق، وكان قد تأسس في سنة ١٧٩٤م، وكان من أكبر مساجد الكويت قبل إنشاء مسجد الدولة، ولما كان حجمه كذلك، وكان قائمًا في وسط

البلد فقد صار هو المسجد الذي يصلي فيه أمراء الكويت صلاة العيد فقد شهدها فيه كل من الشيخ عبد الله السالم الصباح، والشيخ صباح السالم الصباح، وسمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح، وكان أصل البناء بهمة المرحوم يوسف بن عبد الله الصقر الذي كان ناويًا بناءه تقربا إلى الله تعالى، ولكن إحدى النساء الفاضلات أبت إلا أن تشاركه في طلب الثواب، كما أن صديقًا له هنديًا قدم له جميع الأخشاب المطلوبة للبناء بلا مقابل للمشاركة في هذا العمل الجليل.

وقد تم تجديد مسجد السوق في سنة ١٨٣٩م، جددته السيدة الفاضلة شاهه بنت حمد اليوسف الصقر، حفيدة المؤسس، ثم جددته دائرة الأوقاف العامة في سنة ١٩٥٣م.

٤ - مسجد سعيد: وهو مسجد عباس الهارون الواقع في الحي القبلي من العاصمة، وقد بني في سنة ١٨٧٨م، وسّعيد هذا كان إمامه. وقد جدد هذا المسجد أخيراً فغدا تحفة جميلة تليق بمكانته.

***

السفير الدكتور عبدالوهاب عزام في الكويت [1]

لا تعتبر حياة الدكتور عبدالوهاب عزام طويلة من حيث عدد سنوات عمره، فقد ولد في سنة ١٨٩٤م وتوفي في سنة ١٩٥٩م، ومع ذلك فقد عاش حياة عريضة مليئة بالنشاط والحركة.

إنه كان قوي الاتصال بالناس، كثير الأسفار، كثير الأعمال، متعدد المواهب له إنتاج فكري غزير متنوع، وله شهرة كبيرة باعتباره واحداً من العلماء العرب الذين تركوا آثاراً مهمة في مجال تخصصهم، ولكن تخصصه كان في الأدب والتاريخ والرحلات وفي العمل الجامعي والعمل الدبلوماسي، وكثير غير ذلك مما جعله في وقت نشاطه على كل لسان، وجعل الناس ينظرون إليه بعين التقدير والاحترام، وهذا هو ما يستحقه، وسوف نتأكد منه عندما نتابع سيرته الذاتية التي سوف تكشف لنا عن أطوار حياته، وعن كل ما قدمه من أعمال شاهدها معاصروه أو قرأوها.

ولد الرجل في قرية من قرى مصر، ودخل الأزهر، ثم تخرج في مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة، ودرّس بها. ودفعت به همته إلى الالتحاق بالجامعة المصرية القديمة، فأقبل على الدراسة فيها، فحصل على شهادتها في الآداب والفلسفة إبان سنة ١٩٢٣م، وقد اختير بعد ذلك ليكون مستشارًا للشؤون الدينية في سفارة مصر بلندن، فتهيأت له الفرص لكي يحصل على المزيد من مناهل

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٥/١٢/٢٠٠٧.

الدراسة المتوافرة هناك فالتحق بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن، ومنه حصل على درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية، واستمرت في نفسه الرغبة في المزيد من التعلم، ولذا فانه عندما عاد إلى القاهرة بعد ذلك استطاع أن ينال شهادة الدكتوراه من جامعتها. وتم اختياره لتدريس اللغة الفارسية لطلابها في كلية الآداب، التي تم اختياره ليكون عميدًا لها بعد ذلك. ولم يلبث في هذا العمل إلا فترة قصيرة إذ تم نقله إلى السلك الدبلوماسي، فعين وزيرًا مفوضًا لبلاده في المملكة العربية السعودية، وذلك في سنة ١٩٤٨م. ومنها نقل إلى الباكستان، ثم أعيد في سنة ١٩٥٤م إلى المملكة العربية السعودية ليكون سفيرًا لمصر هناك، وعندما أحيل على المعاش بعد ذلك بفترة قصيرة تم تكليفه بإنشاء جامعة الملك سعود بالرياض، فقام بذلك بهمته المعروفة: وقد توفي فجأة وهو في منزله هناك، ودفن في مصر.

من الأنشطة الثقافية التي عرفت للدكتور عبدالوهاب عزام أنه كان عضوًا في عدد من المجامع العلمية واللغوية نذكر منها مجامع مصر وسورية والعراق وإيران، وكان متقنًا لعدد من اللغات هي الفرنسية والإنجليزية والفارسية والأردية والتركية. وله عدة مؤلفات ذات قيمة أدبية كبيرة، نالت استحسان النقاد والعلماء الذين كانوا حريصين على قراءة إنتاجه لأنه إنتاج رجل مليء بالعلم مهتم بمستوى كتابته، يسعى إلى تخليد ذكره عن طريق هذا الإنتاج الطيب الذي بقي إلى اليوم دليلًا ساطعًا على قيمة هذا العالم الأديب في دنيا المعرفة.

ترجم عن الفارسية، وألف عن المتنبي، ومحمد إقبال، وعن فريد الدين العطار وكتب عن رحلاته كتابًا في جزأين، وغير ذلك. وهناك كتاب يتناول حياته وآثاره ألفه الدكتور محمد زكي المحاسني.

وذكره أستاذه الدكتور طه حسين بمناسبة صدور كتابه «محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره» فقال عنه ما يلي: «يرحم الله صديقي الكريم عبدالوهاب عزام

فقد كان مصدر نفع أي نفع وخير أي خير لوطنه ولغته. كان رائدًا من رواد الحياة الأدبية العليا بأدق معانيها وأصدقها في الوطن العربي كله، في التقريب بين هذا الوطن العربي وبين أوطان أخرى بعيدة في الشرق والغرب عرفته طالبًا في مدرسة القضاء الشرعي مختلفًا إلى دروس الجامعة الحرة، وكنت في تلك الأيام أستاذًا للتاريخ اليوناني الروماني القديم، فكان يختلف إلى الدروس التي كنت ألقيها. وأشهد لقد كان أبرع الطلاب الذين كانوا يشهدون دروسي في تلك الأيام وأنجبهم. كان أرقهم قلبًّا وأدقهم شعورًا وأصفاهم ذوقًا وأبعدهم أفقًا».

وقال الدكتور طه حسين أيضًا:

«لم يكن يكتفي بدروسه في مدرسة القضاء على عسرها وتعقيدها، وإنما كان يقبل عليها وجه النهار ثم يسعى من آخر النهار إلى الجامعة فيشهد ما كان يلقى فيها من دروس. فإذا فرغ لنفسه حين يقبل الليل جد في الدرس والاستذكار لما كان يسمع في المعهدين من دروس».

ولقد كان المقال الذي أوردنا شيئًا منه هنا مقالًا طويلًا، لكننا نكتفي بما أوردنا حتى لا نثقل على القارئ.

وصل الدكتور عبدالوهاب عزام إلى الكويت في يوم الجمعة السادس عشر من شهر يناير لسنة ١٩٥٣م، وقد وصلها في اليوم نفسه كل من الفضيل الورتلاني وحسن العشماوي وفي كتاب «أيام الكويت» للشرباصي حديث عن هذا اليوم حيث يقول: «وفي المساء زرنا مع الضيوف، النادي الأهلي، ونادي المعلمين، وجمعية الإرشاد، حيث استمعنا إلى كلمات الترحيب بالضيوف، وألقى الدكتور عزام في كل منها محاضرة ردًّا على التحية».

وفي اليوم التالي زارت المجموعة النادي الثقافي القومي، ثم اتجه الجميع إلى جمعية الإرشاد الإسلامي حيث ألقى الأستاذ الفضيل الورتلاني محاضرة عن

الدعوة الاسلامية، كانت موضع استحسان الحاضرين. وفي اليوم الثامن عشر زار الدكتور عزام المدرسة المباركية، ودخل أحد الفصول وألقى كلمة تشجيعية أمام الطلاب، ثم خرج منها ليزور المعهد الديني، ثم مدرسة البنات القبلية، وفي المساء أقامت دائرة معارف الكويت حفلاً تكريميًّا في ثانوية الشويخ، وكانت هذه المدرسة قد أوشكت على انتهاء الإنجاز وألقى الاستاذ عبدالعزيز الغريللي كلمة في الحفل، ثم ألقى الأستاذ أحمدأبوبكر إبراهيم قصيدة رحب فيها بالدكتور عزام وامتدحه قائلاً:

عزامُ، أين لي البيانُ، وأنت في
ميدانه للنابهين إمامُ؟
عزام، أين لي البيان، وطالما
خشعت لنقدك منصفًا اقلامُ؟

وفي يوم الإثنين التاسع عشر من شهر يناير توجه الدكتور إلى كاظمة، الموقع الكويتي المعروف الذي يبدو أن الدكتور كان حريصًا على الوقوف به، وكان قد كتب عنه في كتابه «مهد العرب» بعض التفصيلات. ولذا فقد هيأت دائرة معارف الكويت له موكبًا مكونًا من سيارتين، فطاف بتلك المعالم وتحدث عنها في رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه فقال: «لا أنسى طوافنا بالدمنة حين الغروب، ووقوفنا في كاظمة، وقد متع النهار، وتخللنا طرق الجهراء، ووقفتنا على باب قصرها الاحمر».

وقال في هذه المناسبة بيتين من الشعر هما:

بكاظمةٍ طوفت في ميعة الضحى
وقلبي إلى الماضينَ جمُ التشوّقِ
أكاد أرى في رملها قبرَ غالبٍ
واسمع في الآفاق شعر الفرزدق

وقد أمضى ذلك اليوم في رحلات متعددة وصلت به إلى مدينة الأحمدي وما حولها، وفي المساء أقيمت على شرفه حفلة شاي تولى أمرها أبناء مصر في الكويت، ألقيت فيها الخطب والقصائد، وكانت من هذه القصائد تلك التي ألقاها الشيخ رياض هلال، وكأن أحد مشايخي في المعهد الديني وجاء منها:

هو ملء النفوس رأياً وعلماً
وهو الروض تُجتنى أزهارهُ
قد عرفناهُ في المعارف بحراً
تتهادى إلى النُهى اسفارُه

ولقد كانت زيارة الدكتور عبدالوهاب عزام للكويت ممتعة لمن رافقه وحضر مجلسه واستمع إلى أحاديثه، وقد ترك أثراً كبيراً في نفوس الجميع حين غادر البلاد في يوم الثلاثاء العشرين من شهر يناير لسنة ١٩٥٣م.

وجدير بنا هنا أن نورد ما كتبه عن كاظمة في كتابه «مهد العرب» فهو يقول: «وغربي خليج الكويت كاظمة، وهي أعظم منازل الطريق من البصرة إلى الإحساء فاليمامة، على مرحلتين من البصرة، وبها مياه قريبة يستسقي منها المسافرون. وقد ذكرها الفرزدق كثيراً وافتخر بقبر جده غالب هناك. وأكثر الشعراء من ذكرها».

قال بعضهم:

يا حبّذا البرقُ من أكناف كاظمةٍ
يسعى على قصرات المرخ والعشرِ
لله درّ بيوت كان يعشقها
قلبي ويألفها أن طيّبتْ بصرى
فقدتها فقد ظمآن إداوته
والفيظ يحذف وجه الأرض بالشرر

امنيةُ النفس أن تزدادَ ثانية
رحالنا والأماني حلوةُ الثمر

ولا أدري لماذا أكثر الشعراء من ذكرها إلا أن يكون هذا لأنها أول المنازل من العراق في طريق مكة والمدينة.

وأحسبها التي ذكرها البوصيري في البردة إذ قال:

أم هبّتِ الريحُ من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم

وقال أعرابي من بني يربوع من تميم:

ضمنتُ لكن أن تهجرن نجداً
وان تسكن كاظمة البحور

وقال امرؤ القيس:

إذ هن اقساط كرجل الدبى
او كقطا كاظمة النّاهل

وجمعها الفرزدق مع فلج في قوله:

فيا ليتَ داري بالمدينة اصبحتْ
باعقارِ فلجٍ او بسيفِ الكواظمِ

أما تساؤله عن سبب إكثار الشعراء من ذكر كاظمة فقد قمت بالرد عليه في كتابي: «كاظمة في الادب والتاريخ» الذي صدرت طبعته الاولى في سنة ١٩٥٨.

كان احتفاء الكويت بزيارة الرجل احتفاء كبيرًا، واهتمت به الصحف الصادرة في ذلك الوقت، واعتنت مجلة البعثة بزيارته هو والفضيل الورتلاني وكانت زيارتهما قد تمت في وقت واحد، ونشرت هذه المجلة عددًا من الصور تمثّل اللقاءات التي

تمت في الكويت معهما، وسردًا لأنشطتهما خلال الزيارة، كما ذكرت مرورهما على الأندية الثلاثة التي كانت قائمة آنذاك، وحضورهما أنشطة جمعية الإرشاد الإسلامي.

وعقدت البعثة لقاء مع الدكتور عبدالوهاب عزام قدّمت له فيه عدة أسئلة كان أولها:

– ما الذي لفت نظركم عند زيارة الكويت؟ وما هي الانطباعات التي تركتها في أنفسكم هذه الزيارة؟

وقد أجاب على هذا السؤال بقوله:

– لفت نظري حينما زرت الكويت مظاهر الإنشاء، ودلائل التعمير حيثما توجهت، وقد تركت هذه الزيارة أثرًا في نفسي كبيرًا هو الفرح بنهوض بلد عربي، ومسارعته إلى الأخذ باسباب العمران حينما واتته الوسائل.

ثم استطرد – بعد ذلك – قائلًا:

لا ريب أن ما رأيته في الكويت إمارات نهضة عظيمة ومقدمات عمران مستبحر وإني لمستبشر بما رأيت داع بالسداد والتوفيق لأولي الأمر القوّام على هذه الحركة المباركة وقد قلت إنها برهان على كذب من يتهمون العرب بمجافاة الحضارة وحجة على ما في طبع العربي من حب للعلم والعمل والإقدام على تسخير ما في هذا العالم لسعادته وسعادة الناس.

إن العالم اليوم في أمر مريج والأفكار مضطربة والمذاهب متضادة وليس يسيرًا تبين الصراط السوي في هذا الهرج والمرج فخير ما يفعله قادة العرب في الكويت وغيرها أن يعرفوا غايتهم ويوضحوا طريقهم ويحذروا كل الحذر من اشتباه

الطرق وإبهام الغاية والحيد عن الجادة ويعلموا أنه يسير أن ينسى الإنسان نفسه فيتبع غيره ويعفي نفسه من جهاد الحياة وتكاليف المجد وأن المجد الحق أن يخط الإنسان لنفسه بفكره ويده خطة تلائم نفسه وأخلاقه وآدابه ومذهبه في الحياة.

ولم تكن مجلة البعثة هي الوحيدة من وسائل الإعلام الكويتية التي احتفت بالرجل وأشادت به فقد نشرت عنه مجلة الرائد ونقلت بناء على موافقته أحد مقالاته الذي كان مستلًّا من كتاب له جديد لم ير النور بعد في ذلك الوقت.

وقدّمت إذاعة الكويت حديثًا عنه كما قدمت عن إنتاجه الثقافي أكثر من برنامج جاء في مستهل أحدها.

«سعدت الكويت العزيزة الحبيبة منذ حين بزيارة الأستاذ الكبير الدكتور عبدالوهاب عزام سفير مصر الغالية لدى حكومة الباكستان الإسلامية الشقيقة ومكث الدكتور بيننا أيامًا جميلة كانت كأطياف الأحبة بين رضا الأحلام ولقي من الحفاوة الرسمية والشعبية ما يتلاءم مع مكانته ووظيفته ولكن ازدحام تلك الأيام القليلة العدد الجليلة الأثر بالتنقلات والاجتماعات لم يهيئ الفرصة الكافية الوافية لبسط الحديث كما ينبغي عن رجل استطاع أن يجمع لنفسه الكثير من المحامد والمفاخر مع اتزان واقتدار فهو عربي مسلم يعرف كيف يوائم بين العروبة والإسلام وهو مؤرخ ولوع بالجزيرة العربية يعرفها ويألفها ويؤلف عنها وهو رحالة يجوب المشارف والمغارب باحثًا دارسًا واصفًا مرشداً وهو ذو ماضٍ مشرف في خدمة العلم والتعليم وكتبه خير ما يشهد بذلك».

وكان لكل ذلك أثره في نفس الضيف الزائر وقد بدا ذلك فيما بعد إذ قام بدور طيب وهو سفير لمصر في الباكستان حين ساعد الكويت في الحصول على ترخيص بافتتاح المدرسة العربية في كراتشي، وقد كتب المندوب الذي أرسلته الكويت لإنشائها مثنيًا على الدور الذي قام به السفير المصري، مما أدى إلى بدء الدراسة في المدرسة وذلك في سنة ١٩٥٣ م.

مما قرأناه معا يتبين لنا أن الدكتور عبدالوهاب عزام كان يستحق التقدير الذي ناله في الكويت، باعتبار أن زيارته لها كانت ذات أثر اجتماعي وثقافي كبيرين، فالرجل من كبار علماء وشعراء العرب في وقته، وكانت سمعته الطيبة قد سبقت زيارته فلقي الاستقبال الكبير في مطار الكويت، وحضر عددًا من الاحتفالات التي أقيمت له. ولم يتأخر عن الحديث إلى الذين التقى بهم عن تجاربه ومعارفه الجمة، وقد كانت هذه الزيارة من الأمور التي ظلت عالقة في أذهان أبناء الكويت الذين أسعدهم أن يروا رجلًا مثل هذا الرجل بين ظهرانيهم، وأن يستمعوا إلى حديثه الطلي ويتابعوا - فيما بعد - كتاباته النافعة.

ولقد كان الدكتور عبدالوهاب عزام واحدًا من رجال العلم الذين زاروا الكويت على دفعات وكان أقدمهم في الزيارة الشيخ محمد رشيد رضا الذي قدم إلى البلاد في سنة ١٩١٢ م ثم تلاه عدد من العلماء ذوي الافكار النيرة الذين كانوا يلقون الأحاديث والمحاضرات في المساجد والأندية ومجالس القوم، ينقلون علمهم، ويوجهون إلى العمل الطيب وينقلون تجاربهم في الحياة.

وسوف نوالي الحديث تباعًا عن عدد من البارزين من هؤلاء لأن من حقهم علينا أن نذكرهم، لأن أكثرهم قد ذكرنا في أيامنا الماضية فقدم إلينا قدوم المطر وإشاع علمه ودرايته بحيث استفاد منها الكثيرون من أبناء الكويت.

****

من رجال التعليم القدماء في الكويت (الجزء الأول) [١]

عندما نشأت دائرة معارف الكويت في سنة ١٩٣٦م، وبدأت تتحمل مسؤولياتها في قطاع التعليم، وجدت أمامها عدة مهام أوَّلها هو افتتاح المزيد من المدارس لاستيعاب الأعداد المتقدمة للالتحاق بالدراسة. وكانت في الكويت آنذاك مدرستان نظاميتان هما: المباركية والأحمدية، فانضوت كل منهما تحت جناح الإدارة الناشئة، وبدأت هذه الإدارة في العمل على افتتاح مدارس جديدة، وفي البداية كانت تلجأ إلى تأجير بعض المساكن الملائمة لهذا الغرض، ثم صارت تبني حاجتها من المدارس وفق تصاميم مناسبة، وكافية لحاجة التعليم والمتعلمين.

أما ثاني المهام فهو سد الحاجة من المعلمين الذين يقومون بالعمل في هذه المدارس، وقد قامت ببذل جهود كبيرة في سبيل تهيئة الطريق لهؤلاء المربين حتى يأتوا إلى الكويت فيقوموا بتأدية هذه المهنة في راحة تامة، وهكذا فقد كانت الأمور ميسَّرة لهم بقدر إمكانات تلك الأيام، فأنتجوا، وخرّجوا عدداً من أبناء الكويت الذين حرصت دائرة المعارف على إرسالهم في بعثات إلى الخارج من أجل استكمال دراساتهم العليا، وبعد حين تخرج هؤلاء، وعملوا في مجالات تخصصاتهم، وسدوا حاجة الحكومة لا إلى الموظفين فحسب، بل وإلى القياديين الذين أصبحت دفَّة العمل الحكومي في أيديهم فبرعوا وأجادوا.

لم يكن التعاقد مع المدرسين سهلاً في ذلك الوقت، فإن الاتصالات كانت صعبة للغاية، وكان اتصال الكويت بالخارج لا يتم إلا عن طريق الوكالة السياسية

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٢.

البريطانية. التي كانت تحظر على الكويت الاتصال بالخارج إلا عن طريقها امتثالاً للقواعد التي تشير إليها اتفاقية سنة ١٨٩٩م بين الكويت وبريطانيا. ولم يكن من السهل الاتصال المباشر مع الخارج، مما عقد الأمور إلى حين.

ومن المدرسين الأوائل الذين تدل المكاتبات المتعلقة بهم على ذلك أستاذ جامعي وأديب معروف جاء إلى الكويت قبل حصوله على درجة الدكتوراه وعمل بالمدرسة المباركية لمدة سنة دراسية واحدة، هذا الرجل هو الدكتور محمد سيد الأهل، وسوف نعود إلى الحديث عنه مرة أخرى.

كانت البعثة الأزهرية الأولى التي قدم أفرادها إلى الكويت من أجل العمل في معهدها الديني مكونة من شخصين هما: الشيخ علي حسن البولاقي والشيخ محمد محمد عبدالرؤوف.

كان المعهد قد بدأ في استقبال الطلاب، وكان القائمون على التدريس فيه بعض الأساتذة الكويتيين، ولكن إقبال الطلاب على الدراسة الدينية، وكثرة الصفوف الدراسية حتمت ضرورة الاستعانة بالأزهر الشريف عن طريق انتداب عدد من رجاله للقيام بهذا العمل.

ففي أول العام الدراسي ٤٧ – ١٩٤٨م تم انتداب الشيخ علي حسن البولاقي ورفيقه الشيخ محمد محمد عبدالرؤوف للعمل في معهد الكويت الديني، وكان انتدابهما قد تم من قبل الأزهر الشريف، ولم يطل المقام بالشيخ محمد عبدالرؤوف فعاد بعد عام دراسي واحد واستمر الشيخ البولاقي بعده.

وبقدومهما تم افتتاح مبنى المعهد الجديد في الموقع القريب من سوق الذهب الحالي، وقاما بمراجعة المناهج وتطويرها بما يتماشى مع مناهج الدراسة في الجامع الأزهر، وأضافا إلى جهدهما هذا القيام بالخطابة والوعظ في المساجد، مما جعل الناس تلتف حولهما لما يقدمان من معلومات وإرشادات نافعة.

وفي شهر أغسطس بدا أن المعهد يحتاج إلى مزيد من المدرسين، فقام مدير معارف الكويت بصحبة الشيخين البولاقي وعبدالرؤوف بزيارة شيخ الازهر الذي استقبلهم مرحبًا، وأبدى استعداده للتعاون مع معارف الكويت وجدد انتداب الشيخين وأضاف إليهما الشيخ عبدالحميد عثمان والشيخ محمد رشدي سليمان.

واستمرت الدراسة في معهد الكويت الديني بفضل الله ثم بفضل هؤلاء الرجال الذين ساروا به في الطريق الذي أدى إلى الوصول إلى نتائج باهرة نراها في خريجيه الذين واصلوا دراستهم، ثم عادوا لخدمة وطنهم.

كان الشيخ البولاقي محبًّا للكويت، وكان ينتهز الفرص عندما يذهب في إجازته إلى مصر فيكتب عن الكويت، ويلقي المحاضرات عنها، نذكر من ذلك المحاضرة التي ألقاها في الرابطة الإسلامية هناك في اليوم الرابع من شهر يوليو لسنة ١٩٤٨م، وعنوانها «الإسلام في الكويت» وهي واحدة من عدة محاضرات لا نستطيع أن نذكرها كلها هنا لضيق المجال.

عرفت الشيخ البولاقي منذ التحقت بمعهد الكويت الديني كان رجلاً وقوراً، عالمًا، هو مدير المعهد آنذاك وهو مدرس عند الحاجة وخطيب وواعظ في المناسبات التي تدعو إلى قيامه بهذه المهمة، ولم تطل مدته في المعهد إذ سرعان ما انتهت مدة انتدابه فعاد إلى وطنه مصر، وهذه هي عادة المنتدبين الذين لا يكاد الواحد منهم يستقر في بلد فيعرف أهله، ويعرف الطريق إلى قلوب أبنائه حتى تنتهي مدته فيأتي مكانه رجل آخر يبدأ من جديد، ولكن الشيخ البولاقي عاد إلى العمل في الكويت بعد فترة، فقد صار بعد طول انقطاع باحثًا في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مشاركًا في المشروع الجليل الذي تبناه وسانده أخي الكريم الأستاذ عبدالرحمن المجحم، ففي ذلك الوقت كان أبو خالد وكيلًا لهذه الوزارة، وفي عهده أينعت هذه الفكرة، التي لم تنل حقها من التنويه والإعلان بل وأوقفها

أحدهم مضيعًا المبالغ التي صرفت عليها، ولم يسلم شيخنا البولاقي من هذه الهزة فأنهي عقده، في الوقت الذي كانت فيه الوزارة في حاجة إلى خدمات مثله.

لا أقول ذلك من قبيل الظن، ولكنني رأيت الشيخ بعد انتهاء عقده، كان حزينًا لا لفقده العمل، ولكن لفقده الوفاء، ولم يرض أن يتكلم أحد بموضوعه من أجل إعادته بل عاد إلى وطنه موفور الكرامة مأسوفاً على ما افتقده الناس من علمه الوافر.

اشتهر أحد المربين المصريين في الكويت شهرة كبيرة منذ أوائل خمسينيات القرن الماضي عندما صار رئيساً للبعثة وناظراً لثانوية الشويخ، وكانت له مشاركات في كثير من المناسبات، ذلك هو الأستاذ عبدالمجيد مصطفى، الذي تعرفه أجيال تلك الأيام، وتقدر جهوده في مجال التعليم.

وفي مجال التوعية والتثقيف حيث يقوم بالقاء المحاضرات كلما دعي إلى ذلك كما حدث حين ألقى محاضرة بعنوان «الفردوس المفقود» في جمعية الإرشاد الإسلامي بتاريخ الرابع عشر من شهر أكتوبر لسنة ١٩٥٢م.

كان في الكويت من أجل مهمته التربوية منذ السنة الدراسية ٤٦ -١٩٤٧م، وعندما عاد في عطلة الصيف كتب مقالًا ضافيًا عن الكويت عبر فيه عن اعتزازه بهذا البلد العربي، وما فيه من نهضة ورغبة في التقدم.

وفي شهر سبتمبر لسنة ١٩٤٧م كان عبدالمجيد مصطفى هو المتحدث باسم البعثة التعليمية في الحفل الذي أقامه بيت الكويت تكريمًا لهذه البعثة حينما كانت تستعد للسفر إلى الكويت من أجل أداء مهمتها، وقد ذكر عنه آنذاك أنه ناظر ثانوية الكويت.

وفي شهر نوفمبر لسنة ١٩٤٧م أعلن قرار صادر من دائرة معارف الكويت تعيين هذا الرجل ناظراً للمدرسة الشرقية، وكانت تضم المراحل الدراسية الكاملة ففيها الروضة والابتدائي والثانوي، كما تضم فصلًا لتخريج المعلمين.

أما ثانوية الشويخ فقد صار ناظرًا لها بعد أن افتتحت في سنة ١٩٥٣م، وبقي فيها إلى أن انتهت مدة عمله في الكويت، وهنا غادرنا مذكورًا بالخير.

ولا يفوتنا أن ننوه بالمقال الجميل الذي كتبه بعد أن عاد إلى الكويت مبعوثًا إليها في فترة ثانية بعد الفترة الأولى التي بدأت في العام الدراسي ٤٦ – ١٩٤٧م، وانتهت بعد سنتين من بدئها، كان سعيداً بعودته معبراً عن محبته للوطن الذي وجد فيه أهلًا وإخوانًا. فقال: «علم الله ما فرحت لشيء فرحي لعودتي إلى الكويت بعد غيبة طالت أربع سنوات، ذلك لأن الكويت بلد أثير عندي وحبيب إلى نفسي، فقد أمضيت بين ربوعه عامين كانا من أبهج أيام حياتي، وسعدت بصداقة كثير من أهله الكرام، وما شعرت يومًا بأن هذه الصداقة قد فترت أو تراخت، بل كانت تزداد على الأيام قوة ورسوخاً، وكنت أتتبع أخباره بشغف واهتمام. وأنظر بإعجاب وفخار إلى مجهودات رجاله في السير به قدماً إلى الأمام، حتى أصبح الآن قطراً بارزاً بين أقطار العروبة، يتبوأ مكانه المرموق عن جدارة واستحقاق. ولا شك في أن الفضل في ذلك يرجع إلى بنيه، وما يتحلون من شجاعة وصراحة ودأب على العمل، وتفان وإخلاص في أداء الواجب، إلى غير ذلك من صفات الرجولة الحقة التي يمتاز بها أبناء هذا القطر الشقيق.

هذا ويسرني أن أسافر إلى الكويت على رأس البعثة التعليمية التي أوفدتها مصر لشقيقتها الكويت لا تحمل إلى أبنائها العلم فحسب، ولكنها تحمل فوق ذلك قلوباً امتلأت بالحب والود والإخاء، وستعمل جاهدة على أن تؤدي واجبها على الوجه الأكمل، متعاونة في أداء رسالتها مع جميع العاملين على نهضة التعليم بالكويت من أبناء العروبة جميعاً. ولا أخالني مبالغاً إذا قلت إننا أبناء وطن واحد، هو الوطن العربي الأكبر، ويجب أن يكون هدفنا إسعاد هذا الوطن على اختلاف وحداته. والكويت وحدة عزيزة من هذه الوحدات، وقطعة حية من الوطن العربي

الكبير، وسبيلنا نحن المعلمين إلى إسعادها هو بناء صرح المعرفة على قواعد ثابتة من العلم والأخلاق. وفقنا الله جميعًا وهدانا إلى سواء السبيل.

الأستاذ أحمد محمد عنبر شخصية تربوية معروفة في الكويت منذ جاء إليها في سنة ١٩٤٦م، وكان سعيدًا فيها، وعندما انقطع عنها أربع سنوات عاد إليها منشدًا قوله:

حل روض الشعر خصبًا ممرعا

ذلك الصَّدَّاحُ هل أسمعا؟

غاب عنكم سنوات أربعا

يلزم الصمت حزينًا موجعا

يخزن الشوق ويطوي الأضلعا

علّ هذا الشمل أن يجتمعا

كم تمنَّى وترجَّى ودعا

أن يُعيد الدهر عهداً قُطعا

عندما الأيام أمست طُوّعا

هزّه الشوق إليكم فسعى

ليت هذا الدهر نقضيه معًا

نبعث الماضي جديداً ممتعا

ولقد تحقق له ما أراد فأقام بالكويت طوال حياته، وحصل على الجنسية الكويتية، وكانت وفاته في اليوم التاسع والعشرين من شهر يولية لسنة ١٩٨٩، إثر انتكاسة صحية ترجع إلى مرض البلهارسيا الذي كان يعاني منه منذ زمن، فلم تمهله هذه الانتكاسة وقضى الله أن يكون دفنه في مسقط رأسه، وهو الذي كان قد ذهب إلى هناك في زيارة قصيرة.

ولد أحمد محمد عنبر في سنة ١٩١٦م، ودرس في الكُتّاب وفي بعض المدارس النظامية، والتحق في سنة ١٩٣٣م بكلية دار العلوم، وحصل منها على إجازة التدريس في سنة ١٩٣٧م. وبعد حصوله على هذه الشهادة اشتغل بالتدريس متنقلًا بين مناطق مصر ومدارسها. إلى أن تم اختياره ليكون عضوًا في البعثة التعليمية المصرية إلى الكويت، ووصل إلى هذه البلاد ليباشر عمله في التدريس منذ السنة الدراسية ٤٦ - ١٩٤٧م، واستمر حتى نهاية السنة الدراسية ٤٧ - ١٩٤٨م، وكان عمله بالمدرسة المباركية.

ثم عاد إلى مصر ممضيًا فترة طويلة هناك، ولكنه عاد ضمن البعثة المذكورة مرة أخرى في سنة ١٩٥٢م ولشدة شوقه إلى الكويت وأهلها قال الأبيات التي قدمناها في هذا المقال.

****

من رجال التعليم القدماء في الكويت (الجزء الثاني) (١)

.. وامتدت الإعارة حتى اليوم الأول من شهر أغسطس لسنة ١٩٦٢م، فتعاقد مع وزارة التربية واستمر في عمله في التدريس والتوجيه، ثم في عمله مراقبًا عامًا للامتحانات حتى تقاعد في اليوم الثلاثين من شهر يونيو لسنة ١٩٨٠م.

كان نشطًا في مجال تخصصه، له عدة مؤلفات منها سبعة كتب مطبوعة، وخمسة لا تزال بانتظار طباعاتها وكان مبادرًا في جميع المناسبات يشارك فيها بشعره وكان له شعر جميل، لا يخلو من المداعبات كما فعل حين وقف أمام مايكرفون الإذاعة ليلقي قصيدة له، فتوقف الإرسال، وكانت إذاعة الكويت آنذاك لا تعتمد التسجيلات، وإنما عملها بواسطة البث الحي، وقد نشرت له مجلة «الرائد» في عددها الصادر في شهر أكتوبر لسنة ١٩٥٢م قصيدة بعنوان «سكتة المذياع»، وقدمت لها بقوله: «بينما أنا متأهب لالقاء مختارات من شعري في محطة الاذاعة الكويتية يوم الأحد أول مارس ١٩٥٣، الساعة ٨ مساء، ولم يكد المذيع يعلن اسمي للمستمعين حتى توقف الإرسال بسبب الأمطار الغزيرة التي استمرت ثلاثة أيام والتي لم تمنعني عن الذهاب في الموعد المحدد إلى دار الإذاعة، وكان هناك أيضًا الأستاذ عقاب الخطيب والأستاذ النشمي يستعدان لإذاعة تمثيلية عن «الحماة والكنة»، وكان الأستاذ عبدالله النوري مدير الإذاعة يتصل دائمًا بغرفة الإرسال يطلب من المهندس المختص إصلاح الخلل الطارئ لإمكان الاستمرار في إذاعة المنهج وقد قلت هذه الأبيات وذهبت لإلقائها في المذياع في اليوم التالي

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٩.

الإثنين ٢/٣ فكان الإرسال لا يزال متوقفًا بسبب الأمطار أيضًا. وقد ألقيتها يوم الثلاثاء ٣/٣ الساعة ٨ مساء.

ثم أوردت «الرائد» القصيدة التي كان مطلعها:

سكت المذياع بالأمس ... فلم ينقل كلاما

غضب البحر عليه ... فنوى منه انتقاما

أرسل السُّحب جيوشاً ... ورمى البرق سهاما

فإذا الأمطار تهمي ... فوق أسلاك قُدامى

وأشار في باقيها إلى كثير مما أوردته «الرائد» في المقدمة التي كتبها الشاعر للقصيدة.

أما المساهمة الجيدة التي قام بها لعدة سنوات فهي مشاركته في نظم القصائد الوطنية التي كان يشدو بها الفريق المكون من مدرسي ومدرسات وزارة التربية، وذلك في الأعياد الوطنية أو عندما يزور الكويت رئيس دولة، وقد اشتهرت هذه القصائد وأكسبته سمعة عالية.

لن نستطيع أن نوفي الأستاذ أحمد محمد عنبر حقه فهو رجل تربية وأدب، ومساهم في النشاطات المتعددة التي كانت تقام في الكويت طوال إقامته فيها، وكانت والحق يقال مساهمات جيدة ومؤثرة، ومن أجل كل ذلك فهو يستحق منا أن نعيد ذكره بعدما مر على وفاته عدد من السنين، وكاد الجيل الذي لم يشهد نشاطه وبذله ألا يسمع عنه شيئًا.

أما محمد سيد الأهل وهو من قدامى المدرسين المنتدبين من مصر، وكان في سنة ١٩٤٣م ناظرًا للمدرسة الأحمدية، ولكنه لم يُقم في الكويت مدة طويلة، إذ لم يزد بقاؤه فيها عن سنة دراسية واحدة.

وفي رسالة وجهها الشيخ أحمد الجابر الصباح إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت ذكر أسماء العاملين في المعارف من المنتدبين، وكانوا أربعة مدرسين منهم محمد سيد الأهل وكان راتب كل واحد من هؤلاء اثني عشر جنيهًا مصريًّا شهريًّا. وعلى الرغم من أنه لم يمض في الكويت إلا الفترة القصيرة التي ذكرناها وهي في حدود سنة دراسية واحدة إلا أنه أحب الكويت وأُعجب بأهلها، وحين قدمت إليه مجلة «البعثة» أسئلة بخصوص ذكرياته عن تلك الفترة أجاب إجابات تعبر تعبيرًا صادقا عن مشاعره فهو يقول: «رأيت في الكويت العجب العجاب من نواحي الحياة ومناحيها، وإن كنت أرى أن أتدرج في تسطير ذكرياتي حسب ما رأيتها فإن أول ما شهدته كان أروع ما رأيت في حياتي وسيبقى منظره ماثلًا أمام عيني ما بقيت فيهما الحياة:

١ - ذهبنا أول وصولنا لأداء واجب الاحترام لحضرة صاحب السمو أمير البلاد، فما صعدت الدرج في قصر السيف حتى امتلأت نفسي رعبًا ثم استحال الرعب إلى إعجاب ثم إلى إجلال، لأن من يكون في بيت الأمير لا يخاف وإنما يمتلئ بالاجلال وبجلال الطمأنينة.. رأيت على جانبي السلم رجالًا جالسين وقد أمسك كل منهم بطائر كبير يلتفت إلينا فتروعنا التفاتته، ولا أخفي أن الخيال طار بي إلى قدماء المصريين وتقديسهم لهذا الطائر، وإن كان الفارق عظيمًا.. وخيّل إلي حينذاك أنني مقبل على ملك مثل ملكهم، فرعوني الرهبة ديكتاتوري الجناب.. ولكني خاب ظني، إذ ما وقفت أمام الأمير العظيم حتى عرفت أنني أمام ملك عربي جليل الشأن وبين يدي ديموقراطي حبيب للقلوب، قريب لكل من ناداه، عظيم في قلوب رعاياه.

وكم كانت دهشتي حينما علمت أنها صقور الصيد الذي أشبعنا منه فضل أصحاب السمو والسعادة الأمراء وصاحب العزة كبير الأمناء.

٢ - نظرت في الكويت باحثًا عن متجر كمتاجرنا في مصر فخاب أملي ولكني إذ عرفت الحقيقة أدهشني أمرهم، أي جد ومهارة في التجارة ونقلها!! وأي تواضع في متاجرهم المحلية، يتاجرون مع الهند وفارس والعراق والجزيرة وغيرها، وينقلون التجارة كذلك بين تلك البلاد، ولكنك إذا نظرت في حوانيتهم رأيت أبسط حال وأخف مظهر، مكتب متواضع عليه المسرة، وفوقه المروحة الكهربائية، وبعض رفوف قليلة عليها بعض النماذج، ولكن ما خفي في مخازنهم بعد ذلك يدلك على عظمة تجارية ما بعدها عظمة.

٣ - كنت مديرًا للمدرسة الأحمدية بعد أن أدرت مدارس بمصر، ودرست في مدارس مصرية ١٣ سنة، فدهشت من طلاب الكويت: دعة خُلُق، وإقبال منقطع النظير على الدرس، وحفاظ عجيب على المدرسة ونظامها ومواعيدها، واجماع على الصلاة من صغير السن في روضة الأطفال إلى طلاب الصف السادس.

٤ - ما رأينا مرة شجارًا في الطريق ولا سمعت عن لص ومازلت أذكر أنني كنت أدهش حين أسمع المنادي يقول «يا ولاد الحلال، اللي ضايع له كذا، ولونه كذا، وشكله كذا، وضاع في وقت كذا!!» على عكس ما عندنا بمصر تمامًا، مما كان يبعث في نفسي أكبر الاحترام لهؤلاء القوم.

٥ - ولقد كان إعجابي عظيمًا حينما حقق الله ما اقترحت سابقًا على بعض رجال المعارف هناك ومنهم الأستاذ الجليل عبداللطيف الشملان مدير المعارف حينذاك أن توفد لمصر بعثة كبيرة تشمل مجموعة لدراسة الصناعات هنا. فقد أصبح للكويت بيت كبير بمصر يضم ٥٦ طالبًا يرأسهم أستاذ من أبناء الكويت.

وما زلت أتمنى أن أزور الكويت وهي ناهضة إلى درجات عالية في التربية والتعليم بفضل رعاية الأمير الجليل الشيخ عبدالله الجابر رئيس المعارف».

وكان قد كتب قبل ذلك مقالاً نشرته مجلة البعثة تحت عنوان «رحلة ربيع»، يصف فيه رحلته إلى البر مع مجموعة مختلطة من المدرسين، وكان سعيدًا بهذه الرحلة التي استغرقت خمسة عشر يومًا عاد بعدها ليقول: «وعدنا وانقضى الزمن، وما بقيت إلا صورته ماثلة في عيني، قائمة في خيالي، وودت لو أنها تعود».

لم تمهل دائرة معارف الكويت هذا الرجل كثيراً فسارعت إلى إنهاء عمله بسرعة مع ما يتمتع به من معرفة وخلق كريم ولا أظن السبب إلا تضارب الآراء فهو رجل متفتح الذهن يسعى إلى تطوير عمله، ومجلس المعارف يرى ضرورة التمهل في كل شيء لأن هذا النظام التعليمي كان جديدًا على الكويت، ولعل أدل شيء على تمكنه اختياره بعد ذلك للتدريس في الكلية العلمية بدمشق، وهي لا تختار إلا المدرسين البارزين.

لم يتسع مجال النشر هنا لأكثر من هؤلاء المربين الثلاثة، على حين قام عدد كبير من أبناء الوطن العربي بالتدريس لأبنائنا وبناتنا نذكر منهم ممن عمل في البداية كلًّا من علي محمد هيكل، وأحمد قائد وأحمد ضيف، وكذلك كامل بنقسلي وحيدر الشهابي، وفيصل العظمة، ثم عبداللطيف الصالح ومحمد نجم، وابراهيم عيد، وسليمان أبو غوش وآخرين.

ونذكر من الذين التحقوا بالركب في فترات لاحقة كلًّا من: محمد صابر الجمل ومحمد صبري السعدي، ومحمد الكوّه، ثم موافي عطية وأحمد أبو بكر إبراهيم وعبداللطيف فرغلي وخليل عبدالشفيع، وإبراهيم عابدين وعبدالحميد الحبشي وأحمد مرعي، وأحمد اللباد، ود.يوسف عبدالمعطي، وصلاح بريقع، ومحمود حجر، وأبو الفتوح سالمان، وأعداد كثيرة يصعب حصرها، وكل هؤلاء كانوا أعلامًا في مجال التربية، وكان إنتاجهم موضع تقدير الجميع.

كما لا يفوتنا ذكر كل من: محمد عبدالقادر يونس، وربحي العارف، وخميس نجم، وجابر حديد، وأحمد شهاب الدين، ومحمد المغربي، ونبيه عبدالغفار، ومحمد عبدالرحمن شاهين، ومحمد الزعبلاوي، وتيسير سليمان وعبدالرحيم معروف وشاكر عبدالرحيم، فقد كان لهم دور لا ينسى في مسار التعليم في الكويت.

وفيما يتعلق بالمعلمات نذكر درية حسين قدري التي كانت ناظرة للمدرسة القبلية للبنات، كما نذكر كلا من وصيفة وسكينة ورفقة اللاتي كان يطلق عليهن بنات عودة، وآخرهن في الحضور كانت سكينة التي بدأت عملها في السنة الدراسية ٣٨ - ١٩٣٩م.

ليس بالإمكان الإحاطة بذكر الجميع، ولكن من حَقّهم علينا أن تقوم وزارة التربية، أو يقوم أحد المهتمين بالتدوين من أبناء الكويت برصد هذه الأعداد مع بيان شيء عن عمل كل واحد أو واحدة من الذين عملوا في الكويت وبخاصة في الفترة من بداية التعليم النظامي حتى سنة ١٩٦١م.

****

ملحاق خير

كان الشيخ جابر العبدالله الجابر الصباح أحد أعضاء البعثة الطلابية الثانية التي أرسلت إلى مصر في سنة ١٩٤٤م. وقد أجرى مع الأخ رضا الفيلي مقابلة تلفزيونية بتاريخ ١٩٨٩/٦/١٤م تناول فيها الكثير من الأمور المتعلقة بدراسته، وظروف سفره. وكان مما ذكره أن الطريق من الكويت حتى مصر استغرق خمسة وعشرين يومًا وقد خرجوا من الكويت بسيارات ذات مقاعد خشبية، وكانت هذه المقاعد والهيكل الخارجي للسيارات من صناعة محلية. وقد ذكر عددًا من أسماء الطلاب الذين كانوا في تلك الدفعة، فكان منهم عبدالعزيز الصرعاوي، وجاسم مشاري الحسن، وخالد الجسار وآخرون...

يقول إنهم وصلوا بعد طول مسير إلى محطة مصر بالقاهرة ولم يكن في استقبالهم أحد، وكانوا يحملون أمتعتهم في صناديق حديدية لعدم وجود شنط في ذلك الوقت، ويلبسون ملابس الكشافة تعلو رأس كل واحد منهم الغترة والعقال. فكان منظرهم مستغربًا في ذلك الزمن هناك. وعندما أحسوا بالورطة لعدم وجود من يعتني بهم، قال اثنان من الزملاء إنهما يتذكران مدرسًا مصريًا كان يعمل في الكويت اسمه محمد سيد الأهل، وهو من معتادي الجلوس في قهوة من قهاوي حي السيدة زينب.

يقول: فعزمنا على الذهاب إليه ولقد كان من محاسن الصدف أن وجدناه كما توقع الزميلان فاهتم الرجل بنا، وأخذنا بوساطة الحنطور إلى المعهد البريطاني الذي كان مقره وقتها في شارع فؤاد المسمى اليوم شارع ٢٦ يوليو، وكان مسؤولاً عن شؤون الطلبة الكويتيين، ومن هناك بدأت مسيرة دراستنا.

****

رجال لن ينساهم الوطن:
خالد الزيد الخالد (١)

أعرف هذا الرجل دون أن يعرفني، وهذا أمر يعرف بالبديهة، فالرجل في الوقت الذي كنت أراه فيه كان رجلاً له دور في الأنشطة المتعددة في البلاد وكان له اسم لامع، وكان له من السن ما يبعده عني فقد كنت في الوقت الذي أشير إليه صغيراً بالنسبة إليه.

كنت أراه في سيارته السوداء الفارهة وهو يمر بها في طرق فريج الشاوي متجهًا من بيته في المنطقة القريبة من ديوان الخالد القائم حاليًا حيث تقيم الأسرة الكريمة إلى دائرة معارف الكويت، فقد كان عضوًا بارزًا ضمن أعضاء مجلس إدارتها، وكان له دور في خدمة التعليم آنذاك. وهذه الدائرة لمن لا يعلم تقع في شارع فهد السالم بمنطقة الصيهد بجوار مسجد الملا صالح القائم حالياً، وكان لها مبنى من أفضل المباني في ذلك الوقت من حيث التصميم ومنظر الواجهات والنقوش البديعة التي تحيط به من كل جانب، وكم أنا آسف إذ فقدت الكويت هذا المبنى كما فقدت غيره دون أن يهتم أحد بحفظ ما امتدت إليه أيدي التدمير.

أورد الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه «تاريخ الكويت» ذكر خالد الزيد، وأثنى عليه كثيراً فقال عنه: «شاب نبيه يتوقد ذكاء وفطنة، مثال للاستعداد الغريزي في الكويت، إذ هو على صغر سنه، وعلى عدم دراسته، له أفكار صائبة، وآراء

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٢٦.

ناضجة، وتدقيق في كثير من المسائل العلمية والأدبية، مما يدع السامع يقف موقف المعجب بفطنته، وبرقة إحساسه وشعوره، ولا غرو فقد اكتسب ذلك كله من أبيه».

ثم استطرد قائلاً: «هو أحد أعضاء المكتبة الأهلية وأحد الذين عطفوا جيدهم إلى المدرسة الأحمدية».

فهذه شهادة لصاحبنا من رجل يصعب أن يشهد لأحد دون أن يكون مستحقًا لهذه الشهادة، ودليل على شخصية خالد الزيد، وتمكنه من عمله الخاص، وليس ذلك فحسب، بل هو يعمل أعمالًا تطوعية ذكر الشيخ الرشيد طرفًا منها، وهو - أيضًا - صاحب اطلاع وفكر ينال إعجاب مستمعيه حين يحدثهم عن شيء مما يقرأ أو مما يعرف.

ولد خالد الزيد الخالد في سنة ١٩٠٦م، ودرس في إحدى المدارس القائمة وقتذاك، حيث كانت دراسته فيها منوعة، إذ تعلم القرآن الكريم والكتابة والقراءة والحساب، كما درس علم مسك الدفتر وحسابات الغوص التي كان لها نظامها الخاص، وكانت المدارس الأهلية تهتم بتدريسها لتلاميذها لحاجة السوق إلى دراية الخريجين بهذا التخصص.

وبعد أن أتم دراسته وشب قليلًا ركب البحر مع والده الذي درّبه على الاتجار باللؤلؤ، وقد استمر في هذا العمل حتى سنة ١٩٣٢م، ثم غير اتجاهه العملي، فصار يعمل في تجارة الأقمشة والمواد الغذائية بالجملة، وكان من أسباب اتجاهه إلى الطريق الجديد الذي سار عليه في تجارته بداية كساد سوق اللؤلؤ، واستمراره في الانحدار حتى توقف العمل بهذه التجارة نهائيًا، وكأي تاجر نشيط مجرِّب، وجد أن السوق يحتاج إلى من يعمل في تجارة الأقمشة والمواد الغذائية فصار يستوردها ويبيعها بالجملة في سوق كان يستوعب الكثير من البضائع لأنه كان يُغذّي حاجة البلد، وحاجة الدول المجاورة أيضًا.

في العدد التاسع من السنة الأولى لمجلة البعثة الصادر في شهر فبراير لسنة ١٩٤٧م، عقدت المجلة لقاء مع عدد من رجال الكويت تحت عنوان «مع رجال الرأي في الكويت» سألت في هذا اللقاء ثلاثة من العاملين في المجالين الخاص والعام هم السادة يوسف أحمد الغانم، وعبدالله الملا صالح، وخالد الزيد الخالد.

كان السؤال الأول:

- ما رأيكم الشخصي في أحسن وسيلة لتوفير مياه الشرب في الكويت؟

وقد حدد خالد الزيد الخالد إجابته، وأوجز فيها كثيراً حين قال:

- أحسن طريقة لتوفير مياه الشرب في الكويت هي الآبار الارتوازية، والتعمق في الحفر. أما السؤال الثاني فكان:

- تثور الشكوى بين حين وآخر بسبب سوء المواصلات بين الكويت والبصرة. فما هي الوسيلة العملية لعلاج هذه الشكوى؟

فرد خالد الزيد الخالد:

- الوسيلة العملية لعلاج الشكوى من المواصلات بين الكويت والبصرة هي أن تُلزم حكومتنا الشركة صاحبة الامتياز بأن تُسيِّر سيارات يومية منتظمة كما كانت الحال سابقًا.

والسؤال الثالث هو:

- ما هي الآمال التي ترى أنها معقودة بالبعثة الكويتية بمصر، وما أهم نواحي التخصص التي ينصح أعضاء البعثة بها؟

فقال:

– إن أملنا كبير في بعثتنا بمصر، ونود أن يكون التخصص فيما تمس الحاجة إليه عمليًا.

كانت الأسئلة مما له علاقة بحاجات الناس في سنة ١٩٤٧م، فالمياه كانت شحيحة، والمواصلات التي أشار إليها السؤال تكاد تكون بعد الوسائل البحرية هي وسيلتنا إلى الاتصال بالعالم، لأن الطائرات في ذلك الوقت لم تكن متاحة بالصورة الملائمة. أما السؤال الثالث فكان لابد من إثارته لأن المجلة كانت تصدر عن طلاب البعثة الكويتية في القاهرة، وكان ينبغي أن يعرفوا رأي ذوي الرأي.

من مشاركات خالد الزيد في الأعمال الحكومية إضافة إلى عضوية مجلس المعارف، اختياره عضوًا في مجلس الشورى لسنة ١٩٥٥م، وكان لهذا المجلس دوره الكبير في إدارة شؤون البلاد، وتقديم الاقتراحات إلى أمير البلاد بعد دراستها والتأكد من جدواها.

وكان كما مر بنا في شهادة الشيخ عبدالعزيز الرشيد من الأعضاء المؤسسين للمكتبة الأهلية التي أقيمت في سنة ١٩٢٢م، وكانت نافعة لطالبي العلم والأدب، كما كان من الداعمين لنشأة المدرسة الأحمدية التي كانت ثاني مدرسة نظامية تنشأ في الكويت.

وكان من مؤسسي شركة الكويت للسينما، ومن الذين بذلوا الجهود الكثيرة في سبيل إقرار هذا المرفق الثقافي الترفيهي المهم.

وكان فوق ذلك كله كريم النفس عونًا لكل طالب عون، يسعى في مصالح الناس لا يريد منهم جزاء ولا شكورًا، وكانت علاقته بالمسؤولين نافعة للناس الذين يتوافدون إليه طالبين منه حل مشكلاتهم، دون أن يكون لتلك العلاقات فوائد

شخصية له. كان دائم العمل، دائم البحث عن أفكار جديدة ينشيء من خلالها مشروعًا مفيدًا يستفيد منه الذين سوف يشاركونه فيه، إذ لم يكن أنانيًا ولا بخيلًا، وكان كلما نوى المباشرة في مشروع جديد دعا عددًا من أصحابه إلى مشاركته، فتحصل من ذلك فائدة عامة لهم جميعًا.

ومن ضمن هذه الأعمال أنه دعا إلى قيام شركة النقل والتنزيل لكي تقوم مقام الشركة الأجنبية التي كانت تقوم بهذه الأعمال في موانئ الكويت. والتقى هو والمجموعة التي اتفق معها بالشيخ عبدالله السالم الصباح، وكان أن نقل الشيخ عبدالله هذه الفكرة إلى الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت آنذاك فأعجب بها وكتب الرسالة التالية:

الكويت ٢٣ ربيع الأول ١٣٦٣ هـ

لحضرة الأجلاء خالد الزيد الخالد وشركائه

بشركة النقل والتنزيل المحدودة المحترمين

بعد التحية:

عطفًا على المباحثة التي جرت بين الأخ الشيخ عبدالله السالم الصباح وبينكم في يوم الإثنين الموافق ١٨ ربيع الأول ١٣٦٣ هـ أفيدكم بأنني موافق على القرار الذي تم فيما بينكم على تعديل بعض من مواد اتفاقية امتياز النقل والتنزيل الممنوح لكم من قبلنا بتاريخ ١٨ رجب ١٣٥٤ هـ.

(١) تعدل المادة الثانية عشر ويجعل أرباح النقل من بعد عموم المصاريف والإنشاء والاستهلاك مقسمة كالاتي:

أ) بالماية عشرة إلى حكومة الكويت.

ب) بالماية ثلاثون إلى معارف الكويت.

ج) بالماية ثلاثون إلى صحة الكويت.

د) بالماية ثلاثون إلى أصحاب الامتياز.

(٢) تم الاتفاق على تعيين عضوين في مجلس شركة النقل والتنزيل وهذان العضوان أحدهما يمثل إدارة المعارف والثاني يمثل إدارة الصحة وسيُعَيّنُ العضوان من قبلنا.

بناء عليه أرجو أن تُؤكِّدوا لي موافقتكم لهذه القرارات لكي يتم تنفيذها من قبلنا ودمتم.

«حاكم الكويت»

وهذا دليل آخر على دور خالد الزيد الخالد المهم في الحياة الاقتصادية الكويتية.. وبهذه المناسبة فإن مجلس الأمة والحكومة اليوم في بحث مستمر، ومتنافر حول موضوع مشابه من حيث تحديد الأنصبة في إحدى الشركات بينما يعطيهم الشيخ أحمد الجابر الصباح في هذه الرسالة الحل الذي غاب عنهم، والذي يمكنهم اتباع حل مشابه له في قضية الشركة المطروح أمرها على البحث أو أية شركة أخرى مشابهة.

كانت سنة ١٩٥٢م سنة متميزة في الكويت فيما يتعلق بنمو الاقتصاد وتطور مؤسساته ففي يوم السبت الخامس عشر من شهر نوفمبر لسنة ١٩٥٢م تم افتتاح أول بنك كويتي في البلاد هو بنك الكويت الوطني. وقد نشأ هذا البنك بأيد كويتية خالصة تداعت إلى إنشائه فتم لها ذلك ومازال هذا البنك يؤدي عمله في

الكويت وفي خارجها، وقد كان أول رئيس لمجلس إدارته هو خالد الزيد الخالد وكان نائبه أحمد سعود الخالد، ومن الغريب أن هذين اللذين توليا مسؤولياتهما منذ بداية عمل البنك لم يكونا راغبين في المساهمة بالتأسيس لارتفاع المبلغ الذي ينبغي عليهما دفعه، ولكن ثقة المؤسسين بهما دفعتهم لا إلى تخفيض المبلغ المطلوب للمساهمة من أجلهما فحسب، بل جعلتهما في مكان الصدارة عندما بدأ العمل.

يقول المرحوم خالد العبداللطيف الحمد في شهادة له عن تأسيس بنك الكويت الوطني بهذا الخصوص:

«.. لكن خالد الزيد وأحمد سعود الخالد اعتذرا عن الانضمام إلينا في تأسيس البنك، لعدم توافر السيولة عندهما آنذاك، وكان سعر السهم عاليًا، لكننا طلبنا منهما الاشتراك بأي ثمن، فوافقا ودفعا ١٥٠ ألف ربية».

وتحدث المرحوم محمد عبدالمحسن الخرافي في مقال نشرته له مجلة البعثة عن نشأة بنك الكويت الوطني، وذكر تفصيلات كثيرة عن الاستعدادات التي سبقت الافتتاح، وكان مما قاله إن هيئة التأسيس وجدت أن البنك يحتاج إلى شيء من الدولارات والجنيهات الاسترلينية وقد ذهبت الهيئة بكاملها إلى الشيخ عبدالله السالم الصباح ترجوه الدعم، فقرر إيداع خمسمائة ألف دولار، ومليون جنيه استرلينيًا لصالح البنك الوليد، وكان ذلك دعمًا قويًّا، جعلت الهيئة تشرع في العمل وهي تثني على الشيخ وتدعو له. يقول: «وقد رأت هيئة الإدارة أن ينيبوا عنهم السيد خالد الزيد الخالد لشكر الشيخ على هذه المكرمة».

وهل كان اختيارهم له كي يقوم بهذه المهمة إلا لتقديرهم له.

وتميزت سنة ١٩٥٣م - أيضًا - بعمل بارز كان لخالد الزيد الخالد يد في صنعه، إذ تأسست أول شركة طيران كويتية هي أساس مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية العاملة الآن.

بدأت الشركة برأسمال قدره مليونا ربية موزعة على أسهم قيمة كل سهم مائة ربية وقد ساهم في الشركة عدد من أبناء الكويت، وترأس خالد الزيد الخالد أول مجلس لإدارتها، لما له من قدرة تنظيمية فائقة، ولخبراته السابقة في إدارة المشروعات التي كان منها بنك الكويت الوطني.

في منتصف ليلة يوم الإثنين الثلاثين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٥٤م هطلت على الكويت أمطار كثيرة تضررت منها المنازل، وتشرد سكانها، واستمرت عدة أيام فقامت الحكومة بما يلزم من حيث علاج الموقف الناجم عن هذه الأمطار، وما اتخذته الحكومة -آنذاك- هو تشكيل لجنة عليا لهذا الغرض كان خالد الزيد الخالد أحد أعضائها. وكان في تلك اللجنة كل من الشيخ جابر العلي السالم الصباح والشيخ خالد العبدالله السالم الصباح، والسادة أحمد عبداللطيف، وعبداللطيف النصف، وعبدالحميد الصانع، وسليمان خليفة الشاهين، وسليمان المسلم، وعبدالله الدخيل، ونصف اليوسف النصف، وأحمد سعود الخالد وآخرون. وكانت عضوية خالد الزيد الخالد في هذه اللجنة بسبب عضويته في مجلس الشورى.

في سنة ١٩٥٠م زار خالد الزيد الخالد مصر، واستقر طيلة الصيف في القاهرة، وقد تزامن وجوده هناك مع وجود كل من السادة: يوسف الحميضي، وخالد الصالح الغنيم، وخالد العبداللطيف الحمد، وجاسم ثنيان الغانم، ومحمد الخرافي، ومحمد البحر وآخرين.

وفي سنة ١٩٥١م كرر زيارته لمصر، والتقى هناك بالسادة: خالد الحميضي، وسالم الحميضي، وفهد عبدالعزيز المرزوق وآخرين.

في سنة ١٩٥٢م كان عضوًا في لجنة فرز الأصوات بعد الانتخابات التي جرت في تلك السنة، وكان رئيس هذه اللجنة هو الشيخ عبدالله الجابر الصباح.

شكل مجلس المعارف لجنة تعيد النظر في لوائح البعثات المعمول بها آنذاك لكي تقوم بوضع لائحة جديدة تتلافى ما ورد في اللائحة السابقة من قصور، وكان ذلك في شهر أكتوبر لسنة ١٩٥٢م، وتتكون اللجنة من السادة مدير المعارف عبدالعزيز حسين، وخالد الزيد الخالد، وخليفة الغنيم، وأحمد البشر، وهؤلاء من أعضاء مجلس المعارف.

هذا بالإضافة إلى أعمال أخرى كثيرة لو أردنا إحصاءها والإحاطة بها لاحتاج الأمر إلى مساحة أكبر، ووقت طويل.

كان خالد الزيد الخالد في أوج نشاطه، وكان في الخمسين من عمره، ذهب في رحلة عمل إلى بلد قريب، وفجأة تلقّت الكويت وأهلها نبأ الفاجعة، إذ توفي في اليوم الرابع عشر من شهر إبريل لسنة ١٩٥٦م فمضى مأسوفاً عليه من الجميع، مذكوراً بالخير على الدوام. رحمه الله.

****

المحتوى

****